المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

صُورَةُ أُمُومَةُ الحَيَوانُ فِيْ الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالبة

جواهر محمد فايز الشهري

٤٢٩٨٠٤١٨

إشراف الدكتورة

مريم عبد الهادي القحطاني

الفصل الدراسي الثاني

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

عنوان البحث: (صورة أمومة الحيوان في الشعر الجاهلي).

الدرجة العلمية: الماجستير.

جاء هذا البحث في: مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول.

وعنى هذا البحث بتقصي صورة الأمومة عند الحيوان في ما يخص: أمومة الناقة، والظباء، والبقر الوحشي، والفرس، والحمار الوحشي وأتانه.

والشاعر الجاهلي لم يكتف بالوصف السطحي؛ بل تغلغل إلى الوصف النفسي، ما يعتري تلك الحيوانات من مشاعر الحب والخوف والقلق من أدق تلك المشاعر وأرق العواطف، وأسناها: عاطفة الأمومة. وقد تنوعت عواطف الأمومة عند الحيوان بين الحنان، والحزن، والعجز، والحسرة؛ بل وتفاوتت في ما بينها.

وقد تفاوت الشعراء في تناول هذه العواطف في أبياتهم الشعرية. كما إن الشعراء تارة يستحضرون معاني الأمومة الحاضرة، وتارة ينفون تلك الأمومة لدى الحيوان؛ للتأكيد على معانٍ تتصل بهم، ويريدون إثباتها.

وقد كان التشكيل الفني الأكثر حضوراً في صورة الأمومة عند الحيوان هو: التشبيه، يليه الكناية، ثم الاستعارة.

وبدا من خلال عمل الباحثة ما يلي:

١-أهمية حضور صور أمومة الحيوان عند الشعراء الجاهليين في قصائدهم.

٢- تبين أن أبيات حنان الأمومة عند الظباء فاقت أبيات حنان الأمومة عند الناقة؛ على الرغم من أن الناقة الرفيق الدائم للشاعر الجاهلي، مما يفسر لنا مدى افتتان الشاعر العربي بالظبية.

٣- تفاوت حضور الحيوان في قصائد الشعراء الجاهليين من خلال صور الأمومة من عاطفة إلى أخرى؛ وذلك بحسب طبيعة كل حيوان وصفاته السائدة عند العرب آنذاك.

٤- كان التشبيه أكثر الأساليب الفنية حضوراً في صور أمومة الحيوان عند الشعراء الجاهليين.

٥- ظهور الجانب القصصي عند بعض الشعراء الجاهليين ملامساً فنية من أبرز سمات صور أمومة الحيوان.

٦- عناية الشاعر الجاهلي بالتغلغل في الأعماق النفسية للكائنات من حوله، وتجاوزه الوصف الظاهري إلى وصف مخبوء نفوس تلك الكائنات، وما يعتلج فيها من مشاعر الحب والخوف والقلق؛ خاصة عند الأم. وفي ذلك دلالة على حسه المرهف، الرفيع.

الطالبة **المشرفة**

جواهر محمد الشهري **الدكتورة / مريم عبد الهادي القحطاني**

Abstract

This thesis is titled : Animal motherhood image in pre-Islamic poetry

Scientific degree: master degree

This thesis is including : introduction, preface and four chapters.

Me and this research scans the image of motherhood when the animal in regards to maternity camel, antelope, antelopes, and a horse, zebra and Otanh.

And poet ignorant not only describes the surface; but penetration into the psychological descriptions, what is going on these animals from feelings of love, fear and anxiety. It is precisely those feelings and finest emotions, Osnaha: passion motherhood. Maternity emotions have varied between when the animal compassion, grief, helplessness, and anguish; it varied between them.

The disparity poets in dealing with these emotions in Obyatem noodles. The poets sometimes invoke the meanings of motherhood pure, and sometimes deny that motherhood in animals; to emphasize the meanings related to them, and they want to prove.

Technical formation was most present in the form of maternity when the animal is: metaphor, metonymy followed, then the metaphor.

And it looked through the work of the researcher as follows:

١- The importance of animal mother hood in poems of the pre Islamic poets.
٢- The poems about Tenderness of elk mother hood is more than those about camel motherhood tenderness, although that camel is the most companion ship for the pre-Islamic poet, which explains the impress of those poets by the Elks.
٣- Existence of animals varies from one poet to other due to the natural of every animal .
٤- The most common artist language was the likening language , for the forms of animal mother hood , into the pre-Islamic poets.
٥- The discussion language exposed into the poem language for pre-Islamic poets is considered to be one of the artist features mentioning the animal motherhood.

SUPERVISOR
MARIAM ABDUL HADI AL-QAHTANI

STUDENT
JAWAHR MOHAMMED ALSHAHYRA

إهـــداء

$ إلى القلب الكبير – الغائب الحاضر – . . .

$ إلى من أحمل اسمه بكل افتخار . . .

$ إلى من أفتقده في مواجهة الصعاب ، ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه . . .

$ إلى من رافق هذه الرسالة وتاقت نفسه إلى حصولي عليها . . .

والدي الغالي - رحمه الله -

$ إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان . . .

$ إلى بسمة الحياة وسر الوجود . . .

$ إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وبلسم جراحي . . .

أمي الحبيبة - متّعني الله ببقائها -

$ إلى من ساندني وآزرني . . .

$ إلى رفيق دربي ، وسرّ نجاحي الذي ما كان لهذا العمل أن يكتمل دون وجوده . . .

زوجي العزيز

جواهر محمد الشهري

شكر وتقدير

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ، وأقل جزاء المعروف الشكر .

فبعد شكر المولى عز وجل ، المتفضل بجليل النعم ، وعظيم الجزاء .

وانطلاقا من العرفان بالجميل يسرني ويشرفني صدري أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذتي ومشرفتي الدكتورة (**مريم القحطاني**) التي ما توانت يوما عن مد يد المساعدة لي ؛ فقد كانت نعم المرشد لي في دربي ، ويسر بها أمري . حفظها الله ورعاها ؛ لتبقى سراجا تلألأ علما في رحاب العلم .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذين الكريمين **عضوي لجنة المناقشة الموقرين**، على ما لاقيا من عناء في قراءة رسالتي المتواضعة ، وإثرائها بمقترحاتهما وإرشاداتهما القيمة ؛ فجزاهما الله عني خير الجزاء .

وأتقدم كذلك بجزيل الشكر إلى ذلك الصرح العلمي الشامخ ممثلا في **جامعة أم القرى** ، وأخص بالذكر : كلية اللغة العربية ، وعميد الدراسات العليا والقائمين عليها ؛ على ما قدموه لي من مساعدة ومساندة مكنتني من المضي بخطى ثابتة في مسيرتي العلمية .

وفي النهاية يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من مد لي يد العون ، أو ساندني برأي ، أو مشورة ، أو بدعواته الصادقة وتمنياته المخلصة .. أشكرهم جميعا وأرجو من الله عز وجل أن يديم عليه قدره هم في الدنيا والآخرة .

جواهر محمد الشهري

المُقَدِّمَةُ

E :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الأمي ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ..

فإن الشعر الجاهلي كان -ولا يزال - قبلة الباحثين والدارسين ؛ فهو كنز من التشكيلات الجمالية البديعة ، ونبعٌ كريم متدفقٌ لا ينضب بما يغري الباحثين بورود معينه الثَّرِّ ، والغوص في بحار معانيه ؛ لاكتشاف أسراره وخباياه . وهو فوق كل ذلك عنوان عبقرية هذه الأمة ، ورمز خلودها ، وقاعدتها الكبرى في لغتها وأدبها .

والعقل النقدي الحيّ المتجدّد يستطيع دوماً أن يستخرج من ذخائر هذا الشعر الجليل اكتشافاتٍ علميةً جديدةً ، قدتهم في إضاءةِ زوايا معتمة من تاريخ أمتنا الأدبي ، وتعطي فهماً أعمق لجذور تكويننا العقلي والفكري .

ومن أظهر الجوانب التي إن تمَّ بحثها بحسن التأمل ، ولطف التأتي فإنها ولابدّ ستفتح لنا آفاقاً جديدة ؛ لتحقيق رؤية أوضح لشعرنا الجاهلي وأسراره الفنيِّة - جانب : **(صورة الأمومة عند الحيوان في الشعر الجاهلي)** . فمن المعلوم أن مشاعر الأمومة من أصدق المشاعر ، وأنبلها ، وأسناها ، يستوي في ذلك عالَم الإنسان ، وعالَم الحيوان . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن التقاط محور (الصورة) فيه تركيز على محور بالغ الشفافية والرهافة ، مما يفضي بنا إلى مكنون القصائد ، ولُباب رؤيتها ؛ فالصور في الشعر مخابىء الأسرار النفسية التي يودع فيها الشاعر مخاوفه ، وحيرته ، وأسئلته ، وقلقه ، وآماله ، وأحلامه ، وآلامه . ونحن نعلم أن الشعر الجليل الخالد بعيد عن المباشرة الضحلة ، ويعتمد دائماً ـ على اللمح ، والإيماء ، والتعريض ، وتكثيف المعاني في عبارات موجزة موحية ، وفي صورة معبرة؛ بذا فنحن حين نضع أيدينا بحسٍّ نقديٍّ لمَّاح على هذا المحور ، فإننا نضعها على

قلب الشعر الحي النابض بكل تأكيد ، عندها نستطيع أن نستشف الكثير عن طبيعة الشعر في العصر الجاهلي ، وحياة أهله ، ومعتقداتهم ، وغير ذلك .

أهمية الدراسة :

سبقت الإشارة إلى بعض جوانب الأهمية في هذه الدراسة ، ونستطيع أن نضيف هنا أن الشاعر إنما سُمي شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره ؛ فالشاعر المرهف الحس لا يقصر إحساسه على عالم الإنسان فحسب ، بل يتجاوزه إلى عوالم كونية تنداح وتتسع ، فتشمل طوائف من الحيوانات ، بل حتى الزواحف ؛ فالإنسان والحيوان في وجدانه سواء . وعندها يكون الشاعر كالحكماء والفلاسفة ، وهذا أقرب إلى طبع العبقرية والنبوغ . ومثل هذه الدراسة تكشف عمق إحساس الشاعر الجاهلي بالكائنات الأخرى من حوله ، وأنه حين كان يصف الحيوان لم يكن -مطلقاً- يقدم تسجيلاً ماديًّا سطحيًّا نماذجاً لهذه الكائنات الحية ، بل كان يستشعر أدق مشاعرها وأعمقها ؛ فهو يستشعر وجيب قلوبها عند خوفها ، وما يترقرق في عيونها من الحزن عند فجيعتها ، وما يبرق في عيونها أيضاً من الحقد والغضب عند صراعها. ورأى في عالم الحيوان صورة أخرى من عالم الإنسان ؛ رأى فيه الرحمة والقسوة ، والقوة والضعف ، والظالم والمظلوم . بل لعله وجد في عالم الحيوان حلولاً وإجابات لمشكلات مقلقة أرهقت وجدانه . ولعل أرفع صورة وأعمقها تأثيراً صورةُ الأمومة وتجلياتها المختلفة في شعر ذلك العصر .

ومن جهة أخرى ؛ فإن وضع التاريخ الأدبي لأي أدب في أي أمة لا يكون إلا بالدراسات النقدية التي تتعاقب على فحص ظاهرة أدبية ما عبر القرون ، ورصد التغيرات والتحولات ، ومحاولة الوقوف على العوامل المؤدية إلى هذه التحولات .وتأمُل الباحثة أن تكون دراستها هذه منطلقاً لدراسات لاحقة ترصد المحور ذاته في كل عصر من عصور الأدب العربي على حدة ، وعندها يمكن فحص المختلف ، ولماذا ، والمشترك ولماذا ؛ ذلك لأن آداب

الأمم صورة صادقة التعبير عن أفكارهم ، ومعتقداتهم ، وثقافتهم . وإذا تم ذلك لهذا المحور وغيره أمكننا عندها أن نعرف معرفة علمية دقيقة (فن الوصف) في أدبنا العربي : كيف كان ، وما التحولات التي طرأت عليه ؟ ولماذا ؟ وكيف صار ؟ دون أن نقع في دائرة مفرغة في إطلاق التعميمات الغائمة ، والأحكام الأفقية .

والخطوة الأولى ستبدأ - بلا ريب - من العصر الجاهلي ، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقه - بإذن الله - ، مع ملاحظة اختصاص العصر الجاهلي بما سيكون له انعكاسات عميقة في وجدان الأمة ، وضميرها ، وتعبيرها الفني الرفيع (الشعر الجاهلي) ، لهذه الأسباب مجتمعة وقع اختيار الباحثة على موضوعها الآنف الذكر لكشف القضايا الفكرية ، والمشكلات المقلقة التي أتت (صورة أمومة الحيوان) مكيلاً فنيًّا عبر عنها .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة هذه الدراسة ، أن تكون في أربعة فصول ، مسبوقة بتمهيد ، متبوعة بخاتمة .

تناولت في التمهيد :

أولاً : مفهوم الأمومة لغة ، ومكانة الأم في الوجدان العربي القديم .

ثانيًا : مفهوم الصورة ، ودورها الفني في الشعر .

ثالثًا : صورة الحيوان في الشعر الجاهلي عامة وقيمتها الجمالية .

وجاء الفصل الأول بعنوان : **(صور حنان الأمومة عند الحيوان)** نقَّبتُ من خلال البحث والاستقراء في معظم دواوين الشعراء الجاهليين لاستخراج صور حنان الأمومة عند الحيوان ،مبيِّنةً كيف استشعر الشاعر الجاهلي صور حنان الأمومة عند الحيوان معبرًا عن أسراره النفسية من حيرةٍ ، ومخاوفَ وقلقٍ ، وآمالٍ ، وأحلامٍ . وقد تمحورت صور حنان

الأمومة في ست صور:

١ - صورة حنان الأمومة عند الناقة والفصيل .

٢ - صورة حنان الأمومة عند الظباء وصغارها .

٣- صورة حنان الأمومة عند البقر الوحشي .

٤ - صورة حنان الأمومة عند الفرس .

٥ - صورة الحنان على الصغار عند الأسد واللبؤة .

٦ - صورة حنان الأمومة عند العنز والأروية والغنم .

وجاء الفصل الثاني بعنوان : **(حزن الأم عند الحيوان ، وعجزها ، وغفلتها ، وضعفها)** ، تناولت فيه حزن الأمومة عند الحيوان باعتباره مصدراً من مصادر صوره الشعرية، ويمثل كذلك قيمة تراثية لدى العرب، وصدتُ بالشرح ، والتحليل ، والتفسير حالات الأمومة من حزنٍ ، وعجزٍ، وخطيئةٍ ، وضعف عند الحيوان الذي استدعاه الشاعر الجاهلي في قصائده ؛ ليبث حزنه ومعاناته . فكانت التالي :

١ - الناقة وفصيلها .

٢ - البقرة الوحشية والظبية .

٣- أُتُن الحُمر الوحشية .

٤ - الخيل .

وأما الفصل الثالث فقد جعله في مبحثين ، بعد جمع الأبيات وتفنيدها .

جعلتُ **المبحث الأول بعنوان : (الأمومة المحضة)** . تناولت فيه معاني الأمومة المحضة لدى الحيوان التي كان الشاعر الجاهلي يستحضرها ليؤكد من خلالها على معانٍ أخرى تتصل به .

والمبحث الثاني بعنوان : (نفي الأمومة) من خلال هذا المبحث وضحتُ الأسباب التي جعلت الشعراء الجاهليين ينفون الأمومة عن الناقة خاصة وبعض الحيوانات عامة ؛ وذلك لمعان أراد الشاعر الجاهلي إثباتها .

وأما الفصل الرابع والأخير فقد أفردته **للدراسة الفنية** . وجاء في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول يشمل : **التشبيه ، الكناية ، الاستعارة .**

أولاً : التشبيه قمتُ فيه بفحص وتفنيد أبيات الأمومة عند الحيوان ، فكان التشبيه أكثر شيوعًا في صور أمومة الحيوان . وقد تناولت التشبيه في كل عاطفة مرتبة حسب حضوره فيها .

ثانيًا : الكناية جمعتُ أبيات الكناية في ما يخص الأمومة لدى الحيوان ودوّنتها مرتبة بحسب حضورها في كل عاطفة من عواطف الأمومة .

ثالثًا : الاستعارة تتبعتُ حضور الاستعارة في صور الأمومة عند الحيوان فكانت أقل حضورًا من التشبيه والكناية وأبنتُ تفاوت حضورها في عواطف الأمومة المختلفة .

والمبحث الثاني : تناولت فيه قصيدة الخنساء بالشرح والتحليل والتفسير ؛ باعتبارها نموذجًا لصورة الأمومة عند الحيوان ، التي اشتملت في ثناياها على مشاعر الأمومة وعواطفها الجياشة .

ثم كان **المبحث الثالث** عن المعاني الكبرى لصورة الأمومة عند الحيوان في الشعر الجاهلي ، وأساليبه الفنية في التعبير عن ذلك ، وعلاقة هذه الصور بمقاصد الشاعر في النص .

وختمتُ كل ذلك بخاتمة فيها أبرز ما توصلتُ إليه من نتائج .

وبعـــد :

فقبذلتُ ما في وسعي وقدر طاقتي في إخراج هذه الدراسة ، وهذا عمل البشر، وهو معُرّ ضللخطأ والنقصان ، ولكنها محاولة جادّة فإن وُفِّقتُ فلله الفضل من قبل ومن بعد ، وإن كانت الأخرى ، فحسبي أنني اجتهدتُ ، وأسأل الله أن لا يحرمني الأجر .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه بخالص الشكر ، وعظيم الامتنان لجامعة أم القرى ، ممثلة في كلية اللغة العربية ، وقسم الدراسات العليا فيها ، على إتاحة هذه الفرصة لاستكمال دراستي العليا وتيسير سبلها لي .

كما أتوجه بجزيل الشكر لأساتذتي الكرام في هذه الكلية العريقة ، على ما أولوني من حسن رعاية واهتمام .

وتقف عبارات الشكر والعرفان والامتنان عاجزة عن إيفاء المشرفة على هذه الرسالة ، **سعادة الأستاذة الدكتورة : مريم عبد الهادي القحطاني** ،حقَّها ؛ لما لقته منـا من سعة صدر ، وحسن توجيه ، وما غمرتني به من فضلٍ ، وطوقتني به من رعاية واهتمام ، فنهلت من علمها وأفدتُ من توجيهاتها .

ولست أملك إزاء ما قدمته لي ولبحثي من علم وافر إلا الدعاء الصادق لها ، بأن يعلي الله قدرها ، ويرفع منزلتها ، ويجزيها عني خير الجزاء ، ويجعلكلَّ ما قدمتْه لي في موازين حسناتها ، إنه ولي ذلك والقادر عليهوالحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطنًا .

كما أتوجّه بالشكر الجزيل والثناء العاطر إلى سعادتيالمشرفَين الكريمَين ، نفع الله بعلمهما ، وجزاهما عني خير الجزاء .

وصلى الله وسلَّم وبارك على أفضل خلق الله ، سيدنا محمد بن عبدالله ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وسار على نهجه ، إلى يوم الدين .

التَّمهيد

أولاً : مفهوم الأمّومة لغةً ، ومكانةُ الأمّ في الوجدان العربي القديم :

تحتل الأمّ منزلةً خاصّةً ومكانةً رفيعة في قلب الإنسان ؛ فهي نبع العطاء بلا مقابل ، ونبع الصبر بلا جزَع ، ونبع الرحمة بلا قسوة . وفي العديد من الثقافات والديانات عبر التاريخ ظلت الأمّ تحظى بالتقدير والاعتراف بالفضل ، والوعي بما لها من دور جليل في تماسك الأسرة التي هي لبنة المجتمع الأولى . فإذا ما انتقلنا إلى عالم الحيوان فإننا نجد (الأمّ) هناك تضطلع بأدوار محورية ، لا يستمر ذلك النوع بدونها من رعايةٍ وحمايةٍ ،وإطعامٍ ، وغير ذلك . ويرى الناس من ذلك ما يرون ،وتقدح أحاسيسهم فتزكي معنى الأمّومة في نفوسهم .

مفهوم الأمّومة لغةً :

((الأمّومة مشتقة من كلمة (أمٌّ) الشيء : أصله والأمّ والأمّةُ : الوالدة . والجمع : أُمَّات وأُمّهات -زادوا الهاء- . وقال بعضهم : الأمّهات في من يعقل ، والأمّات -بغير هاء- في من لا يعقل ، فالأمّهات للناس ، والأمّات للبهائم .

قال ابن دريد كلُّ شيء انضمّت إليه أشياء ، فهو أمٌّ لها . وأمُّ القوم : رئيسهم . من ذلك قال الشنفرى :

فَأُمُّ عِيالٍ قَدْ شَهِدْتُ وَتَغْرُهُمْ *

قال الزجاج : أمُّ الكتابِ أصلُ الكتابِ . وقيل : اللوح المحفوظ .

وعن ابن عباس : أمُّ الكتابِ : القرآن من أوله إلى آخره .

وفي التهذيب : قال ابن الأعرابي : الأمّ : امرأة الرجل المسنّة . قال : والأمّ الوالدة من الحيوان . وأمُّ الحرب : الراية . وأمُّ الرمح : اللواء وما لفّ عليه من خرقةٍ)) [1].

(١) جمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤٢٣ هـ -=

أَمَّهُ نقَدَهُ ؛ كائْتَمَّه .وأَمَّهُ ، وتأمَّهُ ، ويمَّمَهُ ، وتيممَّهُ .والأمّ -وقد تكسر- : الوالدة ويقال للأُمِّ الأُمَّةُ والأمّهةُ والأمّهاتُ ، وأمّهاتأُو.هذه لمن يعقل ، وأمّاتٌ لمن لا يعقلُ .أمٌّ كل شيءٍ :أصلهُ وعمادُه .وأمَّتْ أمومَةً :صارت أُمًّا .وتأمَّمَها واستأمَّها : اتخّذها أُمًّا [١].

وقيل تفسير الأمّ في كل معانيها أَمَه ؛ لأن تأسيسه من حرفين صحيحين والهاء فيها أصلية ، ولكن العرب حذفت تلك الهاء إذا أمنت اللبس .ويقول بعضهم في تصغير أمّ : أميمة، والصواب : أميهة ؛ترُدُّ إلى أصل تأسيسها . ومن قال :أميمة صغّرها ع لظها[٢].

لمحات عن الأمومة في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة :

لقد تكرّر لفظ (أمّ) في القرآن الكريم في عدة آيات ، وفي معان متعدّدة ؛ كما في قوله تعالى :] . / 0 1 2 3 Z[٣]. فاشتملت الآية الكريمة على الأمّومة الحقيقية للطفل المولود فهي أمومة نسب ، وأمومة حمل وولادة ، وأمومة رضاع ، ومن ثمّ أمومة حضانة وإشراف فهي أمومة حقيقية كاملة الجوانب فالأمّر الذي تتحقق فيه الأمّومة هو الولادة لا غير ؛ كما أفاد أسلوب الحصر في قوله تعالى :] < ? @ A B Z[٤]"[٥].

=٢٠٠٣ م ، مادة (أ م م) .

(١) الفيروزآبادي ، مجد الدين بن يعقوب ، القاموس المحيط ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م ، (٤/ ٧٥-فصل الهمزة) .

(٢) الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، (٨/ ١٩١)

(٣) سورة القصص ، الآية (٧) .

(٤) سورة المجادلة ، الآية (٢) .

(٥) بتصرف عن : مها عبد الله الأبرش ، رسالة ماجستير مطبوعة (الأمّومة ومكانتها في الإسلام في ضوء

فالقرآن الكريم يوصي بالأمّ وقد ورد ذكرها في محكم التنزيل ، وجعل برَّها ضربًا من العبادة . وعندما يذكر جلّ شأنه حقالّوالدين يخص الأمّ بذكر ما قاست من الآلام ، فيقول جلذِّ كْره- :] ! " # $ & ') (* , - . / Z[1].

«قد ورد ذكر الأمّ الوالدة في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى :] z { | ..... Z[2]»[3] .

«القرآن الكريم لم يُفْرد الأب بتسميته والدًا ولا في موضع ، بينما ورد اسم الوالدة فردًا في آيات عدة»[4] .

وورد في السنة أحاديث شريفة كثيرة تُعلي وتُعظم مكانة الأمّ الوالدة ، وتأمر بطاعة الوالدين ، وخص الأمّ في ذلك . ومن ذلك :

وروى ما رواه أبو هريرة[5] - رضي الله عنه - قال : «جاء رجل إلى رسول الله- صلى

الكتاب والسنة) ، جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، (١/ ٤٠)

(١) سورة الأحقاف ، الآية (١٥) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٣٣) .

(٣) الأمومة ومكانتها في الإسلام ، (١/ ٤٠) .

(٤) فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ - ١٩٩٧م (و ل د) ، (ص٩٣٠) .

(٥) هو : الصحابي الجليل ، عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني . كناه الرسول -صلى الله عليه وسلم- أسلم في أول سنة سبع عام خيبر ، وصحب الرسول -صلى الله عليه وسلم- أربع سنين . توفي سنة ٥٧ هـ ، وقيل ٥٩ هـ .

يُنظَر في ترجمته : سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧٨) .

الله عليه وسلم - ، فقال : يا رسول الله ، من أحق النّاس بحسن صحابتي ؟ قال **أمّك** . قال **ثمّ** من ؟ قال **أمّك** . قال **ثمّ** من ؟ قال **أمّك** . قال **ثمّ** من . قال : **أبوك**))[١].

وقد حظيت الأمّ بهذه المنزلة ؛ لما تكابده من المشاق في الحمل والوضع والإرضاع ، فقد أوصى رسولنا الكريم بالأمّ ووجوب البر بها .

ونجد أن الأمّومة التي أوجدها الله فطرة في الأمّهي الأمّومة الحقّة ؛ أي : أمومة الرحم والولادة . قال تعالى :] & ') (* Z[٢].

وثمّة أمومة مجازية تلحق بالأمّومة الحقيقية في بعض الأحكام والآداب ، وتأخذ عدة صور ؛ منها :

١-أمومة روحيّة ديقيّلجميع الخلق بعد بعثة محمدٍ -صلى الله عليه وسلّم- ممثّلة في أزواجه أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- .

الأمّ المرضع . قال تعالى :] ^ _ ` Z[٣].

٣-الأمّ الخالة . قال -صلى الله عليه وسلم- : (**الخالة بمنزلة الأمّ**)[٤].

٤-الأمّ الحاضنة ، وهي من تحضن الصغير وتلي شأنه ؛كأمّ أيمن -رضي الله عنها- حاضنة الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى كبر[٥] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (البخاري مع الفتح) ، كتاب الأرب ، باب : من أحق الناس بحسن الصحبة (١٠/٤٠١) ح (٥٩٧١)

(٢) سورة الأحقاف ، الآية (١٥) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٢٣) .

(٤) البخاري ، الصحيح ، كتاب الصلح ، (٣/٢٢٢) ، ح (٢٦٩٩) .

(٥) مسلم الصحيح ، كتاب الجهاد والسير ، (٣/١٣٩١) ، ح (١٧٧١) .

أمّ الأمّومة القطعية في تحقُّقها الكاملة في أحكامها فهي : أمومة الولادة.

والأمّ لها مكانة عظيمة وتشريف من الله -عز وجل- ورسوله الكريم ، فقد قال الله تعالى : [F G H I J K L M N O P Z[1].

فقد خصّ الله -سبحانه وتعالى-الأمّ من خلال هذه الآية بأمرين هما : الحمل ، والإرضاع . وبها يَتحقق معنى الأمّومة عند كل أنثى .

وفي القرآن الكريم جاءت كلمة (الأمّ) بمعنى : الأصل لكل شيء عظيم [S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ Z[2] فأمّ القرى كانت مهبط الرسالات السماوية التي تدعو جميعها إلى التوحيد والإسلام.

وقد ورد في الكتاب العزيز ما يدل على عِظَم حق الوالدين ووجوب برهما . ومن ذلك قوله تعالى : [f g h i j k l n o Z[3] .

وقوله جلّ ذِكْره- : [۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا Z[4].

والله جلّ ذِكْره أوصى بالوالدين والإحسان إليهما معًا ، ولكنه خص الأمّ بالحمل والوضع والإرضاع بكل ما فيه من مشقةٍ وتعب ووهن ؛ ومن خلال ذلك جعلها تُقدّم في البرّ على الأب .

(١) سورة لقمان ، الآية (١٤) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٩٢) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٣٦) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (١٥١) .

وقد أشار رسولنا الكريم إلى ما في قلوب الأمّهات من الرحمة حتى في عالم الحيوان ، فقال -عليه الصلاة والسلام- (جَعَلَ اللهُ رَحْمَةَ مِائَةِ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ)[1] . فتلك الرحمة الربانية سرت نسائمها في كل الخلائق ، حتى في عالم الحيوان ، فترى الأمّهات تعطف على أولادها ، وتعتني بهم وترعاهم ؛ وذلك من رحمة الله وفضله عزوّجل - .

الأم في الشعر الجاهلي :

إذا بحثنا عن (الأمّ في الشعر الجاهلي) فلابد أن يتفرع ذلك من حال المرأة عامة ، فقد كان العرب يعرفون للأم حق البر والتقدير ، لأنّ الأمّومة تمثل قيمة إنسانية في مواجهة الإحساس بالتناهي الذي يترتب عن الزمان والمكان ، وأخطار الحروب .و((الإنجابُ يمثل ضرورة في مواجهة الإحساس بالفناء طلبًا لخلود الذكر ، وطلبًا للعزة والكثرة ؛ ولهذا نرى الفخر بالأمّ جنبًا إلى جنب مع الفخر بالأب))[2].

يقول الشنفرى [3] :

بِأَيِّ ابْنِ ظَبْيٍ الحَجْرِ يَتًا وَمَضْبَعًا وَأُمِّي ابْنَةُ أُخْتَيْنِ لَوْ تَعْلَمِينَهَا

إِذَا أَرُومُ الوُدِّ نِيطَ وَيَنْهَلُ يَؤُمُّ أُبَضَّ الوَجْهِ نِيطَ يَنِينَهَا

(١) صحيح البخاري ، كتاب الآداب ، باب جعل الله الرحمة مائة جزء ، تحقيق : مصطفى أديب البنا ، دار ابن كثير ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، (ص٢٢٣٦) .

(٢) تصرف عن : حسنى عبد الجليل يوسف ، عالم المرأة في الشعر الجاهلي ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، (ص٢٧) .

(٣) ديوان الشنفرى ، تحقيق علي ناصر غالب ، الرياض ، موضوعات مجلة العرب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، (ص٥٥) .

وقبيلة الرجل وطرفاه من أبيه وأمه موضع المدح والهجاء في المجتمع العربي ، الذي كان يقوم على العصبيات القبلية والعناية بالأنساب . والناظر في أشعار العرب يرى أن العرب قد عُنُوا كل العناية بأنسابهم ؛ فمدائحهم وأهاجيهم ومفاخرهم ومساجلاتهم قائمة على هذا الجانب في حياتهم ، وفي ثقافتهم.

((العرب اهتمت اهتمامًا فريدًا ، وعنيت عناية مميزة بأنسابها في جاهليتها وإسلامها ، ولم تبلغ أمة من الأمم عناية العرب بأنسابها وأحسابها ، ولم تكن ثمّة وسيلة لمعرفة العرب أنسابها وأصولها إلا بالرواية الشفوية ؛ وبهذا أخذت أنساب العرب تتناقل عن طريق الرواية ثم الكتابة منذ العصر الجاهلي حتى وصلت إلينا))[١].

ومما يميز العرب في ضبطها لأنسابها :أنها لا تكتفي بذكر الآباء بل تذكر الأمّهات أيضًا .يُضاف إلى ذلك :أن النسب إلى الأمّ كان شائعًا في بعض القبائل ، وفي أماكن شتى ؛ سواء في ذلك أهل الجنوب وأهل الشمال ، وسواء في ذلك الحضر والبدو ،وسواء أكانت الأمّ حرّةً أم أمَة .ولا يقل نسب الأفراد إلى أمهاتهم كثرةً عن نسب القبائل إلى أمهاتها))[٢].

((ولاشك أن نسب القبائل إلى الأمّ يرجع إلى عصور قديمة سبقت عصر ما قبل الإسلام بمراحل .وقد ربط بعض الدارسين بين النسب إلى الأمّ في القبائل القديمة وبين ارتفاع شأن المرأة ، فربما نسبوا الرجل لأمه لشرفها وعلو مكانتها على مكانة الأب . وهي ليست قاعدة على الدوام ؛ فالانتساب إلى الرجل في العصر الجاهلي كان هو النمط السائد والأمثل ،وهو من ناحية أخرى يشير إلى وضع متميز للأمّ ،فالأمّ التي ينتسب أولادها إلى

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الدباسي ، الانتساب إلىالأمّهات عند العرب ، مقاربات للتفسير ، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، (ص٢١٨) .

(٢) أحمد محمد الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، مصر ، دار النهضة ، ١٩٥٤م ، (ص٦٨) .

أبيهم هي الأمّ الحرة))[١] .((ولما زال النسب إلى الأمّ حتى صدْر الإسلام ، وحتى ما بعده ؛ فقد كنوا عن الحسين بن علي بأنه ابن بنت رسول الله كريماً له بأمّه))[٢] .

فالنسب إلى الأم عند العرب لم يكن مقصوداً به النسب ذاته ، وإنما قصدوا به اللقب الذي يحمل معنى المدح أو الذمّ ؛ فإنْ كانت الأمّ حُرّة كريمة شريفة فقد أرادوا المدح ، وإن كانت أَمَةً أو غير شريفةٍ قصدوا الذمّ ولا زال هذا شائعاً متّبَعاً في مجتمعاتنا العربية حتى اليوم. وقد نحا بعض المستشرقين إلى النيل من العرب أو تشويه صورتهم ؛ من خلال الموضوعات التي تطرق إليها هؤلاء المستشرقون ؛ ومنهاموضوع الانتساب إلى الأمّهات عند العرب ، ((فنظروا في كتب الأنساب العربية ووجداونفراً من العرب قدنُسبوا إلى أمّهاتهم ، فتعلّقوا بهذا وفرحوا به حتى يشكّكوا في نزاهة العرب وأصالتهم ونقاء أنسابهم . وممن قال بنظام الأمومة عند العرب : (روبرتسون سميث) ، و(ويلكون) ؛ إذ ذهب إلى أن المرأة هي صاحبة السيادة والسيطرة في المجتمع ، ويكون هذا الظام عادةً سائداً في المجتمعات التي يمتهن رجالها الرعي والصيد ، ويقضون معظم أوقاتهم خارج بيوتهم . واتخذ (روبرتسون سميث) من تسمي بعض القبائل بأسماء مؤنثة - مثل : (مدركة ، وطابخة ، وخندف ، وغيرها) دليلاً على وجود ما يسمى بـ (دور الأمومة) عند العرب . وهو دور لا يكون فيه للنساء أزواج معينون ؛ لأن الزواج لم يكن فيهم بالمعنى المفهوم بين الزوجين عندنا ، بل كان الرجل يجتمع بالمرأة ثم يتركها ليجتمع بامرأة أخرى ، فتكون المرأة بهذا قد اتصلت بأكثر من رجل والرجل قد اتصل بجملة نساء ؛ بذلك المرأة لا تعرف زوجها الذي منه ولدها ، ولا

(١) تصرف عن حسنى عبد الجليل يوسف ، عالم المرأة في الشعر الجاهلي ، (ص٢٨-٢٩) .

(٢) بلوغ الأرب ، ٣ / ١٩٦ ، من المرجع الوسيط ، أحمد محمد الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، دار النهضة ، مصر ، ١٩٥٤م ، د ط ، (ص٦٩) .

يعرف المولود والده ، نسب لهذا إلى أمه وعُرف بها)) [١].

وهذا القول مرفوض وغير منطقي ؛ مما يدفع الباحثة إلى توجيه عدة تساؤلات لهؤلاء المستشرقين :

أولاً هل مهنة الرعي والصيد مهنة لا يقوم بها إلا العرب ؟ الإجابة حتماً بـ(لا) ؛ فالرعي والصيد كانت تقوم به جميع الأمم في تلك الحقبة الزمنية ؛إذَنْ فنظام الأمومة عند العرب هو ذلك النظام عند الأمم الأخرى التي قد ينتسبون إليها ؛ وبذلك لا يكون لنظام الأمومة الذي وضعه المغرضون علاقة بالانتساب إلى الأمهات عند العرب ؛ لأنها تحكمهم أعراف وعادات وتقاليد لا يستطيعون الخروج عنها .

ثانياً توجه الباحثة سؤالاً إلى الذين يدّعون معرفتهم بتراث العرب وأنسابهم وحضارتهم من عادات وتقاليد ألم يمرّ بِكُم خلال تقليب صفحات تاريخ العرب قضية وأد البنات ؟ فقد كان العربي الجاهلي يدفن المولودة وهي حيّة ؛ وذلك مخافة العار . وفي ذلك الدليل القاطع الذي يثبت أن قضية النسب تكون للأب ، فيلجأ إلى دفنها حتى يقطع نسبها به . ولأنه كانت تحكمه عادات وقيم هي منهاجه الذي يسير عليه نستطيع أن نقول : إنه من خلال ذلك الوأد يكون قد حارب اختلاط الأنساب ووقف في وجهه لأن مجرّد الخوف من العار الذي قد لا يحدث جعلَه يفعل ذلك فما بالك بالعار نفسه ؟!

وقد قدم الشعراء نماذج الأمّومة التقليدية تقديماً رمزيًّا . ويلفت نظرنا أن هذه النماذج ترتبط بصورة الأمّ القديمة ، أو بالنمط الأصلي للأم عندما كانت هي ربة الأسرة والمسئولة عن رعاية الأولاد ، وحمايتهم ، أما فيما عدا ذلك فإن ما قدموه لا يتجاوز أبياتًا متناثرة يفخرون

(١) عبد الرحمن بن إبراهيم الدباسي ، الانتساب إلىالأمّهات عند العرب ، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود ، م١٤ ، الآداب (٢) ، الرياض (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ، (ص٢١٦) .

فيها بأ بهاتهم))[١].

((وإذا تساءلنا عن السبب الذي جعل الشاعر الجاهلي يقدّم صورة الأمّومة هذا التقديم الرمزي ، ولم يتحدث عنها بصورة مباشرة ؛فإنّ ذلك يقودنا إلى التعرّف على طبيعة الصورة ووظيفتها الاجتماعية ؛فالصورة تكشف عن جمال المرأة الأمّ . ولا شك أن الحديث عن الأمّ بصورة مباشرة قد تنفر منه نفس الجاهلي ، فضلاً عن أن الصورة ترتبط من بعض النواحي بالنموذج الأصلي الأمّ ، وهو نموذج يعيش في اللاشعورمتوارياً عن الواقع وإبرازه بصورة مباشرة لا يتلاءم مع واقع المرأة في العصر الجاهلي))[٢].

ولو لم يكن للأم هذه المكانة العالية لَما قِبَل الرؤساء والأشراف والملوك والكبراء الانتساب لها .وكما يفدّي العرب بآبائهم ، يفدّون بآبائهم وأمّهاتهم ؛ فمكانتها تقلّ عن مكانة الأب ، وهو أمرٌ يردُّ مزاعم القائلين بأنّ العرب تحتقر المرأة وتأنف من ذكرها ، ولا تقيم لها وزنًا بل إن العرب ربما فدت بالأمّ وحدها ، ولم يقرنوها بالأب - كما لف وهذا دالٌّ على مكانة سامية للأم عندهم .

وربما ذكر بعض الشعراء الأمّ على أنها رابطة النسب وعلاقته بدلاً من ذكر الأب ، فيقول قائلهم : يا بن أمي ، ويا بني أمي ، ويا بني أمنا .. ونحو ذلك [٣]وهذا ليس إعراضًا عن ذكر الأب ، أو استبدال الأم به في النسب ؛ بل هو تذكيرٌ بهذه الرابطة (الأمومة) ، التي تبعث في القلب رقّةً وحُنُوًّا بين أبناء الأم الواحدة .

وقد قال تعالى في محكم التنزيل :] f g h i j k Z طه: ٩٤ . وهذا

(١) حسنى عبد الجليل يوسف ، عالم المرأة في الشعر الجاهلي ، (ص٢٩) .

(٢) المرجع نفسه ، (ص٣٢) .

(٣) المرجع نفسه ، (ص٣١) .

قول سيدنا هارون ، فقد ((ترقّى له بذكر الأمّ مع أنه شقيقه لأبويلأن ذكر الأمّ هاهنا أرقّ وأبلغ في الحنو والعطف))[١]. ((وقال تعالى :] ! " # $ % & ' ( ) * + , . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H I J Z الأعراف: ١٥٠. وفي قوله :] : ; < = > ? Z أورد كلمة] ; < Z ليكون أرقّ وأنجع عندهإلا ّفهو شقيقه لأبيه وأمّه))[٢].

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى :] ; < = > ? @ A Z: ((فقال له : (يا)] ; < Z ، ولم يقل له : يا بن أبي ، وهما أخوان شقيقان ؛ استعطافًا له على نفسه بِرِحِمِ الأمّ))[٣] .

والأمّ عند العرب مضرب المثل في حسن الرعاية والتدبير والحرص على من تحت يدها؛ولذا شبّه الشنفرى[٤] قائدَ الصعاليك(تأبّط شرًّا)الذي يحرص على كافة شؤونهم بالأمّ :

وأمِّ عيالٍ قد شهدتُ تَقُوتُهم إذا أطعمتْهُم أوتحت وأقلّتِ

(١) ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، إشراف : صفي الرحمن المباركفوري ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، (ص٨٥١) .

(٢) ابن كثير ، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير ، (ص٥٠٣) .

(٣) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : صلاح عبد الفتاح ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، (٦٧٥/٣) .

(٤) الشنفرى ؛ هو :ثابت بن أوس الأزدي ، الملقّب بـ(الشنفرى) . نشأ في بني سلامان من بني فهم . من أشهر الصعاليك ، اشتهر بقصيدته (لامية العرب) .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة فوال ، (ص١٨٤) .

تخافعلُينا العَيْلَ إنهْي أكثرتْ ونحنُ جيلعٌ أيآلٍ لأتتَلَّ

وما إنهْابضَنٌّ بِما في وعائها ولهكلنَّمن خيفةِ الجُوعِ أبتقَ

(ومن ملوك العرب ممّن نُسبوا إلى أمهاتهم : عمرو بن هند ، وهند أمه - وهي : بنت الحارث بن عمرو بن حجر - ، وأبوه المنذر بن ماء السماء ، وماء السماء هي أمه -وهي : بنت عوف بن جشم -))[١].

قال عمرو بن كلثوم في عمرو بن هند[٢] :

بأيِّنَةٍ يَعْمَرَو بْنَ هِنْدٍ نَكُونُ لِقَيْكُمُ فِيهَا قَطِينا ؟

بأيِّنَةٍ يَعْمَرَو بْنَ هِنْدٍ تُطِيعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدَرِينا ؟

ولم يكن هناك أمّة قديمة اهتمت بكرامة وعزة الأمّومة ، وبلغت ما بلغه العرب في الجاهلية ((ما يدلّ على ذلك : قتْ عمرِو بن كلثوم عمرَو بن هند على إثر محاولة أمّ الملك أن تستخدم (ليلى) أم عمرو بن كلثوم ، فصاحت أم عمرو بن كلثوم (ليلى) : واذلاّه !! .. يا لتغلب فسمعها ابنها وانتفض قائلاً : لا يُذلّ لتغلبَ بعد اليوم .

فقتل عمرَو بن هند ، وأنشد معلقته المشهورة :

أبا هندٍ فلا تعجل علينا وأنظِرْ نا نُخبِّرْكَ اليقينا))[٣]

وهذا فيه دلالة على عزٍّ وتقديرٍ وتعظيمٍ للأمّ عند العرب قديماً ، فكرامتها لا تنتقص؛

(١) المرزباني ، معجم الشعراء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (ص٢٠٥- ٢٠٦) .

(٢) ابن الأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٣م ، (ص٤٠١ - ٤٠٢) .

(٣) بتصرف عن : ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق أيمن ميدان ، النادي الأدبي بجدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، (ص٣١٨) .

لأن في انتقاصها انتقاصً ا لأبنائها وأقاربها ومِن ثَمّ قبيلتها .

وكان العربي يعتزُّ بأمه الحرةّ العفيفة ، ويفتخر بذلك كثيرً ا في شعره . يقول عمرو ذو الكلب الهذلي مهددِّ دًا[١] :

فلست لحاصنٍ إن لم تروني ببطن صريحةٍ ذات النجال

و (حاصن) و(صَ ان) عفيفة ، وقد تكررت هذه الجملة : (فلست لحاصن إن لم..) في مواضع متعددة من الشعر الجاهلي ، وفي ذلك إيماء إلى إحساسهم العميق بقيمة الأمّ وعفافها وطُهرها ، وأثر ذلك في ولدها الفارس .

ومن جهة أخرى وظّف الشاعر الجاهلي صورة المرأة الأمّ في مقام الحزن والفجيعة للتعبير عن مشاعر الحزن البالغة العمق ، وركّز لى (حزن الأمّ) دون ما سواه من مشاعر الأمّومة ، بينما تنوَّع وصفه لمشاعر الأمومة في صورة الأمومة الحيوانية.

فممنّ وصف مشاعر حزن المرأة الأمّ وفجيعتها في ولدها ، التي ما لبثت أن اكتشفت أن ابنهامازال حيًّا : (ساعدة بن جؤية)[٢] في قصيدته بديوان الهذليين، ومنها قوله :[٣]

وما وجَدت ْجودَي بها أمُّ واحدٍ يعلى شِلْمَّاءُ القُذالِ عَقيمُ

---

(١) السكري ، أبو سعيد الحسن بن الحسين ، شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، دط، دت ، (٢/ ٥٧٢) .

(٢) هو : ساعدة بن جؤية الهذلي . شاعر محسن جاهلي ، وقيل : هو جاهلي مخضرم ، أسلم ولم تكن له صحبة .

يُنظَر في ترجمه : عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص١٦٢) .

(٣) السكري ، شرح أشعار الهذليين ، (٣/ ١١٥٨ ، ١١٧٧) .

وبهامشه : (النّأْي :البُعد شَ مظلب شبابهُ ا ولا يريدها الأزواج ، وهذا أشدُّ لِ فَقْدها . عقيم فقمت ْ رحمِ ُها بعد ولادة . تئم اجع بعلا ً مرّتين وتئيم) .

رأتْـه علـى فَوْتِ الشبابِ وأنّها تُـراجِـعُ بعْـلاً مْـرّةً وتَتيْـمُ

ومنذلك أيضـًا : عمرو بن كلثوم ، في قوله [١] :

وَمَا جَدَكَوْجْدِ أُمِّ سَقْبٍ أَضَفَلَّتْبُجَّعَتالحَنِينَا

وَلاَ مْطَاءُ يَلَتِمْ كُلَّ قَلهَا لِمَاسِنْعَةٍ إِلاَّ نِينَا

إن الأمّ العربية الجاهلية لها مكانة عظيمة وصورة رائعة عند العرب ؛ فقد كانت المرأة الأمّ رمز الحنان والتقدير والحب والتبجيل ، فحرصوا على إعلاء شأنها ، وجعلها الشاعر الجاهلي جديرة بالمشاركة في الأحداث المهمةوغدت ْمصدرًا للعطاء الشعري عبر العصور .

ثانيًا : مفهوم الصورة ، ودورها الفني في الشعر :

الصورة لغة :

لكي نبدأ الحديث عن الصورة ومفهومها ، وماهيتها ؛ فالصورة لها معانٍ متعددة ، فلا بد أولاً أن نتلمّس أصول حروفها .

((ص و ر : من أسماء الله تعالى (المصوّر) وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها ؛ فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها))[٢] .

ونلاحظ أن مادة (ص و ر) جاءت بعدة دلالات ؛ حيث ((قال ابن الأثير الصّورة ترِدُ في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته .يُقال:

(١) ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق : أيمن ميدان ، النادي الأدبي بجدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، (ص ٣١٦-٣١٧) .

(٢) ابن منظور ، اللسان ، (ص و ر) .

صورة الفعل كذا وكذا ؛ أي : هيئته . وصورة الأمر كذا وكذا ؛ أي : صفته)) [١] . كما ذكر أيضاً أن الصورة جاءت بمعنى المَيْل ، فقال :الصَّوَرُ -بالتحريك- : المَيْلُ ورجل أَصْوَرُ بَيِّنُ الصَّوَر ؛ أي مائل مُشتاق)) [٢].

وعندما نلتفت إلى كتاب الله العزيز الذي أمدّنا وما زال يمدنا بكل دليل وبرهان ؛ لينير لنا ما كان غامضاً علينا -نجد أنّ مادة (ص و ر) وردت ((في آي الذكر الحكيم ست مرات : مرّتين بصيغة الفعل الماضي ؛ وهما : [p Z غافر: ٦٤ ، و] صَوَّرَنَكُمۡ Z الأعراف: ١١. ومرّة بصيغة الفعل المضارع [Z Z آل عمران: ٦ ومرّة بصيغة اسم الفاعل] ٱلۡمُصَوِّرُ Z الحشر: ٢٤ ومرّة بصيغة الجمع [r Z غافر: ٦٤ . ومرة بصيغة المفرد [E Z الانفطار: ٨ ولقد وجدت هذه المادة في رحاب هذه الصيغ متنفساً وترسّخت أبنيتها وتطورت معانيها فاستوتمدْلولات مخصوصةً ، لها جذور في معجم اللغة العربية قبل ظهور الإسلام، كما لها إيماءات دينية وفكرية)) [٣].

إن مادة(ص و ر) في القرآن الكريم لا تقتصر على ما يتعلق بالإنسان ، وإنما وردت في صيغة اسم الفاعل] ٱلۡمُصَوِّرُ Z ؛ لتدل على صفة البارىء -عز وجل-خالقاً للكون كلّه في قوله تعالى : [´ µ ¶ ¸ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ Z الحشر: ٢٤.

وفي بحث عن الصورة ترى الباحثة أنّ هناك علاقة بين (الصورة) بمعنى الهيئة

(١) ابن منظور ، اللسان ، (ص و ر) .

(٢) المصدر نفسه ، المادة نفسها .

(٣) كامل حسن البصير ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، دط ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، (ص٢١) .

والشكل و(الصورة) بمعنى الهيئة استنتاجاً من نص منسوب للواحدي ذكره الفخر الرازي في تفسيره المعروف (مفاتيح الغيب) في سياق تفسيره لقول الله -عز وجل- :] X Z آل عمران: ٦ [\ ] ^ Z Y . يقول الفخر الرازي : ((يقول الواحدي : التصويرُ :جعْل الشيء على صورة . والصورة : هيئةٌ حاصلة للشيء عند إيقاع التأليف بين أجزائه . وأصله : من صاره يصوره : إذا أماله ، فهو صورةٌ ؛ لأنها مائلة إلى شكل أبويه)) (١).

وكذلك فعل (القرطبي) حين كشف هذه العلاقة بين الصورة بمعنى الشكل والهيئة، وأنها من الميل ، فقال في شرحه للآية ذاتها من سورة آل عمران : ((أخبر -تعالى- عن تصويره للبشر في أرحام الأمّهات .وأصل الرحم من الرحمة ؛ لأنها مما يُتراحم به . واشتقاق الصورة من صاره إلى كذا : إذا أماله . فالصورة مائلة إلى شيءٍ هيئة)) (٢).

وتعلّق إحدى الباحثات على تفسير (القرطبي) ، فتقول : ((إن الواحدي يبدو أقدم من استطعت أن أصل إليه ممن ذكر أن الميل هو الأصل في معنى الصورة ، ولكن مثل هذا المعنى لابد أن الواحدي قد وقف على أدلة قاطعة عليه وإلا ما ذكره .ورغم تتبُّعي لعدد من التفاسير للآية السادسة من سورة آل عمران ، إلا أن العلماء لم يذكروا مثل ما ذكر الواحدي)) (٣).

ومعنى ذلك : أن مادة (ص و ر) بشتى صيغها قد رفدت المعجم العربي بمدلول يتسع في طبيعته ووسيلته وموضوعه وغايته كلّ اتّساع (٤).

(١) الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، المجلد الرابع ، دار الفكر ، دط، ١٤٠١هـ-١٩٨١م ، (١٨٠/٧) .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (٨/٤) .

(٣) للمزيد؛ يُنظَر : مريم القحطاني ، الصورة الأمّ معياراً انقديًّا ، دورية العلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، جامعة بني سويف ، العدد التاسع عشر ، ٢٠١١م ، المجلد الثاني ، (ص٩٠) .

(٤) كامل حسن البصير ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، (ص٢٤) .

مفهوم الصورة عند النقاد :

لعلّ الجاحظ من أقدم النقاد القدماإحساساً بقيمة الصورة في ما يقرب مما تثيره مشكلاتها وقضاياها في العصر الحديث . فهو القائل : ((المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيرُّ اللفظ وسهولة المخرج ، وكثرة الماء وفي صحة الطبع ، وجَوْدة السبكفإنما الشعر صناعة ، وضربٌ من النسجوجِنْسٌ من التصوير))[١] .

ويتضح من نص الجاحظ السابق أن حديثه عن الصورة جاء في معرض حديثه عن قضية (اللفظ ، والمعنى) ((التي انتصر فيها اللفظ على حساب المعنى ؛ لأن الناس متساوون في إدراكهم لمعنى الأشياء ، ولكن المزيّةتكمن في كيفية الصياغة التي تقدم ذلك المعنى تقديماً حسيًّا يكشف في وضوح عن علاقات المشابهةإلى تقدم ذلك المعنى تقديماً حسيًّا يكشف في وضوحٍعن علاقات المشابهة بين طرفي الصورة على نحوٍ ما هو شائع في نقدنا القديم))[٢].

ثم أتي بعد (الجاحظ)قدامةُ بن جعفر ، فيقول ((إن المعاني كلها معروضة للشاعر ، وله أن يتكلم منها فيما أحبّ ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة ، والشعر فيها كالصورةوالمهم بلوغ الشاعر منزلة الجودة ، لا كتابته في معانٍ رديئة))[٣] . وقدامة في نصه هذا يعكس لنا قناعته برؤية الجاحظ ؛ لذا فحديثه لا يعدو أن يكون إعادة صياغة لعبارة

(١) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ، (ص٦ /٢٩) .

(٢) حافظ محمد المغربي ، الصورة الشعرية بين النص التراثي والمعاصر ، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع ، ط١ ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، (ص٦) .

(٣) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الرابعة ، (ص٥٣) .

الجاحظ ، وتأكيداً عليها .

لقد ((طغى مصطلح (الصورة) بمعناه الأعجمي المحدث على معناه العربي القديم في دراستنا الحديثة ، حتى تضاءل هذا المصطلح القديم في بعض الكتابات ، وصار خاصاً بألوان البيان . والواقع أن هذا المصطلح البلاغي له دلالة دقيقة في إطلاقات القدماء ، وهو بإيجاز شديد : ما يدركه المتأمل في المعاني من فوارق دقيقة وشفيفة بين هيآتها وأشكالها وشياتها ، وملامحها ، وأشياء كثيرة غامضة يفترق بها المعنى في الذهن عن المعنى ، وتكون له في النفس هيئة لا تكون لغيره . وهذا ما سماه العلماء : (الصورة))) [١] .

ويقول الدكتور جابر عصفور : ((الصورة الفنية هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر ؛ قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته ، فتتغير -بالتالي- مفاهيم الصورة الفنية ونظرياتها. ولكن الاهتمام بها يظل قائماً ما دام هناك شعراء يُبدعون ونُقاد يحاولون تحليلَ ما أبدعوه ، وإدراكَه ، والحكمَ عليه)) [٢] .

إن لكل شاعر وسيلة عن طريقها يستطيع أن ينقل ما يختلج في نفسه من مشاعر وأفكار وخواطر ؛ فالصورة هي هذه الوسيلة التيتُعدّ بمثابة الترجمان لما في النفس البشرية .

إن أي مفهوم للصورة الشعرية لا يمكن أن يقوم إلا على أساس مكين من مفهوم متماسكٍ للخيال الشعري نفسه ،فالصورة هي أداة الخيال ووسيلته ، ومادته إلهامه التي تمارَس بها -ومن خلالها-فعاليّتُه ونشاطُه [٣] .

(١) محمد أبو موسى ، الصورة في التراث البلاغي ، بحوث كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، ١٤٠٤-١٤٠٥هـ ، (ص١٧٩) .

(٢) جابر أحمد عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، دار المعارف ، مطبعة القاهرة الجديدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م ، (ص٥) .

(٣) جابر أحمد عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، (ص١٤) .

أما مفهوم الصورة عند الدكتور كامل حسن البصير فيتمثل قوله : ((إن دراستنا لمصطلح الصورة لغةً وتلمُّساً مدلوله على أساس منهجنا الموزون بين الدراسات البلاغية والنقدية العربية والنقد الأوروبي بشأن هذه المسألة أو تلك من المسائل المتعلقة بهذا المصطلح =تقيّم مفهومنا للصورة على أنها : ما يتماثل بوساطة الكلام للمتلقي من مدركات حسيًّا ، ومعقولات فهماً ومتخيلات تصوراً وموهومات ، تخميناً وأحاسيس- ، ووجداناً، وما إلى ذلك من الأشياء والأمور التي تفضي إليها هذه القوة ، أو تلك من القوة المركّبة في الإنسان))[١].

والصورة بالمفهوم الفني عند الدكتور (الرباعي) تعني : ((أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن ؛ شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن . وهذا المفهوم هو المفهوم العام للصورة ، أما المجال التفصيلي له فيجعل الصورة تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين هما -في أحيان كثيرة- : عنصر ظاهري ، وآخر باطني . وإن جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدَّد بعنصرين آخرين ؛ هما : الحافز والقيمة ؛ لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة))[٢].

وتتبنى الباحثةُ رؤية الدكتور (الرباعي) في مفهوم الصورة ؛ لأنها بالفعل ما هي إلا انسجام وتآلف بين العاطفة التي تمثل الجانب الباطني ، وبين الصورة التي تمثل الجانب الظاهري ، والتي نشكّل وخُرِج بها تلك العاطفة .

((إن التباين القائم -لا محالة- بين صور المعاني المتولدة من الألفاظ ، هو نفسه التباين القائم بين صورة المعاني المتولدة في القلوب ؛لأن بُنية الكلامفي جوهرها بُنية خواطر وأفكار

(١) كامل حسن البصير ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، (ص٢٦٧) .

(٢) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، (ص٨٦) .

ومعان .واللغةُ في الفؤاد وليست في اللسان ، والبلاغة بلاغة القلوب وليست بلاغة الأشداق . وأحوال اللغة وخصائص بلاغتها هي أحوال الإنسان الذي أضمر نفسه وقلبه وعقله وجوهره في هذا الكلام الذي علّمه الله إيّاه)) [١] .

إن الصورة الشعرية الجاهلية هي ابنة العقلية الجاهلية ؛ لذلك كانت منابعها هي المنابع الجاهلية التي شكّلت ... الشعائر الدينية ، ثم الممارسات السحرية والحكايات الخرافية . وبذلك لم تعد الصورة مجرّد مظهر لفكرة بسيطة ،ولكنها غدت تصويرًا لنماذج عليا تتخذ أوضاعًا متشابهة عند الشعراء ... وهذه النماذج العليا كانت تشكل أرضية عامة تلامسها أرواح الشعراء ، فتدفعهم إلى أن يدوروا حولها حاملين رؤاهم الذاتية وتفسيراتهم ؛ وبذلك استطاعوا أن يجمعوا في صورهم نماذج العموم والخصوص معًا [٢].

والشاعر الجاهلي هو -حقًّا- شاعر خارق للعادة ؛ وذلك لما له من ابتكارات كانت بمثابة أرضية للصور الشعرية سار عليها معظم الشعراء حتى عصرنا هذا . فالشعراء كانوا كثيرًا ما يقتبسون ويحاكون الصور الشعرية الجاهلية ، ثم تطورت هذه الصور الشعريةتبعًا لتجددُّ وتطوُّر الحياة البشرية .

ولكن علينا ألا ننسى أن هذه الصور الشعرية التي انبثقت من عقلية الشاعر الجاهلي بكل أشكالها وصفاتها ، وما تحمله من مشاعر وأفكار وثقافة هي التي ساعدتنا على تصوُّر وتخيُّل حياتهم التي عاشوها بكل تفاصيلهاوبكل ما فيها من إنسان وحيوان وجماد في تلك الحقبة الزمنية ؛ فجعلنا الشعراء الجاهليون -بصورهم تلك-نرى ما يرون ، ونتألمّ لما يتألمون، ونفرح بما يفرحون ؛ فاستطعنا معايشتهم ولكن من خلال صورهم الشعرية.

إن معنى الصورة الجاهلية هو في الواقع المعنى الفائق للعادة الذي لم تحققه أو تسعى

(١) محمد أبو موسى ، الصورة في التراث البلاغي ، (ص١٨٢) .

(٢) بتصرف عن عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، (ص١٥٨- ١٥٩) .

لتحقيقه الذات الجاهلية فقط ، وإنما الذات الإنسانية في كل زمان ومكان[١] .

((وتتمثّل أهميّة الصورة الفنيّة في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعًا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه ، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به . إنها لا تشغل الانتباه بذاتها إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه ، وتفجؤنا بطريقتها في تقديمه . هناك معنى مجرد اكتمل في غيبة من الصورة ، ثم تأتي الصورة فتحتوي ذلك المعنى أو تدل عليه فحدث فيه تأثيرًا مميزًا ،وخصوصيَّةً لافتةً))[٢].

وبناء على ما سبق : بات جليّةً - أهمية الصورة الشعرية ؛فهي عماد الشعر عمومًا والجاهلي خصوصًا . فالمعاني كامنة في النفس لا تظهر إلا بواسطة الصورة التي تنقل إلينا ما كان غامضًا في النفس ، وتختلف في طرق العرض من شاعر إلى آخر . كما أن الصورة تساعد الشاعر في الإفصاح عن تجربته التي عايشها ؛ فهو ينقل إلينا هذه التجربة وقد منحها الحياة من خلال المعاني التي بثّها في تلك الصور ،وكانت سببًا في شد انتباه السامع وتفاعله .

((إن دراسة الصورة الفنية وتحليل عناصرها وعلاقاتها ربما كانت من أفضل الوسائل للكشف عن المعاني الخلفية للنصوص الأدبية التي كوّنتها عقليّة أصحابها ورؤيتهم للكون والإنسان والحياة))[٣].

كما أن دراسة الصورة من حيث يستعين صاحبها بالأحداث والأحوال ، ويصير هذه الأحداث والأحوال كأنها ألفاظ دالّة على معان ؛ فيذكر الغيث مع الجواد ؛ ليُفهم من فيض غزارته معنى العطاء الوافر والجود البالغ ، ويذكر الليث مع الشجاع ؛ ليفُهم من عزّته وبطشه وشرفه وجسارته وإقدامه ، وأنه لا يخامره خوف =ما أراد من معنى الشجاعة والقوة والغلبة

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، (ص١٦٠) .

(٢) جابر أحمد عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ، (ص٣٦٣) .

(٣) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، (ص١١٨) .

. إلى آخر ما تفيض به هذه الصورة -أعني : صورة الأسد ، لا لفظه- ؛ لأن المعنى المراد في هذا الطريق لا يفهم من الألفاظ المكونة للصور ، ولا ينفر العقل منها إليه ، وإنما عن معاني هذه الألفاظ - أي :مدلولاتها ، التي تصير لغةً - من حيث هي دوالٌّ على معانٍ هي المرادة من المتكلمين . وهذا ما بسطه عبد القاهر حين تكلم في طريق الدلالة ،وذكَر المعنى ، ومعنى المعنى ، وأن الكلام على ضربين: أن تصل إلى معناه من لفظه ؛ كقولنا : خرج زيد . و (ضرب) يدلك لفظه على معنى ، ثم يدلك هذا المعنى على المعنى المراد ؛ وهو صور البيان)) [١] .

((أما عن الدلالة البلاغية للصورة في المفهوم الغربي فظلّت وطيدة الصلة في جانب منها بمفهوم الاستعارة والمجاز ؛ على نحو ما رأينا عند (جون كوين) ، وغيره))[٢] .

((وإذا اعتبرنا التصوير الفني مرادفًا للتعبير المجازي كانت الصورة الشعرية تعني أي تعبير استعاري ؛ مثل : التشبيه ، والكناية ، والاستعارة بأنواعها .أما إذا كان مفهومًا ينسحب على أيّ رسمٍ للصورة في الشعر فذلك يوسّع دلالتها أشد الاتّساع))[٣] .

إنّ ((مفهوم الصورة في الشعر العربي الحديث مفهوم لا ننكر أنه قد تأثر بشكل كبير بالمناهج والمذاهب الغربية التي أضفت على الصور طابعها . وقد تباين النقاد في تعريفهم للصورة وفق رؤية مذاهب شتى ؛ من حيث كونها تجمع بين التخيل والأحاسيس))[٤] . ((فأبو تمام -الشاعر القديم ، الذي ثار علىتصوّر النقّاد والتقليديين للشعر- قد أعلى من شأن الصورة ، وبخاصة الصورة الاستعارية في شعره فإننا نفترض أنه صدر عن مفهوم شعريٍّ يقترب من التصور الجديد ، كما نفترض أن هذا هو السبب الذي من أجله لم يلاقِ القبول من

(١) محمد أبو موسى ، الصورة في التراث البلاغي ، (ص١٩٢-١٩٣) .

(٢) حافظ محمد المغربي ـ الصورة الشعرية بين النص التراثي والمعاصر ، (ص٢٩) .

(٣) محمد عناني ، النقد التحليلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، ١٩٩١م ، (ص٥٥) .

(٤) بتصرف عن : حافظ محمد المغربي ، الصورة الشعرية بين النص التراثي والمعاصر ، (ص٣٠) .

أصحاب التصور القديم))[١] .

ومن الباحثين العرب المعاصرين الذين اقتبسوا للصورة الفنية مفهومًا وطبيعةً من النقد الأوروبي وأداروها في كتبهم الدكتور نصرت عبد الرحمن؛ إذْ قال : أعترف أن مصطلح الصورة من المصطلحات النقدية الوافدة التي ليس لها جذور في النقد العربي [٢].

ومع ذلك يتشبث (نصرت عبد الرحمن) بمصطلح الصورة ؛ على الرغم من اعترافه بما فيه من عوارٍ ويخرّجه من مداره العربي ،مؤكدًا أنه لا بد أن يواكب هذا المصطلح مصطلح التصور .

أما الدكتور البطل فقد وضع مفهومًا جديدًا للصورة ، واستخلص لنفسه مذهبًا ، فقال إذا كان المفهوم القديم قد قصر الصورة على التشبيه والاستعارة فإن المفهوم الجديد يوسِّع من إطارها ؛ فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح ، بل قد تخلو الصورة - بالمعنى الحديث من المجاز أصلاً فتكون عبارات حقيقة الاستعمال ، ومع ذلك فهي تشكل صورة دالّة على خيالٍ خصبٍ [٣] .

وينهال الدكتور عبد القادر الرباعي في كتابه (الصورة الفنية في شعر أبي تمام) بمعول الرفض على الدراسات النقدية التراثية ، التي تناولت شعر أبي تمام وحركة التجديد في هذا الشعر بين إطار مصطلح البديع وعمود الشعر فيقرّ قائلاً : ((هذه المفارقة بين شعر أبي تمام ومقاييس النقاد القدامى إذَنْ دفعتني إلى أنْ ألجأ للنقد الحديث أستخرج منه مقاييس غير التي طُبقت على ذلك الشعر فخرجت من هذا النقد وأنا أحمل تصورًا جديدًا للشعر

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، (ص١٠٦) .

(٢) بتصرف عن : نصرت عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، مكتبة الأقصى ، عمّان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م ، (ص٨) .

(٣) بتصرف عن : نصرت عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، (ص٨) .

وللصورة فيه))[١] . وهو بذلك يتّبع خطى الدكتور نصرت عبد الرحمن ، والدكتور البطل ، فيروي لنا آراء الأوروبيين عن الفن[٢] .

وقد انتهى بعض الباحثين المُحْدَثين إلى القول : إنّ الصّورة تعني كل عناصر الشكل؛ بحيث توضع بإزاء المضمون ،وهي متحدة معه تمامًا بحيث إنه لا يمكن الفصل بينهما . فالنص نسيج متكامل يتداخل فيه إيقاع الذات ، وإيقاع البيئة ، والمجتمع ، والثقافة[٣] .

ومن خلال ما سبق من آراء العلماء ؛ تذهب الباحثة إلى أن الصورة مرتبطة بالشعر وملازمةٌ له إذْ إنها تشكّلت منذ القدم . ونجدأنّ النقاد القدامى جعلوا اللفظ والمعنى في قالبٍ واحدٍ تتشكّل من خلاله الصورة الشعرية فقد يعبرّون عنها بالعبارة ، وبالصورة الصادقة المعبرّة ، لا يصوغها إلا الشاعر المتمكّن الذي يستخدم طاقاته اللغوية -من التراكيب ، والإيقاع ، والحقيقة والمجاز ، وغيرها- في شعره . وهو في الوقت نفسه يكون قد أبدع تلك الصورة الشعرية .

إن الشعراء القدماء استخدموا الألوان البلاغية في أسلوب يميل إلى البساطة والوضوح ؛ فهم يعكسون حياتهم التي تميل إلى هذه البساطة والوضوح . أمّا المُحْدَثون أرادوا أن يتميزوا عن القدماء بابتكار أدوات أخرى يعبر بها الشاعر عما حوله .

(١) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، (ص١٤) .

(٢) تصرّف عن : كامل حسن البصير ، بناء الصورة الفنية في البيان العربي ، (ص٢٣٧) .

(٣) محمد الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي ، بيروت ـ المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، (ص٤٨٩) .

ثالثًا : صورة الحيوان في الشعر الجاهلي عامة ، وقيمتها الجمالية :

استطاع الشاعر الجاهلي بصفاء ذهنه ودقة تأمله ، واستشعاره لما حوله تصويرَ مشاهد قد يراها الكثير ، لكن لا يستشعرها إلا القليل.فالجاهليون كانوا أوثق اتصالاً بالحيوان من غيرهم ،وأكثر مشاهدة ومخالطةً ؛ فقد كان الحيوان يساكنهم ، ويقاسمهم بيئتهم ، الأمر الذي أتح لهم التعرُّف عليه وتفهُّم طرق عيشه وأنماط سلوكه .

يصف الجاحظ مدى الارتباط والتجاوُر بين الإنسان والحيوان ، فيقول : ((هذه الأجناس الكثيرة مما كان منها سبعًا ،أو بهيمةً ،أو مشتركَ الخلْق- فإنما هي مبثوثة في بلاد الوحش ... وهي في منازلهم ومناشئهم ، فقد نزلوا -كما ترى- بينها ، وأقاموا معها . وهم أيضًا من بين الناس وحشٌ ، أو أشباه الوحش))[١] .

((إن ظاهرة التبدّي في الشعر الجاهلي واحدة من الظواهر الاجتماعية قوامها الحيوان. ومشاهد الحيوان في القصيدة الجاهلية تختزن صَنعة الشعراء في نقل الواقع ، وفهم أسرار تلك الظاهرة المعبّرة عن حياة أصحابها ولعلّ هذا ما جعلها تنفرد عند بعض الجاهليين بعرض متميز للحيوان ؛ فالحيوان ارتفع عند الهذليين ليصبح مثلاً للعبرة والتعزي في قصصهم الحزينة المسيطرة على شعرهم وعند الصعاليك ليغدو شكلاً من المشاركة العالية في الحياة والشعر ، ويفسره كثرة ذكرهم له في هذه الصور))[٢].

((ومما أضاف إلى لعرب القدامى عمقًا في معرفة الحيوان : أنهم كانوا في أشد الحاجة إليه ؛ حتى ربما صح لنا القول : إنه كان عمود حياة الإنسان . فالحيوان قوةُ نقلٍ ركبه الإنسان ضاربًا في الأرض ، وقوة حمل أناخ على ظهره أحماله وأمتعته ، وقوة عسكرية استعان به في

(١) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل ، ط٢ ، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م . انظر: (ص٦/ ٢٩) .

(٢) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، بيروت ، دار دانيه ، ط١ ، ١٩٨٧م ، (ص١٨) .

غاراته ، وقوة اقتصادية أمدته بالطعام والشراب ، وقوة تعينه على مقاومة الهجير والشتاء ؛ حيث أمده بمادة أخبيته التي تكنّه من الحرّ والقرّ ، ومادة أكسيته التي يستتر بها ويتجمّل . فتأمّل : كم يقدم الحيوان للإنسان من خدمات تشمل جميع وجوه حياته ؛ لتعرف قدر الحيوان عند الإنسان وعلوّ قيمته لديه !))[١] . قال الله تعالى عن منافع الحيوان :] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 8 7 6 5 : ; < Z يس: ٧١ - ٧٣.

((وكانت أشعار الجاهليين مصدرًا رئيسًا لدراسة الحيوان والنفاذ إلى عالمه الداخلي المثير. وتقع تلك الملحوظات الشعرية عن حياة الحيوان في مكان رفيع من حيث أهميتها ودقتها؛ ذلك لأسباب ثلاثة :

الأول :أن الشعراء صوّروا الحيوان حال حياته ، فتمكنوا من ملاحظة أنشطته المختلفة .

الثاني :أنهم سجّلوا ملحوظاتهم عن الحيوان في وسطه الطبيعي ؛ أي : في بيئته الأصلية التي ولد ونشأ ومات فيها .

الثالث : طُول الزمن الذي استغرقته تلك المشاهدات .وهذا نابع عن وحدة البيئة ، التي بها تمكّن الإنسان من تأمل الحيوان وقتًا ممتدًّا بطول حياته ، ما جعل صوره عن الحيوان دقيقة وشاملة))[٢].

بل((إن عقل الشاعر الجاهلي لا يظهر ظهورًا واضحًا في غرض من أغراض شعره -

(١) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص١٧) .

(٢) سعد عبد الرحمن العريفي ، رسالة دكتوراه بعنوان : (سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي دراسة في المضمون والنسيج الفني) ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٦هـ ، (ص١٨ ، ١٩) .

إذا استثنينا الحكمة - كما يظهر في الحديث عن حيوان الصحراء ؛ ولا سيما عن الثور الوحشي ، وحمار الوحش ،والظَّليم.ولعل شَغَفَ الشعراء بتصوير هذه الخليقة تصويراً دقيقاً يتكرر في طائفة عظيمة من هذا الشعر يعكس حاجة ملحة بين جوانحهم للتعبير عما في نفوسهم وعقولهم.إنهم لا يقصُّون أخبار هذه الحيوانات رغبةً القصة وحده ولا يصوِّرونها في كل أحوالها حبًّا با تصوير فحسب ولا عشقًا للتكرار وانبهاراً به ؛ ولكنهم يفعلون ذلك كله استجابة لحاجة مقيمة لا تبرح النفس إنهم يحسّون ثم يتأمّلون ويفكرون، ثم ينصرفون إلى القصة والإعادة))[١] .

وقد أظهرت قصائد الجاهليين مدى رحابة البيئة البدوية ، التي ساعدت على تسخير الحيوان لخدمتهم.

((ومن هنا نتلمس في هذه المسألة ثلاث قضايا :

الأولى : تؤخذ من ظاهرة النَّجعة ومشاهد الظَّعن التي كانت إحدى الدلائل على صور تفكيرهم[٢]طرفًا لتنتهي إلى جعل الحيوان مصدراً لقيمهم التي تواضعوا عليها.

أما الثانية : فظهرت الصلة بين الحيوان والإنسان ، من خلال المشابهة التي عقدها الشعراء لأشكال الحيوان والنجوم .وتلك الصلة بين الحيوان والمواضع التي تنقَّل فيها ؛ حتى اتخذه الإنسان صورة يلجأ إليها في اختيار أسماء بنيه ساعة يولدون .

وترتقي هذه الصلة إلى **مسألة ثالثة** الحيوان غدا ممثلاً للاشتراك والتداخل بين حياة التبدّي والحاضرة ليصبح واحداً مما يكشف انتماء الشاعر البدوي أو الحضري))[٣]. فيتضح

(١) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، بيروت ، دار الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، (ص١٢٧) .

(٢) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص٢٦٥) .

(٣) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٢٠) .

أن الحاضرة لم تنفصل عن البادية ؛ فالصفات والأشكال كادت تتطابق عند شعرائهم .

إن الصورة المستمدةَّ من الحيوان وأمثالها أمدَّت الجاهليين بكثير من القيم والأعراف، فأبدعوا في التعبيرنها ؛ لأن عالم الحيوان عالم رحبٌ من الأشكال والتصرفات. وقد فرضت حياة التبلّي نوعًا من المشاركة بينه وبين عالم الإنسان الذي استمدّ منه غير ما مثلاً أو قيمة فكريّة ؛حتى صار مضربًا للمثل عند الجاهليين : فالحمار الأهلي اعتاد الهوان والتحقير ، فضرُبِ مثلاً للرجل الذليل . بينما ظل الحمار الوحشي صورة للحرية ؛ لأنه لم يذق طعم القيد ولم يركن إليه،وصار الكبش مثلاً يضرب للقوة والشكيمة عند الشعراء[١] . ومن أمثلة هذا : قول دريد بن الصمة في مدح يزيد بن عبد المدان[٢] :

إذا قرعوا عنه لم يقرعوا وإن قدموه لكبشٍ نطحْ

((من المعروف أن الأسود لا تعيش إلا في جماعات فرُادًا زمُرًا ؛ والزمرة مؤلفة من لبؤاتٍ وأشبالٍ ، ويافعين . فإذا ما كبر الأسد انفصل عن الزمرة ، وبقيت الإناث ضمنها .

ولو سرّحنا النظر في الشعر الجاهلي لوجدنا تلك الصفة ؛ غير أن الشعراء أكسبوها رمزًا إنسانيًّا ؛حين جعلوا الفرسان يُشْبهون مجموعة من الأسود المخدّرة في غياضها))[٣] ؛

(١) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٣٢ - ٣٣) .

(٢) الديوان ، دريد بن الصمة ، تحقيق : عمر عبد رب الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، (ص٥١) .

والشاعر هو : دريد بن الصمة بن الحارث بن معاوية بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . شاعرفحلٌ ، وفارس مشهور . منالمعمّرين في الجاهلية .

يُنظر في ترجمه : عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة ، ١٩٩٨م ، (ص١٣٠) .

(٣) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٣٤) .

كقول دريد بن الصمة[١]:

يا بَخْيَرِ ثٍ مُنْتَشِرٌ زَنْدَكُمْ وارٍ وَأَفْيَحَ رِيعُكُمْ

وَلَكُمْ خَيْلٌ عَلَيْهَا تِيَعَةٌ كَأُسُودِ الغِيلِ مِلْأَجِمْ

((يظل الحيوان مجسِّدًا لقيم الجاهليين وأعرافهم وعاداتهم ؛ إذ تنمو كل فقرة في القصيدة الجاهلية متأثرة بالواقع ؛ ونابعة من أعماق الذات الإنسانية ،وفق نزوعٍ فردي وفنيٍّ عالٍ من شاعرٍ إلى آخر .بينما نجد أن صورة الحيوان مادّةً غنية للشعراء ، ربطوا بها معالم الأرض بما يحدثه مطر السماء ؛ إذْ داخلت بصورة الغيث خاصّةً والماء عامّةً . فصورة الحيوان والماء لا تفارق مخيلة امرىء القيس[٢] . ولقد هذّبت البادية قريحة الشعراء ،وهَذَّبَتْهم إلى جعْل الحيوان مادة للتشبيه بين هيئته وكواكب السماء ونجومها . إن أسماء كثيرة للجاهليين استُمِدَّت من الحيوان وطباعه ،فالبادية أفاضت عليهم التأمّل ، وحملتهم على التفكير بكل شيء يحيط بهم في السماء والأرض صيفًا وشتاءً ،فشبهوا الثور الوحشي بكوكب دُرِّيٍّ))[٣] .

ولعلّ أكثر صور الشعراء في الجاهلية كانت عن الإبل ؛ فهي عنصر فعال في وجدان الإنسان الجاهلي ، أثارت خياله وأذكت عواطفه ،وألهمته شعرًا في غاية الروعة . فقد عرف فيها بدو الصحراء صفاتٍ خارقةً تناسب حياة الصحراء القاسية . ويمكن أن نقول :إنّ (الهيكل الاقتصادي) الجاهلي كان أساسه الإبل ؛ فهي أهم مصادر حياة الإنسان الجاهلي[٤] .

(١) الديوان ، دريد ابن الصمة ، تحقيق : عمر عبد رب الرسول ، (ص١٥٥) .

(٢) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٤٣، ٤٤) .

(٣) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٥٤) .

(٤) بتصرف عن : أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، دار العلوم ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، (ص١٥) .

((وقد خلَّص الشاعر العربي القديم ناقته من قيد الواقع الثقيل وسما بها ، وخلع عليها مشاعره الإنسانية الأصيلة من حزنٍ وشوقٍ وحبٍّ ، وسواها))[١].

((ولا بد أن ندرك أن الطبيعة الحيّة أمدّت صور الشعراء بقدرة كبيرة على التشبيه وتكوين معارفهم ؛ فكان أحدهم ينظر في ما حوله فيجد الحيوان ، ويتطلع إلى السماء فيرى المقارنة بين كواكبها وأشكالها))[٢] ولعلّ في قصة الرجل الهذلي وابنته حين خرجا لرعي الغنم ما يقوي ذلك فقال لها : ((إني لأجد ريح المطر فانظري واحذري . قالت : أرى السحاب كأنها ظعن مقبلة . قال: كيف ترينها؟ قالت : أراها قد انتصبت كأنها بطن حمار أصحر . فقال : الجئي إلى الجبل ولا ملجأ لك . فلم تبلغ الجبل حتى داهمهم المطر))[٣].

((ولقد تردّت أسماء كثيرة للقبائل تحمل اسم حيوانٍ ما ؛ مثل : ثعلبة ، وبني عجل . ولم يقتصر الأمر على ذلك ؛ بل لجأت بعض القبائل إلى تسمية دابتها المفقودة فوق جيوشها باسم حيوانٍ ما . وهناك أسماء للأشخاص مستمدة من عالم الحيوان وهي كثيرة ؛ فمن العرب من تسمى باسم ثعلبة ، أو الحارث - وهو : الأسد- ، أو ثور ، أو الخنساء -وهي: البقرة الوحشية-))[٤].

وسمّى البدوي أبراجًا من السماء وأنواعًا من النبات بأسماء حيوانٍ ما ؛ مثل : حلوف تحثُّ المرء على الانتقال، وتسمية الأماكن باسم حيوانٍ ما ؛ كالنسار ،ونبع الكلاب اللذين ذكرهما ربيعة بن

(١) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص١٦٧) .

(٢) الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، (٧ /٤٦) . وللمزيد يُنظَر : (ما جاء في ذكر الطير) . (أسماء ما في النجوم والبروج) .

(٣) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٥٦) .

(٤) المرجع نفسه ، (ص٦٥) .

مقروم في شعره[١].

وقد ثبت أنّالأماكن ارتبطت بمسمّياتها مثلما اقترنت القبائل بديارها ؛ بل إن تسمية الحيوان انتقلت إلى أصنام العرب ، فصنعوا بعضها ع مثاله ؛ كغزال الكعبة ، والنسر[٢] .

وبهذا كله ؛ فالتسمية عند الجاهليين قائمة على المجاز والكناية ؛ وهي توافق الوضع الاجتماعي والفكري للأفراد قوةً وضعفًا .

((وعلى هذاكان الحيوان أفضل وسيلة لقهر حياة التبدي المرّة . ويظهر الحيوان في الشعر الجاهلي صورة لتحديد اتصال الجاهليين بالبادية ، وشغفهم بمعالمها وحبهم لها ؛ حين يترنّمون بذكر مواضعها على قسوة العيش فيها .مثلما يفعل أحدنا حينما يذكر الأماكن المحبّبة إليه .ويُبدي الشعراءافمركزًا وممتزجًا بمعارف عصرهم ، فيلبي معتقداتهم ، ومذاهبهم الاجتماعية))[٣].

ويظهر الحيوان في القصيدة الجاهلية شاهدًا على فهم حياة التبدّي التي أدركها الشعراء أكثر من غيرهمفوقفوا مفسرّين لها ، مؤرخين لأعرافهم ومعتقداتهم ، متّخذين من الحيوان وتصرفاته وساطة إلى ذلك . فحياة التبدي غلبت على أهل الجزيرة العربية وإن عرفت ظاهرةٌ في أماكن قليلة[٤].

وارتفعت صورة الحيوان إلى ما يظنّون أنها ممثلة لحياة التبدّي ومعطياتها ؛ لأن الشعراء

(١) شعر ربيعة بن مقروم الضبي ، جمع وتحقيق تماضر عبد القادر فياض ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م ، (ص٥٤) .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ، مصر ، المطبعة الرحمانية ، دط ، ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م ، (ص١٠٣) .

(٣) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٧٠) .

(٤) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٧٧) .

تلقّفوا مادّةَ تجربتهم منها ،وقدّموها إلى مجتمعاتهم فمشاهد الحيوان قرّبت واقعهم إلى الأجيال ، وأصبحت في قصائدهم متنفساً يحمل طبيعة تفكيرهم ونفسيتهم وعقلية عصرهم ، وأوضحت مبادئهم الفكرية والاجتماعية ؛ ما توافق منها والواقع ، أو ما جنح إلى الرمز . وصارت في الحالين مقياساً لا يمكن تجاوزه أو التعدي عليه . ومن بين هذه القيم والعادات : ما ظهر في باب الزجر والعيافة ، وكيّ السليم ليصح الأجرب ، وضرْب الثور لتشرب البقر . وهناك عادات أخرى تشابكت بأعرافهم ؛ من أبرزهاغادة استنتاج الخيل ، وضرْب القداح على الخيل والإبل .

ونستنتج من ذلك كله أن مشاهد الحيوان نقلتْ لنا جملة من الأعراف والعادات والتقاليد التي ترسخت في مخيلة القوم بحتى صعبُ على أي قوةٍ أن تقتلعها [1].

لقد شكّلت صورة الحيوان دائرةً أحاطت بالجاهلي ، وتصوّر وتشكّل منها واقعه وخياله ، واستلهم منها صوراً وحالاتٍ وهيئاتٍ شتّى تجسّد واقعه الداخلي والخارجي . ومن بين هذه الصور والحالات كانت ظاهرة الأمومة ، التي كان لهذا البحث مزيد عناية بهاوتتبُّع لهالنقف من خلالها على أبعاد نفسيةٍ شتّى توافرت للأدب الجاهلي ، لم يكن نظيرٌ في أيّ أدبٍ آخر .

(١) بتصرف . حسين جمعة ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص١٢٢) .

الفصل الأول

صور حنان الأمومة عند الحيوان

أولا : الحنان عند الناقة والفصيل

مدخل :

مفهوم الحنان وأهميته :

الحنان والرحمة وما ينبع منهما من حرص وعناية من أرقى المشاعر التي منحها الله - عزّ وجلّ - للكائنات الحية ؛رحمةً منه وفضلاً ، فبهما تستمر الحياة ، ويعمر الكون ، ويشيع السلام .

والحنان إحساس رفيعٌ، ومشاعرُ صادقةٌ نبيلةٌ مُرْهَفَةٌ، تؤدّي إلى سلوكيات ، منها : العطف ، والعطا، والبذل ، والتضحية ، والعناية ، والرعاية ، وكلّ ما من شأنه تحقيق السعادة والسلامة لمن هو موضع الحنان ومقصده .

أي إن الحنان شعور داخلي تمتزج فيه الرحمة بالمحبة ، أما الحرص فسلوك خارجي عملي ، وهما متلازمان دوماً .

وفي اللسان : ((الحَنَانُ -بالتخفيفالرحمة ، تقول حَنَّ عليه ـ يحِنُّ حنانًا ... الحنان العطف والرحمة ... والحنين : الشوق وتوقان النفس ..وحَنَّت الإبل : نزعت إلى أوطانها ، أو أولادها ، والناقة تحنُّ في إثر ولدها حنينًا تطْرَبُ مع صوت ، وقيل : حنينها نزاعها بصوت وغير صوت ، والأكثر أنَّ الحنين بالصوت ... ذكر الأزهري عن الليث: حنين الناقة على معنيين : حنينها صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها ، وحنينها نزاعها إلى ولدها من غير صوت)) [١].

(١) ابن منظور ، اللسان (ح ن ن) .

وفي القرآن الكريم وردتْ هذه الكلمة - الحنين[١]- في موطن واحد فقط ، في قوله تعالى في شأن سيدنا يحيى -عليه السلام- :] * + , - . / 0 Z مريم: ١٣ . بينما تكرر مجيء كلمة (الرحمة) في غير موضع من كتاب الله العزيز .

(١) قال الفخر الرازي في تفسيرها : ((اعلمْ أن الحنان أصله من الحنين ، وهو : الارتياع والجزع للفراق ؛ كما يقال : حنين الناقة ، وهو صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها ... وقد اختلف الناس في وصف الله بالحنان، فأجازه بعضهم ، وجعله بعضهم بمعنى الرءوف الرحيم،وفهِم مَن أباه لما يرجع إليه أصل الكلمة ؛ قالوا : لم يصح الخبر بهذه اللفظة في أسماء الله تعالى إذا عرفتَ هذا فنقول : التقدير : (وآتيناه الحكم حنانًا) ؛ أي :رحمةً منّا)) .

وقد ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره هذه الآية ثلاثة معانٍ للحنان ، هي :

١ - رحمة من عندنا .

٢ - محبة له .

٣ تعظيماً منّا له .

وقال الشوكاني : ((قال جمهور المفسرين :الحنانُ :الرحمةُ ، والشفقة ، والعطف ، والمحبة . وأصله : توقان النفس .مأخوذٌ من حنين الناقة على ولدها ... قال ابن الأعرابي : الحنّان -بالتشديد- : من صفات الله عزّ وجلّ - . والحنان مخفَّفًا- : العطف ، والرحمة)) .

للاستزادة والتوسُّع حول هذا ؛ يُنظَر :

الفخر الرازي ، محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر (ت٦٠٤هـ) -تفسير الفخر الرازي ، بإشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر ، دار الفكر ، بيروت ، د.ط ، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) المجلد الحادي عشر (٢١/١٩٣) .

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) -جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق أحمد عبد الرزاق بكري ، وآخرون . دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، (١٤٣٠هـ) ، (٧/٥٤٦٢) .

محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) فتح القدير الجامع بين فنَّيْ الرواية والدراية من علم التفسير ، مؤسسة الرّيّان ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ، (٣/٤٢٧-٤٢٨) .

والذي يذهب إليه هذا البحث :أن الحَنَان شعور تجتمع فيه الرحمة مع المحبة والعطف والإشفاق ؛ لأن الفيروز آبادي حين فحص كلمة (الرحمة) قال : ((الرحمة رقة تقتضي الإحسان للمرحوم ، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة ، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقّة نحو : رحم الله فلانًا ، وإذا وصف به البارىء تعالى فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة . وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام و إفضال ، ومن الآدميين رقة وتعطف ... ولا يصح **الرحمن** إلا له تعالى ... فالرحمن : العاطف بالرزق للمؤمنين والكافرين . والرحيم خاص بالمؤمنين))[١] .فكأن الحنان نوع خاص من الرحمة ، فالرحمة أشمل من الحنان ؛ لأن الحنان رحمةٌ مع محبة ، أما الرحمة فقد تأتي في بعض المقامات دون محبة .

قال الراغب الأصفهاني في كلمة(حَنَّ) :

((وكأن الحنين متضمنًا للإشفاق ، والإشفاق لا ينفك من الرحمة ، عُبِّرَ عن الرحمة به في نحو قوله تعالى :] * + , Z))[٢] .

وقد ذكر ابن منظور في اللسان أن (الحَنَّان) بالتشديد من أسماء الله عزّوجلّ - . وذكر ابن الأثير قال : ((الحَنَّان :الرحيم بعباده ، فعّال من الرحمة للمبالغة))[٣] .

وتَتَبَّع الشيخ محمد الصالح العثيمين -رحمه الله- أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ، ولم يكن من بينها اسم (الحَنَّان)[٤] . ولذا فالراجح ما ذكره الشوكاني عن أبي الأعرابي أنه من

(١) مجد الدين ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧ هـ) ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تحقيق : محمد علي النجار المكتبة العلمية ، بيروت ، (٣/٥٣-٥٤) .

(٢) الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ) ، مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط٤ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م ، (ص ٢٥٩) .

(٣) ابن منظور ، اللسان (ح ن ن) .

(٢) محمد الصالح العثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى خرّج أحاديثه : أشرف =

صفات الله تعالى [١] .

ومما سبق من معاني (الحَنَان) نجد تلك المعاني حاضرةً في أمومة الحيوان ؛ فهي معانٍ تدورُ في نطاق الرحمة ، التي تجعل من الدّابة ترفع حافرَها عن ولدها خشية أن تصيبه ؛ كما ورد في الحديث الشريف . أو العطف ، الذي يجعل الدابة تُدِرّ على ولدها من لبنها . أو الإشفاق، الذي يجعلها تحمي صغيرها من البرد ، وتحميه عند الفزع .إنها مشاعر ساميةٌ عند الحيوان مثلما هي عند الإنسان .

أولاً : صورة الناقة و الفصيل :

عاش العربي الجاهلي في شبه جزيرة العرب ذات الطبيعة الصحراوية القاسية ، وكان عماد حياته ما يملكه من الأنعام التي تمثل قوام معيشته ، فعليها يرتحل بحثًا عن الماء والكلأ ، ومن ألبانها شرابه ، ومن لحومها طعامه ، ومن أشعارها و أوبارها لباسه وسكنه ، فارتبطت حياتُه في ترحّاله بها ، وخَبرَ عن كثبٍ أنواعَها وأحوالَها ، وكل ما يتعلق بها ، وانسابت خبراتُه تلك في شعره ، لأكثر تلك الأنعام حضورًا في شعره هي (الإبل) .

والإبلُ آية عجيبة دالة على قدرة الله ، قال -عزوّجلّ- : [x y z { | } Z الغاشية: ١٧ .

والمتأمِّل للشعر الجاهلي يرى بجلاءٍ عمق مكانة الإبل في وجدان الشاعر الجاهلي ، فتجده يصف كل أَحوالِها ، ودقائق خَلْقها ؛ بل يتجاوز الوصف الخارجي ليتغلغل بحس مرهف ليعبر عن مشاعر ناقته وحنينها ، وألمها ، وشوقها ، وتعبها ، وغير ذلك من المشاعر

=عبد المقصود ، مكتبة أضواء السلف الرياض ، د ط ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، (ص ٣٩ وما بعدها) .

(١) الشوكاني ، فتح القدير (٣ /٤٢٧ ، ٤٢٨) .

النفسية العميقة . ولذا فقد تتخذ الناقة في الشعر الجاهلي فتنةً بعيدةً فتوقف تأمّلُها ،ويردِّد بصره فيها ، ويصف هيئتها وطباعها ،وما بداخل صدرها من أحاسيس ومشاعر ، ويتحدّث عن علاقتها به ، وموقفه منها إنّ الشعر الجاهلي أقام معرضًا ضخمًا للناقة ، وحرص فيه على رسمها بعناية كبيرة فصوّرها في أوضاع متباينة شديدة التباين ، وفي حالات متشابهة عظيمة التشابه . وشعراء الشعر الجاهلي حرصوا على وصف إبلهم بعدة صفات ؛ كالصلابة ، والقوة ، والامتلاء ، والضخامة ، والشدة ، والسرعة ، والبزول ، والأدمة ، والصبر ، والإمساك عن الشكوى ، والنشاط الذي لا يعرف الكلل ، والقدرة على احتمال الرديف وحرّ الهاجرة ، ، والخيلاء في المشي)) [1].

وإذا أردنا أن نقف على أبرز الألفاظ الدالة على هذا الكائن في الشعر الجاهلي فإننا سنجد معجمًا واسعًا وُضعت فيه مؤلفات في القديم والحديث ؛ من أشهرها :

قديمًا : كتاب (الإبل) للأصمعي وممن خصص للإبل أبوابًا وفصولًا في كتبهم : أبوعبيد القاسم بن سلام في (الغريب المصنف) ، والجاحظ في (الحيوان) ، والثعالبي في (فقه اللغة) ، والدميري في (حياة الحيوان) .

وفي الحديث من أشهرها : الإبل في الشعر الجاهلي ، أنور أبو سويلم .

((والناقة كما جاء في لسان العرب هي : الأنثى من الإبل . وقيل :تُسمَّى بذلك إذا أجزعت . والجمع أنوقٌ ، وأنؤق . هذه عن اللحياني . قال ابن سيده : استنوق الجمل : صار كالناقة في ذُلِّها)) [2] .

وقد ورد ذكر الناقة في سبعة مواضع في القرآن الكريم ؛ منها ما جاء في سورة الشعراء،

(١) وهب روميّة ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص ٦٢ ، ٦٣) بتصرُّف .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب .

في قو ه تعالى :] قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ Z الشعراء: ١٥٥ ، وفي سورة الأعراف ، في تعالى :] هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ Z الأعراف:٧٣ .

والإبِل بكسر الباء الموحَّدة ، وقد تُسَكّن للتخفيف- الجِمالُ وهو اسمٌ واحدٌ يقع على الجميع ؛ وليس بجمعٍ ولا اسمَ جمعٍ إنما هو دال على الجنس ؛ كذا قاله ابن سيده [١].

وجاء الإسلام واعتبر الإبل ثروة قومية ، وأثنى الرسول -صلى الله عليه وسلم- على الإبل ؛ فقد روى ابن ماجه عن عروة البارقي -رضي الله عنه-، أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- قال **(الإبل عزٌّ لأهلها ، والغنمُ بَركةٌ، والخيرُ معقودٌ في نواصي الخيل إلى يوم القيامة)**[٢] .

وقال الرسول -صلى الله عليه وسلم- : **(صلاة الأوّابين حين ترمَضُ الفِصال)**[٣] رواه مسلم .

((والإبل من الحيوانات العجيبة ، وإن كان عَجَبُها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها ، وهوَ أنها حيوان عظيم الجسم ، سريع الانقياد ، ينهض بالحِمْل الثقيل ، ويبرك به ، وتأخذ زمامه فتذهب به إلى حيث شاءت ، ويُتَّخَذُ على ظهره بيتٌ ، يعقد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وطروقه ووسائده كأنه في بيته ، ويتخذ للبيت سقف ، وهو يمشي بكل هذه ؛ ولهذا قال تعالى :] x y z { | } Z الغاشية: ١٧.

(١) كمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، تحقيق :إبراهيم صالح ، دار البشائر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، (١/ ٧٣) .

(٢) سنن ابن ماجه ، (٢/ ٧٧٣) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة الضحى (ص٧٤٨) ، والإمام أحمد في مسنده ، (٤/ ٣٦٦ ، ٣٦٧) .

وقد جعلها الله تعالى طوال الأعناق لتثور بالأثقال))[١].

ويقال للذكر والأنثى منها بَعيرٌ إذا أجذع ، ويجمعُ على أبعرةٍ وبِعران . والشارف: الناقة المسنة ، وجمعها: شُرُف . والقرامل : الإبل ذوات السنامين [٢].

ومن نعوت النوق في ما يخص هذا البحث :

الكوماء -بضم الكاف- : وهي الناقة العظيمة السنام .

الحَرفُ وهي الناقة الضامرة[٣] .

والأنثى تُلقح إذا مضى لها ثلاث سنين ،ولذلك سميت **حِقَّةٌ** ؛ لأنها استحقت ذلك[٤].

و **بنت المخاض** : ما لها سنة ، و**بنت لَبون** : ما لها سنتان ، و **الحقة** : ما لها ثلاث سنين ، و **الجذعة** : ما لها أربع سنين [٥].

أما في ما يخص حنان الإبل فكان هناك جملة من المفردات التي تدل على هذا الشعور الداخلي وما ينتج عنه من سلوك ؛ من أبرز تلك المفردات : (الحنين [٦]،

(١) كمال الدين الدميري ، (ت٨٠٨ هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، تحقيق : إبراهيم صالح ، (ص٧٥) .

(٢) المصدر نفسه (ص٧٤) .

(٣) المصدر نفسه (ص٧٨) .

(٤) المصدر نفسه ص٧٩

(٥) المصدر نفسه (ص٨٣) .

(٦) الحنين : الشديد من البكاء والطرب . وقيل : هو صوت الطرب كان ذلك عن حزنٍ أو فرحٍ . والحنين : الشوق وتَوَقَان النفس والمعنيان متقاربان ، حنَّ إليه يحن إليه حنينًا فهو حانٍ .

و **الاستحنان** : الاستطراب . و استحن : استطرب . وحنّت الإبل : نزعت إلى أوطانها أو أولادها .

والناقة تحن في إثر ولدها حنينًا تطرب مع صوت . وقيل : حنينها نزاعها بصوت وبغير صوت . والأكثر =

والتعطف[١]والرِّئم[٢]، والإرزام). يقال: ((أرزمت الناقة، وهو: صوتٌ تخُرُّ به من لقاحها لا تفتح به فاها، والاسم منه الرَّزمة بوذلك على ولدها حين ترأَمُهُ والحنين أشد من الرَّزمة)) [٣]

قدوخص الشعراءُ وقُهم برحلاتهم عبر الفلاة لأنها أكثر تحملاً في الهاجرة [٤]، ويتجلى سرّ اختيار الشعراء للناقة في أنها أطوع، وأسهل انقياداً، كما أنها رفيقة الشاعر ومَرْكَبُه المفضّل.

((وقد عقد الشاعر بينه وبين ناقته علاقة وشيجة متينة، نقل بها الناقة (الحيوان) إلى

=أن الحنين بالصوت. وتحننت الناقة على ولدها: تعطفت. عن اللحياني والأزهري. وعن الليث: حنين الناقة على معنيين: حنينها صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها، وحنينها نزاعها إلى ولدها من غير صوت.

يُنظَر: لسان العرب (ح ن ن)، (ص٦٣٤).

(١) **التعطُّف**: تعطّف عليه وتَعَطَّفَ عليه وعَطَفَ عليه: رقَّ لها. وتعطَّف عليه: أشفق. وتعاطفوا: أي عطف بعضهم على بعض. وعطفه فتعطّف: حناه وأماله. شدَّد للكثرة. وعطْف الناقة على الحوار والبو: ظِئْرُها. وناقة عَطُوفٌ: عاطفة، والجمع عُطُف.

يُنظَر: لسان العرب (ع ط ف)، (ص ٣١٢).

(٢) **الرِّئْم**: رئمت الناقة ولدَها ترأَمه رأمًا: عطفت عليه ولزمته. ورائم: عاطفة على ولدها. ابن الأعرابي: الرائم الولد. الجوهري: يقال للبو والولد رائم. ابن سيده: والرائم البو. وكل من لزم شيئًا وألفه وأحبه فقد رئمه. الأصمعي: إذا عطفت الناقة على ولد غيرها فرئمته فهي رائم، فإنْ لم ترأمه ولكنها تشمه ولا تدر عليه فهي علوق.

يُنظر: لسان العرب (ر أ م).

(٣) أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، الغريب المصنف، تحقيق: محمد المختار العبيدي، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، (المجلد الثاني، ٨٦٣/٣).

(٤) حسين جمعه، الحيوان في الشعر الجاهلي، (ص٢٥).

كائنٍ حيٍّ ينطوي على جوانب إنسانية ، فنراها تحس وتشعر ؛ فلم تعد حيوانًا صامتًا يقتصر اتصال الشاعر بها في الإطار النفعي فحسب ، بل يتصل الشاعر بها اتصالاً نفسياً وشعوريًّا ، فيقاسمها همومه وبثته شكواها ، وكثيرًا ما تطابقت نوازعهما أحاسيسهما . وإذا لم يصرح النص بذلك فإن شواغل الشاعر وهواجسه تبدو متجسدة في شخصية الناقة وموقفها في القصيدة))[١].

((وأكثر ما أبرزه الشعراء من سلوكيات الناقة النفسية هي الشكوى ، والحنين . الشكوى من طول الرحلة وسأم المسيرة وشدة الفتور والإعياء ، والحنين إلى الأوطان والألْف حيث دفء القطيع ولذة التجمع)) [٢] .

والإبل تمتاز بحبها القوي لأولادها ، فقد قال الجاحظ ثم((حبّب إليها طلب الذرء ، و السّفاد الذي يكون مجلبةً للنوْء ، وحبّبَ إليها أولادُها ونجلُها ،ووَلْوُها ، ونَتْلُها ؛ حتى قالوا :أكرم الإبل أشدها حنينًا ، وأكرم الصفايا أشدها حبًّا لأولادها))[٣] .

((فالناقةُ المضلِّلُ من الآلام والمخاوف ؛ على ظهرها يبدأ نسيان الذكريات المؤلمة والهموم الناصبة ، فهي وسيلة التطهير من الألم، وهي التي تنتقل بالشاعر من حالة اليأس والقنوط إلى حالة الأمل وانفراج الغمّة)) [٤] .

وتبوح الناقة إلى الشاعر بهذه المعاني عبر زفرة حزينة وآهة دامعة ، فيفهمها حق الفهم ، فيرد على خطابها المكلوم ؛ إما بتصبيرها ، أو بمعاتبتها ، أو بوعدها بمكافأة إنْ كتمت كاتها

(١) سعد عبد الرحمن العرفي ، سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٤٠٠) .

(٢) المرجع نفسه ، (ص٤٠١) .

(٣) أبو عثمان عمرو بن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (٧ / ١١) .

(٤) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص٥٨) .

حتى تبلغه مراده [١].

والناقة تشبه العربي الأصيل في عزته وكرامته وعدم خضوعه ؛ وهي لذلك غَضوب ترفض الذل والهوان [٢].

كذلك تتَّحِدُ الناقة مع الشاعر في معاناته ؛ فالشاعر لا يسقط مشاعره فقط على الناقة، وإنما يمنحها من عناصر إنسانيته لتدخل في تكوينها وطبيعتها ومن خصائصها الإنسانية الحزن والبكاء على فقْد الولد . ويرسم الشعراء للناقة الثكلى مناظر موجعة ، فهي دائمة الحنين واللوعة والترجيع والبكاء ، لا تكاد تستقر في مكان ، ولا يقرّ لها قرار ، إذا رجعت حنينًا أبكى شجوُها قطيع الإبل فبكت لبكاها ، وحزنت لحزنها فحزُنْ الأم لا يدانيه حزن ، وضعفُها لا يدانيه ضعف ؛ بل إن ألم الحيوان وإحساسه بقسوة الموت لهو أعنف من ألم الإنسان[٣] .

ولقد وقف الشاعر في العصر الجاهلي أمام الطبيعة يتأملها بفطرته ، وأصالته ، فجاء تصويره لها صادقًا أصيلاً لأنه عاش في أحضانها ، وسلك دروبها ، وتعرّف على سائر أحوالها في أرضها وسمائها . كما حاول بث الحياة والحركة في ثناياها الصامتة ؛ لتتجاوب مع مشاعره فرحًا وترحًا .

ويأتي هذا البحث ليركّز على زاوية من وصْف الإبل يتبين من خلالها عمق إحساس الشاعر الجاهلي بالكائنات من حوله ، ومن أهمها الإبل ، ألا وهي زاوية تصوير(حنان الأمومة وحرصها عند الناقة) . وهذا جانب نفسي ؛ فالتفات الشاعر الجاهلي إليه ، وعنايته به دليل ساطع على أنه شاعر مرهف لم يتوقف وصفه على الجوانب الخارجية الشكلية ـ كما يُروَّج أحيانًا ـ وإنما تجاوز السطح ليغوص نحو الأعماق النفسية لحيوان أعجم ، فشعر بحنانه على

(١) سعد عبد الرحمن العرفي ، سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٤٠١) .

(٢) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص ٩٤) .

(٣) المرجع نفسه (ص٨٩) .

صغاره ، واهتم بهذه الزاوية ، حتى صارت لديه مصدرًا من مصادر الصورة ، ينهل من معينها في تشكيله الشعري .

وفي ضوء استقراء النصوص الشعرية الجاهلية بدا أن الشاعر الجاهلي وظّف جوانب معينة من ظاهرة حنان الناقة في شعره ، وبالذات صوت الناقة حين تحن على صغارها ، وحركة الناقة حين تتعطف على صغارها ؛فتراه يشبّه صوت الرعد الذي يتردّد رَجْعُه بين السحب بصوت الناقة حين تحنّ على صغارها ؛ لأنه صاحب حس فعّال ، يستطيع استشعار العلاقة بين مظاهر الطبيعة - كالأصوات التي ترافق سمْعه ليل نهار- ، وهو من خلالها عن حنان الأمومة وحرصها . فقد استلهم الشاعر لبيد بن ربيعة[١] صوت الناقة ليصف صوت الرعد فقال :

مِنْ كُسَارِيَّةٍ وَافَى مُدَجَّنٍ [٢] وَشَمَالِيَّةٍ مُجَاوِبِهِ زَامُهَا[٣]

فهو يصف السحاب الذي جاد على تلك الديار بالمطر القوي وقت الليل ، وأيضًا بالمطر الهادئ وقت النهار مصحوبًا بالرعد ،ويشبّهه وهو يتردد بالغداة و العشي ، ويرافقه صوت الرعد الخفيف بالناقة التي أرزمت -أي :التي تحنّ على ولدها تحدُث ذلك الصوت الذي هو جزءٌ من فيض حنانها على أولادها .

تابع لبيد بن ربيعة رسْم الصور التي جعلت من صوت الرعد في السحاب الشديد المطر وكأنه هزيم الناقة على ولدها ، فقال[٤] :

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق إحسان عباس ، التراث العربي ، الكويت ، ط ١ ، (ص ٢٩٨) .

(٢)مدجّن : ظل الغيم في اليوم المطير . اللسان (د ج ن) .

(٣) إرزامُها ضربٌ من حنين الناقة على ولدها وهو صوت تخرُج من حلقها . اللسان (ر ز م) .

(٤) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق إحسان عباس ، (ص١١٢) . = =

مرَت الجنوب لهُ الغمام بوابلٍ ومجلجلٍ قردِ الربَّاب مُديمِ

ويروى :

مرت الجنوب به الغمام بوابلٍ ومجلجلٍ قرد الرباب هزيمِ

والشاهد في هذه الرواية قوله : (هزيم) أي أن السحاب متشقق بالرعد ، تُسمع له هزمة مثل هزمة الناقة على ولدها [١].

ويقول عبيد بن الأبرص[٢] :

كأن فيه عِشاراً جِلَّةً شُمُّاً هَمَيْمَ تَهَمَّتْ بِإِرشَاحِ

جُأْجُأً حَنَاجِرُهَا هُلْدٌ مَنَاسِرُهَا سُتَيْمٌ أَوْلَادَهَا فِي قَرْقَرٍ ضَلِحِ

وهنا يشبّه الشاعر صوت الرعد في السحاب وكأنه صوت (عشار) ، أي نُوق أتى على حملها عشرة أشهر ، هامتة ، سِمان ، متلبّدة الشعر ، غزيرة اللبن ، أوشكت فصالها أن تقوى على المشي ؛ فهي ترعى مع أولادها في أرض خصبة بارزة .

ولقد أبدع أوس بن حجر في تصوير حنان الناقة على أولادها ، فقد تخّيل صوت الرعد وكأنه صوت نوق مسنة غزيرة اللبن تحنّ وتنادي صغارها في شوق وحنان في تلك الأراضي

=وبهامشه : (مرت : أي حلبت له السحاب ، الوابل : المطر الشديد ، الرباب: السحاب الذي تراه كأنه متدلٍّ ، مديم : دائم) .

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، (ص ١١٢) ، والشرح المذكور هو (شرح الطوسي) .

(٢) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، (ص٤٦) .

وبهامشه : (الجلّة :المسانّ من الإبل ، لهاميم : غزيرة اللبن .همّت بإرشاح : قربت أن يقوى فصيلها على المشي ، هدلاً : مسترخية ، تسيم : ترعى ، القرقر : الأرض المطمئنة اللينة) .

الواسعة[١] :

كأن فيه عِشلوً ا جلة شرفًا شعثًا لهاميم قد همّت بإرشاح

مدلاهً مشافرها بحً ا حناجرها تزجي مرابيعها في صحصحٍ ضاحي

التشبيه عند أوسٍ هو نفسهعند عُبيدسوى تغيير طفيفٍ في بعض الألفاظ .

وامتد الإحساس بحنان الأمومة عند عنترة عندما وصف صوت حنين الظؤار، فقال[٢] :

سَتَعْلَمُ أَيُّنَا لِلموتِ أَدْنَىدانَيْتَنَا بِالأَسَلِ الحرارا

وللرُّعيان في لُقُحٍ ثَلاثٍ نُهُنَّ صَرًّا[٣] أو غِرارا[٤]

أَقامَ على خَنِينَتِهِ لِيَقْضِي وَنَتَّجَ الأُخَرَ العِشارا

وقَظْنَ على لَصافٍ وَهُنَّ غُلْبٌ تُرِنُّ[٥] مُوتِهُا لِلِيَ ظُؤارا[٦]

---

(١) أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ، لبنان ، ط٣، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ، (ص١٧) .

وبهامشه اللِ شار :التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها ، الجلّة : المسان من الإبل ، اللهاميم : الغزار ، بإرشاح : اشتد فصيلها وقوي ، هدل : مسترخية ، الصحصح : المكان المستوي الظاهر) .

(٢) عنترة ، الديوان ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، ط١ ، ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م ، (ص٢٣٦ ، ٢٣٧) .

(٣) صرًّ لضر آلناقة يصرّ وَطر َ ّ بها :شدّ ضرعها . اللسان (ص ر ر) .

(٤) غرار :نُقصان اللبن ،وحلبُه شيئًا بعد شيء . اللسان (غ ر ر) .

(٥) الديوان ، وبهامشه : (ترنّ تصوّت وتحنّ) ، (ص٢٣٧) .

(٦) العاطفة على غير ولدها . اللسان (ظ أ ر) . و لصافمؤضع أرْضٍ . الديوان ، (ص٢٣٧) .

ومَنجوبٍ له منهنَّ صَرْعٌ يميل إذا عَدَلْتَ به الشِّوارا[١]

أقَلُّ عليك ضرًّا من قَريحٍ إذا أَصحابُه ذمروهُ سارا

فهنا يخاطب خصمه الذي ازدراه وحقّره (عمار العبسي) إبلاً هذه صفتها أقلّ ضرًّا عليك من عدوٍّ به جراح ولكنه شجاع إذا حثه أصحابه على القتال أقدم على العدو. وخلال ذلك أخذ يفصّل صفة تلك النوق بإنها إبل ثمان ذات ألبانٍ والرعيان تصرُّ ضروع النوق لتحفل درتها حينًا ، وحينًا تداري الناقة حتى تسكن فتُحلب . والرعيان لم ينالوا ذلك من النوق إلاّ بعد أشهر من رعاية النوق حتى اشتدّت مهازيلها، وحملت ، ونتجت ؛ حيث قضوا زمن (القيظ) في منطقة (لصاف) ، فسمع في الليل صوت حنين الظؤار على الصغار .

إنّ الشاعر الجاهلي ابن بيئته يتألمّها بفطرته ، وحواسّه ، فجاء تصويره لها صادقًا، فهو يصوّر ، ويربط ، ويقارن بين معالم بيئته . وكعب بن زهير أحد الشعراء الذين تأثروا ببيئتهم فقال[٢] :

إلاَّ كَأَطْرَ الرَّبْوُعِ هَامَرَتَّجَتْ كَمَا أَرَمْزَتْ بُكْرٌ عَلَى البَوِّ رَائِمِ

فهو يشبّه صوت الوتر المتهدّج بصوت الناقة الرائم التي تحنّ على البوِّ، وتدرّ عليه بنا بعد أن ذُبح فصيلها وافتقدته ؛ فهي تُصدِر صوتًا حزينًا ، يائسًا .

(١) الديوان ، (ص٢٣٨) . منجوب : الإناء الواسع الجوف .

وبهامش الديوان : (الشوار : هو متاع البيت ومتاع الرجل) .

(٢) كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الشواف ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، (ص١٤٤) .

وبهامشه : (أطر : عُطف ، المربوع : وتر من أربع طاقات ، أرزمت : من الإرزام وهو حنين الناقة ، البو : جلد يحشى تبنًا ثم يعلق عند عضد الناقة ، فإذا رأته سكنت) .

أما علقمة الفحل فقد صوّر صوتَ حنين النُّوق المطلِّ الحسان وأولادَها إذا ماهُيجت للحلْب والورد ؛ فهي تُدي نشاطًا وصوتًا عاليًا -لكثرتها- يوازي صوت دفٍّ مشقوق في مكان مرتفع ، ويصاحِب تلك الأصوات صوتُ الصّغار حديثات النتاج تطلب الرضاع ، فتبادلها النوق العظام الحسان ذلك الحنين والعطف(١) :

يتبع جونًا إذا ما هيجت زجلت كأن دفًّا على العلياء مهزوم

إذا تزغم من حافاتها ربع حنت شغ ميم(٢) في حافاتها كوم(٣)

وكثيرًا ما يعبر الشعراء الجاهليون عن كثرة الجيوش بالأصوات ؛ كأصوات الإبل والخيل ،فهي وسيلةٌ لمعرفة حال تلك الحروب . يقول الشاعر أبو دؤاد الإيادي(٤) :

لَتَجُبْنَّكَ مُغَّةُ الصَّواهِلُ فوحَنينُ اللِّقاحِ والإرْزامُ

بعْدَ دُونَها وتُقْنُ بالْقَيْظِ وقد دلَّهَ الرِّباعَ (٦)البُغَامُ (٧)

---

(١) علقمة بن عبده ، الديوان ، تحقيق : سعيد نسيب مكارم ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م ، (ص٦٠ ، ٦١) .

وبهامشه : (جونًا : الإبل الأسود ، زجلت : ارتفاع صوتها وحن بعضها على بعض ، مهزوم : مشقوق ، تزغم : تحنّ حنينًا خفيفًا)

(٢) اللسان (الشغاميم : الطوال الحسان) .

(٣) اللسان (الكوماء : القطعة من الإبل . وناقة كوماء : عظيمة السنام).

(٤) أبو سعيد عبد الملك علي بن أصمع ، (ت ٢١٦هـ) ، الأصمعيات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، ط٧ ، ١٩٩٣م ، (ص ١٨٩) .

(٥) اللسان (لجب : الصوت والصياح) .

(٦) اللسان (ربع / الرباع : جمع ربع وهو الفصيل ينتج في الربيع) .

(٧) اللسان (بغم / البغام : صوت الإبل) .

فالشاعر يعبر عن كثرة الجيش بتعالي صهيل الخيل ، وسماع حنين الإبل ، وإرزامها على فصيلها الذي أذهب فؤادَها .

والإبل لها أهمِّيةٌ حربيّةٌ ، ولها علاقة وثيقة بالحرب ، وقد خلع الشعراء على الحرب صفات الناقة حديثة النتاج ، وهي (الضروس) لأنه يعتريها عضاض لمن دنا منها عند نتاجها خوفًا وحذرًا على أولادها .

وكذلك استعاروا للحرب صورة الناقة الضروس . ((وناقة ضروس ضؤوض سيئة الخُلق . وقيل هي العضوض لتذب عن ولدها ... وقيل : هي التي تعض حالبها)) [1]. قال بِشر بن أبي خازم الأسدي [2] :

عَطَفْنا لهم عطفَ الضروسِ على الملا بِشَكَّةِ أبْيَضَ مشي الضرائِبِ وَرْدِ

فهنا صوّر حالهم في الحرب بالناقة الضروس ، فهم يعطفون على العدو كما تعطف الناقة العضوض على من دنا منها حمايةً لأولادها ، فتعضّه لتحمي صغارها .

((قال الضبِّي أني عطفنا لهم بمكروه وشرٍّ ... وقال الطوسي : عطفنا لهم : أي عطفنا عليهم))[3].

---

(١) لسان العرب (ض رس ، ص ٤٩١) .

(٢) بشر بن أبي خازم الأسدي ، الديوان ، تحقيق: عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، (ص٦٦) .

وبهامشه : هامش الضروس : الناقة الحديثة النتاج ، وسميت بذلك لأنه يعتريها عضاض عند نتاجها حذرًا على ولدها ، الشهباء : الكتيبة البيضاء من كثرة الحديد . أي : هذه الكتيبة عزيزة لا تحتاج أن تختل بالاختفاء ، الملا : الصحراء ، الضريبة : ما تواري الإنسان من شجر وغيره عمّن يكيده ، رقيبها : حارس القوم) .

(٣) المفضليات ، الديوان ، شرح ابن الأنباري ، (ص ٦٤٣) .

وقال قيس بن الخطيم[١] من الشعراء المعروفين :

إذا هُنَّ جَمَّعْنَ انْصرافٍ تعطّفوا تعطُّفَ وِرْدِ الخمسِ أطَّرَ باعها

فهم يعطفون على الأعداء كما تعطف وتحن الإبل على الفصيل ليلة ورد الخمس .

ويصف عبيد بن الأبرص شجاعة قومه في الحرب ؛ فهم يعطفون على الأعداء كما تعطف الناقة التي يعتريها العضاض على من دنا منها فتعضّه لتحمي صغارها[٢] :

عطفنا لهم عطْفَ الضروسِ فأُطْرُسٍ اعًا وقد لاَقَى النجيعُ السنابكا

ويشبّه أبو كبير الهذلي المحاربين الذين يتعطّفون على جرحاهم وقتلاهم بالإبل العوذ العاطفة على ولدها[٣] :

يتعطّفونَ على البَطيءِ تعطُّفَ الـ ـعوذِ المطافلِ في مناخِ المعْقلِ

---

(١) قيس بن الخطيم ، الديوان ، تحقيق: ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، (ص١٤٣) .

وبهامشه : (**أطّت** : حنّت . **وأطيط الإبل** : زفيرها من البطنة ، **والورد** : الإبل الواردة ، وفي اللسان : الخمْس وردت إبله خمسًا . وقال الأزهري : أن تشرب يوم وردها وتصدر يومها ذلك ، وتظل بعد ذلك اليوم في المرعى ثلاثة أيام سوى يوم الصدر ، وترد اليوم الرابع ذلك الخمس) .

(٢) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، دار صادر ، (ص١٠٢) .

(٣) أبو كبير الهذلي ، شرح أشعار الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، راجعه : محمود شاكر ، دار العروبة ، (ص١٠٧٢) ، د ط، د ت .

والشاعر هو : عامر بن الحليس . شاعر جاهلي .

يُنظَر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م ، (٢/٦٥٩) .

وبهامشه : (**العوذ** وهي : التي معها ولد صغير ، **والمعقل** : الحرز الذي يأوون إليه) .

وكثيرًا ما قرن الشعراء بين الأبطال في المعارك والناقة ، فقد استمدّ البطل من الناقة صفة القوة ، والعظمة ، والمنعة ، وهي صفات تفوق صفات البشر .وأكثر الشعراء من تصوير الأبطال بتلك الصفات وهم في غمار المعركة .

يقول عمرو بن قميئة [١] :

وتمشي إلى الدارعين كأعناق خورٍ تُزجّي فصالا

فيشبّه هجوم وتدافع الأبطال في المعركة بتدافُع أعناق النوق الطوال العظام الغزيرات اللاتي يسقن ويدفعن الفصيل في حنان وعطف على الرغم من هول تلك المعارك ، ولكن فؤادها ما زال متعلقًا بأولادها .

كما إننا نجد من خلال قراءتنا للشعر الجاهلي أن الشعراء تناولوا صورة الأمومة عند الحيوان بصور مختلفة ، فالناقة لديهم ترتبط بصورة الأمومة الخصبة ، والعطاء غير المحدود ، فوظفوها كيفما أرادوا ؛ لتخدم الأغراض التي قصدها الشعراء ؛ مثل الأعشى [٢] :

الواهبُ المئةِ الصفاّ يا بين تاليةٍ وحائل [٣]

هنا يصف ممدوحه بالكرم ؛ فهو يهب المائة من النوق الحائل التي لم تحمل ، والنوق

(١) عمرو بن قميئة ، الديوان ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، دار الحرية ، بغداد ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، دط ، (ص ٥٨) .

وبهامشه : (الخور :الإبل الحمر إلى الغبرة ، رقيقات الجلود طوال الأدبار ، تزجّي وُجّى الشيء وأزجاه : ساقه ودفعه ، الفصال : جمع الفصيل ، وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٢٩) .

(٣) الديوان (ص٢٩ ، ٣٤٧) .

وبهامشه : (الصفايا : جمع صفية وهي الناقة غزيرة اللبن ، التالية :التي يتبعها تلوها ، حائل: التي لم تحمل) .

الولود الغزيرة اللبن التي يتبعها أولادها . وهذه الصورة توحي لنا بالحنان والعطف المتدفق حين تتبع الصغارأُمهاتِها .

وقولهأيضاً[١] :

الواهبِ المائةِ الهِجانِ وعبدَها عوذاً تزجّي خلفَها أطفالَها

فيصف الممدوح بأنهالواهب المائة من الإبل العظام وعبدَها ، يتلوها أولادها حديثو النتاجمبالغةً منه في الكرَم .

وقد قرن الشاعر الجاهلي الناقة بالنخلة ؛لأنهما العملة التي يملك ، ودرُّهما غذاؤه الأساسي ، ((وكلاهما رمز الصحراء وتحمل الهجير ، وكلاهما يتميز ذكورهما عن إناثهما ، ويحتاجان مساعدة التلقيح ؛ لذلك أكثر الشعراء من تشبيه النوق بالنخيل)) [٢]. فهاهو بشر بن أبي خازم يصف كرم ممدوحه فيقول[٣] :

والمانحُ المئةَ الهجانِ بأسرها تزجّي مطافلَها كجثّيثربِ

شبّه كثرة عطاياه من الإبل البيض الكرام التي تتلوها صغارها ، وتدفعها بحنان وعطف ببساتين النخيل ؛ فمنها النخيل الشامخة العظام ، ومنها ما هو دون ذلك .

والأبيات الثلاثة السابقة كلها كنايات عن كرم الممدوح وسعة بذْله لأجود المال عند

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، دط، دت ،(ص٣٤٧) . وبهامشه : (**الهجين** : الخيار من كل شيء) .

(٢) مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي ، أنور أبو سويلم ، دار عمار ، ت١٤١٠ه ١٩٩١م ، د ط ، ص٧٥

(٣) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٨٣) .

وبهامشه : (الهجان من الإبل : البيض الكرام العتاق ، المطافل : جمع مطفل وهي الناقة معها ولدها) .

العرب ؛ وهي النوق مع صغارها ، التي تُعدّ موطن حنانها ورعايتها .

وهذه المناظر الطبيعية التي يصورها الشعراء الجاهليون مستوحاة من بيئتهم ؛ فالإبل التي ترعى في الأراضي الواسعة وتتلوها صغارها إنما هي نتاج الحنان الأمومي الفطري أو المكتسب بين الإبل وصغارها .

لقد لهجت ألسنة الشعراء وقلوبهم بوصف نياقهم حسيًّا ، وانتشر عليها انتشار أحاديث الحبّ والصحراء ، فإن قلوبهم قلّما خفقت بمشاعر تلك الإبل وأحاسيسها ، وما يعتري نفوسها الواجفة من حنين وشوق ، وما يتسرب إليها من خوف ووجع))[1].

يقول أوس بن حجر في مرثيته الشهيرة التي عدَّد فيها مآثرَ الرجل الكريم الذي يبذل عطاءه في أشد أوقات السنة جدبًا -وهو الشتاء- ، فيصف أحوال الناس من شدة الجهد. ومن ذلك قوله[2] :

وشبّه الهيدب العبام من الـ أقوام سقبًا ملبسًا فرعا

إن الناقة تحنّ وتشفق على ولدها (السقب)وهو ولد الناقة الذَّكَر ساعة ولادته ، والشاعر هنا يشبّه الرجل الفقير المجهد البائس بما عليه من الأهدام والثياب بالسقب الذي يُغطى بالجلد لكي تحن و ترأم عليه الناقة ، فتدرَّ لبنها وتُرضعه .

فأظهر من خلال هذا التشبيه حنان الناقة وعطفها على ولدها ؛مما عمّق الإحساس الوجداني الذي تتمتع به الناقة فكان سببًا في أنْتدرَّ لبنها على ولدها .

(١) الرحلة في القصيدة الجاهلية ، وهب رومية ، (ص٨١) .

(٢) أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، (ص ٥٤) .

وبهامشه : (الهيدب : الذي عليه أهدام أي خلقان تذبذب كأنه هيدب السحاب ، العبام:الكليل اللسان . وقيل : الغليظ الخلقة) .

ويقول المهلهل بن ربيعة [١] :

كأنّ كواكب الجوزاء عوذٌ معطَّفةٌ على ربعٍ كسيرِ

هنا يحلّق خيال الشاعر ليصوّر حنان الأمومة ، فيصعد هذا الخيال إلى السماء ليشبه كواكب الجوزاء التي تتحرك في ذلك الليل الطويل ، وكأنها نوق حديثات النتاج تعطف على ولدها الكسير الذي يعوذ بها ؛ لأنه يعلم أن حنانها وحرصها يُذهِب عنه ما ألمّ به ، فهي تعطف عليه ولا تتركه وهو غير قادرٍ على النهوض .

وقد وافق خيال ابن مقبل خيالَ المهلهل الذي علا إلى النجوم ، ولعله احتذاه في ذلك المعنى . فالمهلهل جاء بهذه الصورة في بيت واحد فقط ، أمّا ابن مقبل فبسط القول وجعلَه في بيتين ، وكلاهما نفس المعنى ، فقال [٢] :

كأنَّكواكب الجَوْزاءِ عُوْذٌ مُعَطَّفَةٌ نُعلى حوُارَ

سكَيرٍ لا يشُ يعِّهُنَّ حَتَّ يحَ ينَ لحَاقُهُ بعَدْتَ انْظرَ

هنا شبّه التفافَ النجوم حول نجم الجوزاء بالناقة حديثة الولادة التي حنت وعطفت على ولد غيرها لتدرّ لبنها ، ومن ثمّ تلتف الحوار وتجتمع حولها .

---

(١) المهلهل بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : طلال حرب ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م . = =

=وبهامشه الرَّبْع : ما نتج في الربيع ، العوذ ، النوق الحديثات النتاج ، واحدتها عائذ ؛وإنما قيل عوذٌ لأن أولادها تعوذ بها) .

(٢) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، دار الشرق العربي ، لبنان ، بيروت ، سوريا - حلب ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، (ص١٢٠) .

وبهامشه : (معطّفة : أي عطفت على ولد غيرها لتدر ، الحوار : ولد الناقة ، عوذ : جمع عائذ ، وهي الناقة حديثة الولادة) .

وقال بشر بن أبي خازم[١] :

وجلجلرّامسات بها ذيولا ً كـأن شـمـالـهـا بـعـد البوَّرِ

رمـادٌ بـيـن آظـئـلـاثٍ كـوشَـمَ الواَّهشِ ُ بالؤُّورِ

ذكر ابن طباطبا البيتين في كتابه عيار الشعر في فصل (التشبيهات البعيدة الغلو) ، وقال في هذا الفصل : ((ومن التشبيهات البعيدة التي لم يلطف أصحابها فيها ، ولم يخرج كلامهم في العبارة عنها سلسً ا سهلا ً))[٢] . وقال : (فشبّه الشمال والدبور بالرماد))[٣] .فالشاعر شبّه حجارة القِدْر وتعطُّفَها والتفافها حول الرماد كتعطُّف الأظار والتفافها حول الفصيل .

ومِن الشعراء الجاهليين مَن ذكر مثل هذا التشبيه ؛ وهو أبو ذؤيب الهذلي الذي قال[٤] :

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى هَامِدٍ وَسَفْعٍ دُوَالِخُ معًا والنُّئِيُّ

كَعُوذِ العَطَّفِ أَحْزَى هَلَّصْدَرِهِ المُلْءَ أَمْ ذُرِيُّ

(١) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٢٥ ، ١٢٦) .

وبهامشه : (الرامسات :الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار ، الدَّبور :ريح مهبُّها من المغرب ، الآظار: جمع ظِئر ؛ وهي : الناقة العاطفة على غير ولدها المرضعة له . والرواهشعضبٌ وعروقٌ في الذراع . النّؤورُخان الشّحْم ، يُجالَبَه الوشم ويحُشى به حتى يخضرّ).

(٢) ابن طباطبا ، عيار الشعر ، تحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م ، (ص٩٣)

(٣) المرجع نفسه (ص٩٣) .

(٤) أبو ذؤيب الهذلي ، شرح أشعار الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، راجعه : محمود شاكر ، مكتبة دار العروبة ، (ص١٠١) .

وبهامشه : (العوذ : جمع عائذ وهي الحديثات النتاج ، الرأم : اسم المرؤوم وهو البو ، الرذى : الضيف الذي قد أعيا) .

فقد شبّه الأثافي حول الرماد بالعوذ وهي حديثات النتاج اللاتي عطفت على ولد .

والشعراء الجاهليون أبدعوا في وصف سلوك الحيوان ، والتقاط أدق التفاصيل وتصويرها ، وكأنك كنت مع هذا الواقع الحي الذي عاشه الشاعر . يقول بيهس بن عبد الحارث[١] أحد شعراء غطفان[٢] :

يلَحسَنْ مَن صفحاتهن نوافذاً لَحْ َالوأَئ ِم سلخهَا الأبكار َا

يشبّه لحس الكلاب للطعنات النوافذ التي أصاب بها الثور ، بلحس الإبل الروائم لأولادها ، أوللجلد المحشو تبنًا ثم يلطّخ به سلاها لتظنه ولدها فتحنّ عليه .

والناقة الرؤوم هي التي ماتَ ولدها فعطفت على غيره فإذا لم ترأم دُسّ في حيائها خرق ثم خُلّ عليها ، ثم لُطخ الولد الذي يريدون أن يعطفوها بسلاها ، وبما يخرج منها ، ثم يُشد منخراها فيأخذها للك كربٌ ، فإذا جهدت نزعت غمامتها من أنفها ، وسُلّ ما في حيائها ، ويُلَى منها الولد ، فوجدت حسّ ما يخرج منها ، وتنفّس ، فإذا خرجت غمامتها من أنفها وجدت ريح السلى من الحوار الذي قرب إليها فتدرّ ، وترأمه))[٣] .

---

(١) هو : بيهس بن عبد الحارث بن الحارث بن زيد بن عمرو بن يربوع بن سحيم بن ثعلبة بن بهنة بن عبد الله بن غطفان من شعراء غطفان ، وهو شاعر جاهلي قديم .

يُنظر في ترجمه : معجم الشعراء الجاهليين ، (ص٦٢) . شعر غطفان في الجاهلية والإسلام ، تحقيق : إبراهيم النعانعة ، دار جرير ، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، (ص٢٨٦) .

(٢) شعر غطفان ، الديوان ، (ص٢٨٦) .

وبهامشه : (الروائم : الإبل التي تعطف على ولدها) .

(٣) أبو سعيد عبد الملك الأصمعي (ت ٢١٦هـ) ، الإبل ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، دار البشائر ، سوريا ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، (ص٧١) .

ويصوّر أحد شعراء همدان (حراب بن الورد)[١] حنان الناقة عندما تساق مع سقبها فيقول[٢] :

وسُقْنا كُلَّ مقبةٍ كنلزٍ وكَوماء تَدافع في الجريرِ

ومن حولٍ وماخضةٍ وعوذٍ حوانٍ نحو أسقُبِهن حّورِ

إذا انبعثتْ تبادر قادملها بشخّلبٍ تمورُ بهدرورِ

فهو يصف حال تلك النوق السمان الضخام عظيمة السنام ، وهي تساق بالحبال ، وتجر مع الغنائم التي غنمها القوم عند انتصارهم ، فهذه النوق تنزع وتلتف إلى أولادها في حنان وحرص ؛ على الرغم من أنها تساق في عنف وقسوة لمسافات طويلة ، إلا أن ذلك لم يمنعها من العطف والحنان على صغارها وحمايتهم ، فترى أخلافها تدر اللبن بكثرة وغزارة ؛ لشدة الحنان على الصغار . وذلك كناية عن قدرة الشاعر وقومه وشجاعتهم التي مكّنتهم من أن يغنموا تلك الغنائم الثمينة من النوق التي مع أولادها .

(١) هو : حراب بن الورد بن الحارث النهمي من بني حرب ينتهي نسبه إلى بكيل ،لم يُعرف عنه سوى أنه شاعر جاهلي .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، (ص١٠٦) ، وهامش شعر همدان وأخبارها (ص٢٥٠) .

(٢) شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، دار العلوم ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ط١ ، (ص٢٥١) .

وفي اللسان : (مقربة : التي حزمت للركوب ، وقال أبو سعيد : الإبل المقربة التي عليها رحال مقربة بالأدم وهي مركب الملوك ، ناقة كناز : مكتنزة اللحم ، وناقة كوماء : عظيمة السنام ، الجريالجبل ، حُوْل : جمع حائل الناقة التي لم تحمل ، ناقة ماخض : دنا منها ولدها ، حوان : جمع انية الناقة إذا نزعت إلى وليدها) .

خلاصـة :

اهتم الشعراء في العصر الجاهلي بالناقة ؛ إذ قلّما تخلو قصيدة من ذكرها ؛ لطبيعة حياة العربي المتنقل في تلك الصحاري المترامية الأطراف ، ولا توجد وسيلة لذلك إلا الناقة رفيقة الحل والترحال ، فبلغ الاندماج بين العربي والناقة إلى حد الشعور بما ينتابها من إحساس بالحنان ، والحرص ، والعطف ، والألم ، والحزن .

ومن خلال وقوف الباحثة على القصائد التي تناولت الحنان والحرص عند الناقة بدا جليًّا أن الشاعر خلع عليها مشاعره ، وأحاسيسه ، وجعلها تتصف بالصفات الإنسانية ، فتشكو، وتتأوّه ، وتناجي صاحبها وتحاوره ، فهو يشاركها شوقها وحنينها عندما يرى عبراتها تتناثر ألمًا وحرقةً . وما دموع الناقة إلا دموع الشاعر نفسه ، بعد أن انصهر في حالة وجدانية مع ناقته وقد صوّر حنينها وحرصها على صغارها بمختلف الصور التي استقاها من مظاهر الطبيعة ، والحيوانات المختلفة ، والمرأة ، وغير ذلك . فكان تصويره صادقًا ؛ حتى وصل إحساسه إلى المتلقي وكأنه غاص في عمق مشاعر الناقة ، فأحس بشكوى حنينها ، وتوغّل في طرق وأساليب دفاعها وحمايتها لصغارها ، كما لو كانوا صغارَه .

إنّ إبداع الشاعر الجاهلي لا يضاهيه إبداع ، فجميع الأبيات التي نقّبت عنها الباحثة وتناولت مظاهر حنان الناقة والفصيل تؤكد هذا الإبداع الشعري ، فقد كان الشاعر الجاهلي بالغ الدقة في وصفه لمشاعر الحيوان التي تحمل خفايا حياته . ولولا الشعراء الجاهليون لما كان هناك شعر يحمل صورًا إبداعية لحنان الناقة والفصيل، وأكبر دليل على قيمة هذا الإبداع أنه استمر في التناقل بين العقول والقلوب حتى وصل إلينا .

وعنددراسة تلك الأبيات الشعرية التي تحمل في طيّاتها حنان وحرص الأمومة عند الناقة والفصيل ، والغوص في الصور الشعرية التي تعبرّ عن عمق الإحساس النفسي للشاعر الجاهلي الذي كان ينقل هذا الإحساس بكل دقة وحرص -سنجد الحنان عند الناقة ظاهرًا

جليًّا عن طريق الصوت والحركة .

أولاً : الصوت . فمن طريقه صوّر الشاعر حنان الناقة ، واستطاع إيجاد علاقة بين مظاهر الطبيعة ليصوّر ذلك الحنان ، فشبّه صوت الرعد بصوت الناقة عندما تحن على صغارها بـ (أرزم) مثل لفظ (أرزم) ، و : ((أرزمت : وهو صوت تخرجه من حلقها لا تفتح به فاها. وأرزم الرعد ، اشتد صوته ، وقيل : هو صوت غير شديد ، وأصله من إرزام الناقة)) [١]. وكذلك صوت هزيم الرعد شبّهه بهزمة الناقة على ولدها (حين تُحلب) .

فالصوت من الوسائل التي وظّفها الشاعر الجاهلي ليصف حنان الأمومة وحرصها عند الناقة .

ثانيًا : الحركة . إنّ الشعراء الجاهليين كانوا أكثر مخالطة ومشاهدةً للحيوان ، وأشعارهم كانت شاهدةً على إبداعهم ، ودقة نظرهم في وصف مشاهد الحيوان بصفة عامّة والناقة بصفة خاصّة . وهذه الدقة التي أعنيها ليست ظاهرةً ؛ بل هي دقة وصف بواطن النفس التي تشعر بها تلك الناقة تجاه صغيرها ، فكانت سببًا في تلك الحركات التي كانت بدافع الحنان والعطف والحرص على أولادها ، فجاء ذلك الوصف في ألفاظٍ مثل (ضروس) ، ((ويقال للناقة ضروس عُضوض ٌ سيئة الخُلق ، وقيل : هي العضوض لتذب عن ولدها ، قيل : هي التي تعض حالبها)) [٢] .

فالناقة الضروس هي التي تحمي صغارها وتدافع عنهم ، وما تلك الحركات إلاّ بدافع الحنان والعطف عليهم .

ونجد بعض الشعراء يصف حركة العوذ بالتعطف الذي هو نتاج ذلك الحنان

(١) ابن منظور ، اللسان (ر ز م) .

(٢) ابن منظور ، اللسان (ض ر س) .

الأمومي من قِبَل تلك العوذ على صغارها ؛ فهي تشفق وتحن عليهم ((قال الأزهري : ناقة عطوف إذا عطفت على بوّ فرئمته))[١] .

وقد ترجم الشاعر الجاهلي إحساس تلك النوق وحنانها ، عندما استخدم بعض المفردات في بعض أبياته ؛ مثل : (تزجي) ، أو(ُ قنا) . هذه الحركة التي تقوم بها النوق حين يسقن ويدفعن الفصيل بكل رفق وحنان . ((يقال زَجيّت الشيء تزجّيه : إذا دفعته برفق . وزجَّى الشيء وأزجاه : ساقه ودفعه)) [٢] .

وقدتوصّلت الباحثة من خلال استقراء النصوص الشعرية إلى أن الشاعر الجاهلي صوّر حنان الناقة وحرصها على صغارها إما بصورة صوتٍ أو بصورة حركةٍ ، وهما الأكثر والأغلب في أشعار الجاهليين ، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن : لماذا كان اعتماد الشاعر الجاهلي في الغالب عند وصف حنان أمومة الناقة وحرصها على الصوت والحركة ؟

ولعل الجواب يعودُ إلى دقة عين الشاعر في التقاط المتشابهات ، وإلى أن الصوت والحركة هي لغة التواصل بين الشاعر والحيوانات الأخرى كالناقة التي ألف العيش معها ، وبث أحاسيسه ومشاعره نحوهاوأيضًا فإنّ رؤى الشعراء الجاهليين من حيث التشبيه والوصف متحدةٌ ؛ فهم يعيشون في بيئة واحدة وينهلون من معينٍ واحدٍ .

(١) ابن منظور ، اللسان (ع ط ف) .

(٢) ابن منظور ، اللسان (ز ج ى) .

ثانيًا : الحنان عند الظباء وصغارها

الظبي الغزال ؛ والجمع أظبٌ وظُباءٌ وظُبىٌ . والأنثى ظبية .والجمع ظَبْيَات بالتحريك وظباء ؛ وأرض مظبأةٌ : أي كثيرة الظباء وأظبت الأرض : كثر ظباؤها [١].

وفي (حياة الحيوان)الغزال ُ ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه .

وتكنُى الظبية أمُّ الخشف ، وأم شادن ، وأم الطلا[٢].

والظباء مختلفة الألوان ، وهي ثلاثة أصناف :

صنف يقال له : الآ ، وهي ظباءٌ بيض خالصةُ البياض ، الواحدة منها رِيم ، ومساكنها الرمال . ويقال إنها ضأن الظباء لأنها أكثر لحومًا وشحومًا .

وصنف يسمى الأدم : طوال الأعناق والقوائم ، بيض البطون . وتوصف بحدة البصر، وهي أشد الحيوانات نفورًا.

وصنف يسمى ظباء العفر ، وألوانها حمر ، وهي قصار الأعناق ، وهي أضعف الظباء عدْوًا ، تألف المواضع المرتفعة من الأرض والأماكن الصلبة [٣].

والظبي : هو جنس حيوانات من ذوات الأظلاف والمجوفات القرون ، أشهرها الظبي العربي ، ويقال له : الغزال الأعفر[٤] .

والظبية من أهم الحيوانات البرية التي تزخر بها قصائد العصر الجاهلي ؛ لما تتميز به من

(١) ابن منظور ، لسان العرب (ظ ب ا) .

(٢) الدميري ، (ت ٨٠٨ هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، (ص ٥٠ ، ٥١) .

(٣) الدميري ، المصدر نفسه ، (ص٥١) .

(٤) إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، دط، دت، (ص٥٧٥) .

الصفات الجمالية مما يجعل الظباء مصدراً للصور عند الشاعر ، خاصة في وصف المرأة ، لأنّ المرأة في كثير من الأحيان تصطنع صفات كثيرة تضيف سحراً على خلقتها وتتشابه مع الظباء ، فعيون الظباء واسعة لافتة الأنظار ، كما أنها لامعة الجيد ، بيضاء ، طويلة العنق .وهي ذات قدٍّ ضامر وضموره دلالة على جمالها ورقتها وكثيراً ما يصف الشعراء الظباء بالحركة المستمرة ، مما يجعلها محط أنظار الرائين ، وتتسلل تلك الحركة إلى القصيدة فتجعل القصيدة مليئة بالحركة والحياة ، فتضفي الجماليات الخلابة الجذابة على اللغة الشعرية .

وقد تناولها الشعراء بصووأحوال ؛ فهي موجودة بشكل منفرد ، أو مثنى ، أو جماعات . وهو أمر يدل على كثرة هذه الظباء ، وكثرة الصور الجمالية التي أبدعها الشاعر الجاهلي في قصائده .

وصورة الأمومة عند الظباء من ضمن تلك الصور التي تناولها الشعراء الجاهليون ، وقد كانت من أبلغ صور الأمومة . ويرجع ذلك إلى أن الظبية هي أقرب الحيوانات من حيث التشبيه بالمرأة ، فصورة المرأة وعلاقتها بصورة الظبية تتجذر وترتبط بعلائق متشابكة ، فالشاعر دائماً ما يعقد مقارنة بين محبوبته وبين تلك الظبية التي تشبهها في كل شيء ، في بياضها، ورشاقتها ، ودقتها ، وجيدها ، وجمالهاوأيضاً في علاقتها مع أولادها ، في حنانها ، وحرصها ، وحزنها ؛ فهي تبكي لبكائهم وتفرح لفرحهم ، ودائمة الترقب والمراعاة لهم دون كلل أو ملل .

ويُعد التشبيه واحداً من أبرز الفنون البيانية التي تدل على براعة العقل ، وخصوبة الخيال عند الشعراء كافة ، وشعراء العصر الجاهلي خاصة هوالوسيلة التي يعبرّون بها عما في دواخلهم ، وقد امتد لكل ما تقع عليه أبصارهم وحواسهم . يقول المبرد :التشبيه جارٍ كثير في الكلام -أعني كلام العرب- حتى لو قال قائل :هو أكثر كلامهم لم يُبعد))[1] . ويقول :

(١) المبرد ، الكامل ، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، (٢/٩٩٦) .

التشبيه باب ٌ كأنه لا آخر له)) [١] .

ولقد تعمّق الشاعر الجاهلي في نقْل مشاهد الحيوان ؛ من الظباء ، والتي كان متتبعًا لها بدقة ، وهذا التتبع صادر من إعجابه بها ، وقد ترجم الشاعر الجاهلي هذا الإعجاب بالتشبيه بها ، ومن أهم التشبيهات التي نحن بصدد الحديث عنها فيما يخص حنان الأمومة هو تشبيه النساء الحانيات بالظباء الحانية والعاطفة على أولادها ، ونجد أن حنان الأمومة عند الظباء ظهر في قصائد الشعراء الجاهليين من خلال تشبيهاتهم ، وكان لهذه التشبيهات مواضع عدة.

وحين يشبّه شعراء الجاهلية المرأة بالظبية التي لها صغير ، فإنهم يركزون على صفة الحنان ، ويبدعون ويتفنّون ؛فلا يدعون جانبًا من جوانب هذه العاطفة السامية إلا أبرزوه ، ويشمل ذلك ما يتصل بالوصف الخارجي من صوت وحركة وملامح جيدٍ وعينٍ ، ونحوها . وأروع منه ما يتصل بالوصف النفسي الداخلي ، حين يتغلغلون إلى أعماق الحركة النفسية للظبية ، فيعبر ّ ون عن رحمتها بصغيرها ، وخوفها عليه وحنو ّها وعطفها .

وفيما يخص ّ الوصف الخارجي لمظاهر الحنان عند الظبية ، فقد رصدوها من خلال نظرات عينَي الظبية ؛ فهي (ترنو) ، و (تراعي) . ومن خلال حركة جيدها حين تمدّه لتتابع سلامة صغيرها ، ومع ذلك كله الصوت (البغام) والحركة : (تزجي) ، و (تحنو) .

وعندما يصف الشاعر ذلك الطلل فهو يتطرق إلى تلك الحيوانات وأولادها التي ترتع في ذلك الطلل من خلال التشبيهات والوصف . ومن أهم تلك الحيوانات التي كثُر تو ف عين الشاعر عندها (الظباء)وهي ترتع مع صغارها وتوليهم عنايتها ، فتظهَر أمومة الحيوان جلية .

ومن المواطن التي ظهرت فيها براعة الشاعر الجاهلي في تصوير حنان الظباء على

(١) المبرد ، الكامل ، (٢/٩٩٦) .

صغارها حين يصف جمال الصاحبة : قول قيس بن الخطيم [١]:

فَمَا ظَبْيُ ظَبْيِ الحِسَاءِ ـ ءِ عَيْطَاءُ تُسْمِعُ مِنْهَا بُغَامَا
تُشَجِّعُ طِفْلًا وَتَحْنُو لَهُ جِفَقٍ قَدْ لَبَّتْ بَلَاءً تُؤَامَا
بِأَحْسَنَ مِنْهَا غَدَاةَ الرَّحِيـ ـلِ لِقَتْ رَتُلِيكَ ثَأْيًا رُكَامَا

الشاعر هنا يشبّه الصاحبة التي تريه يوم الرحيل جمالها وشعرها الكثيف ، بظبية من ظباء الحساء طويلة العنق ، تنادي صغيرها بصوتها الدافىء الحنون حين تدفعه برأسها ، وتحنو عليه في ذلك الحقف وهو الرمل المعوج الذي أنبت بقلا ً مضاعفًا مزدوجً ا- ؛ فظلال الحسن والدعة تسود المشهد . وكل ذلك ليقول : ليست هذه الظبية بأحسنَ من صاحبته وقت الرحيل.

والأعشى ينتقل في قصيدته حاملا ً ذلك الحنين في قلبه ؛ ليبثّه من خلال تصويره لصاحبته ، وتشبيهها بالظبية الحنون الخذُول ، فيقول[٢] :

---

(١) قيس بن الخطيم ، الديوان ، تحقيق : ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، (ص ٢١٢ ، ٢١٣) .

وبهامشه : (الحساء : جمع حسي : الرمل المتراكم ، عيطاء : طويلة العنق في اعتدال ، البغام : صوت الظبية : ما كان من الخف خاصيّة فإنه يقال لصوته البغام ؛ وذلك لأنه يقطعه ولا يمده ، بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها ، ترشح : رشحت الناقة ولدها ، وهو أن تحك أصل ذنبه ، وتدفعه برأسها ، وتقدمه وتقف عليه حتى يلحقها ، وتقدمه وتتبعه ، الحقف : الرمل المعوج ، تؤم : جمع توأم ؛ يريدنباتًا مزدوجً ا مضاعفًا ، أثيف : يريد شعرها الغزير الطويل ، الركام : المجتمع بعضه بعض) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص ٢٠٩ ، ٢١١) . = =

= وبهامشه : (خذول : خذلت الظبية تخلفت عن صحبها وانفردت فهي خاذل ، النواصف : جمع ناصفة

كخذولٍ ترْعَى النواصفَ من تثـ ـلِ يثفرَ قاخَ لا لها الأسلاقُ

تنفضُ المَرْكَباوالَ بحِ مْـلا جٍ لطيفٍ في جَانبيْهِ انفَلاقُ

في أراكٍ مَرْدٍ يكادُ إذاً متالشمْسُ ساعةَ يُهْرَاقُ

وهيَ تَخْتَلُ العامظَ ئيلا فاترَ الطَّرْفِ في قُوَاهُ انسِاقُ

مَا تَعَادَى عَنْهُ لنَّهارُ ولا تَعْجُوهُ إلاَّ عُفَافَةٌ أو فوَاقُ

مشْفِقًا قَلبُهَا عَلَيهِ فَمَا تَعْدُوهُ قَدْ شفَّ جسْمُهَا الإشلاقُ

وإذا المخَتَالسِّبَاعُ مِنَ للْغِيلِ أمْسَتْ وحَانَ منهَا انطلاقُ

رَوَّحَتْهُ جَيْداءُ ذاهبَةُ لمُلْتَعِ لا خَبَّةٌ وَلا مِغْلاقُ

فاصْبري الفَمْرَ إنَّمَّ لجِسْقٌ للصَّدْعِ في الزُّجَاجِ اتِّفاقُ

يشبّه الشاعر محبوبته بالظبية التي تخلّفت عن صحبها من الظباء لترعى مع ولدها في منخفض الوادي الذي تستقر فيه المياه ، ويكثر فيه شجر الأراك الذي تهزه بقرنيها اللطيفين ، فتتساقط أوراقه وثماره الرطبة واليابسة ، وتحت أغصان الأراك اللينة تتبع الظبية طفلها لين

وهي مجرى الماء والمكان الكثير النبات الخصب ، تثليث : بلد في اليمن ، الأسلاق : جمع سلق وهو القاع ، والقاع : الوادي المطمئن الذي يستقر فيه الماء ، المرد : ثمر الأراك الأخضر ، فإذا نضج وأدرك فهو كباث ، الحملاج : منفاخ الصائغ ؛شبّه به قرنيها ، الأراك : شجر تستعمل قضبانه في السواك ، هراق: هراق الماء وأراقه صبه ، رخصلين ّ ، انسراق : نقص وضعف ، تعجوه : عجت الأم ولدها أنخرت رضاعته عن مواقيته ، وعجته أيض ً ا :أرضعته ، عُفافه : العفافة اجتماع اللبن في الضرع ، الفواق ما بين الحلبتين من الوقت ، شف ّ جسمها : أنحله وأسقمه) .

الغيل : الشجر الملتف ، **جيداء** : طويلة العنق ، **المرتع** : المكان الذي ترتع فيه أي ترعى وتلعب ،**خبّه** : تخبىء درتها ولبنها ، **مغلاق** : من غلق الرجل إذا ضجر أو قلق **حُمّ الأمر** :قُ ِ .

العظام فاتر الطرف ضعيف القوى ؛فهي تحرسه وتعاونه ليقوى ، ومن شدّة حنا ا علـه لا تبتعد عنه طوال النهار ، ولا تؤخر رضاعته ؛ فهي تحرص على وقتها من خلال مراقبته ومعرفة متى يحتاج الإرضاع ،مراعيةًكمّية اللّبن الذي في ضرعها ؛ فهي تؤخر الإرضاع حتى يكون اللبن كافيًا لولدها ؛لأنها لو أعطته ضرعها ليرضع ولم يكن كافيًا كانت سببًا في إزعاجه . ونتيجة لذلك كله ، ولشدّة الإشفاق عليه ، والحنان الذي ملأ قلبها ، ومراقبته ، والحرص عليه أصاب َجسمهَا السقمُوالهزال ُ .

إن الظبية في مراقبة دائمة خوفًا عليه من السباع التي في الأدغال ، وإذا حل ّ المساء وأحس ّت بالخطر ابتعدت عن أماكن الخطر . وفي آخر النهار لا تبيت في المكان الذي كانت ترعى وتلعب فيه في النهار من شدة حنانها وخوفها عليه ؛ حتى لاتعر ّضه للـ طر . وهـ لا تخبىء درتّها بل على العكس تخبىء لبنها حتى يتجمّع له ليشبعه ، ولا تمل ّ مرافقته ورعايته ، ولا تتضجر أو تضيق ؛ بل تسعى إلى حمايته ومراقبته ؛ لتحيطه بالدفء والطمأنينة .

ثم ّ يتوجه الشاعر ليحث ّ تلك الظبية كما يحث نفسه على الصبر ؛ لأن ذلك الحب ، والحنان ، والإشفاق في قلـه لصاحبتهومن قِ بَل الظبية لطفلها لمن يجدي نفعًا أمام القدر المقدّر ؛فلا سبيل للإصلاح ، فصدْع الزجاج لا يلتئم[1] .

إنّ هذهالصورة التي رسمها الشاعر لتلك الظبية ؛ متتبّعًا تفاصيلها وجزئياتها في حركاتها ، وهيكلها ، ومشاعرها تجاه وليدها ؛ ليعبر ّ لنا من خلالها عن جمال صاحبته ، وإعجابه وشدة ولعه بهلكس لنا و َلَع الشاعر خاصة والعربي عام ّة بصورة هذه الظبية ، وتعلُّقُه بها ، وتقبُّلغتى هيئاتها وحالاتها ؛ فوص َف مشاعرها ، وأحاسيس َها من خلال صورة الظبية الأم ، التي تمثل أعمق وأسمى تلك المشاعر .

(١) صر ُّف . الأعشى ، الديوان ، تحقيق محمد حسين ، (ص٢٠٩ ، ٢١١) .

ومن خلال مراجعة الباحثة لدواوين الشعر الجاهلي ، واستقراء الأبيات التي تحوي صورة الظبية الخاذل -تجُ كثير ً ا من الشعراء الجاهليين درجوا على ذكر الخاذل من الظباء ، وهي الظبية التي أقامت على ولدها ، وتظل تسير معه وهي في الوقت نفسه تحاول ألا تبتعد عن القطيع ، فتحاول التقدم نحو القطيع ثم ترجع وتنظر إلى ولدها نظرة حنان ، وعطف ، وحرص ، وترقُّب .

فحنان الأمومة ظهر جليًّا عند الشعراء الجاهليين الذينبرع ّ وا عن حنان الأمومة من خلال التشبيه بالظباء الخواذل . يقول لقيط بن يعمر الإيادي [١] :

بِمُقْلَيْ خاذلٍ أَهْمَاء طاع لها نبْتُ الرياض تزجيٍّ وسْطَه ذرعا

إن الحنان والعطف يشع ّ من عينَي تلك الظبية الخاذل تجاه وليدها ؛ فشبّه الشاعر عينَي الصاحبة بعينَظبية ٍ تخلّت ْ عن القطيع لترعى مع ولدها في أعشاب الرياض ، وعيناها تراقبه .

ويقول كعب بن زهير متغزلا ً بمحبوبته[٢] :

---

(١) لقيط بن يعمر الإيادي ، الديوان ، تحقيق محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، (ص٧٥) .

وبهامشه : (الخاذل : هي التي خذلت صواحبها وانفردت بولدها وتخلفت عن القطيع ، الأدماء : الظبية البيضاء تعلوها بقعة غبراء ، طاع لها : لم يمتنع عليها ، الذرع : ولد البقرة الوحشية) .

والشاعر هو : لقيط بن يعمر . من إياد ، جاهلي .

يُنظَر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، (١ / ١٩٥) .

(٢) كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق : مفيد قميحة ، (ص ٢٦٦) .

وبهامشه : (تطيق :تتخيّل ، المدامع :مجرى الدمع ، الأغنّ الذي في صوته عنة لصِغَره ، غضيض الطرف : فاتره ، والرخص : اللين الناعم ، ظلوفه : جمع ظلف وهو ظفر ضخم مشقوق لبعض الحيوانات ،

أرى أمَّ شادٍّ بها شبهَ ظبيةٍ تطيق بمكحولٍ المدامخِ ذاذلِ

أغنّ غضيضِ الطرفِ رخصٍ ظلوفُه ترودُ بمعتمٍّ من الرّسلِ حائلِ

وترنو بعيني نعجةٍ أفرُّقـــدٍ تظلُّ بوادي روضةٍ وخمائلِ

يشبّه محبوبته التي بدت له في تلك الرسوم بالظبية الكحيلة تسير خلف أمها وتتخلّف عنها ؛ فهي كالشادن الأغن لصغر سنها ، ناعمة الأطراف ، فاترة الطرف تذهب وتجيء للرعي على الرمال الناعمة ، التي يصعب المشي عليها . فالرعاية و الاهتمام ما هو إلا نتاج الحنان والشفقة على صغيرها ، فهي تديم النظر عليه تراقبه في مرعاه بين منابع الماء وبين الشجر والنبات الكثيف .

وكثيرًا ما يشبّه الشعراء المرأة بالظبية لأسباب عدّة وأغراض أرادها الشاعر . ومن هؤلاء الشعراء طرفة بن العبد القائل[1] :

لِ الحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَشَادِنٌ مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ

خذولاً تراعي ربربًا بخميلةٍ تناولُ أطراف البرير ، وترتدي

وطرفة بن العبد يشبّه المرأة بالظبية الخذول التي خذلت صواحبها من أجل ولدها الذي تراقبه ، وتنظر إليه بحرص وخصّ الخذول ؛ لأنها فازعةٌ لوَهَلة مشفقة على صغيرها ، فهي لا تبعد نظرها عنه ، وتمعّنقها وهي منفردة لتراقبه في حنان مما زادها جمالاً وحسنًا .

ترود : تذهب وتجيء للرعي ، المعتم :التام ، ترنّ : تديم النظر) .

(١) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق درّية الخطيب ، لطفي الصقال ، د ط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، (ص ٩) .

وبهامشه : (الخذول : التي خذلت صواحبها وأقامت على ولدها ، الربرب : القطيع من الظباء وبقر الوحش ، الخميلة : أرض سهلة ذات شجر ، البرير : ثمر الأراك) .

وفصل ذلك الحسن عندما قال : (تناول أطراف البر ير) ، فهي تمد عنقها لتتناول ثمار وأغصان الشجرة وثمر الأراك ، ومع هذه الحركة تتساقط عليها الثمار والأغصان وكأنها لها رداء ؛ دلالة على خصوبة تلك الأراضي التي ترعى فيها الظبية وولدها .

ويشبه المثقب العبدي النساء بالغزلان الخاذلات فيقول[١] :

كغزلانٍ خذلن بذات ضالٍ تنوش الدانياتِ من الغصونِ [٢]

يشبّه الشاعر رحيل النساء الجاهليات وهن متطيبات ومتعطّرات بالغزلان التي تخلفت عن القطيع ؛ لحرصها على صغارها ومراقبتهم ، وقد أخذت تتناول من بعيد شجر السدر مع أولادها .

ويقول الحطيئة متغزلاً في محبوبته[٣] :

مُبَتَّلَةٍ يَغْرِي السقيم كلامُها لها جِيدُ أَهْلَةَ العشيِّ خَذُولِ

يتغزل الشاعر بمحبوبته ويشبهها بالظبية الخذول التي ابتعدت وانفردت عن صواحبها ، وأقامت على ولدها . وهذا الانفراد الذي اختاره الشاعر يزيد في جمالها ؛ فقد برز

---

(١) المثقب العبدي ، الديوان ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ط ٢ ، (ص ١٥٤) .

(٢) ضال : مكان أو جبل بعينه ، ويروى بالنون وهو أيضاً جبل في أرض دوس . اللسان (ض أ ل ، ص٤٤٨) . تنوش تاشه بيده ينوشه نوشاً: تناوله .التناوش ، بلا همز ، الأخذ من قُرب ، والتناؤش بالهمز ، من بُعد . اللسان (ن و ش ، ص٧٤٠) .

(٣) الحطيئة ، الديوان ، شرح : أبي سعيد السكري ، دار صادر ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م ، دط، (ص ٨٩)

وبهامشه : (المبتّلة : التي عظم أسفلها ولطف أعلاها وانقطع خصرها ، المبتّلة : السبطة الخلق ، الأدماء : ظبية طويلة العنق والقوائم بيضاء البطن سمراء الظَّهر ، مساكنها الجبال) .

جمال عنقها عندما مدّته لتراقب صغيرها في حذرٍ . وهي من الغزلان الأدم بيضاء البطن سمراء الظهر وهي ترعى في أول النهار، ثم يظهر حسنها وجمالها في آخر النهار عندما تستكنّ في هدوء وطمأنينة مع صغيرها .

ويأمل عبيد بن الأبرص عودة صاحبته فيقول[١] :

وربّما حلّت لميما كأنها عُطبولةٌ خاذلُ

الشاعر هنا يشبِّهها بالظبية التي تخلّفت عن القطيع وانفردت عن أصحابها ، لتبقى مع ولدها لترعاه، فهي تمد عنقها لتراقبه بحرص وحذر مما زادها حسنًا وجمالاً .

ويشبه المرقش الأكبر محبوبته هند بالظبية الخاذل البيضاء التي تخلّفت عن القطيع في المرعى وانفردت مع ولدها لترعى صغيرها وتراقبه لحرصها وحنانها نحوه . وانفراد الظبية بولدها له دلالة ؛ فهو أبْين لحُسنها وجمالها ، فقال[٢] :

فما شبه هندٌ غير أَدْماء خاذلٍ من الوحش مرتاعٍ تراعي طلاً فردا

ويشبّه ابن مقبل صاحبته الحسناء بالظبية الخذول فيقول[٣] :

---

(١) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، (ص ٩٣) .

وبهامشه : (العطبولة : الظبية طويلة العنق ، الخاذل : الظبية التي تخذل الظباء لا ترعى معها ، وتقيم مع ولدها) .

(٢) المرقش الأكبر والأصغر ، الديوان ، تحقيق : كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٩٩٨م ، (ص٥٠) .

وبهامشه : (الأدمة من الضباءلون مشرب بياضاً ، الخاذل : المختلفة عن قطيعها ، الطلا : ولد الظبية) .

(٣) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق :عزّة حسن ، (ص ١٦٦) .

وبهامشه : (جعفى : نسبة إلى جعفى ، قبيلة من سعد العشيرة في اليمن ، ثمر القلوب : الحب والمودة ،

لفتاةِ جَعْفَىَ ليالي تجتني ثمرالقلوب بجيدِ لآخَاذلِ

يصف صاحبته الحسناء التي تخلب الألباب بجمالها وكأن قلوب المحبين ثمر تجتنيه ؛ لما تتميز به من جيد أتلع كأنه جيد ظبية بيضاء خذلت صواحبها ، وأقامت على ولدها ؛ فهي كثيرًا ما تستشرف لهوتمد عنقها حنانًا وحرصًا عليه ، فيبدو طوله وجماله .

ولبيد بن ربيعة يشبه النسوة الراحلات في جمالهن ببقر الوحش في منطقة (عازف) وكذلك بالظباء البيض التي أقامت على أولادها في منطقةالسُّلي) ببلاد عامر ؛ فهي تقيم معه عطفًا ، وحرصًا عليه . يقول[١] :

كلأخذ لمعن هجائن عازفٍ عليها وأرام السُّلي الخواذلا

ويقول بشر بن أبي خازم الأسدي[٢] :

وَمَا لمُزْغِلأُدْمًاأَصْبَحَتْ بَخَشِفِهَا أَبِسَ فَظَلَّ يَادِسَيْ لمُهُتَصَوِّبُ

خُذُولمٌ نالَبِيضِ الخُدُودِ دَنَالهَا أَرِرَ وَالكُثُبَاتِ الخُزَاوَحُ لمَّبُ

بِأَحْسَنَ منهَرَإَاءَتْ وَذُالِهَوَى حَزِينٍ وُكِّلَ نَّالخَلَيطَجَنَّبُوا

الأدم: الأبيض ، يريد الظبية ، والأدمة في الناس السمرة ، وفي الإبل والظباء البياض) .

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص ٢٤٢) .

وبهامشه : (النعاج : بقر الوحش ، العازف : صفة للرسل وهو المصوت ، السلي : موضع في بلاد بني عامر).

هجائن : الكريمة الحسب ،التي لم تعرق فيها الإماء تعريقًا . لسان العرب (هـ ج ن ، ص٤٣) .

(٢) بشر بن أبي خازم الأسدي ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٥٩ ، ٦٠) .

وبهامشه : (مغزل : الظبية التي لها غزال ، الخشف : ولد الظبي أول مشبه ، المنصوب : المنحدر ، الحلب : نبات ترعاه الظباء ، الخليط : الصديق المخالط والقوم الذين أمرهم واحد) .

هنا يشبّه الشاعر محبوبته بالظبية بيضاء الخد ، التي خذلت صواحبها وتخلفت عنهم منفردة؛ لترعى مع ولدها الصغير الذي هو بأسفل الواديمتصوّب المياه كأنه شلا لٌّ متدفق الماء ،وهي بروضات الخزامى وقد دنا لها شجر الأراك والخلّب ،وهو حزين وحسُ ْن هذه الطبيعة لا يمحو حزنه ؛ فهو يريد أن تتراءى له في اليقظة أو في الحلم .

ويقول طرفة بن العبد [١]:

وعَـلى المَتْنَينِ مِنـهـاوارِدٌ حَـسَـنُ النَّبْتِ أثيثٌ مُسبَكِـرّ

جابَهُ المُـدرى ، لهذُوّ ةٍ تَنْفُضُ الضّالَ وأفنـانُ السَّـمُـرْ

بَيْنَ أكنافِ خِـفافٍ فاللِّوَى مُخْرِفٌ لِلحِنوِ خِطْلٌ ظِلِّف حِـرّ

يشبّه المرأة بظبية ترعى مع ولدها ، تحنو عليه في أرض خصبة يكثر بها النبات ، وشجر السدر طيب الرائحة ، فيبدو جمالها أكثر وحسن خلقها ؛ فهي ما زالت في ريعان شبابها تنتقل بكل خفة من مكان إلى آخر .

ثم يشبّهها بمهاة تعيش في موضعي خفاف واللوى ، في فصل الخريف أيام صرم النخيل ، ومع ذلك فهي تحنو وتعطف على ولدها ، وخذلت القطيع لتقيم على ولدها ، وكان ذلكيرأْ ُ لحسنها وجمالها ؛ فهي عيم ، وديارها في خير .

وشبّه خفاف السلمي الصاحبة التي لمح نارها من بعيد بالظبية الخذول ، فقال[١] :

---

(١) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصفال ، (ص ٥٤) .

وبهامشه : (المتنان : ما اكتنف الصلب من اللحم . الوارد الشَّعر المنسدل على المتنين . أثبت ملتفّ . مسبكِرّ :الممتدّ الطول . جابتهالمِدْرَى :غليظة القرن ، لها ذو جُدّة : لها ولد ذو جدة في ظهره ، الضال : السدر البري ، السمر : شجر ، الأكناف : النواحي ، المخرف : التي نتجت في الخريف ، تحنو : تعطف ، لرخص الظلف : تعطف على ولد صغير لم يشتد ظلفه بعد ، الحر : الكريم العتيق) .

عليها خذول كأمِّ الفلـ ـلِ تَقْرُو بذي وِالاً قِصَارا

صتنٌ لروعاته جيها إذا سمعتهْ ـن مغٍّ جؤَارا

هنا يشبّه الصاحبة التي لمح نارها من بعيد بأمّ غزال ، أي بظبية لها غزال صغير تنفرد معه ، وتقصد (ذروة)حيث ترعى الأعشاب ، وهي حريصة على ولدها ، فما إنْ تسمع من صغيرها صوتًا يدل على حاجته لها ، أو فزعِه إلا و تنصّ جِيدها حنانًا ، وحرصًا ، وعنايةً به.

أيضًا يشبه خفاف السلمي محبوبته سلمى بولد الظبية ، فيقول[٢] :

وما إنْ أحور العينين طفلٌ تتبَّعَ روضتيْ قرو السّلاما

بِجَرْوَةَ أو ببطْنِ عقيقِ سِيٍّ يُقيل به إذا ما اليوم صاما

إذا ما اقتفاها فحتَ ْ عليه حثْ من وهد دانيةٍ فناما

بأحسنَ من سلُيمى إذ تراءتْ إذا ما رِيْعَ سدفٍ فقاما

شبه سلمى حين تراءت بحيوان صغير من بقر الوحش أو الظباء أحور العينين في

(١) خفاف بن ندبة السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، (ص ٤٩)

و بهامشه : (الخذول : التي أقامت على ولدها ولم تتبع السرب ، تقرو : تقصد ، الذروة : مكان حجازي في ديار غطفان ، تنض : ترفع ، الروعات : جمع روعة وهي الفزعة ، المفم : نراه هنا بمعنى الفزع ، الجؤار : ارتفاع الصوت) .

(٢) خفاف السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، (ص٨٨) .

وبهامشه : (**أحور العينين** : الشديد سواد المقلة مع شدة بياضها . **يقرو** : يتبع ويرعى . **والسلام**ُ من الشجر **وجْرة** : موضع بين مكة والبصرة . **صام اليوم** : انتصف . وأراد شدة الحر . **اقتفاها** : اتّبعها . وأراد أمه . **الوهد** :المطمئنّ من الأرض. **يعٌ** أُقزِعَ من الرَّوع **السّدف** : ظلمة الليل) .

روضة مخضرة بأنواع العشبوالنباتات والماء ، فهو يرعى فيها حيث نبت السّلام ويتبع أمه التي تحنو عليه ، فينام في وهدة من الأرض ، فقد ينتبه في الليل فزعًا، ولكن سلمى في رأيه أحنّ وأعطف منه .

وهذا التشبيه ضمنيٌّ ، ممتدٌّ بين حرف النفي وأفعل التفضيل ، و((التشبيه الضمني : تشبيهٌ تدلّ عليه العبارة دلالة ضمنية . وقد جاء هذا النوع من التشبيه الذي تتلاحق فيه الأوصاف ، حتى تكون صورة مكتملة على طريقة التشبيه الضمني)) [١] .

بدأ الشاعر بقوله(إنّ أحْورَ العينين) ، ويذكر القصة ، وأوصاف أحور العينين ، ثم أقطْسَ(نَ من سُليمى إذا تراءتْ) .

قال ابن رشيق : ((العرب قد يشبِّهون الشيء بسميّه ونظيره من غير جنسه ؛ كقولهم : عين كعين المهاة ، وجيد كجيد الريم . فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الإنسان والمهاة ، واسم الجيد واقع على هذا العضو من الإنسان والريم... وإنما يريدون أن هذه العين لكثرة سوادها قاربتْ أن تكون سوداء كلّها كعين المهاة ، وأن هذا الجيد لانتصابه وطوله كجيد الريم)) [٢].

((فظبية امرىء القيس واحدةٌ من ظباء وجرة ، ترمق وليدها بين الفينة والأخرى خوفًا عليه وتعلقًا به)) [٣] . يقول امرؤ القيس [٤] :

---

(١) محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، (ص٧٦) .

(٢) ابن رشيق ، العمدة ، تحقيق عفيف حاطوم ، دار صادر -بيروت ، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، (١/ ٢٨٦) .

(٣) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص ٦٠) ،

(٤) امرؤ القيس ، الديوان ، تحقيق : حسن السندوبي ، أسامة صلاح الدين منيمنة ، دار إحياء العلوم ،

تصدّ وتُدي عن أسيلٍ وتتقي بناظرةٍ من وحشِ وجرة مطفلِ

يصف حُسن وجمال محبوبته ، فهي عندما تُعرض تُظهر في إعراضها خلداً أسيلاً تصاحبه عيون ناظرة مثل عيون البقر الوحشي في منطقة وجرة اللواتي لها أطفال ، فهنّ ينظرْن إلى أولادهن بالعطف والشفقة والحنان - لما له من أثر معنوي على أطفالها - حتى يستشعرن جميع لحظات وأحوال ذلك الحنان الأمومي ، وهي تميل بنظرها إليهم ثم تميل بعنقها ميلاً لطيفاً .

ويقول امرؤ القيس بن عابس الكندي[1] :

نظرت إليك بعين جازئة حوراء خاذلةٍ على طفلِ

فلها مقلتها ومقلتها ولها العيمر أو الفضلِ

تعلّق قلبه بمحبوبته ، فأخذ يصفها وكأنها ظبية رشيقة تتحلى بالبشاشة والخفة وهي تراقب ولدها وتعطف عليه . فلها جيد كجيد الغزالة وعيناها كعيني ظبية رؤوم ورقة على صغيرها . وهذه الحركة الخفية والخفيفة التي صورها الشاعر لحركة جسم الظبية ولعينيها ، إنما

بيروت ، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ، (ص ١٧١) .

وبهامش (شرح المعلقات السبع ، دار بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م) : (الصد والصدود : الإعراض ، الإبداء : الإظهار ، الأسالة : امتداد وطول في الخد ، الاتقاء : الحجز بين الشيئين ، وجرة : موضع ، المطفل : لها فل) .

(١) امرؤ القيس ، الديوان ، (ص١٧١)ونُسبت لامرىء القيس بن عابس الكندي ، تحقيق : حسن السندوبي وأسامة صلاح الدين منيمنة ، (ص ١٨٨) .

وبهامشه (ص١٩٠) : (جازئة : ظبية مكتفية بالقليل من الماء عن كثيره فهي لذلك يكون بها ضمور وهيف، حاذة لى طفل : عاطفة على ولدها ، لها مقلدها ومقلتها : يعني لها جيد الغزالة وعينها) .

توحي بالحنان والعطف الدائمين دون كلل أو ملل من قبل الظبية لصغيرها .

ويقول علقمة بن عبدة [١] :

ففاءت كما فاءت من الأدم مُغْزِلٌ ببيشة رتع في أراكٍ وحلّبِ

يشبّه الشاعر المرأة البيضاء بالظبية الأدماء ؛ ليبرز جمال جيدها وطوله .وكذلك يشبّه عينيها بعينَي الظبية ذات الغزال الصغير ؛ فهي دائمة النظر إليه تراقبه ولا يغيب عن ناظرها وهو يرعى بين شجر الأراك والحلب ؛ لحرصها وحنانها عليه.

ويشبّه عمرو بن قميئة صاحبته التي أفسدت عقله فضلّلته عند الفراق ، فهي تنظر إليه وكأن نظراتها نظرات ظبية ربي غيرها ، وتراقبه ، وترعاه في حذر وحنان ، وفي مأمن عن الافتراس . يقول في ذلك [٢] :

تامَت فؤادك يوم نيّهم عند التفرّق ظبية عُطُلُ

شنفت إلى رشأٍ تربّيه ولها بذات الحاذ مُعْتَلَجُ

(١) علقمة بن عبده ، الديوان ، تحقيق : سعيد نسيب مكارم ، (ص ١١) .

وبهامشه : (الأدم : نوع من الظباء البيضاء اللون ، مغزل : ظبية ذات غزال ، بيشة : قرية في بلاد اليمن ، أراك:نوع من الشجر ترعاه الماشية ، الحلّب : نبات ينبت في أيام الحر بشطآن الأودية تأكله الشياه والظباء) .

(٢) عمر بن قميئة ، الديوان ، تحقيق : خليل إبراهيم العطيه ، (ص٥٢) .

وبهامشه : (العطل : التي لا حلي عليها ، الشنف : النظر بمؤخر العين أو نظر فيه اعتراض ، الرشأ : الظبي إذا قوي ومشى مع أمه ، الحاذ : نبت واحدتها حاذة ، وسمي به موضع بنجد كثير الأسود . معجم البلدان ٣ / ١٨٢) .

ويشبّه عمرو بن شأس الأسدي عينَي محبوبته بعيني ظبية فيقول[١] :

لها مقلتا وحشيةٍ أم جؤذرٍ وأتلع نهّاضٍ مقلدُ لجُ ل

يشبّه عيني محبوبته بعينَظبيةٍ لها طفل تحن عليه ، فهي لا تكف عن مراقبته والحرص عليه .ويشبّه جمال وطول عنقها بعنق هذه الظبية حين تمدّه حتى تراقب صغيرها الذي له جرس صغير قد عُلق في عنقه ، والظبية لا تكتفي بسماع صوت الجرس على صغيرها وهو يلهو في المرعى من مكان إلى آخر ؛بل تظل تراقبه بعينيها لشدة حنانها وتعلّقه به .

وكذلك الشاعر أبو الحنان الهذلي لم يخلُ شعره من الحديث عن حنان الأمومة عند الظبية فيقول[٢] :

لها عينهلةَ أمّ طفلٍ وجيدأُحمخُّتلس ُ البغام

فهو يشبّه المرأة بظبية لها طفل تراعيه وتحن عليه وتترقبه ؛ فعيناها كعينَي هذه الظبية التي تتبع هذا الصغير بكل حنان وعطف . وكذلك يشبه حسن جيدها وجماله بجيد الظبية ، وصوتها بصوت الظبية الرخيم عندما تنادي ولدها بأرخم ما يكون من صوتها الحنون الرؤوم.

---

(١) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، مطبعة الأدب ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، دط ، (ص ٥٢) .

وبهامشه : (أتلع : عنق طويل ، الجلجل : الجرس الصغير الذي يعلق بأعناق الدواب) .

(٢) أبو الحنان الهذلي ، واسمه زياد بن عبله السهمي ، ديوان الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، راجعه : محمود شاكر ، (ص٨٩٧) .

أحمّ : أسود . مختلس : **الخلس** : الأخذ في نهزة ومخاتلة . اللسان (خ ل س ، ص١٧٥) . **البغام** : بغام = =الظبية صوتها . وهي بغوم : صاحت على ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . لسان العرب (ب غ م، ص٤٦٦) .

ويصور لنا الأعشى أجمل صور حنان وحرص الأمومة فيقول[١] :

فِيهِنَّ مَخْرُوفُ الوَشِيمِ مَسُوقُ البُغَامِ ثِلَدِنٌ أَكْحَلْ
صِخَبٌ أَحَمُّ المُقْلَتَيْنِ ضَعِيفُ الكَنِينِ لِلْأَقِنِ خَذِلْ
تَعِلُّهُ رَوْعَى الفُؤَادِ وَلَا تَحْرِمُهُ عُفَافَةً فَجَنِلْ
تُخْرِجُهُ إِلَى الكَنَاسِ إِذَا الـ ـتَجَّ بِنَابُ الأَيْكِ الأَطْحَلْ
يَرْعَى الأَرَاكَ ذَا اللِّكَاءِ وَذَا الـ ـسَّدِّ وَزَهْرًا بَهْكُنًا خَضِلْ
تَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ تَبَاعَدَ أَنْ تَغْـ ـنَى بِهِ مَكَانَهُ فَيَضِلْ

يشبّه الأعشى صاحبته بالظبي الصغير الذي تقوم أمّه على رعايته والعناية به ، أكحل العينين ، صاحب الصوت الرخيم الرقيق الحنون فهو يصيح في صوت ملؤه الحنان والعطف حين تعانقه أمّه ، التي تحرص على رعايته وترضعه كلّما اجتمع اللبن في ضرعها ؛ حتى لو كان قليلاً ، فهي شديدة الحرص والفزع عليه ، ففؤادها معلّق به ، وهي لا تخرجه إلا في مأمن بين الأشجار حتى تستره وتخفيه ؛ خوفًا عليه حين تختلط أصوات الذباب بين الأغصان المتشابكة. وتضل مشفقة عليه وهو يرعى بين شجر الأراك ، فتضل تراقبه بعينيها تخشى عليه أن يضل إذا

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص ٢٧٥) .

وبهامشه : (خرفت البهائم : أصابها مطر الخريف فأنعت لها ما ترعاه فهي مخروفة ، النواصف : جمع ناصفة وهي ما اتسع من الوادي ، بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها ، شادن : شدن قوى وترعرع ، أكحل : أسود العينين ، رخصيضن طريّ ، أحمّ : أسود ، الزجل : رفع الصوت ، تعله : تسقيه مرة بعد أخرى ، روع الفؤاد : فزعة فهي ترتاع ، العفافة : بقية اللبن في الضرع، الكناس : بيت الظبي في الشجر يستتر فيه ، التجت الأصوات : اختلطت ، الأطحل : لون لبن الغبرة والبياض كلون الرماد ، الأراك : شجر يتخذ من قضبان السواك ، البرير : ثمر الأراك ، أوله كباث ، ثم مرد ، ثم برير ، خضل : مبلل بالندى) .

ابتعدت عنه حنانًا وحرصًا عليه .

والنابغة الذبياني يشبه النساء العاطفات بالظباء العاطفة على أولادها ، فيقول[١] :

يَخُطِّطْنَ بالعِيدانِ في كلِّ مَقْعَدٍ وَيَخْبَأْنَ رُمَّانَ الثُّدِيِّ النَّواهِدِ

ويضربْنَ بالأيدي وراءَ براغزٍ حِسانِ الوجوه كالظباء العواقدِ

هنا يشبّه النساء الجميلات اللواتي يعطفن على أولادهن من خلال مرافقتهن ، وضمهن ؛ لمؤانستهن -بالظباء في حسن أعينهن وجمالها ، وطول أعناقهن عندما يعطفن ويرأمن على أولادهن ، فخير وسيلة لذلك هي الأعين التي لا تفتأ عن مراقبة الصغار ، والأعناق التي تمتد بين الفينة والأخرى لمراقبة ذلك الصغير سواءقَرُب أو بعُد ، وما كان ذلك إلا بدافع الحنان والعطف .

ويصف عمرو بن شأس الأسدي عيون النساء الناظرة ، فيقول[٢] :

يَظَلْنَ من خَلَلِ الخُدُورِ كَما تَظَلُّ دوامجُ أُيْكَةٍ كُحْلُ

فِيهِنَّ جَازِيَةٌ إذَا بَغَمَتْ تَخْشَى السِّبَاعُ غَدَا لها طِفْلُ

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، د ت ، (ص ١٣٩) .

وبهامشه : (يضربن بالأيدي أي يلزمن أولادهن ، ويضممنهم إليهن تأنسًا بهم ، وشبه أولادهن بالبراغز ، والبرغز : ولد البقرة ، والعواقد : التي مدت أعناقها ، ويقال : هي التي تثني أعناقها ، ويقال : هي العاطفة على أولادها) .

(٢) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، (ص٤١) .

وبهامشه : (دوامج أيكة : أي الظباء في كناسها) .

الخدور : ستر يمد للجارية في ناحية البيت . اللسان (خ د ر) .

هنا يشبّه العيون الكحيلات للنساء الجميلات وهن في خدرهن بعيون الظباء في كناسها ، ومن بين تلك النسوة يصف إحداهن ويشبهها بالظبية التي قطعت الحنين ؛ فهي تصيح على ولدها بصوت رخيم خوفًا عليه من السباع .

وقال النابغة الذبياني [١] :

كأنّ الشَّذْرَ والياقوت منها على جَيْداءَ ذِي البُغَامِ

خَلَتْ بالوَدْيِ ودنا عليها أراكُ الجَزْعِ فالسَّنَامِ

يشبّه الصاحبة الجميلة بالظبية طويلة العنق ، صاحبة الصوت الناعم المليء بالحنان والدفء ، وقد تركت القطيع وانفردت مع ولدها ، وما زالت تراقب القطيع يمينًا وشمالاً ، فيبدو جمال عنقها وحسنه ، وقد قرب ودنا منها شجر الأراك الذي على جانبي الوادي .

ويشبّه أوس بن حجر صوت القوس ، وكأنه صوت حيوانات ذات أطفال تحثّهن على الرعي في ذلك المرعى المنخفض الخصب ، فيقول [٢] :

يخرُّ نَ إِذْ نَزْقَ سائقِ الدَّوِّ وإنْ كانَ يوماً ذا أَهَيْبٍ مُخَمَّلا

خُوارَ المطافيلِ المُلَمَّةِ الشَّوَى وأَطْلائِها صادَ فْنَ عِرنانَ قَبَّلا

---

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص ١٣١) .

وبهامشه : (الشذر : شيء يعمل من فضة أو ذهب ، الجيداء : الظبية الطويلة العنق ، البغام : الصوت ، الجزع : جانب الوادي ، سنام : جبل) .

(٢) أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، (ص ٩٠) .

وبهامشه : (**الخوار** : من أصوات البقر والغنم والظباء والسهام . هذا قول ابن سيده . اللسان (خ و ر) = = المطافل : ذوات أطفال ، الشوى : الأطراف ، أطلاؤها : أولادها ، وعرنان : واد واسع في الأرض منخفض) .

في شرح هذا البيت يقول ابن منظور : ((إذا أنفذت السهام خارت خوار هذه الوحش ، والمطافيل : التي تثغو إلى أطلائها وقد أنشطها المرعى المخصب ، فأصوات هذه النبال كأصوات تلك الوحوش ذوات أطفال))[١].

وقد جرت عادة الشعراء في تشبيه المرأة بالظباء ؛ لأنها أطيب الحيوانات رائحة ، ويقال : ((ليس في البهائم أطيب أفواهًا من الظباء))[٢] ؛ ولهذا كانت العرب تشبه الطيب الرائحة بالظبي .

ويشبّه الأعشى رائحة صاحبته وخاصة رائحة ثغرها برائحة ثغر ظبية لها غزال صغير تراعيه وتتبعه في المرعى ، وهي ترعى على ثمر الأراك الأخضر اليانع النضر ؛ مما أكسبها تلك الرائحة الزكية ، فيقول[٣] :

وجِيدُمُفْقِةٍ تَقْوُ وجَنِلُهَ مِنْأَيَعِالِوَ مَا احْلَلَ وَمَا طَابَا

ويفتخر تأبط شرًا بنفسه ، فيقول[٤] :

كَأَنَّ حَثْحُثُصًا قوادمهُ أو أمَّ خِشْفٍ بذي شثٍّ وطُبَّاقِ

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، (خ و ر ، ص ٢٤٥) .

(٢) أبو عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (٢/ ١٥٥) .

(٣) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣٦١) .

وبهامشه : (مغزلة : ظبية ذات غزال صغير ، قرا الشيء : تتبعه ، يانع : مشرق نضر ، المرد : ثمر الأراك الأخضر) .

(٤)تأبط شرًا ، الديوان ، تحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، (ص١٣٢) .

وبهامشه : (حثحثوا : أي حثوا ، ويعني بحص القوادم ظليما قد تناثر ريشه ، وأم خشف : أي ظبية ، الشث والطباق : هما نباتان يقويان الراعية ويضمرانها) .

الشاعر يشبّه نفسه في شدة عدْوِه بظبية لها صغير تحنو عليه وقد تغذت بنباتَي (الشث والطباق) ، وهما مما يقوي ويشد اللحم ،فجُمعت للظبية عوامل السرعة المعنوية : (وجود الصغير) ، والمادية : (الغذاء الجيد) .وكل ذلك كناية عن شدة سرعته وعدْوه .

ويقول طفيل الغنوي [١]:

كأن الرعّاث وَالسلوّس َ تصلْصلَ ْ على خشُشَاوي جأْبِ القرنمِغزلِ

هنا يشبه الفتاة الجميلة التي تلبس الرعاث والسلوس بظبية ذات ولد تحرص وتعطف عليه .

ويشبه الأعشى صاحبته بظبية من ظباء خساف ، فيقول[٢] :

ظبية من ظباء بطن خُساف أمّ طفلٍ بالجوّ غير ربيبِ

يشبه الأعشى صاحبته وكأنها ظبية من ظباء خساف ـ وهي منطقة بريّة بين با س وحلب ـ تراعي طفلا ً لها في ذلك الوادي ، فقد حظي بكل عنايتها واهتمامها ، فلم يربّه أحد بل أمه التي قامت على تربيته ، وكان موضع حنان وعناية أمه له .

ويشبّه لبيدُ بن ربيعة النساء الجميلات البيض في الهوادج بالظباء خالصات البياض ،

(١) طفيل الغنوي ، الديوان ، تحقيق : حسان فلاح أوغلي ، دار صادر بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، (ص٨٥). وبهامشه : (الرعاث : يكون من العهن يعلق على الهودج ، والسلوس :خيوط تنضم لؤلؤ ًا واحدها سلس ، والخششاء : العظم الذي يطول خلف الأذن ، الجأبة: العظيمة ، المغزل التي معها غزالها وهو ولدها).

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣٣٣) .

وبهامشه : (بطن خساف :بريةّ بين بالس وحلب ، الجوّ : ما انخفض من الأرض وما اتسع من الوادي) .

الربيب : الربيبة : واحدة الربائب من الغنم التي تربيها الناس في البيوت لألبانها ، واحدتها ربيبة ، بمعنى مربوبة ؛ لأن صاحبها يربيها . اللسان (ر ب ب) .

متحنّنات على صغارهن ، فيقول[١] :

وَلُجٍّ كأنّعاج توضح فوقها وظباءُ وَجْرَةَ عُطَّلًا آرامُها

وهو مثل غيره من شعراء الجاهلية يشبّه النساء الجميلات بالظباء ، فيقول في رثائه للنعمان كُرِ ما كان يتمتع به من الملك والنعمة والثراء [٢] :

سُتُقٌ وأطْفَلَ طُلْيُفٍ كأنهاَّ حوَانٍ على أطْئِهِنَّ طَافِلُ

فهو يعدّد أوجهًا من ذلك الملك والثراء ؛ ومنها : ما كان في مواكبه من النساء الجميلات اللاتي يشبهن الظباء الحانية على أطلائها .

والمُلاَحظ أنّ الظباء جاءت في تشبيهات المرأة بأوضاعها المختلفة ، ويأتي كذلك في المقدمات الطللية وصفًا لهذه الظباء وذكر حنان الظبية كثيرًا ما ورد في موطنَين في القصائد الجاهلية :

الأول : ما كثُر فيه ذكر حنان الظباء هو (اللوحة الطللية) حين يصف الشاعر ديار الأحبة التي هجرها أهلها ورحلوا عنها ، فصارت بعدهم مألفًا للظباء والنعام، وبقر الوحش. وهنا تقف الظباء الراتعة مع صغارها في دعةٍ وأمنٍ ؛كنايةً عن بُعد عهد الديار بالناس .

يقول وهب روميه :كان لبيد مولعًا بالظبية يحنّ إلى التقلب بين جنباتها ولا يكاد يطيق صبرًا على تلك الأغراض التي لا تصله بها وصلاً حارًا.....ومضينا نسأل الأطلال أن

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٣٠٠) .

وبهامشه : (لجاً : جماعات ، وتوضح ووجرة :اسمان لمكانين ، عُطّفًا : منعطفات متحننات) .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٢٦٢) .

وبهامشه : (حوانٍ : متعطفات ، الأطلاء : الصغار ، مطافل : ذوات أطفال ، المصيف : التي تنتج في الصيف).

تحدثنا ألفينا أنفسنا أمام إحساس بالحياة ناضر لا يذوي ، هو إحساس الشاعر الذي يرفض فكرة الفناء والتلاشي ، وهو لذلك يحصن نفسه أو أطلاله ضد هذا الفناء ، فقد درست المنازل في تلك المواطن التي يعددها موطنًا موطنًا ، ولكن لبيد لا يذعن لهذه الدروس ، ولا يرضى للحياة في تلك المنازل أن تذبل وتندثر)) [١] .

ومن الصور الدالّة على ذلك قول لبيد [٢]:

والخاذلاتُ مع الجآذر خلفةً والأُدْمُ حانية مع الغزلان

إنه من خلال هذا البيت يبث الحياة في تلك الديار الصامتة ، والتي يتواجد فيها قطيع من الظباء ومنهن الظبية الخاذلة التي تركت صواحبها لترعى ويتبعها ولدها ، كذلك الظباء البيض العاطفة على أولادها .

أما المرقش الأصغر فيقف باكيًا على رسم الدار التي صارت مألفًا للظباء والبقر فيقول[٣] :

مأَنِ رَسْمُ دارٍ ماءُ عينيك يسفحُ غدًا من مقامٍ أهلُهُ وترو حوا

تزجّي بها خنْسُ الظباء سِخالها جآذرُها بالجوّ ورد وأصبحُ

---

(١) وهيب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص٣٩٠) .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص١٤٠) .

وبهامشه : (**الجآذر** : أولاد البقر ، **الآدم** : الضباء البيض ، **خلفة** : مختلفة تذهب وتجيء ، **حانية** : عا فة على أولادها) .

(٣) ديوان المرقّشين : الأصغر والأكبر ، تحقيق : كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، (ص٨٧) .

وبهامشه: (تزجّي تسوق سوقًا ضعيفًا ، الخنس : جمع خنساء وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه، سخالها : = =أولادها ، الجأذر : وهو ولد البقرة ، الورد : الذي تعلوه حمرة ، و الأصبح : أشد حمرة منه) .

فهو يتأمّل ديار الأحبّة الراحلين ، فيرى بها تلك الظبية الجميلة التي تحنو على صغارها،وتدفعهم في حنان وعطف في منطقة الجوِّ . ثم يصف جمال صغارها وألوانهم ، فمنهم ما لونه ورد ، ومنهم ما لونه أصبح .

ويفتتح أوس بن حجر قصيدته على عادة الشعراء الجاهليين بذكر محبوبته ، وذكر الأماكن التي كانت تنزل فيها[١] :

تنكّر بعدي من أميمة صائفٌ فبركٌ فأعلى توأَمَيْ فللخالفُ

فقفٌّ فرهمَى فالسلّيلُ فلاغبٌ مطافيلُ عوذٌ الوحش فيه عواطفُ

ثم يقول :

بها العينُ والآرامُ تُعسِرُ خالُها طفيمٌ ودانٍ للفطامِ وناصفُ

يصف أوس تلك المنازل والديار التي رحل عنها أهلها فصارت مألفًا للظباء وبقر الوحش ، من ذوات الأطفال ؛ حيث تظل معهم تحنو وتحرص عليهم . ثم يوحي لنا بكثرة هذه الظباء والبقر الوحشية المتنوعة بسخالها ما بين فطيم ودانٍ للفطام ، وما كان بين الفطام والدنو منفهو بذلك يعطينا صورة عن الحنان والرعاية من قبل الأم لصغارها .

ويقول طرفة بن العبدفي وصف لوحة الطلل [٢] :

---

(١) أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، (ص ٦٣) .

وبهامشه : (توأم واد بين اليمامة وهجر ، رهبى : خبراء في الصمان بديار بني تميم ، السليل : اسم واد ، وعاذب : واد أو جبل قريب من رهبى ، العين : بقر الوحش ، الأرام : الظباء ، سخالها : جمع سخل وهو ولد الظبي ، الناصف : الذي بين الفطام والدنو منه) .

(٢) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصفال ، (ص ١٦٤) .

وبهامشه : (تقرو : تقصد ، والأسرة : جمع سر : وهو من الوادي أكرم موضع فيه) .

سِوَى مَلَقٍ تَقْوُو أَتَانٌ وجُؤْذِرٍ يَعْتَلِي كَنَسِ

عندما يصف لوحة الطلل فهو يصف ما فيها من حيوانات ، ومنها الظبية التي معها صغيرها ترافقه في الرعي وتحنو عليه ، وهو يرعى في ذلك الكنس .

ويصف كعب بن زهير الطلل الذي صار مرتعًا للظباء ، فيقول[١] :

فَلَمْ تَزُلْ كُلُّ غَنَّاءِ البُغَامِ مِنَ الـ ـظِّبْرَاءِ عَيَّاقٍ دَخَرِقَا

فهو يشبه الشاعر صوت صاحبته في حسنه ورقته ، بصوت الظباء الحسان التي ترتع برخاء ودعه في ذلك الطلل مع أولادها الصغار ، فتسمع أصواتها الغناء في جنبات ذلك المكان وهي تصدر ذلك الصوت عند حنينها على أولادها ، واختار صوت الظبية التي تتفقد وتسهر وترعى صغيرها الذي لا يقوى على حماية نفسه لصغره ، وضعفه ، فبغامها أشد ما يكون ؛ لشدة حنينها .

يقول لبيد بن ربيعة [٢] :

فَعَلَا فُرُوعَ الأَيْهُقَانِ وأَطْفَلَتْ بِالجَلْهَتَيْنِ ظِبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا

والعِينُ سَانِحَةٌ عَلَى أَطْلَائِهَا عُوذٌ تَأَجَّلُ بِالفَضَاءِ بِهَامُهَا

كنس : الموضع . الكنس كسْح القامة عن وجه الأرض . اللسان (ك ن س) ، (ص٧٤٠) .

(١) كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق : مفيد حميحة ، (ص١٠٦) .

وبهامشه : (الغناء : من الغنة وهي صوت يخرج من الأنف في رقة وحسن ، والبغام : حنين الظبية إلى ولدها، العاقد : الذي عقد عنقه ونام ، والخرق : الضعيف القيام لصغره) .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

وبهامشه : (الأيهقان : جرجير البر ، الجلهتان : جانبا الوادي ، أطلائها : أولادها ، تأجل : تسير أو تتجمع= =قطيعًا قطيعًا) .

هنا لبيد بن ربيعة يسحر أسماعنا ولم نسمع ، ويسحرأبصارنا ولم نبصر عندما يجول بخيالنا ، ويصف أمومة الظبي وحنانها على أولادها ، فهي تتبادل في حنين وعطف مع صغارها تلك الأصوات حين ترضع هؤلاء الصغار في المراعي التي يسمع فيها خرير مياه السيل الذي علا وارتفع على فروع أعشاب البراري ، في تلك المرابع التي تكاثرت بها الظباء وأولادها ترعى على جانبي الوادي ، وهي ساكنة مطمئنة مجتمعة تسير قطيعًا قطيعًا ؛ دلالة على الاستقرار في تلك المرابع .

الثاني :الذي ذُكر فيه حنان الظباء على صغارها هو : أن تعرض للشاعر خلال رحلته في الصحراء ظبية ذات صغير تقوم على رعايته والعناية به . فهو هنا يسف ما يشاهد ، لكن هناك يستحضر صورة في الذاكرة مخزونة ، ألّف عناصرَ ليصف محبوبته . كقول ابن مقبل[١] :

وطافت بنا مُشْرِقٌ حُرَّةٌ بهِ رَجْاب تَنتابسُدرًا وضَالا

ترعاهُ حِجّ إذا أظلمتْ تأوّتْ فأزجَتْ إليها غزالا

غزالُ خَلاً تصدّى لَهُ لِتُرْضِعَهُ رَأْوعُلاَ لا

بِخَلِّ بَزُوخَةَ إذ ضَمَّهُ ثَكِ يلَعُوَيْرٍ فَغَمَّالحَبالا

فليسَ لها مَطْلَبٌ بعدما مررَنْ بِفَرْتاجَ خَوصَاءِ جالا

(١) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص ١٧٠ ١٧١) .

وبهامشه : (المرشق من الظباء : التي تمد رأسها وتنظر ، فهي أحسن ما تكون حينئذٍ ، وهرجاب : اسم واد، والسدر : شجر النبق ، والضال : شجر صغير دقيق العيدان ، تأوت : أي أوت إلى خدرها ، وأزجت إليها غزالاً : ذهبت إليه وساقته أمامها ، الدرة : اللبن الذي يدر ، والعلال : بقية اللبن في الضرع ، الخل : الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة ، بزوخة : رملة من وراء النباج قبل طريف الكوفة ، والعوير : كثيب عظيم من الرمل ، والحبال : يريد بها حبال الرمل ، وفرتاج : معوض بين النباج وخل بزوخة والكوفة ، والخوص : جمع أخوص وهو ضيق العين وصغرها وغؤورها) .

خلال ترحال الشاعر تطيف به ظبية وشق تمدّ رأسها وتنظر ، فيبدو جمالها وحسنها في منطقة وادي (هرجاب) ترعى السدر والضال مع صغيرها ، لتغدق عليهم ذلك الحنان والعطف ، وتظل ترعى حتى إذا أظلم الليل أوت إلى خدرها حيث صغيرها الذي تسوقه أمامها حتى ترضعه من لبنها إن قلّ أو كثر .

وبشر بن أبي خازم يصف الظبية ، فيقول[١] :

تَعَرَّضَ جَبْأَةُ الـمِـدْرَى خَـذُولٍ بِصَاحَةِ يَلْـبَـقَـهَا السَّلَامُ

وصاحِ بِهَا فَغَضَّ الطَّرْفَ أَحْوَى يَضُوعُ فُؤَادَهَا مِنْهُ بُغَامُ

يشبّه تعرّض صاحبته له ، بتعرّض ظبية لها ولد صغير غضيض الطرف ، إذا سمعت بغامَه -أي صوته- يروع فؤادها خشيةً عليه ،وحنانًا وحبًا له .

أخذ الشاعر الجاهلي يصف الظباء ، ويصف حنانها وحرصها على أولادها ، وأساليب ذلك الحنان ؛ من خلال وصف النساء الحانيات بتلك الظباء الحانية على أولادها يصوّر ذلك الحنانَ امرؤ القيس ، فيقول[٢] :

وفوقَ الحوايا غزلةٌ وجذَرٌ تضمَّخْنَ مِسكٍ ذكيٍّ وزَنْجَبِ

فهو يصف النساء في الهوادج ومعهن الفتيات الجميلات اللاتي تعطّرن بالمسك -

(١) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزه حسن ، (ص٢٠٨) .

وبهامشه : (المدرى : القرن ، وجأبة المدرى : غليظة القرن ، وصاحة : اسم موضع ، والأسرة : بطون الأودية، غضيض الطرف : فاتر العين ، أحوى : أسود ليس بشديد السواد يضرب لونه إلى خضرة ، والبغام : صوت الظباء) .

(٢) امرؤ القيس ، الديوان ، تحقيق : حسن السندوبي ، (ص١٥٥) .

وبهامشه : (غزله وجأذر : غزلان وأولادها ، تضمخن : تعطرن) .

بأولاد البقر التي تتلو أمهاتهاالتي تفوح منهنّ رائحة العشب والنبات والأزهار . فا علاقة بين النساء وفتياتهن والبقر وأولادها هي علاقة الحنان والعطف والرحمة .

ويصف مضرّس بن ربعي الظباء الخواذل بالنصارى السُّجد ، فيقول[١] :

وسخالٌ ساجيةُالعيونِ خواذلٌ بجمادِ يَ ةَ كاللّرى السُجدِ

يصف هنا أولاد الظباء فاترة الطرف التي تخذل القطيع لتبقى مع ولدها ترعاه وتحن عليه في منطقة عالية مرتفعة عن الأرض ، وكأنهم النصارى السُجّد . فالشاعر يصور الظباء التي ترخي رأسها لتأكل من نبات الأرض بالنصارى السُجّد الذين يرخون رؤوسهم للعبادة .

ويشبّه امرؤ القيس فرسه بالغزال فيقول[٢] :

كأنهَّا عنزُبطرِوادٍ تعدُو وقلأُفْدَ الظِّلَ

وهنا يمدح امرؤ القيس فرسه ويشبّهها في شدة عدْوها بأنثى الظباء التي ذهب عنها صغيرها ؛ فهي تطلبه كوالهة ؛ لشدة حنانها وحرصها عليه .

وكلّما مضت الباحثة في البحث وجدته يركز على إحساس الشاعر بعمق ، فحنان الأمومة عند الحيوان ليس من السهولة أن يشبّهه أو يصفه أي شاعر ، فلا بد أن يكون الشاعر صاحب حسٍّ مرهف يعي ويُعنَى بأدق التفاصيل عند الحيوانات من حوله ؛ لأن كل فعل

(١) ديوان بنيأسد ، الديوان ، مضرّس بن ربعي بن لقيط الأسدي ، شاعر جاهلي . جمع وتحقيق : محمد علي دقة، دار صادر بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م ، (ص٢٦٦) .

وبهامشه : (السخال وهي ولد الشاة من المعز والضأن ذكرًا كان أو أنثى ، ساجية العيون : فاترة الطرف ساكنته ، الجماد :مفردها الجُمد -بضم الجيم والجَمَد وهو : ما ارتفع من الأرض)

(٢) ديوان امرىء القيس ، تحقيق : حسن السندوبي ، (ص ٢٠٤) .

وبهامشه : (عنز : غزالة ، تعدو : تشب في عدوها) .

يصدر منها له مسبِّ لا يعيه إلا صاحب ُهذا الإحساس العميق ، فيصو ّره .

وفي ضوء استقراء النصوص الشعرية الجاهلية التي تختص بالظباء ، بدا أن الشاعر الجاهلي عبر ّ عن حنان الأمومة عند الظباء بالتشبيه والكناية . والتشبيه بالظباء نجده في بعض المقدمات الطللية ، حينما يتذكر ديار صاحبته ويعدد صفاتها ، فيشبهها بالظباء مع صغارها تارة وبالظباء الخواذل أخرى ، وهي التي تركت القطيع وانفردت مع ولدها بدافع الحنان والعطف.

وقد ظهر حنان الأمومة عند الظباء من خلال تشبيه عيون النساء بعيون الظباء التي تراقب وترمق صغيرها بحنان ، وتشبيه رائحة النساء برائحة الظباء التي ترعى مع أولادها في المراعي الخصبة الممتدة .والشاعر الجاهلي شاعر مرهف عميق الإحساس يشبّه الأصوات من حوله بصوت الظبية الحانية على أولادها .

وظهر وصْفهم لحنان الأمومة عند الظباء من خلال وصفهم للأطلال ، والديار المقفرة،فعبّروا عن ذلك بأنها صارت ْ مأْلفًا للظباء وصغارها . وكذل عند وصفهم للرحلة ، وما يقع تحت ناظرهم من ظباء حانية على أولادها ، ومن خلال وصف الصاحبة وكأنها ظبية تعطف على صغارها وكذلك وصْف صوتها الحنون الرقيق وكأنه صوت ظبية رؤوم على صغيرها ، ووصفهم لظبية وهي ترعى في المرعى مع أولادها وقد شدّها الحنان والحرص عليهم .

فالشعراء الجاهليون استطاعوا بعمق إحساسهم ومشاعرهم أن ينقلوا لنا بواسطة هذه الأساليب الفنية حنان الأمومة وحرصها عند الظباء ، وقد تبين للباحثة من خلال الاستقراء والفحص أن الشعراء الجاهليين تناولوا في أشعارهم حنان الأمومة عند الظباء أكثر من حنان الأمومة عند الناقة ، وأن الأبيات الشعرية التي تحمل في طياتها حنان الأمومة عند الظباء تفوق الأبيات الشعرية التي تحمل في طياتها حنان الأمومة عند الناقة ؛ على الرغم من أن الناقة قد

خصّ ها الشعراء بنصيب وافر من فنّهم ، وهي الرفيق الدائم للشاعر الجاهلي في حله وترحاله ، وهي المخلِّص من الآلام ، وهم يلوذون بحماها، وقد خلعوا عليها مشاعرهم الإنسانية من حبٍّ، وحنانٍ، وشوقٍ .

وهنا يُطرح التساؤل لماذا صوّر الشعراء الجاهليون حنان الأمومة عند الظباء أكثر من تصويرهم لحنان الأمومة عند الناقة ؛ على الرغم من ارتباطهم بالناقة أكثر من الظباء ؟

ونقول : قد يرجع السبب إلى عشق الرجل الجاهلي عمومًا والشعر خصوصًا للمرأة ، وعلاقته الوطيدة بها ، وحبّهُ لها ؛ فهو يرى أن هناك صلةً قوية بين المرأة والظبية تتمثل بالجمال المادّي ؛ كالعين والجيد ، والرائحة ، إلى غير ذلك . ويتمثل الجمال المعنوي في عمق الإحساس والمشاعر النفسية الجيّاشة ؛ كالحب ، والشوق ، والحنان ، والعطف . هذا رأي الباحثة ، ويبقى السؤال مطروحًا للنقاش .

ثالثًا : حنان الأمومة عند البقر الوحشي

عرَف العربي الجاهلي كل ما يحيط به في بيئته ، ومنها حيوانات الصحراء التي كان يعيش فها ، وقد تردّدِ كر تلك الحيوانات في قصائده ، ومنها البقر الوحشي .

ويذكر ابن منظور أن ((البقر : اسم جنس . ابن سيده : البقرة من الأهلي ، والوحشي يكون للمذكر والمؤنث ، ويقع على الذكر والأنثى ؛ قال غيره : وإنما دخلته الهاء على أنه واحد من نس . والجمع : البقرات . قال ابن سيده : والجمع :بَقَرٌ ،وجمع البَقَرِ :أَبْقُرٌ))[١].

والبقر الوحشي : يشمل أربعة أصناف : المها ، والأيل ، واليحمور ، والثينل ؛ وكلها تشرب الماء في الصيف إذا وجدته ، وإذا عَدِ مَته صبرت عنه .

والبقر الوحشي أشبه شيء بالمعز الأهلية ، وقرونها صِ لاب جدًّا ، تمنع بها عن نفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التي تطيف بها[٢].

والبقر الأهلي : اسم جنس يقع على الذكر والأنثى ، وإنما دخلته الهاء للوحدة ؛ والجمع بقرات[٣] . قال الله تعالى] سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ Z يوسف: ٤٣ .

وكان الشاعر الجاهلي يرسم أثناء رحلته صورًا واسعة من حياة الصحراء ، وحيواناتها التي أولع الجاهليون بوصفها والتدقيق في حياتها ولعًا لا يكاد يعادله ولعٌ ؛ فهم لا يتحدثون عن هذه الحيوانات حديثًا قصيرًا ، بل يقتربون منها حتى يكونوا بينها ، ثم يصفونها وصفًا دقيقًا حيًّ، ويقصّون أخبارها في تتبُّعٍ عجيبٍ ، واهتمام أعجب . والبقر الوحشي من هذه الحيواناتلتي لا يملّ شعراء الجاهلية من القول فيها وإعادة القول هيَ لمون الحديث

(١) اللسان (ب ق ر) .

(٢) الدميري ، (ت ٨٠٨ هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، تحقيق : إبراهيم صالح، (ص٥٠٠) .

(٣) المصدر نفسه ، (ص ٤٨٤) .

بالحديث ويضمّ ون الخبر إلى الخبر ،لا يصرفهم عن ذلك شيوعُ هذه القصص وتشابهُ ها [١].

((والبقر : حيوان شديد القوة ، كثير المنفعة ، خلقه الله ولاً ، ولم يخلق له سلاحً ا شديدً ا كما للسباع ؛لأنه في رعاية الإنسان ، فالإنسان يدفع عنه عدوَّه ، فلو كان له سلاح يصعب على الإنسان ضبطه والبقر الأجمّ يعلم أن سلاحه في رأسه ، فيستعمله في محل القرن، كما يرى في العجاجيل قبل نبات قرونها ، تنطح برؤوسها ، تفعل ذلك طبعًا))[٢].

وعند استعراض الأبيات التالية التي يظهر فيها حنان البقر الوحشي سيظهر لنا جليًّا مظاهر ذلك الحنان وصوره . فهذاطرفة بن العبد يشبّه صاحبته تارةً بالمهاة وتارةً بالغزال ، فيقول[٣]:

تخلسُ الطرفَ بعينَيْ بُرْغزٍ وبخدَّيْ شأْ آنسَ رْ

ولها كشحٌ لهاةٍ مُطفِلٍ تقتري بالرمّلِ أفنانَ الزهَرْ

وهنا يشبّه عينَي صاحبته في سعتها وشدة سوادها في بياضها بعينَي ولد البقرة ، ويشبّه خدَّها الأسيل بخدَّي الغزال صغير السن الأبيض البطن الأسمر الظهر . ويشبّه كذلك خصرَ صاحبته بخصر المهاة من بقر الوحش في طيه واستوائهوقد خصّ ذات الولد الصغير لأنها تنفرد به عن القطيع ؛ لحنانها وحرصها عليه ،فهويرأبُ لحُسنها . واختار ذات الولد ؛ ليؤكد عدم حملهايبرولْزِ جمالخصَرِ ها بين القطيع ، وهي ترعى مع ولدها بين أفنان الزهر .

(١) بتصرف عن : وهب روميه ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص ٩٧) .

(٢) الدميري ، (ت ٨٠٨ هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، (ص٤٨٦) .

(٣) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصفال (ص ٥٢) .

وبهامشه (ص٥٢ ، ٥٣) : (تخلس الطرف : تسارق النظر ، البرغز : ولد البقرة ، الرشأ : الغزال ، الآدم : الأبيض البطن الأسمر الظهر ، الغرّ : الغافل لحداثة سنّه ، الكشح : الخصر ، وما انضمت عليه الأضلاع ، والمهاة :البقرة الوحشية ، المطفّل : ذات الولد الصغير ، تقتري : تأكل ورقها) .

كما يشبّه طرفة بن العبدعينَي ناقته بعيني البقرة الوحشية ، فيقول[١] :

طَحُورانِ عُوَّارَ القَذى ، فَتَراهُما كمكحولتَي مذعورةٍ فَرْقَدِ

فهو يشبّه عينَي ناقته الصحيحتين اللتين لم يُصبهما عوار بعيني بقرة وحشية مذعورة . واختار البقرة المذعورة ؛ لأن نظرتها تكونأحدَّحين تراقب بحذرٍ ولدها إشفاقًا وحرصًا عليه، وهذه النظرات في حلتّها تكون أبين لحُسن عينها .

ويصف طرفة بن العبد الناقةً ويشبهها ببقرة الوحش ، فيقول[٢] :

كأنهّمن وحش إنبطةٍ خنساء ، يحنو خلفها جؤذر

هنا شبه الناقة التي تعطف على الفصيل وتحنو عليه ببقرة وحشية من بقر إنبطة ؛ وهي الخنساء ـ متأخرة الأنف ـ عندما ترعى وتعطف على صغيرها (الجؤذر) الذي لا يفارقها ويظل خلفها يتبعها . فكلاهما يحنو ويعطف بدافع حنان الأمومة .

ويتغزل عبيد بن الأبرص بمحبوبته ، فيقارن عينيها بعينَالبقرة الوحشية قائلاً [٣] :

---

(١) طرفة بن العبد ، الديوان ، (ص٢٣) .

وبهامشه : ((طحور ّار القذى : قطعة من الرمد . والقذى : وسخ العين ، وما سقط فيها ، أم فرقد : ولد البقرة).

طحوران : طحر : قذف العين بقذاها . ابن سيده ظرحت ْالعين قذاها تطحرهُ طحرً ارزمت ْ به . اللسان (ط ح ر) .

(٢) صلة الديوان لطرفة بن العبد ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصفال (ص١٦٢) .

وبهامشه : (إنبطة : موضع ، وخنساء متأخرة الأنف وصف ٌلازمٌ للبقر الوحشي ، الجؤذر : ولد البقرة).

(٣) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، (ص٥٧ ، ٥٨) .

وبهامشه : (الحوراء : الشديدة بياض العين وسوادها ، الطفلة : الناعمة ، المهاة : البقرة الوحشية ، الحرة : الكريمة ، الفرقد : ولد البقرة ، الخمائل : جمع خمملة : الشجر الملتف ، الأراك والغرقد : نوعان من الشجر ، السرب : القطيع ، الجيد: العنق) .

إذ هي حوراءُ المدامع طفلةٌ كمثلِ مهاةِ حَوِّ أمِّ فَقَرْدِ

تراعي به نبت الخمائل بالضحى وتأوي به إلى أراكٍ وغَرْقَدِ

وتجعله في سِرْبِها نصبَ عينِها وتَثني عليه الجيدَ في كل مَرْقَدِ

فهنا يشبّه الشاعر عينَي محبوبته الناعمة في شدة بياضهما وسوادها بعينَي البقرة الوحشية الكريمة ،التي لها ولدٌ ترعى معه بين النبات الكثيف الملتف من الأراك والغرقد ، وهي دائمة الحرص عليه ،تراقبه وتدلِّلُه في كل مأوًى . وعند تشبيهه لها اختار وقت مراقبتها لولدها ؛ لأنه أبين لحسنها وجمالها .

ويصف ابن مقبل المهاة التي لها ولد تحنو وتحرص عليه ،ويعدِّد صفاتِ صغيرِها وطرقِ رعايتها له . ويصف عينَي صاحبته بعينَي تلك المهاة ، فيقول[1] :

(١) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٣٦ ، ١٣٧) .

وبهامشه : (رخص ظلوفته : أي لين القوائم ضعيفها ، والقنا : جمع قناة ، يريد بها فقار الظهر ، الضرع : الضعيف المستكين ، موشي أكارعه :أي في قوائمه بياض ، والأكارع : جمع الجمع من كراع ، وهو مستدق الساق العاري من اللحم ، الزمع : جمع أزمعة : وهي الظفر الزائد وراء ظلف البقرة ، ساف: أي شم ، المرابض : جمع مربض : من ربضت الدابة في الأرض إذا بركت . ربيب : تصغير ربيب وهو الذي يربب أي يربي ، لم يفلكه الرعاء :أي لم يفلّكوا لسانه لئلا يرضع . والتفليك : أن يجعل = =للفصيل من الشعر مثل فلكة المغزل ، ثم يشق لسانه ويجعل فيها ؛ لئلا يرضع أمه ، حومل : اسم موضع، الورع : الهبوب الذي يخاف إذا ما ضاعها ؛ أي إذا ما دعاها بصوته . والوقف : السوار ، والموشية للمرأة التي بذراعها وشم كالوشي ، الصَّغَرُ : الحاذق الرقيق اليد من الرجال ، الحرّان : واديان ، الأكثبة جمع كثيب ، وهو تلّ الرمل) .

رَنْو : الرنو :إدامة النظر مع سكون الطَّرْف . اللسان (ر ن ا) .

تزجله : الزجل الرمي بالشيء تأخذه بيدك فترمي به ، وزجل به زجلاً : رماه ودفعه . اللسان (ز ج ل) .

تَرَنُّو بِعَيْنَيْ مَهاةٍ أَفْرَعَ هَضِلٍ ... ظَلُوفَتُهُ إِلاَّ القَنَاضِرَعُ

ابْنُ غَدَاتَيْنِ مَوْشِيٌّ أَكَارِعُهُ ... تُشَدُّ لَهُ الأَرْسَاغُ وَالزَّمَعُ

صَافِي الأَدِيمِ، رَقِيقُ المَنْخَرَيْنِ إِذَا ... المَرَابِضَ، فِي أَرْسَاغِهِ كَرَعُ

رُبَيِّبٌ لَمْ يُكَفِّلْهُ الرِّعَاءُ، وَلَمْ ... يَحْأَقْصَهُ سِرْبِهِ وَرَعُ

إِلاَّ مَّإِنْهَمَاقًّا ضَاءَهَا عَطَفَتْ ... حَنَى الوَقْفَ لِلْمَوْشِيَّةِ الصَّغَرُ

يَمْشِي إِلَى جَنْبِهَا الاً وتزجُلُهُ ... ثُقَّ يُخَالِفُهَا طَفِيضَ طَجِعُ

ظَبْيٌ كَثِيبَةِ الحُرِّ يَنْتَرْقُبُهُ ... تَخْشَى عَلَيْهِ إِذَا اسْتَأْخَرَ السَّبُعُ

هنا يصف عينَي صاحبته بعيفَهاة تديم النظر على ولدها صغير السن ، لين ّ وأبيض القوائم ، صافي نقي الجلد ، حرٌّ طليق لم يمسّه الرعاة ولم يحُبَس ، يرعي حيث شاء ، تراقبه أمه ، وإذا دعاها بصوته عطفت عليه .وشبّه انعطاف المهاة على ولدها بحَنْي الصانع السوار على يد المرأة . وهي ترافقه أينما كان ؛فهو تارةً يمشي إلى جنبها ،وتارةً تدفعه ،وتارةً تجعله ينام مستلقيًا على الأرض،وتظل ّ على كثبان الرمال تراقبه حنانًاعطفًا وحرصً ا عليه ؛ فهي تخشى عليه إذا تأخّر أنتأكله السّباع .

ويصف عمرو بن شأس الأسدي عيون البقر الوحشي في روضة قراقر ، فيقول[1] :

وأنت تحلالرّوض رَوض َ قراقرٍ ... كَعَيْنامرْباعٍعلى جؤْذَرٍ نطَلِ

فالشاعر يشبّكل من يحل ّ روضة قراقر وينظر إليها بإعجاب وكأن له عينين كعيني

فيضطجع : نام . وقيل : استلقى ، ووضع جنبيه بالأرض . اللسان (ض ج ع) .

(١) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، (ص٩٤) .

مرباع : كثيرة الربيع . اللسان (ر ب ع) جؤذر : وهو ولد البقرة . اللسان (ج ذ ر) .

البقرة الوحشية التي تنظر في ترقُّبٍ وحرصٍ إلى ولدها .

ويشبّه ابن مقبل صاحبتَه بمهاة ترعى مع صغيرها بمنطقة (الفقين) في تلك الرياض الطيبة ، ثم تنتحي معه ، وهو من ذلك النوع المعروف بغزال المسك ؛ ولذا تتضوع من خاصرتيه رائحة المسك ، فيقول[١] :

مِلْءُ الفُؤَادِ كَأَنَّهَا مَهَاةُ رَوْعَى بِالفُقَيَّنِ مُشْرِحُ

رَتَعَتْ جَنَابًا طَيِّبًا ، ثُمَّ انْتَحَتْ لأَعْيَطَ مِنْ أَقْرَابِهِ المِسْكُ يَفْحَحُ

ويشبّه عنترة نساءَ الأعداء ، فيقول[٢] :

قَوْمِي حِينَ تَخْتَلِفُ الْقَنَا وَإِذَا تَزُولُ مَقَادِمُ الأَبْطَالِ

يَوْمَ الشَّبَاكِ فَأَسْلَمُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنَوَاعِمًا كَالرِّئْمِ الأَطْفَالِ

يشبّه أعدائَه اللاتي صرْن في قبضته هو وقومه ومعهن أولادهن بقطيعٍ من بقر الوحش ؛ لحسنهن وجمالهن . وهذا كله نكايةً بأعدائه ، وإغاظةً لهم حين خلّوا نساءهم لأعدائهم ، وفرّوا .

ويقول النابغة عن النّساء اللاتي سُبِينَ من قومه[٣] :

---

(١) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص ٥٤) .

وبهامشه : (المهاة : بقر الوحش ، الفقين : موضع ، المرشح : التي معها ولد ، إذا قوي ولدها وخالطها ومشى معها ، الجناب : الناحية ، تنتحي : تقصد وتميل ، الأعيط : الطويل العنق ؛ يريد به : ولد البقرة الوحشية ، الأقراب : جمع القرب وهو الخاصرة) .

(٢) ديوان عنترة ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، (ص٣٣٧) .

الربرب : القطيع من بقر الوحش ما كان دون العشرة . اللسان (ر ب ر ب)

(٣) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص١٤٣) .

لا أَعْرِفَنَّ عَقَائِلاً لهمُ عابِيْبَ مِنْ جَنْبَيْ أَرِيْكٍ وَعَاقِلِ

ضَوَارِبُ بالأيدي وراءَ براغزٍ حِسانٍ كالظِّبَاءِ يَمِ الخَذِلِ

خِلالُ المَطَايا يَتَّصِلْنَ وَقَدْ أَتَتْ قِنَانُ أُكَيْرٍ دُونَها والكَوَاثِلُ

فيشبّالنساء الحِسان اللائي سبُين من قومه وقد لزمْن أولاهَن وضممْنهم إليهنّ -بالظباء الخواذل التي خذلت القطيع منفردة في الأرض وبين الرمال ، وأقامت مع أولادها حرصًا وحنانًا عليهم .

ويقول عامر بن الطفيل على البقر الوحشيّ في الديار الخالية [١] :

وتُضحِيْ في علَياء قفرٍ كأنهاّ مهارق فلوج يعارضْن تاليَا

فهو يصف بقر الوحش التي برزت في الأراضي المرتفعة الخالية وهن يسرن متتاليات تتلوها أولادها وكأنها صحف الكاتب.

ويُكني النابغة الذبياني عن خلو الديار بوجود البقر الوحشي فيها ، فيقول[٢] :

وبهامشه : (البراغز : أولاد البقر ، الصريم : المتقطع من الرمل ، الخواذل : التي خذلت صواحبها ، وتخلفت عن أولادها) .

(١) عامر بن الطفيل ، الديوان ، تحقيق : أنور أبو سويلم ، (ص ٤٠١) .

وبهامشه : (المهارق :الصحف ، يعارضن تاليًا : صفة للأبقار لا للصحف ؛ أي يسرن خلفه متعارضات ، وتواليها : أواخرها ، متليه : يتلوها ولدها أي يتبعها) .

قفر : الخلاء من الأرض . اللسان (ق ف ر) . فلوج : الكاتب . اللسان (ف ل ج) .

(٢) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص١٥٠) . = =

= وبهامشه : (جعد ثرا أي ترابه ندٍ ، وما كان فيه ندى فهو جعد . والعوذ : الحديثات النتاج . والمطافل : التي معها أولادها ، والمتالي : التي تتلوها أولادها) .

أثيثٌ نَبْتُه جَعْدٌ ثراه به عُوذُ المَطافِلِ والمَتَالي

فهو يصف خلوّ ديار محبوبته من الناس حتى صارت مسكنًا لحيوانات الصحراء من بقر الوحش التي معها أولادها وترعى في أرض خصبة .

ويذكر خفاف السلمي رسوم الدار والأطلال التي تسكنها بقر الوحش ، فيقول[١] :

دَارٌ لِ قَيْلَةَ إِذْ قَلْبِي بِها كَلِفٌ أَقْوَتْ مَنازِلُها مِنْ بَعْدِ أَحْوالِ

تمشي النعاجُ بها والعين مطفلةٌ إلى رواشحَ قَدْ حُفَّتْ أطفالِ

فيصف رسوم الدار والأطلال الخالية التي تمشي فيها البقرة الوحشية ذات العينين الناعمتين ، وهي ترعى مع أولادها ، تظل تراقبها في حنان وعطف عند الأراضي التي يجتمع فيها الماء بين الحجارة -وهي تسمى الرواشح- .

ويبرّ بشر بن أبي خازم بديار صاحبته الخالية فيرى الجأذر مع أمهاتها ، فيقول[٢] :

إلاّ الجآذِرَ تَمْتَرِي بِأُنُوفِها عُوْذًا إِذا تَلَعَ النَّهارُ تَعَطَّفُ

أثيثٌ : شعر أثيث : غزير طويل ، وكذلك النبات . اللسان (أ ث ا) .

(١) خفاف بن ندبة السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، (ص٨٣) .

وبهامشه : (رواشح : جبال تندى فربما اجتمع في أصولها ماء قليل ، فإن كثر سمِّي شلالاً ، وإن رأيته كالعرق يجري خلال الحجارة سمِّي راشحًا . اللسان (ر ش ح)

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٦٩ ، ١٧٠) .

وبهامشه : (الجأذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة ، تمتري بأنوفها : أي تمد رؤوسها لترضع أمهاتها ، والعوذ : جمع عائذ وهي الحديثة الولادة ، تلع النهار : ارتفع ، حم القوادم : سود القوادم والقوادم : يقال القرون ، ويعرّ : يؤذي ويعقر ؛ أي لا تسوء الأكف ضروعها بالحلب ، لأنه لا أحد يحلبها ، القرار : المطمئن المستقر من الأرض ، المؤنف : بمعنى الأنف أي لم يرْعه أحد) .

إلا الجآذُ تُمتري فجْوَ ظلامٍ عرين ، ليس بهنّ عينٌ تَطْرُفُ

حمُّ القوادمِ ، معيُرّ ضروعها حلب ُالأكفِّ، لها قرارٌ مُؤنفُ

هنا يصف ديار صاحبته الخالية التي لم يعُد يقْطُنُ بها إلا أولاد البقر التي تعطف وتحنّ عليها أمهاتها ؛ فهذه العوذ -وهي الحديثة النتاج-إذا ارتفع وظهر النهار تمدّ رؤوسها لترضع من أمهاتها اللاتي تعطّفن عليهن لإرضاعهن . ثم يصفهن بأنهن سود القرون يرعين ويرضعن صغارهن في مطمئن ومستقر من الأرض ؛لأنه لا أحدَ يحلبهاقلم تمس ّالأكفُّ ضروعَها ؛ وذلك كناية عنخلوّ المكان الذي لا يرعى به أحدٌ سواها.

ويقول سبيع بن الخطيم التيمي [١] :

ولقد هبطْتُ الغيث أصبحَ عازِبًا أنفًا به عُوذُالنعاجِ عطوفُ

فهويُكني عنبُعد المكان عن الناس ، وأنه سبق إليه وليس فيه إلا البقر الوحشي التي ترعى صغارها وتحن عليهم .

وقال زهير في ديار الصاحبة[٢] :

---

(١) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط١٠ ، ١٩٩٤م، (ص٣٧٣) .

وبهامشه : (العازب :البعيد المتنحي ، أنفًا : يقول : هبطته أول من هبطه فرعيته قبل أن يسبقني إليه أحد . العوذ : الحديثات النتاج ، جمع عائد ، النعاج : البقر الوحشية ، عطوف : عطفت على أولادها) .

و **سبيع بن الخطيم التيمي** ، واسمه : تيم عبد مناه بن أدين طابخة ، من بطن منها يقال له بنو رفاعة ، شاعر محسن .

(٢) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الآفاق ، بيروت ، دط، ١٩٨٢م ، (ص١٠) .

وبهامشه : (العين : جمع أعين وهي بقر الوحش ، الأرام : الظباء خالصة البياض ، الأطلاء : جمع طلا ، وهو

وَدَارٌ ، لَهَا بالرَّقْمَتَيْنِ ، كَأَنَّها مَرَاجِعُ وَشْمٍ ، في نَوَاشِرِ مِعْصَمِ

بها العينُ والآرام يمشين خلفةً وأطلاؤها ينهضن ، من كل مجْثَمِ

يصف ديار الصاحبة التي لم يعد بها إلا (العين) وهي بقر الوحش و (الآرام) الظباء الخالصة البياض في صورة قطيع يذهب ويخلف مكانه قطيع آخر ، فخلا المكان من الأنيس عدا بقر الوحش . والطلا : ولد البقرة ، وولد الظبية الصغير . والذي ينهض من كل مجثم ، أراد :أنهن يُمْنَ أولادهن إذا أرضعنهم ،ثم يرتعْنَ ، فإذا ظنن أن أولادهن قد أنفدوا ما في أجوافهمن اللبن صوّتْن لهم فينهضوا للأصوات ليشربوا؛ وذلك كناية عن بُعد عهد الديار بالناس ؛ ولذا آثرت فيها العين والآرام ، فسكنتْها ، وتوالدتْ فيها .

وقد توصلت الباحثة من خلال استقراء النصوص الشعرية في ما يختص بحنان الأمومة عند بقر الوحش ، وحصرها ، وتفنيدها -إلى أنّ الشاعر الجاهلي آثر هذا الحنان تارةً بالكناية ، وتارةً بالتشبيه . والتشبيه يطغى على الكناية عندما يتغنّى الشاعر بمواطن جمال الصاحبة ، فيشبّه عينيها أو عنقها أو جسدها أو رائحتها بعين أو عنق أو جسد أو رائحة البقرة الوحشية ،التي تحنّ و ترأم وتعطف على ولدها؛ لا تكلّ ولا تملّ ، وتظل تراقبه في شوق وحنين . فالشاعر الجاهلي يوظف ذلك الحنان والحرص ليصل إلى مراده المتمثل في وصف جمال محبوبته التي طالما تغنَّى بها وبثّها حنينه ، ولوعته ، وشوقه في لحظة صدقٍ ؛ فوجد التشبيه بالبقرة الوحشية خير وسيلة ليصوّر مشاعره ، وسلوكه ، وحنينه وشوقه نحو الصاحبة ، وكأنه يقول : إن مشاعري لا تقلّ عن مشاعر الأمومة وسلوك البقرة الوحشية نحو صغارها .

واستنتجت الباحثة كذلك أن الشاعر الجاهلي جَمَع في وصْفه حنان الأمومة عند البقرة الوحشية بين الطمأنينة ، والجمال ، والحنين . وتتمثل تلك الطمأنينة في وصف البقر الوحشي

ولد البقرة وولد الظبية ، المجثم : المريض) .

الذي يرعى مع صغاره مطمئنًّا في تلك الأماكن الخصبة والديار الخالية . ويتمثل الجمال الذي أحبّه الشاعر الجاهلي من خلال وصفه لما حوله ؛ كجمال عينَي البقرة الوحشية حين تديم النظر في صغيرها ،وجمال عنقها الذي تمدّه لتراقب صغيرها ، وهو كذلك يصف جمال جسدها عندما تقف على كثيب الرمال لتراقب ولدها . ويتمثل الحنين من خلال وصف منظر تلك البقرة الوحشية التي خذلت القطيع منفردةً مع ولدها لحنانها وحرصها عليه ؛ حين تـ عى وتتلوها صغارها ، ولا تفارقها .

وفي ضوء استقراء الباحثة للنصوص الشعرية الجاهلية التي تناولت حنان الأمومة عند البقرة الوحشية بدا أن الشاعر الجاهلي لم يُعْنَ بالناحية الصوتية لإبراز الحنان عند البقرة الوحشية من خلال الكناية والتشبيه ،بينما عُني بالناحية الصوتية عند الناقة والظباء ؛ فكان يشبّه صوت الناقة بما حوله ، فتارةًالرّعد وتارةً بالسحاب ،وتارةًالدفّ .

وقد يعود هذا إلى اهتمام الشاعر الجاهلي بجمال البقرة الوحشية وحسُنْها أكثر من اهتمامه بالناحية الصوتية . فجمال البقرة يكمن في عينيها ؛ لذا كانتا مناط اهتمامه ؛ فمن خلالها تبدو انفعالاتها ، ومشاعرُها ، ومحاسنُها .

رابعًا : حنان الأمومة عند الفَرَس

عند البحث في دواوين الشعر الجاهلي نجد أنه قد تردّد ذِكْر الفرس في قصائد الجاهليين لما لها من مكانة رفيعة في نفوسهم ، فقد لجأوا إلى وصف الخيل وذِكْر محاسنها في كثير من تشبيهاتهم واستعاراتهم التي استوحوها من تلك البيئة الجاهلية .

وقد عرّف ابن مُنظور الخيل فقال : ((الخيل : الفرسان ، وفي المحكم : جماعة الأفراس ؛ لا واحد له من لفظه ، والخيل : الخيول))(١) . وفي التنزيل العزيز :] 1 2 3 4 Z النحل: ٨.

((وقيل الفرس حصانًا لأنه صُنَّ بنائه فلم يُنْزَ إلا على كريمة ، ثم كثُر ذلك حتى سَمَّوا كلَّ ذكر من الخيل حصانًا ، والعرب تسمي اللاحِقَ كلَّه حصانًا))(٢).

((والفرس : واحد الخيل ، والجمع : أفراس ، الذكر والأنثى في ذلك سواء ، والفرس: نجمٌ معروفٌ ؛ لمشاكلته الفرس في صورته)) (٣) .

((والفرس أشبه الحيوان بالإنسان ، لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس ، وعلو الهمّة . وتزعم العرب أنه كان وحشيًّا وأوّل من ظلّه وركِبه إسماعيل -عليه السلام-))(٤) .

والخيل رمز البطولة العربية ، وعنوان الرجولة والفروسية ، والحصن الحصين للإنسان العربي ، بها يهاجم ، وعليها يتراجع وينتقل ويسابق ويغامر . ولا عجب إذا ما لجأ إلى الفخر أنْ

(١) ابن منظور ، اللسان . (خ ي ل) .

(٢) ابن منظور ، اللسان . (ح ص ن) .

(٣) ابن منظور ، اللسان . (ف ر س) .

(٤) الدميري ، (ت ٨٠٨هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، تحقيق : إبراهيم صالح ، (٣/٣٧٣) .

يضعها في المقدمة ، ويتغنّى ا ، ويذكرها في كل الظروف والمواقف[١] .

((فاللغويون العرب أجمعوا على أن الحصان هو ذلك الحيوان الذي يستعمل للحرب واللهو والصيد ، فهو أشبه بالحِصن الذي يأوي إليه المتحاربون ليحتموا به من غارات الأعداء.وهناك أسماء وأوصاف أُطلقت عليه معها كلمة : الخيل ، التي تضمنت معاني الفرس والحصان)) [٢].

((القبائل العربية اعتزت بالخيل المُعَلّمة ، وتسابقت إلى استحواذ أجودها ، ولعل مجرد اسم فرس من الأفراس يكفي لمعرفة اسم القبيلة التي جاء منها أو ينتمي إليها))[٣] .

ولقد أحبّ العربي الجاهلي الخيل حبًّا عميقًفلم تخلُ قصيدة من قصائد شعرائهم من ذكر الخيل ومحاسنها .

وعند استقراءدواوينِ الشعراء الجاهليين ، وإحصاء النصوص الشعرية التي قيلت في الفَرَس على اختلاف الأغراض الشعرية من مدح ، وهجاء ، وفخر ، ووصف ، ورثاء وهي كَثُر ⊐جدُ أنّالحصان مصدرُ إلهامٍ للشاعر العربي ، به يحقق طموحاته وأحلامه . ولكن الأبيات التي قيلت فيما يختص بحنان الأمومة عند الفرس قليلة جداً نسبةً إلى ما قاله الشعراء عامةً في الفَرَس .وسبب ذلك التبايُن الشديد يعود إلى أنللشاعر العربي كان قد اهتمّ بالحصان اهتمامين كبيرين : اهتمام نفعي واهتمام جمالي :

أ ـ **اهتمام نفعي**لأنه بحاجة ماسّة إليه في سفره ، وتنقُّله ، وحربه وسلمه . ولا تكتمل

(١) أحمد أبو يحيى ، الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، (ص ٦٣) .

(٢) المصدر نفسه ، (ص١٩) .

(٣) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص ١٤٢) .

فروسية الإنسان العربي إلاّ إذا امتلك حصانًا وسيفًا ؛فهو مجلبة للمنافع ومدْرأة للأخطار، ولذا يحبّه الفارس أكثر من حبّه نفسه بل يفضله على الزّوج والأولاد ، ويسقيه اللبن الغَبوق .

ب**اهتمام جمَالي** : إن شكل هذا الحيوان العجيب ومنظره وذكاءه ومعاشرته وشكواه ومناجاته خليقةٌ بأن تجذب الإنسان للاستمتاع الجمالي به ،تقرّ العين برؤيته البهيّة وطلعته الغرّاء ، وتهدأ النفس لتصرفاته وسلوكه وطبائعه وعاداته))[1].

ومما سبق تبين أن الشعراء الجاهليين رصدوا كثيرًا من الصور الشعرية التي فيها الاعتزاز بالخيل وأوصافه ، وحبه ، والذود عنه ، بينما لم يتناولوا صورة (حنان) الأمومة عند الفرس كما تناولوها عند الناقة والظباء والبقر الوحشي ؛ وذلك لأن الحصان كان وما زال مدعاةً للإعجاب ، والعزّة ، والزهو والخيلاء ، وليس مدعاةً للحنان .

ومن تلك الأبيات القليلة التي برزُ حنان الأمومة عند الفرس قولُ عروة بن الورد في البرق وتشبيهه ببياض بطن الفرس[2] :

تَكَشَّفَ عَنْ عائذٍ بَلْقَةٍ فَتَنْسى ذُكُورَ الخيلِ عِوَلاً شَفُورِ

أَرِقْتُ وَصُحْبَتِي بِمَضِيقِ عُمْقٍ لِبَرْقٍ ، فِي تَهامَةَ مُسْتَطِيرْ

فهو يشبّه وميض البرق وسط ظلام الغيم ببياض بطن هذه الفرس في سواد جسمها، ويتكشف ويظهر هذا البياض حين ترفع رجليها ثم ترفع يديها لمتنحّي وتبعد ذكور الخيل عن ولدها ؛لتحميه حنانًا وعطفًا عليه .

ويقول خفاف السلمي عن ضوء البرق في السحاب الذي يشبه الخيل البلق التي تحمي

(١) أحمد أبو يحيى ، الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين ، (ص١١٧) .

(٢) عروة بن الورد ، الديوان ، دار صادر ، بيروت د ط ، د ت ، (ص ٣١) .

وبهامشه : (العائذ : الحديثة النتاج ، شفور : هي التي تشفر برجليها وشفور : من صفة العائذ) .

صغارها[١] :

كأن تكشفّه بالنشا ص بلق تُكشفُ تحمي مهارا

هنا شبّه البرق الذي يتكشّف في السحاب المرتفع ليلاً بالخيل البُلْق التي فيها بياض وسواد وهي تحمي مهارها -أي أولادها حنانًا وحرصًا عليهم .

ويصف ابن مقبل ديار قومه حيث المُهر الصغيرة التي ترافق أمهاتها ، فيقول[٢] :

فيهم تجاوبَ أَفْلاءُ الوَجيه إذا صامَ الضُّحى ، تَقْدَعُ الذِّئبَانَ بالخَمَرِ

تَعْتَادُها قُرُحٌ مَلْبُونَةٌ خُنُفٌ يَنْخُفْنَ بُرْعُمَ الحَوْذَانِ والخُضُرِ

فهو يصف ديار قومه في صورة صوتية وبصرية ؛ حيث تسمع تجاوب الأفلاء حين يشتد الضحى وهي تطرد الذبان بنخيرها ،وبقُربها أمهاتها التي تعتادها وتحنو عليها من الخيل

(١) خفاف السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، (ص ٤٩) .

وبهامشه : (تكشفه : أي ظهوره ، النشاص : السحاب المرتفع ، بلق : أي خيل أبلق وهو الذي في لونه سواد وبياض ، المهار : جمع مهر ولد الفرس) .

(٢) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٧٧) .

وبهامشه : (أفلاء : جمع فلو وهو المهر الصغير إذا بلغ السنة ، الوجيه : اسم فحل سابق من خيل العرب ، وصام الضحى : إذا اعتدل وسكن واشتد في الحر، وتقدع الذبان بالنخر : أي تكفه وتطرده بأفواهها ونخيرها ، والنخر : جمع نخرة ، وهي بمعنى الأنف ، تعتادها : أي تأتيها ، وقرح : أي خيل قرح ، جمع قارح ، وهو الفرس الذي انتهت أسنانه ، وإنما تنتهي في خمس سنين ، فإذا استتم الخامسة ودخل السادسة فهو قارح . والملبونة : التي تسقي وتغذى باللبن ، والخنف : جمع خنوف ، وهو الفرس الذي يثني رأسه ويديه في شق إذا أحضر ، والحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع حلو طيب الطعم تسمّن عليه الخيل ، الخضر:جمع خضرة ، وهي بقلة خضراء خشناء ، ترتفع ذراعًا ، وهي تملأ فم البعير) .

القرح التي تنال غاية العناية من أصحابها ؛ حيث يسقونها اللبن ، كما أنها ترعى أطيب المراعي من برعم نبات الحوذان والخضر. وهذان البيتان كناية عن النعمة والقوة التي يتميز بها قومه في مقام فخْره بهم .

فحنان الأمومة عند الفرَس يظهر بوضوح لدى الشاعر الجاهلي في حمايتها لأولادها ، لا في ذ ر ا - كما هو عند البقر الوحشي - ، ولا في حنينها - كما هو عند الناقة - . فالحماية لدى الفرَس جزءٌ من وظيفتها الحيوية التي خُلقت لها ؛ لذا كانت الحماية أبرز مظاهر الأمومة لديها .

خامسًا : الحنان على الصغار عند الأسد واللبُؤة

الأسد هو سيد السباع عند العرب ، وورد ذكره كثيرًا في أشعار الجاهليين ، وكذلك ذكرت أسماؤه وصفاته .ويُعدّ الأسد رمز الشجاعة والقوة ، والجرأة والإقدام ، والهيبة .

((والأسد : من السباع معروف ، والجمع أساد وآسادٌ . والأنثى أسدة ، وأرض مأسدة : كثيرة الأسود.وأسد الرجل : استأسد ؛ صار كالأسد في جرأته وأخلاقه))[١] .

وقد لجأ الشعراء الجاهليون إلى اشتقاق الصفات الكثيرة للحيوان ماكالأسد مثلاً -[٢] وأسقطوها على أنفسهم وطباعهم[٣] . ونستشهد على ذلك فيما يلي من الأبيات :

قالت الخنساء في شجاعة أخيها[٤] :

من القوم مغشي الرواقِ كأنّ إذا سيم ضيمًا خادر متبسلُ

شرٍ نَبْتُ أطْرافِ البنانِ ضبارمٌ له في عرين الغيلِ رعوٌ وأشْبُلُ

شبّهت الخنساء أخاها في شجاعته وحفظه لما ينبغي حفظه بالأسد ، وجعلت من صفات ذلك الأسد أن له أشبالاً وزوجة يحنو عليهم ؛ ليوضح شجاعة واستبسالاً دفاعًا عنهم .

وكرّرت الخنساء تشبيه شجاعة أخيها وهيبته بشجاعة الأسد الذي له صغار يحميهم ،

---

(١) اللسان ، (أ س د) .

(٢) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (١/ ٣١٣) .

(٣) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٦٥ ، ٦٦) .

(٤) الخنساء ، الديوان ، دار صادر بيروت ، دط ، د ت ، (ص١٠٨) .

وبهامشه : (مغشي الرواق : أي تغشى الضيوف رواقه ، الخادر الذي اتخذ الأجمة خدرًا ، المتبسل : الكريه الوجه ، شر نبث : غليظ ، ضبارم : شديد الخلق ، عرين : أجمة ، العرس : الزوجة) .

فقالت [١] :

كالأُنْعُداة إذا ما بدا يخافون وَرْدًا أبا أشبُلِ

مُدلاًّ من الأُسْد ذا لبْدَ حمى الجزْعَ مفلم يُملَ

فهي تشبّه أخاها في شجاعته وهيبته في نفوس أعدائه حين يرونه بمن يخاف أسدًا له أشبال ، ولشدة حرصه عليهم حمى واديه فلا يتجرّأ أحد أن ينزل ذلك الوادي .

ولتأكيد صفة القوّة رأت الخنساء أن أخاها المرثي كالأسد الذي يحمي أشباله في العرين حرصًا وحنانًا عليهم ، فقالت[٢] :

يذودها عن حمام الموت ذائدة كالليث يحمي عرينًا دون أشبالِ

ويصف السُّلَيك بن السُّلَكَة شجاعته وقوته في وادي الأسود ، فيقول[٣] :

ورَبُّ عَاقِدٍ فككتُ مكبولِ وربُوَّادٍ قد قطعت مُشَوْلِ

فهذا كناية عن شجاعته وقوة قلبه ، حيث يقطع الأودية البعيدة عن الناس التي يسكنها الأسود مع أشبالها ولأنها تحنو وتحرص على تلك الأشبال لتكون أكثر شراسة وأشد خطرًا.

---

(١) الخنساء ، الديوان ، دار صادر بيروت ، (ص١١٧) .

وبهامشه : (الوردالأسد ، المدلّ : الواثق بنفسه ، الجزع : مكان القوم) .

(٢) المصدر نفسه ، (ص ١٠٩) .

وبهامشه : (يذودها : يدفعها ، ذائدة : المدافع عنها) .

عرينًا : العرين : مأوى الأسد الذي يألفه . اللسان (ع ر ن) .

(٣) السليك بن السلكة ، الديوان ، شرح : سعدي الضناوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م . (ص٩١) .

ويفخر باعث بن صُرَيم بشجاعة قومه ويشبههم بالأسد ، فيقول[١] :

وَبِكَتَّةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَسَلٍ كَالأُسْدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا

قَدْ ذُقْتُ أَوَّلَ عُنْوَانِ عِيَالِهَا فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيبَةٍ أَمْثَالِهَا

هنا يفتخر بشجاعة قومه وقوة جيشهم ؛فكتائبهم تعوّدت الغارات والصبر على الإبعاد ، وسوّدت وجوههم بسبب ما لقوا من تعب الحروب .فهو يشبّههم في بسهم ونجدتهم وقوتهم بالأُسْد إذا دأبت ودافعت عن أولادها ، وهي تستخدم جميع قواها من أجل حماية أولادها .

ويقول قيس بن عزارةعن ممدوحه[٢] :

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، محمد محمود شاكر ، دار الخليل ، بيروت ، ط١، ١٤١١هـ -١٩٩١م ، (ص ٥٣٦)

سفع : السواد ، والشحوب . اللسان (س ف ع) **تذبّ** : الدفع ، والمنع . اللسان (ذ ب ب) . **عنفوان** : من العنف ضد الرفق . اللسان (ع ن ف) .

والشاعر هو : باعث بن صريم : شاعر جاهلي ، اسمه : باعث بن صريم بن تميم بن علبة بن غبر بن حبيب بن كعب بن يشكر ، من فرسان بني غبر الشجعان في الجاهلية .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، (ص ٤٨) .

(٢)ديوان الهذليين ، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ، (ص ٥٩٩) .

وبهامشه : (ألفيته : وجدته ، المضاف : المنهزم ، صبحاء : لبؤة لونها أصبح أغبر إلى الحمرة : وتحيد : موضع الحيدودة يصفه بالحزم والثقافة ، وتحيد : تروغ كما يحيد الرجل يقاتل ، فيروغ أحيانًا لمحُمة قطعُم اللحم ولدَها ، ر متكاسية واحد ، أسدت : صلت أسدًا) .

والشاعر هو : قيس بن عزارة الهذلي ، شاعر جاهلي ، والعزارة أمه . وأبوه : خويلد بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركه . ==

أَلْفَيْتَهُ يحمي المضافَ كأنّه حِلْءُ تحمي شبلَها وتحيدُ

صبحاءُ مُطْعِمَةٌ جريمة واحدٍ سَلَبَتْ ونازعَها اللّحام أسودُ

فشبّه ممدوحه الحازم الذي يحمي المنهزم باللبؤة ذات اللون الأغبر المحمرّ ، التي تحمي شبلها وتقاتل بين الأسود حتى تكسب من ذلك القتال ، الذي استأسدت فيه وصارت أسَدًا ؛ ومِن ثَمّ طَعِمَ اللحم ولدها الذي تعطف عليه وتحرص .

ويصف الجميح الأسدي امرأته ، فيقول[1] :

أما إذا حردت حردي فمجريةٌ جرداءُ تمنع غيلاً غير مقروبِ

هنا يشبه امرأته إذا واثبته وقصدته باللبؤة التي تمنع غيلها وهو الشجر الملتف الذي فيه جراؤها فلا يقربه أحد واللبؤة ذات الجراء تكون أشد غضبًا وخوفًا على صغارها وذلك لحنانها وحرصها نحوهم .

وقد تبين مما سبق أنّ تناولَ الشعراء لصورة حنان أمومة الحيوان عند الأسد أو اللبؤة يظهر في مسار واحد لا يحيد عنه ؛ وهو إبراز شجاعة الممدوح وقوة دفاعه ،حين يشبّهه بقوة

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، (ص٣٠٠) ، و ديوان أشعار الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، (ص ٥٩٩) .

(١) ديوان بني أسد ، تحقيق : محمد علي دقه ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، (ص ٣٥) .

وبهامشه : (حردي : قصت قصدي ، المجرية : ذات الجراء ، جمع جرو ، الجرداء : المتساقطة الشعر ، الغيل : الأحيمة والشجر الملتف) .

والشاعر هو : الجميح الأسدي ، منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، كان منقذًا من فرسان الجاهلية يوم الغارة على ابن النعمان بن المنذر بن ماء السماعتلقُ منقذ يوم شِعْب جلة عام مولد النبي -صلى الله عليه وسلم- .

يُنظر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، (ص ٨٢) .

الأسد واللبؤة وشجاعتهما ، حين تحميان أشبالها . بخلاف صور حنان الأمومة عند الناقة والظباء والبقر الوحشي ؛ فقد تعددت صور ذلك الحنان الذي صوره الشعراء . ويمكن أن يُعزَى ذلك إلى أن الأسد اتسم بالقوة والشجاعة والهيبة عن سائر الحيوانات ، ومِن ثَمّ ارتبطت هذه الصورة في أذهان الشعراء الجاهليين بالأسد والشعراء بُدورهم خلعوا هذه السِّمةَ على من أرادوا في أشعارهم .

سادسًا : حنان الأمومة عند العنز والأروية والغنم

ننتقل إلى حيوانات أخرى كان يتعايش معها العربي الجاهلي ، وتردَّد ذكرها عند الشعراء الجاهليين في مواضع مختلفة ؛ وهي : العنز ، والغنم ، والأروية .

فالعنز الماعِزة ، وهي الأنثى من المعزى والأوعال والظباء[١] .

أما الأروية فهي : الأنثى من الوعول[٢] .

والغنم هي : الشاء ؛ لا واحدة له من لفظه . وقد ثنَّوْه فقالوا :غَنَمَان[٣] .

وكان من الأنبياء -عليهم السلام- مَن رعى الغنم ، ولم يرعَ أحدٌ منهم الإبل . وكان منهم شعيب ، وداود ، وموسى ، ومحمد -عليهم السلام- . قال الله -عز وجل- :] I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J I [طه: ١٧ - ١٨ . وقد رعى النبي -صلى الله عليه وسلم- الغنمَ في صباه .

ورعاءُ الغنم وأربابها أرقُّ قلوبًا ، وأبعدُ من الفظاظة والغلظة. وراعي الغنم إنما يرعاها بقُرْب الناس ، ولا يعزبُ ، ولا يبدو ، ولا ينتجع ؛ قالوا : والغنم في النوم غُنم))[٤] .

وقد عبرّ الشعراء الجاهليون عن صور حنان أمومة الحيوان عند الغنم والعنز والأروية، ولكن هذه الصور كانت قليلةً جدًّا . وسبب ذلك يعود إلى الموقف نفسه الذي يواجهه الشاعر فطبيعة حياته التي تمتاز بالتنقل والسفر والصيد تجعله يصف لُنا مشاهداته التي مرّ بها في تلك القفار فالشاعر الجاهلي عايش الحيوان ، وظلّ يراقب تصرفاته ، وحركاته

(١) ابن منظور ، اللسان ، (ع ن ز) .

(٢) ابن منظور ، اللسان ، (ر و ى) .

(٣) ابن منظور ، اللسان ، (غ ن م) .

(٤) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (٥/ ٥٠٩) .

وطباعه نهارًا وليلاً ؛ بخلاف صور حنان الأمومة عند الناقة والظباء والبقر الوحشي التي كان سببها حاضرًا في ذهن الشاعر من قبل تلك المشاهدات ، كوصفه أو تشبيهه للصاحبة التي وأُلِع بحبها ووصْفه لأصوات الطبيعة من حوله ؛ كالرعد والسحاب والبرق .

ومما يتصل بما نحن في صدده :ما جاء أنّعروة بن الوردخاطبَ رجلين كانا معه في الكنيف يقال لهما (بلج وقرّة)أصابا بعد ذلك وألْبَانَا ، فأتاهما يستثيبهما فلم يعطياه شيئًا ، فقال يذكرهما[1] :

أأيّ الناس آمَنُ بعد بلجٍ وقرّةَ، صاحبيّ، بذي طلالِ ؟

ألَمّا أغْزَرَتْ يْ فلعس بُرْكٌ وعَرْعَةُ بِلْهُ نسيا فِ عَ لي ؟

سمِنَ على الربيعِ فهُنّ بَطْءٌ لَهُنّ بالَاِبٌ تحت السخال

فالشاعر يعتِب على الرجلين -وهما بلج وقرة- اللذين لم يعطياه شيئًا ، وأن جحودهما لمعروفه إنما كان لما نالاه من الخير من عنزتين لهما ؛ هما :بُرك ، وبنتُها درعة . وقد سمنت تلك العنزتان في الربيع ، وقوي جسماهما ؛ حتى لتسمع حنينهما على السخال - وهما :أولاد العنز - .

ويروي عمرو ذي كلب حادثة هجوم الذئب على غنمه ، فيقول[2] :

---

(١) عروة بن الورد ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، د ت ، د ط ، (ص ٥٩) .

وبهامشه : (**أغزرت** :حلبت حلبًا كثيرًا ، برك ودرعة : عنزان ، **العس** : القدح الكبير ، **ضبط** : أقوياء ، **لبالب** : حنين ، **السخال** : ولد العنز) .

(٢) شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار أحمد ، محمود شاكر ، (ص٥٧٥) .

لجبةً : يجوز أن تكون هذه الشاة لجبة في وقت ثم تكون حاشكة الدرة في وقت آخر ، ويجوز أن تكون اللجبة من الأضداد ، فتكون هنا الغريزة . اللسان (ل ج ب) .

حاشكة : الحشك : تركك الناقة لا تحلبها حتى يجتمع لبنها . اللسان (ح ش ك) .

فاعتلمَ منها بةً غير قرمْ

حاشكةالدرّة ورَهْ هاالرَّخَمْ

فجِئْ لا يشتُشَدِّيْ ذُو قَمَمْ

فهو يصف هجوم الذئب على غنمه وكيف أخذ صغير إحدى النعاج التي درّ تها حا لمة لشدة حبها وحنانها لصغيرها وولهها عليه ، فاشتد في عدْوه خلف الذئب ورماه بسهمه .

ويصف أمية بن أبي الصلت حنان أم الوعل على صغيرها ورعايتها له ، فيقول[1] :

وما يقُبْي على الحَدَثانِ غُفْرٌ بِلهْقٍ لَهُ مُّرؤومُ

تَبِيتُ اللَّيْلَ حانِيَةً عَلَيهِ كَيخرَمِسُّ الأَرَخُ الأَطومُ

تَصدَّى كُلَّما طلَعَتْ شَزْرٍ ووَتَّ أَهَنَّمٍ نهُقَيمُ

فهو يصف حال الأم الرؤوم الأرويّة أم الغفر - التي لها ولد يرعى في الجبال الشاهقة؛ فهي تبيت تحن عليه في سكوت يرافقه الوله . ويشبهه بسكوت ولد البقرة ، وتظل تراقبه كلما

ورهاء الورَهُ : الحمق في كل عمل ، ويقال : الخرق في العمل ، والورهةُ : الكثيرة الشحم . اللسان (و ر هـ)

والشاعر هو : عمرو ذو الكلب بن العجلان بن بني لحيان ، وهو من كاهل ، وهو جار من جيران هذيل . شاعر جاهلي قديم مغوار .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين (ص٢٤٧) ، وديوان شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار أحمد ، (ص٥٧٥) .

(١) أمية بن أبي الصلت ، الديوان ، تحقيق : الدكتور سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، (ص١٢٥) .

وبهامشه : (**الحدثان** : مصائب الدهر ، **الغفر** : ولد الوعل ، **يخرمس** : يسكت ، **الأرخ** : ولد البقرة ، **الأطوم**: الضامّ بين شفتيه ، **النشز** : المرتفع) .

طلعت المرتفع خوفًا عليه حتى تمتّ أنها كانت عقيماً ؛ من شدة حنانها وحرصها عليه .

إنّ صُور حنان الأمومة عند الحيوان له حضورٌ في قصائد الشعراء الجاهليين ، وإن اختلفتْ صوره من مشاعر إلى مشاعر ، ومن حيوانٍ إلى حيوان آخر .

فصور حنان الناقة وحرصها على صغارها إمّا بصورة صوتٍ أو حركةٍ . ويعود ذلك إلى دقة عين الشاعر في التقاط المتشابها من حوله .

وظهر من خلال الاستقراء أو الفحص أن أبيات حنان الأمومة عند الظباء تفوق حنان الأمومة عند بقية الحيوانات . وصور حنان الظباء نجده في المقدمات الطللية ، وعند تشبيه عيون النساء بعيون الظباء ، وعند وصفهم للرحلة ومظاهرها .

وفي ضوء استقراء الباحثة للنصوص الشعرية في ما يخصّ حنان الأمومة عند البقرة الوحشية نجد أن الشاعر الجاهلي يصور هذا الحنان تارة بالكناية ، وتارة بالتشبيه الذي طغى على الكناية في تلك الأبيات .

وقد تبينّ لنا أن حنان الأمومة عند الأسد واللبؤة يركّز على إبراز مظاهر شجاعة الممدوح ، وقوة دفاعه .

وقد عبرّ الشعراء الجاهليون عن صور حنان أمومة الحيوان عند الغنم والعنز والأروية، ولكن هذه الصور كانت قليلة جدًّا .فقد يكون مردّه إلى طبيعة حياة العربي التي تمتاز بالتنقل والسفر والصيد ، فيصف مشاهداته التي مرّ بها .

الفصل الثاني

حزن الأم عند الحيوان
وعجزها ، وتهاونها ، وضعفها

أولا : حزن الأمومة عند الناقة

الحزنْ شيءٌ فطريٌّ ينتاب كل البشر عندما تقابلهم متاعب الحياة الدنيا ، ولا أحدَ يُستثنى من ذلك . والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم ؛ كحزن أم موسى ، وحزن الأنبياء ، وحزن يعقوب على يوسف - عليهما السلام - ، وحزن الرسول -صلى الله عليه وسلّم- على قومه عندما لم يستجيبوا له ، فقال سبحانه وتعالى :] < ? @ A B C Z آل عمران: ١٧٦ ، وقال تعالى :] µ ¶ ¸ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ Z يوسف: ٨٤.

والحزن في اللغة : ((نقيض الفرح ،وهو خلاف السرور ، والجمع أحزانٌ ورجلٌ حزنانٌ ومحزانٌ :شديدُ الحزن . وحزنه الأمريحُزنه حزنًا وأحزنه ، فهو محزونٌ ،ومحزنٌ ، وحزينٌ))[١] .

وارتبط الحزن بالرثاء ، ((والرثاء في اللغة : مدح الميت ورثى الميتَ :بكاه ، وعدّد محاسنَه ؛ يقال : رثاه بقصيدة ، ورثاه بكلمة))[٢] .ويُطلق لفظ الرثاء على الشعر خاصة ، قال قدامة بن جعفر :و((ِ ن الشعراءَ من يرثي بذكر بكاء الأشياء التي كان الميت يزاولها ، وغير ذلك))[٣].

والرثاء من أجود الشعر وأصدقه يدلّ على ذلك إجابة الأعرابي حين سُئل : لماذا تعدّون الرثاء أصدق أشعاركم ؟ فقال : ((لأنّنا نقولها وقلوبنا تحترق))[٤] .

(١) ابن منظور ، اللسان (ح ز ن) .

(٢) اللسان (ر ث ى ، ص٦٦) .

(٣) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ، تح : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، (ص ١١٨) .

(٤) أبو عثمان عمرو بن الجاحظ (ت ٢٢٥هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مؤسسة

والرثاء مثل غيره من الفنون الشعرية الجاهلية مرآةٌ صادقة للحياة الجاهلية ؛ فالشاعر الجاهلي يصف مرثيَّه بالتحلي بالأخلاقيات ؛ مثل : الشجاعة ، والجود ، والحلم ، وغيرها .

ومثلما كان الشاعر الجاهلي يصوّر حزنه في تفجُّعٍ شديد كان يصوّر آلام الحيوان الذي يرافقه في حلّه و ترحاله وأحزانه ؛ مثل الناقة ، والخيل ، والبقر الوحشي ... الخ . فهو يشعر بها ويحسّ بإحساسها . ومن هذا ما ذكره ابن رشيق في سببتسمية الشاعر شاعرًا ؛ إذْ قال ((سُمِّي الشاعر شاعرًا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره))[١] .

((إن الشاعر لاسيَّما مُشاعرَه فقط على الناقة ، وإنما يمنحها من عناصر إنسانيته لتدخل في تكوينها وفي طبيعتها . ومن خصائص الإنسانية :الحزن والبكاء على فقْد الولد ، ويرسم الشعراء للناقة الثكلى مناظر موجعة ؛ فهي دائمة الحنينالشَّجَن والوجد واللوعة والترجيع والبكاء ، لا تكاد تستقر في مكان ، ولا يقر لها قرار ، إذا رجعت حنينًا أبكى شجوها قطيع الإبل فبكت لبكاها ، وحزنت لحزنها فحُزن الأم لا يدانيه حزن ، وضعْفها لا يدانيه ضعف ؛ بل إن ألم الحيوان وإحساسه بقسوة الموت لهو أعنف من ألم الإنسان))[٢] .

ولذا اتخذ الشاعر الجاهلي حزن الأمومة عند الحيوانمصدرًا من مصادر صوره الشعرية حين يقصد إلى وصف حزنه . فها هو بغثر بن لقيط يرثي ولده ،فيشبّه حاله كحال الناقة الرؤوم ، فيقول[٣] :

الخانجي ، القاهرة ، ط ٤ ، ت ١٣٩٥هـ ، (٢/ ٣٢٠) .

(١) العمدة ، ابن رشيق ، (٢/ ٩٦) .

(٢) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص٨٩) .

(٣) بغثر بن لقيط ، ديوان بني أسد ، تحقيق : محمد علي دقة ، (ص٩٧) .

وبهامشه : (التراث والورث والميراث : واحد ، الرائم :الناقة يفارقها ولدها ، فيُحشى جلد فصيل تبنًا أو غير ذلك ويلطّخ بشيء من سلاها ، فإذا تشمَّمت ذلك الولد فقد رأمته ، أي عطفت عليه ولزمته) .

كساني ثوبي طعمة الموت إنما التـ ـراث وإن عز الحبيب ، الغنائمُ

إذا نفحت ريَّاهمُ ا الريح نفحـة أبيتُ يكأفضـَّة الطرف رائمُ

فبغثر يرثي (طعمة) -اسم ولده الذي مات - ، ويتذكره حين لبس الثياب التي ورثها عنه فإذا نفحت الرياح نفحةً يشتمّ رائحةً من ذلك الثوب تثير لوعته وحزنه ؛ كالناقة التي ترأم الجلد المحشو تبنًا لأنّه من رائحة ولدها الذي فقدته فتحزنت عليه أشد الحزن .

ولننظر في أبيات دريد بن الصمة الذي فزع بمقتل أخيه فرثاه بقوله[١] :

وكنت كذات البَوِّ بعتِ فأقبلتْ إلى جذمٍ من مسك سقبٍ مجلَّدِ

حين فزع إلى أخيه فوجد قد مُثّل به أورثه ذلك أعمق الحزن ، فشبَّه حاله بالناقة التي فزعت وحزنت بذبح ولدها (البوّ) الذي حُشي جلده تبنًا وحشيشًا لتعطف وتدر عليه .

ويقول مالك بن حريم معبرًا عن حزنه ومعاناته -قبل أن يأخذ بثأر أخيه- [٢] :

والشاعر هو : بغثر بن لقيط بن خالد بن نخلة . شاعر جاهلي ، له ولدان : طعمة ، وسلاك .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، تحقيق عزيزة فوال ، (ص٦٠) .

(١) دريد بن الصمة ، ديوان الأصمعيات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ،(ص١٠٩) .

وبهامشه : (البوّ : ولد الناقة يذبح ويحشى جلده تبنًا أو حشيشًا لتعطف عليه وترأمه فتدرّ عليه ، ريعت : فُزِّعَت ، الجذم : جمع جذمة ، وهي القطعة ، المسك : الجلد ، السقب : ولد الناقة ، المجلّد : المسلوخ).

ورواية البيت في ديوان الحماسة ، لأبي تمام ، تحقيق : عبد السلام هارون (ص٥٧٨) :

وكنت كذات البوّ ريعت فأقبلتْ إلى جلد من مسك سقبٍ مقدَّدِ

(٢) مالك بن حريم ، ديوان همدان ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، (ص ٢٩٧) .

وبهامشه : (العَجول : من النساء والإبل الوالهة التي فقدت ولدها ، والرُّبَع : الفصيل من أول النتاج) .

والشاعر هو : مالك بن حريم بن دالان بن عبد الله بن حبش بن ناشخ بن وادعة بن عمر بن رافع بن مالك

لا وَجْدَ ثَكْلَى كما وَجَدَتْ ولا وَجْدٌ بِعَوْلٍ أضلَّها رُبَعُ

فهوهنا يشبّه حزنه ومعاناته لفقد أخيه المغدور بحزن ومعاناة المرأة الثكلى التي فقدت ولدها ، وبحزن ومعاناة الناقة الوالهة التي فقدت ربْعها الصغير الذي فُصل عنها من أول النتاج .

ولطالما وجَد الشاعر في موت الحيوان وهلاكه أو مصرعه الأسوةَ والعزاء والسلوان لنفسه الحزينة وهو يفقد قريبًا أو حبيبًا أو صديقًا تخطَّفه الموت أو القتل ؛ فيبكي عليه ويرثيه ، ويقرن ذلك الرثاء بذكر الحيوان ، ويستخلص الدروس والعبر ؛ شأن أسامة بن الحارث عند تذكُّره إخوانَه ، فقال [١]:

تذكَّرْتُ إخواني فَبِتُّ مُسَهَّدًا كما ذكَرَتْ بَوَّامِنَ الليلِ فاقِدُ

فشبّه نفسه عندتذكُّرِ إخوانِه وقتَ المبيت -إذ لا سبيل للنوم فيه-بالناقة التي تحنّ وتحزن كلما ذكرت ولدها الذي فقدتْه إمّا بذبحٍ أو موتٍ فيُحشَى جلدُه ، فترأمه وتدرّ عليه .

ويذكرُ عمرو بن شأس الأسدي حزنه على فراق صاحبته بالناقة ، فيقول[٢] :

بن جشم الوادعي الحاشي الهمداني شاعر جاهلي فحْلٌ ، من لصوص همدان .

يُنظَر في ترجمته : ديوان همدان ، تحقيق عيسى أبو ياسين ، (ص٢٩٧) .

(١) أسامة بن الحارث ، ديوان الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، محمود شاكر ، (ص ١٢٩٥) .

وبهامشه : (البوّ جلد يحشى للفاقدة ولدها بذبح أو بموت ، فترأمه وتدر عليه) .

مسهد : قال الليث المسهد والسُّهاد نقيض الرُّقاد . اللسان (س ه د ، ص٧٢٦) .

(٢) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق ، يحيى الجبوري ، (ص٨٣) .

وبهامشه : (البوّ جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبنًا ونحوه ثم يُقرب إلى أمه فتعطف عليه وتدر ، الربع :

فكنت كالثكلى تكلّ لبتِّ لها رُبَعًا حنَّتْ لمعهدِه سَحَرْ

شبَّه حزنه على فراق صاحبته أم حسان وتذكُّره لها بالناقة التي تعطف على ولدها الذي مات فحُشي جلده تبنًا ؛ لترأمه فتدر عليه من لبنها على الرغم من ألمها وحزنها عليه .

ورأى الحارث بن حلزة رجلا يجرُّ خصمه ، فقال[١] :

وثَنَى له تحت الغبار يجرهُ جرَّ المفاشغ همّ بالإرآمِ

شبّه ذلك الرجل الذي يجر خصمه بلا رحمة ، بالذي يجر ولد الناقة من تحتها (وقد تملّكها الحزن عليه) ،فيُنحوتعطف على ولد آخر يجُرُّ إليها فيُلقى تحتها فترأمه - أي تعطف عليه- .

أمّا الخنساء المرأة المفجوعة فقد كشفت عن أدق مشاعر الحزن والألم في رثائها لأخيها صخر ، فقالت[٢] :

الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج) .

(١) الحارث بن حلزة ، الديوان ، تحقيق : إيميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، (ص٥٥) .

المفاشغ :فاشغ الناقة إذا أراد أن يذبح ولدها فجعل عليه ثوبًا يغطى به رأسه وظهره كله ما خلا سنامه ، فيرضعها يومًا أو يومين ثم يوثق ، وتنحي عنه أمه حيث تراه ، ثم يؤخذ عنه الثوب فيجعل على حوار آخر فترى أنه ابنها ، وينطلق بالآخر فيذبح . اللسان (ف ش غ ، ١٠٦١) وروايةُ البيت فيه :

بطلٌ يجرّ ره ولا يرثي لهجرُّ المفاشغ همّ بالإرآمِ

(٢) الخنساء ، الديوان ، دار صادر ، (ص٤٨) .

وبهامشه : (العجول الثكلى من النساء الوالهة التي فقدت ولدها ، البوّ : أن ينحر ولد الناقة فيؤخذ جلده ويحُشى ويُدنى من أمّه فترأمه ، إقبال وإدبار : أي لا تنفك تقبل وتدبر ، يقال : حنت الناقة ، إذا طربت في أثر ولدها . فإذا مدت الحنين وطربته قيل قد سجرت تسجر سجرًا ، بأوجد :بأشد وجدًا

ومجلوعٌ على بَوٍّ تطيفُ به لها حنينان :إعلانٌ وإسرارُ

ترتعُ ما رتعت، حتى إذا ادّكرت فإنّهي إقبالٌ وإدبارُ

لا تسمن الدهر في أرضٍ ، وإن رتعت فإنّا هي تحنانٌ وتَسجارُ

يومًا بأوْجد منّي يومَ فارقَني صخرٌ وللدّهر إحلاءٌ وإمرارُ

فشبّهت نفسها وما هي فيه من الوله والإحساس بالفقد ، واللوعة والحزن على أخيها -بالناقة المفجوعة الحزينة على ولدها الذي نُحرفيؤخذ جلده ويحشى ويُدْنَى من أمه فترأمه وتعطف عليه . وهنا نجدها قد اتخذت صفة (عجول) لتكشف بهذه الصفة عما يعتلج في نفسها من حزن امتدّ حتى الأعماق ، يثور هذا الحزن ويهدأ كالبركان تحركه نار الذكرى ، وينعكس ذلك على تصرفاتها ، فتضطرب حركتها . ويظهر الحزن العميق في قولها : (تطيف به) فهي تسلو حينًا فتأخذ في الرعي ، ثم تصحو عواطف الأمومة المفجوعة وتذكر فقيدها فيغلبها الألم ، فتظل وتدبر في حيرةٍ وترددٍ وصدمةٍ .

ويحزن عمرو بن كلثوم[1] لفراق الصاحبة ، فيقول :

فَمَا وَجَدَ بِعْدَكِ يَا أُمَّ سَقْبٍ فَرأَضَجَّتْ الْحَنِينَا

ولاَ شَمْطَاءُ لَمْ يَتْرُكْ شقَاهَا مِنْ تَمِسٍ إلاَّ جَنِينَا

فعبر عن الحزن الذي أصابه بأنه يفوق حزن الناقة التي أضلّت ولدها ، فردّدت صوتها

وحزنًا ، إحلاء وإمرار أي أن الدهر يأتي بالحلو المحبوب والمرّ المكروه) .

(١) عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تحقيق : أيمن ميدان ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، (ص ٣١٦ ، ٣١٧) .

وبهامشه : (الوجد : الحزن ، أم السقب : الناقة ، والسقب : ولدها الذكر ، الترجيع : ترديد الصوت ، الحنين: صوت المتوجع ، الشمطاء : المرأة الكبيرة ، الشقا : ضد السعادة ، الجنين : هنا المقبور) .

مع حنينها وتوجّعها في طلب ولدها ويفوق أيضًا حزن العجوز الشمطاء التي فقدت تسعة من أبنائها .

((هل هناك أوجعُ من بكاء الأم على ولدها الوحيد ؟ هذا ما يصوره عمرو بن معد يكرب الزبيدي عندما يقرِن ألمه على فراق صاحبته بألم الناقة الثكلى التي لا يعيش لها ولد))[١]، فيقول[٢] :

لَعَمْرُكَ ثَلاثٌ حائِماتٌ على رُبَعٍ يَرُعْنَ وما يَرِيعُ
وَنابٌ ما يَعيشُ وَلا أَحُشديدُ الطعْنِ مِثكالٌ جَزوعُ
سَديسٌ نَضَّجَتْهُ بعدَ حَمْلٍ تَحرِّي فالحَنينِ وتَستَليعُ
بأَوْجَعَ لَوْعةً مِنِّي وَوَجْدًا غَداةَ تَقَطَّعَ الأَنسُ الجَميعُ

فهو يشبه لوعته وحزنه ووجعه عند رحيل الأحبّة بلوعة وحزن ووجع ثلاث من النُّوق يحمُلْن على فصيلٍ هالك . ثم يقول : إن وجعه أشد ألمًا من وجع ناقة مسنّة لم يكن يعيش لها حوارٌ حتى إذا حملت وتجاوزت في حملها وقت الولادة ثكلت ولدها .

(١) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص٩١) .

(٢) عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، الديوان ، تحقيق : مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، (ص١٣٤ ، ١٣٥) .

وبهامشه : (**حائمات** : طائفات ، الربع : الفصيل الذي ينتج في الربيع ، **الناب** : الناقة المسنة ، **الحوار** : ولد الناقة **شديدُ الطعن** نغْتٌ للنّاب . **مثكال** : مبالغة ثاكل وهي التي فقدت ولدها ، **السديس من الإبل** : ما دخل في الثامنة ، **نضجته** : جاوزت به وقت الولادة ، تحرى: التحري القصد والاجتهاد والعزم على الفعل ، **تستليع** : من اللوعة وهي حرقة القلب من الحزن ونحوه) .

وهأيضًا متمم بن نويرة يشبّهحزنه على بجير السليطي بحزن ذات البوّ ، فيقول[١] :

وكنتكُذات البوّ ريعْت ْفرجعّت ْ وهل ينفعها نظرة وشيم

أطافت فلق ثم عاد فرجعّت ْ ألا ليس عنها سجرها بصريم

((يكررّ الشعراء ذكر الحنين كثيرًا في حديث الإبل . وليس الحنين هو هذا الصوت الموجع الذي تطلقه الناقة ؛وإنما يعني الحالة النفسية الخفيَّة ، وما في أعماق النفس من أشواق وهموم وآلام وشكوى))[٢] .

وعن صوت الرعد يقول لبيد بن ربيعة [٣] :

يُضي ءُ رَبابُهُ في المُزْنِ حُبْسًا قِ يكلمًلبلبِ وبالإلالِ

كأنّمُصفَّلتٍ في ذُراه وأنواحًلعليهنّ المآلي

فهو يشبّه صوت الرعد بصوت الإبل المصفَّحاتوهي الإبل اللواتي قد صُفحت أي عزُلت عن أولادها ، فهي تحزن وتعجز حين عُزلت عنها ، فتُصدر ذلك الصوت الذي شبّهه بصوت الرعد .

واستعار علقمة بن عبدةللسماء سقبًا -وهو ولد الناقة- ، فقال[١] :

---

(١) مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ، تحقيق ابتسام مرهون الصفار ، دار الإرشاد ، بغداد ، دط، ١٩٦٨م، (ص١٣٦) .

وبهامشه : (**سافت** شمّت والسَّوق والشم . **سجرها** : حنينها . يقول : ليس حنينها **بمنصرم** : بمنقطع) .

(٢) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص٨٧) .

(٣) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٩٠) .

وبهامشه : (المصفحات : الإبل اللواتي قد صفحت عن أولادها أي عزلت عنها ، الأنواح : النساء ينحن ، المآلي : الخرق التي تكون مع المرأة تحركها تندب بها) .

رغا فوقَ سَقْبِ السَّماء فداحض ٌ بشتكّةٍ لم يستلب وْسليب ُ

كأنَّهم صُابت ْ عليهم سحابةٌ صواعقُها لطيرِهنَّ دبيب ُ

فهنا شبّه الشاعر صوت رغاء السقب حين يفقد أمه فيحزن وتحزن الأم لفقده - بصوت الرعد حين ينطلق من السحاب ؛ فترجيع الأصوات بين الناقة وولدها يشبه إلى حد كبير صوت َ الرعد .

ويقول لبيد بن ربيعة[٢]:

كأنّ فِدامَ الرّتفقت لُه بِطًا ومِرْباعَ غانمٍ لَجَبَا

يشبّه صوت الرعد بصوت جموع الإبل مع أولادها -وهي المرباع-حين فرّق بين الأمهات والأولاد فكلٌّ يحنّ ويحزن على صاحبه بالأصوات التي تتعالى كاللَّجَبِ ، وهي أصوات الجيوش الغانمة .

ويقول أبو ذؤيب الهذلي[٣] :

---

(١) علقمة بن عبده ، الديوان ، تحقيق : سعيد نسيب مكارم ، (ص ٢٨ ، ٢٩) .

وبهامشه : (رغا : صوت وضج ، سقب : ولد الناقة عند ولادته ، داحض : زالق ، ومعناه زل فسقط على الأرض ، الشكة : جملة السلاح ، لم يستلب : لم يسلب ، سلب : منهوب العقل والمال ، صابت : أمطرت) .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٣٠) .

وبهامشه : (ارتفقت له : أي اتكأت له على مرفقي . ريط : ملابس [ليست] بملة . يقول :كأنّ فيه ملاحفَ من بياض البرق . المرباع : ربع الغنم يجعل لصاحب الجيش ، اللجب : الجيش الكثير الصوت واللَّجَب : الصوت نفسه) .

(٣) ديوان الهذليين ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، محمود شاكر (ص٧٩) .

الخبو تخبو خبوًا : سكنت وطفأت وخمد لهبها . اللسان (خ ب ا ، ص٢١) . ترازمت الرَّزْمة ضربٌ من

إذا استعجلت بعد الخبوّ ترازمت كهَزْمِ الظؤار جرُّعنها حوارُ ها

فالشاعر يشبّه صوت قدورهم التي تغلي بما يوقدون عليها بصوت فحيح عط ن على حوارٍ يظأرنه ولكنه يجُ ر عهنّ فترزمنَ لذلك .

وعن صوت المغنّية يقول طرفة بن العبد[١] :

إذا رجعَّتفي صوتها ، خ لْت صوتهَ ا تجاُوبُ أظآرٍ على ربُعِوَ ي

يشبه صوت المغنية بصوت فحيحٍ تحوّل تحزّن على فصيل صغير ميت ٍ فقُد ِ ر ذلك الصوت تَعبير ً ا عن حزنها على هذا الفصيل الذي ثكلته .

وفي شر ْ ح هذا البيت يقول أنور أبو سويلم : ((إنّ ترجيع القينة الشجيّ ، وصوتها المترنم بعفوية وفتور وسحر يتمثل في خياله تجاوُ ب أظآرٍ على ربع ردي ؛ بكاءً جماعيًّا لإ ل أظآر مات وحيدهن ، فهنّ يحنّ ويسجعن ويرجّعن بما في هذا الترجيع والسجع من مرارة الثكل وألم الأمومة))[٢].

حنين الناقة على ولدها حين ترأمو أرزمت الناقة إرزامًا ، وهو صوت تخرُ ج من حـ ق ـا لا تـ تح به فاها . اللسان (ر ز م ، ص١٣٣) . **كهَزْم** : الاهتزام من الصوت ، يقال : سمعت هزيم الرعد . اللسان (هـ ز م ، ص٩٣) . **الظُّؤار** : العاطفة على غير ولدها المرضعة له . اللسان (ظ أ ر ، ص٥) .

والشاعر هو : خويلد بن خالد بن محرث بن مضر . مات في طريق إفريقية .

يُنظَر في ترجمته : ديوان الهذليين ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، (ص٣) .

(١) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصقال ، (ص ١٤٩) .

وبهامشه : (أظآر : جمع ئر العاطفة على ولد غيرها ، المرضعة له ، الرُّبَعُ : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج) .

(٢) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، ص ؟؟؟

وتقول الخنساء مخاطبة دموعها الحزينة على فراق صخرٍ أخيها [١]:

فَنِـسـَـاؤُنا يَـنْدُبْـنَ نَوْحًـا بَعْدَ هادِيَةِ النَّوائِحْ

يحَنِنَّ بعد كَرى العيون حنين وَالِهةٍ قَوامِحْ

فشبّهت حزن النساء النوائح بحزن النوق الوالهة على أولادها ،التي بلغ حزنها مبلغًا جعلها تكره الماء وتمتنع عنه .

ومن السياقات التي صوّر الشاعر الجاهلي فيها حزن الأمومة عند الناقة : حين يثني الشاعر بكرمه ، وكرم قومه أو كرم ممدوحه . ويركز في هذا المشهد كثيرًا على وصف صوت (الرغاء) الذي تعبر به عن تلك الحيوانات العجماء عن حزنها وألمها ، وحينًا -في سياق الفخر بالكرم والبذل يصف جر الصغير وذبْحه وحزْن الأم الشديد عليه. يقول ابن مقبل عن كرم قومه [٢] :

لهُنَّ بالكُوم الجلادوَقد رَغَتْ أجَنَّتُها ولم تنضجْ لها حمْلا

كل هذا كناية عن كرمهم وبذلهم ؛ فهو يفتخر بقومه لأنهم يذبحون أفضل الإبل

(١) الخنساء ، الديوان ، دار صادر بيروت ، (ص٢٢) .

وبهامشه : (حنين الوالهة : أي النياق الوالهة ، الحزينة ، القوامح : واحدتها قامحة : الناقة التي ترفع رأسها وتمتنع عن الشرب ريًّا) .

وفي اللسان : **القامح** :الكاره للمياه لأية علّة وتقمّح الشراب : كرهه ؛ لإكثاره منه ، أو عيافه له ، أو قلة ثقلٍ في جوه ، أو لمرض . اللسان (ق م ح) ، (ص٤٨٨) .

(٢) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٥٨) .

وبهامشه : (الكوم : جمع كوماء وهي الناقة عظيمة السنام ، الجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن ، وقيل التي لا لبن فيها ، رغت : صوتت وضجت وذلك من الجزع حين رأت أماتها قد عرقبت، أجنتها : يريد أولادها،لم تنضج لها حملا : أي لم تتجاوز بها وقت الولادة) .

العظيمة السنام ذوات الألبان والأولاد ، فترغو أولادها حين تُقْرَبُ للضياعة .

ويقول أيضًا[١] :

أعداءُ كوم الذرى ترغو أجنَّتها عند المجازرِ بين الحيِّ والحجرِ

يصف كرم قومه فهم ينحرون النوق العظيمة السنام كثيرًا لعلف وقوّةٍ ؛ فتصيح وتضج الأولاد لنحر الأمهات في تلك المجازر . وهذا كناية عن كرمهم وذبْحهم خير المال .

ويفتخر عمر بن الأهتم بجوده وكرمه ، فيقول[٢] :

وقمتُ إلى البركِ الهواجدِ فاتَّقت مقاحيدُ كومٍ كالمجادلِ رُوقُ

(١) ابن مقبل ، الديوان ، (ص ٧٥) .

وبهامشه : (الكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام ، والذرى : يريد بها أسنتها ، ترغو : أي تصيح وتضج لنحرهم أماتها ، وأجنتها : يريد بها أولادها ، جمع جنين ، المجازر : جمع مجزر وهو الموضع الذي تُنحر فيه الإبل ، والحي : محلة القوم هاهنا ، والحجر : جمع حجرة ، وهي حظيرة الإبل تحجر فيها أي تحبس وتمنع) .

(٢) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبدالسلام هارون ، (ص ١٢٥ - ١٢٧) .

وبهامشه : (البرك : إبل الحي كلهم ، الهواجد : النيام ، المقاحيد : الإبل العظام الأسنمة ، المجادل : القصور ، الروق : الخيار ، الأدماء : البيضاء ، مرباع النتاج : يكون نتاجها أول الربيع وذلك أقوى لولدها ، الفنيق : الفحل المكرَّم الذي لا يُؤذى ؛ لكرامته على أهله ، ولا يُركبْ (تاج العروس) . النجلاء : الطعنة الواسعة ، الفتيق : يريد أنه طعنها في ليتها ، أوفد : ارتفعا ، أي علَوْا عليها ، الأزهر : الأبيض ، يعني ولدها ، العتيق : الكريم ، بقير : مشقوق عنه غشاؤه ، موهنا : بعد وقت من الليل ، قريب من نصفه ، الزاهق : الذي ليس بعد سمنه سمن ، الغَبوق : شراب العشي) .

والشاعر هو : عمر بن سنان ، وهو الأهتم ، بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحرث ، وهو مقاعس ، بن عمر بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم كان سيدًا من سادات قومه خطيبًا بليغًا شاعرًا .

لِأَهْيَفَ رِبَاعِ النِّتَاجِ كَأَنَّهَا إِذَا عَرَضَتْ دُونَ العِشَارِ فَنِيقُ

بِضَرَّتِهِ سَاقٍ وَبِخَّ لِمَاءَةٍ لَهَا مِنْ أَمَامِ المَنْكَبَيْنِ فَتِيقُ

وَقَامَ إِلَيْهَا الجَازِرَانِ فَأَوْفَدَا يُطِيرَانِ عَنْهَا الجِلْدَ وَهْيَ تَؤُوقُ

فَجُلَّيْنَا ضِرْعُهَا وَسَنَامُهَا وَأَزْهَرُ يَجْلُو لِلْقِيَامِ عَتِيقُ

تَبِيرٌ جَلَاهَا بِالسَّيْفِ عَنْهُ غِشَاءَهُ أَخٌ بِإِخَاءِ الصَّالِحِينَ رَفِيقُ

فَبَاتَتْ لَنَا مِنْهَا لَذِيذٌ وَشَارِفٌ وَشَحْمٌ سَمِينٌ أُهْزِقٌ وَغَبُوقُ

يصف هنا جودَه وكرمه ؛ فهو يختار لإكرام الضيف من النوق أفضلهن وأكرمهن ، فيذبح أثمن النوق الحوامل التي مازال ولدها صغيرًا .فهو يُستخرج من بطنها ، ثم يكشف غشاء الولادة عنه بالسيف ويذبح هو وأمه ؛ مما يجعل هذه الأم في غاية العجز والحزن الأموميوكأن هذه الناقة التي اختارها لعِظَمِها قد وقت الأخريات من النحر . وذلك كناية عن الكرم .

ويصف العريان بن سهلة النبهاني كرمَ ممدوحه ، فيقول[1] :

وَرُحْتُ إِلَى دَارِ امْرِئِ الصِّدْقِ حَوْلَهُ مَرَابِطُ أَفْنَاءٍ كَثِيرٌ فِتْيَانُهَا

وَمَنْحَرُ مِئَاتٍ يَجُرُّ حُوَارُهَا وَمَوْضِعُ إِخْوَانٍ إِلَى جَنْبِ إِخْوَانِ

فهو يصف كرم وجود ممدوحه الذي يجتمع الفتية عنده لسخائه ، فينحر الإناث من الإبل والتي تحزن وتعجز عندما تجُزر وحوارها في بطنها ،فيُجرّ من بطنها . وذلك كناية عن

(١) الحماسة ، لأبي تمام ، الديوان ، تحقيق غريد الشيخ ، إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ ، (ص١١٣٩) .

وبهامشه : **المئناث من الإبل** :التي تلد إناثًا ، ومعنى **يجر حوارها** :أنها تجزر وهو في بطنها فيُجرّ من بطنها ، **الحوار** : ولد الناقة) .

كرم الممدوح .

هنا يصف جزع قومه ، وفجيعتهم به إذ كان مجير خائفهم ومُطعم فقيرهم ومحتاجهم في ساعة الجدب بهذه النوق التي فقدت أولادها من شدة الجوع أو من نحر وغيره فحُزنها على صغارها لا يختلف عن حزن القوم على بسطام بن قيس .

ويفتخر بشر بن أبي خازم بكرم أخيه وجَدِه ، فيقول[١] :

إِنَّ الَّذِي جَمَّعَ المُرُوءَةَ وَالنَّـ ـنَجْدَةَ والبِرَّ والتُّقَى جُمِعَا

والحافظ الناسَ في القُحوط إذا ما يلسلوا تحت عائذٍ رُبَعَا

فهو يصف كرمه في حرصه على أن يساعد الناس في سنوات الجدب والقحط ، التي ينحر فيها الفصال لئلا ترضع فتضر بالأمهات ، ولشدة حاجتهم إلى اللبن ؛ فلا سبيل لذلك النوق إلا الحزن والإحساس بالعجز تجاه أولادها .

ويصف مالك بن حريم إكرامَه لضيوفه ، فيقول[٢] :

ورُبَعِيٍّ نُحِرتُ على الثَّـ ـلاثِ لِحَيْ ثَلاثةٍ مِن بَعْدِ يَوْمِ

---

(١) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٤٨) .

وبهامشه : (**العائذ من النوق** : الحديثة النتاج **والرُّبَع** : ولد الناقة الذي يولد في الربيع) .

(٢) مالك بن حريم ، ديوان همدان ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، (ص ٢٨٩ ، ٣٠٠) .

وبهامشه : (ربعي الناقة : الذي ولدته في الربيع ولم يمض عليه الحول) .

هرهرة : يطلق الهرير على صوت غير الكلب . و هرهر : دعا الإبل إلى الماء . اللسان (هـ ر ر ، ص٧٤ ، ٧٥)

والشاعر هو : مالك بن حريم بن دالان بن عبيد الله بن حبيش بن ناشح بن وادعة بن عمر أصبى بن دافع بن مالك بن جشم الوادعي ، الحاشدي ، الهمداني .

يُنظَر في ترجمته : ديوان همدان ، تحقيق عيسى أبو ياسين ، (ص٢٨٩) .

فراحوا حامدين وَرُحْنَ بُحًّا فلم أحفالِ هِرْهِرَةِ الحنينِ

فهو يصف جوده وكرمه بنحره صغار الإبل التي لم يمض عليها الحول لضيوفه الذين انصرفوا حامدين ، وانصرفت النوق حزينةً على صغارها ، وقد بحّتْ أصواتها من هرهرة حنينها وحزنها الذي لا ينقطع ؛ ومع ذلك لم يكترث لما أصاب تلك النوق التي تمثل أفضل ما يملكه ليثبت أن كرمه هو المفضل لديه .

ويذكُر الحطيئة ناقته ، فيقول[١] :

كأنّ هُوِيّ الريح بين فروجها تجاوبُ أظآرٍ على رُبَعِيِّ

ترى بين حِلْيها إذا ما تزغَّمتْ ملاكبيتِ العنكبوت المهدّمِ

هنا يصوّر ناقته وهي مشرفة من مكانٍ عالٍ ، فيشبّه صوت الرياح الذي يمر بين يديها ورجليها بصوت ناقةٍ تعطف على غير ولدها ، وهي تحن وتحزن على الربع الهالك ، فيظهر منها ذلك الصوت الضعيف .

وعن صوت الرعد يقول طرفة بن العبد[٢] :

---

(١) الحطيئة ، الديوان ، تحقيق أبو سعيد السكري ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، د ط ، (ص٤٩) .

وبهامشه : (هُوِيّ الريح : مرورها بسرعة ، فروجها : فرج ما بين يديها ورجليها ، الأظآر : جمع ظئر وهي العاطفة على غير ولدها ، الرُّبَع : ما ولد في الربيع ، الردي :الهالك ، تزغّمت :تبغّمت ، التزغُّم : صوت ضعيف . ومن رواه (تبغَّمت) فمعناه :قطعت الحنين ولم تمدّه ، اللغام :زبَد الإبل ، يريد : أنها لا ترغو ولا تضج من ضجرٍ) .

(٢) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصفال ، (ص٩١) .

وبهامشه : (الخلايا : جمع خلية ، وهي : أينُق يجمعن على حوار - ولد الناقة من يوم ولادته إلى فصاله- . والخلية من الإبلة : التي خليت للحلب . الرباع : جمع ربع وهو ما نتج في الربيع، والعوذ : الحديثات

كأنّ الخلايا فيه ضلّتْ رباعُها وعُوذًا إذا ما هزّه رعْدُ احتفلْ

هنا يشبّه كثْصوت الرعد الذي في السحاب وكأن فيه إبلا ً عُوذًا ولهً على أولادها، قد فقدت رباعها بموت أو بغيره فهي تحزن وتحنّ إليها .

وعن صوت الرّعد أيضً ا يقول امرؤ القيس في محاورة بينه وبين الحارث[١] :

*كأن هزيزَه بُوراء غُيبٍ *

فقال الحارث :

*عشارٌ وَلْهُ لاقتْ شَارَ ا *

فهنا يُشبّه صوت الرعد الذي يصحب البرق بصوت النوق الحوامل الوالهة الحزينة التي فقدَتْ فصلانها بنحر أو غيره ؛ فهي تُصدر ذلك الصوت المملوء حزنًا على صغارها .

وترتبط حياة العرب برعي الإبل ارتباطًا وثيقًا ؛ فمن أجل المرعى كانت القبيلة تهاجر من أرض إلى أرض ..وكان التنازُع على امتلاك المراعي من أسباب الغارات والحروب . ومن واجب القبيلة أن تدافع عن حماها ، وعن مراعيها ، وعن نعمها . وكثيرًا ما يعتز الشعراء ببطولاتهم في حماية الإبل من غارة القبائل[٢] .

إنّ صورة الإبل في هذه الأشعار تقرن بوحشية الإنسان وقسوته وأعنف ما يكون

النتاج ، هزّه : حرّكه وزلزله ، احتفل :أي كثُر مطره) .

(١) امرؤ القيس ، الديوان ، تحقيق : حسن السندوبي ، أسامة صلاح الدين منيمنة ، (ص١٢٣) .

وبهامشه : (هزيزه : صوته ، العشار : النوق الحوامل) .

وَلْهٌ : الوله الحزن ، وقيل : هو ذهاب العقل والتحيرٌ من شدة الوجد أو الحزن أو الخوف ، أو لفقدان الحبيب . اللسان (و ل هـ ، ص ٤٠٤) .

(٢)يُنظَر : أنور أبو سويلم ، الإبل في العصر الجاهلي ، (ص١٣٦) .

الإنسان محاربًا ، فهو الذي يصنع الألم والبكاء وهو الذي يتألم ويبكي للموت ، فالإبل تأخذ من الإنسان عناصر ضعفه المتمثل في البكاء والوحدة والشيخوخة ، وتأخذ بجانبها عناصر قوته وقسوته الكامنة في تكوينه والتي تبرز عندما يكون محاربًا)) [١] .

وعن تأثير الحروب على النوق يقول الأعشى[٢]:

تخرُجِ الشيخَ عن بنيه وتَلْوِي بِلِبَانُ المِعْزابةِ العِلْكِ

يصف الأعشى هول تلك الحروب وتأثيرها على النوق المرضعة ذات الألبان الغزيرة فيذكّرن الغارة تشرّدها المِنّق وتفرّق بينها وبين أولادهافتحزن تلك النوق وتذهب ألبانها.

ويفخرُ مالك بن حريم الهمداني بسطوة قومه وبأسهم في الحروب ، فيقول[٣] :

فمريئًا أو يعترض بسبيلنا يجدْ أثرًا دعسًا وسلاقًا موضعَا

يصف سطوة قومه وبأسهم فالإبل تلقى التعب من ثِقَل الأحمال ، وبعد الغارة تجهض وتُلقي ما في بطونها ، والذي يعترض طريقهم سيجد أثر دعْسهم السخال التي وضعتها الحوامل من النوق في مواضع متفرقة من الطريق ؛ لطول سيرهم ، ولشدة التعب الذي تلقاه تلك النوق يكلّ بعضها ويتوقف عن المسير فيذبحونه سواءً كان من الفصلان

(١) أنور سويلم ، الإبل في العصر الجاهلي ، (ص٩٤) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص ١٣) .

المعزابة : الذي قد عزب بإبله . اللسان (ع ز ب ، ص ٢٣٤) . **المعزال** :الذي يستبدّ برأيه في رعي أُنف الكلا ، ويتّبع مساقط الغيث ويعزب فيها . اللسان (ع زل ، (ص ٢٣٤) .

(٣) مالك بن حريم الهمداني ، الأصمعيات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٦٤) .

وبهامشه :دعسًا : الطريق الدعس الذي دعسته القوائم ووطئته وكثرت فيه الآثار ، السخل : جمع سلة يريد أولاد الإبل والخيل . الموضع : المتفرق)

أمهن الأمّات التي أصابها من العجز والحزن الأمومي ما أصابها .

ويمدح الأعشى إياس بن قبيصة الطائي ، فيقول[١] :

إذا أَدْلَجُوا ليلةً والرِّكابُ بخُوصٌ تخضخض أشوالها

هنا يصف الممدوح ببُعد الغارة ، فهم يسيرون الليل كلّه ، وقد غارت أعين الإبل ، وضعفت قواها ، وجفّت ضروعها من الألبان ، فلم يعد هناك ما يبقى لصغارها ؛ فهي عانٍ لما أصابها هي وصغارها .

ويصف تأبط شرًا معاناة النوق المرضعات ، فيقول[٢] :

إذ روّحَ بلْوُ اللِّقاحِ عشيّةً حُلُبُ الظهورِ وهُنَّ زهيدُ

وحُبِسْنَ في هزْمِ الضريع فكلُّها حبْاءُ بادِيةُ الضلوعِ جدودُ

فنتيجةً لما لاقتْه النوق المرضعات من شدة البرد ، والجوع ، والجهد بيّن أثر ذلك في جفاف ضروعها ، فزاد ذلك في معاناتها وحزنها على صغارها .

ويقول أوس بن حجر[٣] :

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص١٦٧) .

وبهامشه : (أدلجوا : ساروا في الليل خوص ، جمع أخوص ، والفعل خوص أي غارت عينه . الخضخضة : تحريك الماء ونحوه ، الأشوال جمع شائله ، وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها) .

(٢) تأبط شرًا ، الديوان ، تحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، (ص٥٩٨) .

وبهامشه : (حدب الظهور : من الهزال ، زهيد : قليل ، الضريع : يابس العشرق ، وهزمه : ما كسر منه ويبس ، جدود : التي لا لبن لها) .

(٣) أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، (ص ٥٤) .

والحافِظاتُ عَلَى تحَوطَ إذا لم يرُبْلِوا تحتعَائذٍ رُبَعا

فالبيت كناية هنا عن شدة الجوع والجدب ؛ حتى إنّ الناس يذبحون الفصال لئلا ترضع من أماتها فتضر بّها ، فيصيب تلك النوقَ الحزن والمعاناة على أولادها .

ويصف عمرو بن قميئة المنّسُك الذي يذبح للعبادة والطاعة ، فيقول[١] :

وإني أرى دِيني يوافقُ دينهم إذا نَسكُوا أفراعهَا وذبيحَها

هنا يصف دينه الذي يماثل دينهم في النسك ؛فهم يذبحون الحُوار -أول ولد تنتجه الناقة- لآلهتهم ،ويُلْبَس جلدهُ آخرَ فتحزن وتعجز عن حمايته ، ثم ترأمه وتعطف عليه وتدر عليه بلبنها .

ويظهر في أبيات طرفة التالية حزن الناقة وعجزها ، فقد ((أثار طرفةُ عليها متعمدًا عقرها بغيًا وجحودًا ، وإخراجَ حوارها من رحمها اشتفاءً))، قاصدًا تحليَّ هذا الشيخَ الحريصَ على مبادئه ، وما يمثله من حكمة وتعقلٍ وإيمان ، وكأنما أراد تمثيل دور عاقرِ ناقة صالحٍ))[٢] ، فيقول[٣] :

وبهامشه : (العائذ : الحديثة النتاج ، والربع : الذي ينتج في الربيع ، وتحوط وقحوط : اسمان للسنة المجدبة).

(١) عمرو بن قميئة ، الديوان ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، (ص٣٢) .

وبهامشه : (نسك :نسكًا إذا ذبح ، الذبيح : الذي يصلح أن يذبح للنسك وهو العبادة والطاعة ، أفرع القوم: إذا ذبحوا أول ولد تنتجه الناقة لآلهتهم)

(٢) بتصرف عن أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص١٢٠) .

(٣) طرفة بن العبد ، الديوان ، (ص٤٤ ، ٤٥) .

وبهامشه : (البرك : جماعة إبل الحي ، الهجود : النيام ، نواديه : أوائله وما سبق منه ، العضب : القاطع ، المجرد : المسلول من غمده ، الكهاة : الضخمة المسنة ، الخيف : جلد الضرع ، الجلالة : الضخمة ، عقيلة المال : خيره وأفضله ، الوبيل : العصا ، اليلندد الشديد الخصومة ، ترّ : طن وندر ، الوظيف :

وبكْرٍ هجودٍ قد أثارت مخافتي نواديه أمشي بعضبٍ مجردِ

فمرّت كهاةٌ ذاتُ خُيفٍ جلالةٌ عقيلةُ شيخٍ كالوبيل يلَنْدَدِ

يقول وقد ترّ الوظيف وُسَاقَها: ألستَ ترى أنْ قد أتيت بمِئْدِ ؟

وقال: ألا ماذا ترون لشاربٍ شديدٍ عليكم بغيةٍ متعمّدِ ؟

فقالوا ذروه إنّما نفعُها له وإلاّ تكفّوا قاصيَ البَرْكِ يزْدَدِ

فظلّ الإماءُ يلمتَلِئْنَ حولَها ويُسْعَى علينا بالسَّدِيفِ المسرْهَدِ

((يصف طرفة بن العبد حاله حينما أثار الغبارَ في إبل الحي، ثم يدخل بينهما ثلاثاً والعضب المسنون يلمع في قبضته، فيعتام منها ناقة كوماء ضخمة لشيخ حريص على حياتها، يطعنها في قوائمها، ويأتي الشيخ يوبِّخ ويلوم على البغي والتحدي، ثم ينطلق وراء الإبل الجافلة، يحتازها ويهدىء من روعها، وتأتي النساء إلى الناقة فيستخرجن حوارها ويشوينه، ويقلمْن للشاربين اللحم السمين والسنام المشوي)) [1]. ويظهر جلياً عجْز تلك الناقة في حماية نفسها أو حماية لحمْها عندما ثار طرفة عليها متعمداً وأراد عقْرها.

((إن الشعراء رسموا للناقة الثكلى مناظر موجعة؛ فهي دائمة الحنين، والشجن، والوجد، واللوعة، والترجيع، والبكاء لا تكاد تستقر في مكان ولا يقر لها قرار، إذا رجّعت حنيناً أبكى شجوُها قطيعَ الإبل فبكت لبكاها، وحزنت لحزنها فحُزن الأم لا يدانيه حزن، وضعفها لا يدانيه ضعف؛ بل إنّ ألمَ الحيوان وإحساسَه بقسوة الموت لهو أعنف من ألم

ما بين الرسغ والساق، المؤيد: الداهية، قاصيتها: منها وتنحّى، والقصا: الناحية، يمتللن حوارها: أي يشوينه، الحوار: ولد الناقة، السعي: المشي، السديف شقق السنام وهي قِطَعُهُ، المسرهد: الحسن الغذاء).

(١) بتصرف عن: أنور عليان أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، (ص ١٢٠).

الإنسان.وفزعَ الحيوان من هول الموت ليس بأقلّ من فزَع الإنسان ؛وإن كان الإنسان يدّعي أن الموت عنده أوجعُ وأكثر إيلامًا))[١] .

وكما يترك الموت أحزانًا وأوجاعًا في قلب الإنسان،فإنّه كذلك يترك أحزانًا وأوجاعًا في قلب الحيوان ؛ فقد صاغ الشعراء الجاهليون أحزانهم وآلامهم ،وشبّهوها ووصفوها بحزن الناقة الثكلى على ولدها .

وقد بدا للباحثة من خلال الأبيات التي تصور حزن الأمومة عند الناقة أن الشاعر الجاهلي ذكر ذلك في سياق الرثاء حينًا ، وفي سياق كرم الموصوف حينًا آخر ، فاستخدم (صورة حزن الأمومة عند الناقة)مصدرًا للصورة الشعرية ، وشبّه صوت الرعد الذي هو مظهر من مظاهر الطبيعة بصوت الناقة الحزينة ، وكذلك شبّه صوت قدورهم التي تغلي ، وصوت المغنية المترنم الشجي ، وصوت النساء النوائح -بالناقة الحزينة التي تنوح على صغارها .

وشبّه الشعراء كذلك صوت الناقة التي فقدت ولدها بفصال أو بنحر أو بموت أو غير ذلك -بصوت الرعد الذي هو مظهرٌ من مظاهر الطبيعة- تارةً ، وتارةً بصوت قدورهم التي تغلي -كنايةً عن كرمهم- ، وتارةً بصوت المغنية المترنّم الشجيّ ، وتارةً بصوت النساء النوائح ؛ فالناقة تنوح على صغارها كما تنوح هؤلاء النسوة .

أمّا وصْف الشاعر الجاهلي لحزن الأمومة عند تلك النُّوق التي تحزن وتتألم لفقد صغيرها إمّا بنحر أو فصال أو موت فقد ورد كثيراً في وصف الشاعر قومَه بالكرم والعطاء ؛ فهم ينحرون النوق العظيمة السنام،وربما تكون تلك النوق حواملَ فيُستخرج حوارها من بطنها كناية عن الكرم . ونجد الشاعر يصف صوت الرعد الذي في السحاب بصوت النوق الواهة على أولادها ، وفي مواطن أخرى يصف الشعراء حزن الأمومة من خلال الحروب

(١) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص٨٩) .

وتأثيرها على النوق ؛فبسبب تلك الحروب تفقد تلك النوق صغارها لبُعد الغارات ، وكثرة الترحال . ومن شدة التعبسقُ ط ما طو ا ؛إضافةً إلى أن ضروعها قد جفّت من شدّة الجهد والتّعب .

ووصَ ف الشعراء كذلكحُ زن الأم (الناقة) التي تعجز عن حماية نفسها ثم حماية أولادها .

إنّ الشاعر الجاهلي أخذ من القصص الغابرة - مثلقضة ثمود والناقة؛ليتغلغلَ في مشاعر وأعماق تلك الناقة العاجزة الحزينة التي فقدت ولدها ، وذلك السقب الذي فقدأمَّه .

لاتُحِ ظ الباحثةُ أن الشعراء الجاهليين حصروا تعبيرهم عن حزن الأمومة عند الناقة في مجالاتمعيّنة ؛ مل : الرثاء ووصف تلك المعاناة ، وفي إثبات صفة الكرم ، وفي الحروب المتسببة في حزن الناقة . وبعض الأصوات من حولهم ؛ مل : كصوت الرعد في السحاب ، وصوت النساء إمّا مغنّيات ، أو نوائح .

ولكن لا بد من طرح هذا التساؤل : لماذا حصر الشاعر الجاهلي حزن الأمومة فيما تقدم ذكره فقط ؟ فمظاهر الطبيعة الصحراوية الجاهلية ملهمة للشعراء في التعبير ن حزن الأمومة.

ونشير هنا إلى أنّنا لم نجد بيتًايشبّه أو يصف فيه صراع الناقة مع حيوانات الصحراء ؛ علىالرغم من أن هذا الصراع يخلِّف الحزنَ والألمَ ، والعجزَ لأحد الطرفين إمّا بفقْد الولد أو بفقْد الأم والملاسيما أن الشعراء شُغِ فوا بتصوير هذه الحيوانات - وبخاصةً الناقة- تصويرًا دقيقًا واسعًا . ويبدو أن الناقة لم يكن لها نصيب عند الشعراء في وصف حزنها على ولدها الذي فقدتْه نتيجةً لصراعها مع حيوانات أخرىدفاعًا عنهولعل ذلك راجِعٌ إلى عناية العرب بالإبل وحمايتهم لها ، وعدم تعرُّضها لما يهُ لِكها منِ وحشٍ وغيرِه ؛ لذا فهي تفقد فصيلها -غالبًا- بالذبح ؛ لإطعام الضيف .

ثانيًا : حزن الأمومة عند البقرة الوحشية ، والظبية

شكّلت البقرة والظباء الوحشية قاموسًا يستقي منه الشعراء في الجاهلية كثيرًا من المعاني والهيئات والصور ؛ لذا كان لها أهميتها في تراثنا الأدبي . يقول الجاحظ : ((اعلمْ -رحمك الله تعالى- أنّ الله جلّ وعزّ قد أضاف ستّ سورٍ من كتابه إلى أشكالٍ من أجناس الحيوان الثلاثة ، منها ما يسمونها باسم البهيمة ؛ وهي سورة البقرة ، وسورة الأنعام ، وسورة الفيل)) .. ثم قال : ((فلو كان موقعذكر هذه البهائم من الحكمة والتدبير موقعَها من قلوب الذين لا يعتبرون ، ولا يفكرون ، ولا يميزون ، ولا يحصلون الأمور ، ولا يفهمون الأقدارلَمَا أضاف هذه السوُّرَ العظام الخطيرة ، والشريفة الجليلة ، إلى هذه الأمور المحقَّرة المسخَّفة ،والمغمورةَ المقهورةَ))[1] .

للبقرة الوحشية حضورٌ واسعٌ في الشعر العربي الجاهلي ؛إذ تردَّدَ ذِكْرُهَا عند الشعراء الجاهليين في عدة قصائدأل ففوا مشاهدتهاَ في رحلاتهم لتلك الصحاري المترامية ، وكثيرًا ما نجدهم يخلعون عليها مشاعرهم وأحاسيسهم من مدحٍ وفخرٍورثاءٍ ؛ من خلال وصفهم لتلك المخاطر والمهالك التي تواجههم .

يقول الأعشى عن ناقتَه يشبّهها بالبقرة الوحشية [2] :

تَـرَاها إذَا أَدْلَجَتْ لَيلَةً هَبُوبَ السُّرَى بَعْدَ إسْآدِها

(١) الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، (١ / ٤٨٤) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٧٣) .

وبهامشه : (الجؤذر : ولدها ، الأجماد : جمع جمد وهو الأرض الغليظة . بقنة : الأرض الخصبة بين الصخور الغليظة . الشجون : الحزن ، إبعادها : انفرادها ، ضراء : جمع ضرو وهو كلب الصيد ، تسامى : تطاول ، إبسادها : إغراؤها) .

كَعَيْلَةِ ضَلَّ لَهَا جُؤْذَرٌ بِقَفَّ جَوٍّ فَأَجْمَادِهَا

فَبَاتَتْ بِشَجْوٍ تَضُمُّ الحَشَا عَلَى حُزْنِ نَفْسٍ وإِيحَادِهَا

فَفَجَّلَهَا طُلُّ لِلنِّحْرِ وُقِ ضَرَبَّاءُ تَسْمَى بِأَبْلَادِهَا

فشبّه ناقته السريعة والتي تواجه مصاعب الصحراء ببقرة وحشية فقدت ولدها ، فباتت حزينةً وحيدةً مستوحشةً ، وعند الصباح هاجمتْها الكلاب ولم تجد هذه البقرة بُدًّ من الاستبسال فراحت تدافع عن نفسها بقرنَيها حتى تغلّبت عليها . وهنا يمدح الأعشى ناقته فيقول إن ناقته تشبه هذه البقرة الجريئة التي انتصرت على الكلاب .

وما تقدَّم نموذجٌ لما ذكره الجاحظ بقوله : ((ومن علة الشعراء إذا كان الشعرُ مرثيّةً أو موعظةً أن تكون الكلابُ التي تقتل بقر الوحش .وإذا كان الشعر مديحًا ، وقال : كأن ناقتي بقرةٌ في صفتها كذا أن تكون الكلابُ هي المقتولة .ليس على أنّ ذلك حكايةٌ عن قصة بعينها، ولكنّ الثيرانَ ربّما جرحت الكلابَ وربما قتلتْها وأما في أكثر ذلك فإنها تكون هي المصابة ، والكلابُ هي السالمةُ والظافرةُ، وصاحبُها الغانمُ))[1] .

ويمدح لبيد بن ربيعة ناقته ، فيقول[2] :

كأنَّها بالغُمَيْرِ مُمْرِيَّةٌ تَبْغِي بِكُثْمَانَ جُؤذًا طَبَا

قَدْ أَتَّفَ الرُّقَةَ البُغَاةِ وقدْ كلَّفَ رَاتُهُ مُلَمَّعًا شَبَبَا

(١) الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ، ص٢٠

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص ٢٧ - ٢٨) .

وبهامشه : (الغمير : موضع ببلاد بني عقيل ، وكثمان جب ببني عقل ، الممرية : التي قد أكل ولدها أو مات وهي حينئذ يكثر لبنها ، عطب : هالك أصابه سبع ، والبغاء : الطلب ، ملمعا : ثور به توليع من سواد في وجهه وقوائمه وسائره أبيض ، شبب : مسن)

هنا يشبّه ناقته ببقرة ممرية وهي التي فقدت ولدها بموت أو غيره فيكثر لبنها ، وهي تطلب ولدها ، وتُؤْثِر البحث عن ولدها على مراعاة الثور الوحشي .

وأيضًا يقول الأعشى[١] :

كَأَنَّ قُتُودَ الرَّحْلِ عَنَّا تَخَالُهُ مَهَاةً بِدَكْدَاكِ الصَّبِيِّ افْتَقَدَا

هنا يشبّه ناقته السريعة بالمهاة التي فَقدت ولدها ؛ فهي مذعورة تُتابعها الخوف والحزن، فتعدو عدوًا سريعًا تبحث عنه في تخفٍّ ونشاط ؛ على الرغم مما ينالها من القيظ .

ويَرجع الأعشى بخياله إلى أيام شبابه ، فيذكر صاحبته ، ويقول[٢] :

وَجِيدٍ مُغْزِلَةٍ تَقْرُو نَوَاجِذُهَا مِنْ يَانِعِ المَرْدِ مَا احْلَوْلَى وَمَا طَابَا

وعين وحشيةٍ أغْفَتْ فأرَّقها صوتُ النئّاب فأوْتَنْحوْهُ أبْدَا

فهو يشبّه عينَي صاحبته الجميلتين بعينَي بقرةٍ وحشية مذعورة من عواء الذئاب في الليل ، فظل تحملق بعينها في ما حولها وهي ترقب وتَتَبّع مصدر الصوت ؛ خوفًا على طفلها الذي تُناوله شجر الأراك .

ولبيد بن ربيعة أحد شعراء الجاهلية ابنُ البيئة البدوية الذي تميز بالخيال الواسع الخصبِ الرَّحْبِ فهو يسرُدُنا في إحدى قصائده قصّة البقرة المسبوعة ، حاشدًا لها الأحداث

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٦٧) .

وبهامشه : (القَتَدُ : خشب الرحل ، والجمع : قتود ، العنس : الناقة الصلبة القوية ، المهاة : بقرة الوحش ، الدكداك : من الرمل ما تلبد بالأرض ولم يرتفع ، فاقد : فقدت ولدها) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣٦١) .

وبهامشه : (وحشية : أي بقرة وحشية ، أوقت : أتت نحوه أي نحو الصوت ، دأبا : أي دأبا من دأب أي مضى واستمر) .

والصوو َالتشبيهات ِ في أسلوب ٍ قصصي ٍّ ممتعٍ مؤثرٍ ، فيقول[١] :

أَتَذَرِ لِكْ أم ْوحْشِ يَّةٌمُسَ ْبُوعَةٌ خَدَتَكَ ْوهَدِ يلِلْصوَّارةِ ِوَامُ ِها

خَنساءُضَّيَّعَت ِ الفَرِ َفلَم يَرِمْ ِرْضُ َ الثقَّاَّقِ طَوْفُها وبُظَامُ ِها

لِمُعَفَّرٍ قَهْ ٍ تَنَازَعَ ِلْ ِوَهُ ُبغْضُ ٌ وكَسَ ِلاَيُّ ٌمَ َنٌّ طعامُ ِها

صَ َادَفْمِنَها غِ ِوَّةً فَضَ َبْنَها إنّ المَ ِ.. يا لاطِيَش سُ ِهامُ ِها

بلتَوْأسَ ْلِوَاكِ ٍفمِنْ دِ ٍيْةَ ٍ يُرْ ِوِي الخَ َائلِ دَائمً َسْتَجْامُ ِها

يَعْلُو طَرِيْقَةَمَ َتْنهلمُولَتَ ِرٌ ٍفِي ليلةٍ كَفَوَ َالنجومِ غَمامُ ِها

تَجْتَافُلَا ً قالِصً َمُتَنَبِّ ًا بِعجُوبِ أَ َنْقَعٍ يَ ِيلُ هُيامُ ِها

ضِتُ ٍيءُفي وجْهِ ِ الظَّلامِ ُنِيرَ َةً كَجُ ِمقَاذَ البَحْرِي لَّ ٌنِظامُ ِها

حتّى إذاالخَوَ َ الظَّلامُوأَسْ ِفَتَ ْ بكَرَتَ ْ تَئُوبُ ٌعَ َن الثَّوَى أَلأَمُ ِها

عَ َاهَتَ ْ تَرَدَّيُ َنِ ٍهِصَ َائِدٍ سَ َبْ ِعًا تُؤَ َامًا كَلاَمً َأيَّ َمُ ِها

حتّى إذائِيسَتَ ْوأَسْحَقَ َلاَ ٌقِ لَمْ يُلْبِ ِمِإرْضَاعِهَا وفِ ِطَامُ ِها

وَتَوَجَّسَت ْزِّ الأَنِيْسِ فَرَاعَهَا عَ ِنظَهْرِ غَيْبِوالأنيسُ سَ َمُ ِها

فَغَتَكَلاَ الفَرَ َجينتحَسَبُ أَ َنّه مَوْلَى المَخَ َافَةِ خَلْفُ ِهِوأَمَامُ ِها

حتّى إذائِيَ َ الرُّمَ َاقُوأَرْسَ َ ِلوا غُ ْفًا ِوَاجِ ِنَاقِلاً ً أعْصَامُ ِها

خَ َقْنَ وَاعْتَكَرَتَ ْهَ َلَوِيَّ ًةً كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّ ِها وتَمَامُ ِها

لِ َتَذُودَهُنَّ وَأَيْ َتَ ْإنْ لَمْ تَذُدْ أَنْقَدْتُمُ ِّمِن الحُتُفِ حِ ِمَامُ ِها

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٣٠٧-٣١٢) .

فقَدَّمتْ نهاكَأَفضرِ جَتْ بِدَمٍوغُودر في المكَوِّسُخاُ ها

أراد لبيدٌتشبيفَاقتِه في الإسراع في السيَّربالبقرة الوحشية التي فقدتْ ولدها بعد أن تركته وذهبت ترعى مع صواحبها ، فافترستْالذئاب الكواسرُ، فأسرعتْ في السير تبحث عنه والهةً عاجزةً تنتقلُ هنا وهناكُلعلَّها تجده ويُسمعصُوتُ بغ مها بين كثبان الرمال والذي يملؤه الحزن والإشفاق ،وما زالت تطوف لأجل فقْدها ولدَها الذي أُلقي على أديم الأرض وافترسته الكلاب والذئاب التي اعتادت الاصطياد .

ويمضي النهارُ ،ويخيِّم الليلُ ، ويسيل المطر الدائم الذي يروي الأرض المنبتة ، وتبيت البقرةقَد فقِدها ولهاَ في حالةٍ من الحزن والخوف ، وتأوي إلى جذعشجرةٍ مجفوٍّ مُتَنَحٍّ عن سائر الشجر في أصلكثيبٍ ،بعيدةً عن متناول الناس ؛ فهي تستتر عن البرد والمطر بأغصان الشجر .

وفي ظلام الليل المخيف تضيء هذه البقرة كدرّة الصفّداَلبحري حين سُلّ نظامها ؛ فهو يشبّهالبقرة بالدرة المتلألئة في بياضها وحينسيُلّ نظامهافهي تتبعثر وتنتشرُ ؛إشارةً إلى تلك البقرة التي تعدو ولا تستقرّ .

وإذا انكشفَظلامُالليل خرجتْمن مأواها ، فتزلُّ قوائمها لكثرة المطر الذي كان ليلاً ، وتظلُّفي حيرتها وحزنها من هول ما أصابَ قلبَهالرؤومَ ،فتتردَّدُ فيخولِ الغدران سبعلَيالكاملاتٍ ، ويداخلها اليأس وكأنها تتحسّسُ ضرعهَا الذي جفَّ فيه اللبنليسَ بسبب الإرضاع ولا بسبب الفطام ، إنما لفزعها وخوفها على ولدها . وبينما هي كذلك إذْ تسمع صوتًا وتتحسَّس ذلك الصوت َالذي لم ترَ صاحبَه منذ ترِكُأن الخطر نحوَها من الإنسان الذي راعها ،فلا تعلم هل هو خلفهَا أم أمامَها ؟ ثم تنجو البقرة من نبال الرماة ، فيرسلونكلابًا مسترخيةَ الآذان تعدو خلف البقرة التي أيقنت أنه لابد من المواجهة والقتال ، فتعطف على هذه الكلاب وتطعنها بقرنها الذي كالرماح ، موقنةً أنها إنْ لم تدافع عن نفسها

وتطردأو تقتل ْ تلك الكلاب فستُقتَل .ولكنها استطاعت أنْ تنجوبَنفسها وتقتل َتلك َ الكلاب َ .

وقد وقف البهبيتي عند هذه القصة وقفةتأمّلةً ، فقال :

((وتلبث هناك برهةًموزَّعةً بين مطلب الحياة ، ومطلب الأمومة ، في حيرة من أمرها أتحمي نفسها ؟ أم تبحث عن طفلها ؟ ... ولو وضع الشاعر موضع هذه البقرة إنسانًا فلقي ما لقيت البقرة في تلك اللحظات القصصية الكبرى ، لمَا وجد ما يقوله في شعره أكثر مما قال))[١] .

ولبيدٌبأسلوبه القصصي الفذّاستطاع جذب َ انتباهنا وتشويقَنا إلى نهاية هذه البقرة الوحشية ومصيرها خصوصً ا أنه تناول جانب الأمومة عند البقرة الوحشية الذيبُعدّ عماد هذه القصة ؛بكل ما فيها من إحساسٍ ومشاعر َ ينتابها الحزن والخوف والعجز والخطيئة . فالشعور بالندم والخطيئة يتمثل عندما خذلت ْولدها ولم تراعِ ه وانشغلت عنه بصواحبها ، وحين ولجت ْ ولدها قد افترستْه الذئاب انفطر قلبها حزنًا عليه وحسرةً . فهذا الحزن جعلها تتيه في الأرض ، عاجزةًأمام ما حل ّ بولدها . وحين خيّم الظلام توغل الخوف إلى قلبها الرؤوم ثم تصاعد ذلك الحزن والعجز عندما تحسَّست ضرعها الذي جف ّ من فز ها وخوفها على ولدها، وازدا ذلك الخوف عندما أحست بصوت الصياد وكلابِ ه الذين أرادوا النيل منها ؛ ولكن على الرغم محصل لها من حزنٍ وخوفٍ وعجزٍ وخطيئةٍ -استطاعت جمْ َ قواها وحمايةَ نفسها بقتْل الكلبتين .

وهكذا ؛ فإنّ ((ما تسمو به قصة البقرة الوحشية هو الوصف النفسي الرحب الزاخر بأصدق العواطف الإنسانية وأجملها وأخلدها ؛ عواطف الأمومة الأصيلة النقية))[٢] .

(١) نجيب محمد البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠م ، د ط ، (ص٩٧) .

(٢) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص١١٩) .

فكل الصور والتشبيهات التي جمعها لبيد بن ربيعة من البيئة العربية وظّفها في تشبيه ناقته السريعة القوية بتلك البقرة الوحشية .

ومن خلال تلك التشبيهات والصور وجدنا لبيداً يرتفع إلى أسمى الانفعالات النفسية والوجدانية لدى الحيوان ، ألا وهي عاطفة الحزن عند الأم .

وقال لبيد أيضاً في ذلك[1] :

كأنّها بعد ما أفنيت جبلتها خنساء مسبوعة قد فاتها بقر

تنجو بنجاء ظليم الجوّ أفزعه ريح الشمال وشفّان الدهر

باتت إلى فرز أرطاة تحفزه في نفسها من حبيب قد ذكر

إذا اطمأنّ قلاه بعد ما عفرت لا تطمئنّ إلى أرطاتها الحفر

تبني بيوتاً على نقوٍ يهدّمها الـ ثرى وعمص معب في دفه زور

ليلتها كلّها حتى إذا ارتفعت عنها النجوم ، وكاد الصبح ينسفر

غدت على عجل ، والنفس خائفة وآيقن غدوّ اللغط البكر

لاقت أحقص يسعى بأكلبه شثن البنان لكلب جسر

ولتأدرفكها أولى سوابقها فأقبلت هادياً وعّ ولا بهر

تفقّأ ظلال الروع واعتكرت إنّ الذي بعا الروع يعتكر

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٦٧-٦٩) .

وبهامشه : (**جبلّتها** : خلقها الذي جُبلت عليه . **خنساء** : قصيرة الأنف . **الجو** : الأرض مطمئنها . **الشفان** : الرياح الباردة . **الأرطأة** : شجرة لها عروق بيض . **جعد الثرى** : رمل فيه ندوة . **آية** : علامة . **شثن** : غليظ الأصابع . **روع** : فزع وخوف . بهر من العدو . **اعتكرت** : رجعت) .

يشبّه لبيدٌ ناقته بالبقرة التي أكل َ السبعُ ولدها َ، وكان ذلك في سياق قصصي ٍّ ؛ فهي حزينةٌ عليه ،يتقطّعُ قلبُها حرقةً وألماً على فقْده ، وقد فاتها القطيع الذي ترى معه الأمان ، وإذا خيّم الظلام لاذت ْ إلى جانب شجرة تستكنّ بها لعلّها تجد الدفء والطمأنينة ، ولكن ما زال العناء والخوف ينتابها حين تنهار الرمال الندية تحت أرجلها فلا تثبت أقدامُها في م ضـ ها ؛ فتبيت تلك الليلة والخوف يتملّكها ، حتى إذا انكشف الصباح سارت علىعجلٍ خائفةً مذعورةً، مترقّبةً ما حـ لها . ولكن حصل ما كانت تخشاه ، ففوجئت بذلك الصياد وكلابه ، وراحت تعدو مسرعةًتلحق ُ بها الكلاب ، فأدركت أنه لا محالةَ من القتال فقاتلت بكل قوّة ٍ واستبسال ٍ ؛ على الرغم من خوفها وفزعها .

ويقول الأعشى عن ناقته التيأجهدها السير وأعيتها الر ّحلةُ [١] :

كأنَّها بعد ما أَلْقَى النِّجَادُ بها ... بالمشَيَّطَيْنِ مَهَاةٌ تَبْتَغِي ذُعَرَا

أَهْوَى لها ضَابِيءٌ في الأرضِ مُخْتَصِرٌ ... للحَتْمِ مِدًّا فخَيَّ الشَّخْصِ قَدْ خَشَعَا

فظَلَّ يخدعُها عن نَفْسِ واحِدَةٍ ... في أرضِ فَيْفٍ بِعِلْمٍ مِثْلُهُ خَدَعَا

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص ١٠٥)

وبهامشه : (النجاد : جمع نجد وهو المرتع من الأرض ، الذرع : ولد البقرة ، أهوى لها : انحط وانحدر ، ضابىء : لازق ، مفتحص متخذ أفحوصـًا والأفحوص من الجحر الذي يأوي إليه ، خفي الشخص: ناحل دقيق الجسم ، خشع : نحل ، الفيء : الظل ، حانت : من الحين وهو الهلاك والمحنة ، رتعت الماشية في المكان : أكلت وشربت ما شاءت في خصب وسعة ، حد الشيء : منتهاه ، حد النهار: أي طوال النهار ، الفيقة : اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين ، شق الشيء : شطره والقطعة منه، وشق النفس : ولدها لأنطقة منها ، عجلا ً : مصدر عجل ، المعهد : الموضع الذي عهدته به ، أقطاع : جمع الجمع المفرد قطعة والجمع قطع وجمعه أقطاع ، المسك : الجلد ، سافت : شمت ، الدفع ما جرى شيئا بعد شيء من دمه ، دهته : الداهية أصابته ، السبع : الوحش المفترس) .

حانتْ يفجعها بابنٍ وتُطْعِمَهُ لحمًا فقد أطعمتْ لحمًا وقد فجعا

فظلّ يأكلُ منهلوهْيَ راتعةٌ حدَّ النَّهارِ تُراعِي ثورَها قُتَعا

حتّى إذا قُضِيَتْ عنها حاجتُها جاءت لترضعَ ثغرَ الفَصْلِ فارتضعا

عجلانَ إلى المهدِ الأدنى فَفَاجأها أقطعُ كِلْسٍ وسلفتْ من دمٍ دُفَعا

فانصرفتْ فاقدًا ثكلى على حَنَقٍ كلٌّ دهاها وكلٌّ عندها اجتمعا

وذاك أنْ غفلتْ عنهُ وما شعرتْ أنّ المنيّةَ يومًا أرسلتْ سَبُعا

شبّه الأعشى ناقته التي أوصلتْه إلى المرتفعات من الأرض بالبقرة الوحشية التي كانت تعيشُ معولدِها في أرضٍ آمنةٍ، فتعرضّ لها وحشٌ هزيلٌ من شدّة ما أصابه من الجوع، وظلّ يخادعُها عن ولدها ، فبينما هي تراعي قطيعًا من الثيران - وهي كعادتها تراقبه- إذْ اجتمعتْ الفيقةُ في ضرعها ، فعادت إلى ولدهارتُضعه ، ففوجئتْ به بيْن أشلاءٍ ممزقةٍ ملطّخةٍ بالدَّمِ فراحت تشمُّ ما تبقّى من دمه في أسىً وحزنٍ ، ثم انصرفت مفجوعةً ثكلى على ما حلّ بها من نوائب الدهر بفقدها أعزّمن بهِ -وهو ولدها- ولم تعلم أنّها بغفلتْ عنه كانالموتُ قدأرسل له سَبُعًا .

وقد أبدع الأعشى في تصوير مأساةالأمّ (البقرة الوحشية) فقد أصاب هذه البقرةَ من الحزن الأمومي والألم ما أصابها عندما وجدت صغيرَها الذي ترعرع أمام ناظريها وقد أصبح أشلاءً ممزّقةً .وكذلك استطاع أنْ ينقل إلينا إحساسَ العجز الأمومي الذي انتابها عندما قامت بشمّرائحة دمهِ وأشلائه المتبقية .ثم صوّر الأعشى خطيئة تلك الأم المفجوعة الثكلى التي غفلت عن ولدها فما كان منها إلا الندم والحسرة على تركْ ولدها الذي أكله السَّبُع .

ومثلُ لبيدٍ والأعشى زهيرٌ، الذي يفخرُ بناقته ، فيقول[1] :

(١) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، (ص١٨١-١٨٦) .

كخنساء ، سفعاء الملاطم ، حرَّةٍ مُسربلةٍ ، مزؤودةٍ ، أمِّ فـرقدِ

فغَتْ بسلاحٍ ، مثلِهِ يُتّقى بـه ويُؤمِنُ أشْجَى الخائفِ والمُحَدِّدِ

وسامعتَ تعوفُ العتَ فيهما إذا إلى مجدَلُوكِ الكعُوبِ ، مُحدَّدِ

وناظرتين ، تطّرادان قذاهُما كأنهما كحُولَتانِ إثمِدِ

طَباها ضَحاءٌ ، أو خَلاءٌ ، فخالَفتْ إليه السِّبلاعُ ، في كنسٍ ، ومَرقَدِ

أضاعَتلم فُغفَرْ لها خَلَواتُها فلاقَتْ بَيافاعِ نَدٍ آخِرَ عهدِ

ادَ عَنْد شلوٍ ، تحلَجُ الطَّيرُ حولَهُ وبَضعَ لحامٍ ، في إهابٍ ،ممدَّدِ

وتَنفُضُ ما عنهَيبَ كلِّ وتخيلَةٍ ى رُماة الغَوثِ ،من كل مَرصَدِ

فجالَتْ ، على وحَشيّها ، وكأنَّها مُسَربَلةٌ ، في يازّقمُعَضَّدِ

ولم تَدْرِ وَشْكَ البَين ، حتى رأتهُمُ وقدَقُوا أنفاقَها ، كلَّ مَقعَدِ

وبهامشه : (الخنساء : بقرة قصيرة الأنف . السفعاء : السوداء . الملاطم : خداها . المزؤودة : المذعورة . الفرقد : ولد البقرة . جذر مدلوك : جذر قرن مدلوك (والجذر) الأصل . الكعوب : عقد العصا طباها ضحاء : أي دعاها للرعي . الكناس : حيث تستتر من حر أو برد . الشلو : بقية الجسد . تحجل الطير : أي تمشي مشي المقيد . والحجل : القيد . تنفض : أي تنظر . الخميلة : رملة ذات شجر . الغيب: كل ما استتر عنك . والغوث : قبيلة من طي . فجالت : أي جاءت وذهبت . المرصد : المكان الذي يُرصد فيه . المسربلة : اللابسة السربال وهو القميص . الرازقي : ثوب أبيض . والمعضد : المخطط . وشك البين : سرعته . والبين : مفارقة ولدها . أنفاقها : مخارجها وطرقها . السوابق : ما سبق منها . تصطد : أي تصب بقرنيها ما تقدمها من الكلاب . غمرة الموت : شدته وكربته . النجاء : السرعة في السير . والوتيرة :التلبُّث والفترة . الأسحم : قرن أسود . الغرقد : شجر. الخذاريف : جمع خذروف وهو الخرارة التي يلعب بها الصبيان . إلى جوشن : أي مع جوشن ؛ وهو : الصدر = =الخاظي : الكثير اللحم الكتنز المتراكم . المسند : الذي أسند إلى ظهرها) .

وثارُوا بـها ، من جانبيها كلَيهمـا ، وإن يجلُشمْنَها الشَّدَّ تجَهَدِ

تَبُذأُلأُ لَى يأتينَها ، من ورَائها وإنْ تَتَقَّمْها السَّوَانِيُ تَطَدِ

فأنقَذها ، من غَمْرة المَوتِ ، أنَّها رأت أنَّها إنْ تنظُرِ النَّبْتُقصَدِ

نَجُجٌ مِدُّ ، ليسَ فيهِ وتيرةٌ وتَذبيبُها عنها بأسحَمَ مِذْوَدِ

وجَدَّتْ ، فألقت بينهُنَّ وبَينَها غُبارًا ، كلفارتْ دَوَاجُغرَقَدِ

بلمُتلتَئمٍ كالخَذاريف ، قُوبلَإلِجْوَشَنٍ ،خاظي الطَّريقة ، مُسْنَدِ

((بقرةٌخنساءُ ،على خلهّا حمرُة مشربةّ بسوادٍ ، تنطلق في الصحراء مذعورةً ، تركت وليدها في كُاسٍ ، فهي قلقةٌمضطربةٌ ، تخشى عليه غوائل الإنسان وسباع الصحراء . ويصف زهيرٌ قرنيها ؛ فهما سيفان ماضيان أملسان ويصف أذنيها المرهفتين تتسمّع بهما حركة العدو مخافة أن يفجأها فيصيب منها مقتلاً . وعيناها واسعتانسوداوان كأنهّما كُحِلّتا بأثمد ، تتأمّل بهما في حذرشديدٍ أماكنَ المخافة ومواطن الهلاك والخطر .

ثم ينتقل فيصف حال البقرة ، ولكي يُظهِر خلجاتها النفسيةوَاضطرابهَا نراه يستعين بحركاتها الحركة الجسمية الظاهرة ،والحركة النفسية المصوّرة ؛ فهي مسافرةٌ مسرعة في عودتها، مضطربةقُلقة على ولدها من سباع الصحراء ، وقد راعها هولالمُشهد ، مشهد ابنِها حين رأته أشلاءًمِزَقًا معفّرةً ، ودماؤه تصبغ الرمال بلونها العاتك ، والطير حوله تحجل هنا وهنالك ، ثم عادت تعدو في هذه الصحراء الواسعة ، وهي كثيرة الحركة حركة عدوها السريع ، وحركة تلفتها ذات اليمين وذات الشمال ، وحركة عينيها الزائغتين اللتين لا تستقران في محجر أو موق ، ذلك أنها تتوقع المهالك وتوشك أن تصيبها سهام الرماة من قبيلة الغوث الذين يقفون لها في كل مرصد ، يرسلون إليها سهامهم ، ويجرون خلفها كلابهم ، تطاردها في هذا الموضع أو ذاك ، تسدُّعليها المسالك ، وهي مجدَّةٌفي عدْوها تسبق الكلاب تارةً ، وتسبقها

الكلاب تارةً أخرى ، ولا تنفك تذب عن نسها بـ رنيها الماضيين ، فتطعن هذا وتنوش ذاك ، وما زالت على هذه الحال حتى نجت من براثن الموت وأنياب المنية))[١].

ويذكُر سلامة بن جندل عوذ النعاج ، فيقول[٢] :

هكَتْ على عوذِ الغَّاجِ يوتهَا فيقَعْنَ للرُّكَّبِ والأَرْوَقِ

يصف سلامة بن جندل عجزَ النعاج في حماية العوذ حديثة النتاج عندما دخلت عليهن السحب الممطرة ، فوقعن على وجوههن وقرونهن ؛ لعدم تثبتهن ولغزارة المطر .

ويتغزل طرفة بن العبد في الصاحبة ، فيقول[٣] :

دِ يارُ سُلَيْمَى إذْ تصِيدُ بالمُنَى وإذْ حَبْلُ سَلْمَى مِنْكَ دانٍ تُواصِلُهْ

وإنِّي مِنْ الرِّيِّمِ يَدْغَزالهُا لَهَا ظَرَسٌ لاجٍ إليكَ وَثُغَلُهْ

هنا يشبّه طرفة الصاحبة بالظبية التي صيدُ غزالها تمدّ عنقها لتتبعه ، وتظل عيناها الساكنتان تسارقانه النظر تراقبانه في حذرٍ

(١) يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٩ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، (ص٢٢٣ - ٢٢٤) . بتصرف .

(٢) سلامة بن جندل ، الديوان ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، (ص١٣٥)

وبهامشه : (النعاج : مفردها النعجة ، وهي الأنثى من البقر الوحشي)

الركبات : واقع موقع الفعل ، والتقدير : تمشون تركبون الركبات ، مثل قولهم : أرسلها العراك ، والمعنى : تمشون راكبين رؤوسكم . اللسان (ر ك ب ، ص٢٢٥) . **الأرواق** : أي : يجمع ما فيها من الماء . والأرواق : الأثقال . اللسان (ر و ق ، ص٣٠٤) .

(٣) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصفال ، (ص١١٩) .

وبهامشه : (الريم والريمة : الظبية البيضاء ، الساجي : الساكن الفتر ، تواغله : الواغل في القوم : وهو الداخل عليهم ، ولم يدع) .

وخوفٍ .

ويقول الأعشى عن حُزن صاحبته : [١] :

وَمَا أُمُّ خِشْفٍ جَابَةُ القَرْنِ قَدْ عَلَى لَجَبٍ يَلْتَثْتُ غَبْرَى غَزَالَهَا

بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَامَ لِغَرْمٍ فَكَرَّنَّ أَوَّلَا وَاجِهَهُنَّ حَالَهَا

فهو يشبّه حالَ الصاحبة عند الفراق والهجر وما أصابها من تغيرٍ لشدة الحزن والهزال بالظبية التي بزقرنها حينما بحثت عن ولدها الضائع في جَنَبات وادي (تثليث) ، وقد لاقت من الحزن والهزال ما لاقت .

لقد صوّر الشعراء مشاعر الأمومة وسلوكها في ساعة الصدق الكبير حين تعصف بالقلب رياحُ الحزن العاتية وتتجمّع الحياة في لحظة تتفجر بالحب العميق والوجع القاتل والندم المرّ حُبٌّ وهبته لها الحياة ووجعٌ مزقتها به المصيبة وندمٌ جرّتها الغفلة إليه ؛ لو كان ينفع الندم أو ترد الغفلة !!)) [٢] .

وعن خطيئة الأمومة لدى الغزالة وعجز الأمومة لدى العقاب ؛ يقول صخرُ الغيّ [٣] :

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣٤٣) .

وبهامشه : (الخشف : ولد الظبية ، جاب قرن الظبي : ظهر ونتأ ، والجأب (بالهمز) فهو الغليظ ، فاقد : فقدت ولدها ، تثليث : موضع) .

(٢) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص١١٩) .

(٣) الهذليين ، الديوان ، تحقيق : عبد الستار أحمد فرج ، (ص ٢٥١) .

وبهامشه : (خاتت انقضت على الغزال ، جاثماً رابضاً ، سلمات : شجرات ، الأدماء : أي الظبية ، سارب: تسرح تطلب المرعى ، الريد : الحرق يندر من الجبل ، أعنت بعضها : كسر ذحها ، ضت : طارت) .

فَخَرَّ لِلْأَلْغَى جَاثِمًا صَرِيعًا تَرَبَّبَهُ لَدَى سَلَكَتَيْ عِنْدَأَهْضَابِ

فَفَرَّتْ عَلَى رِئْيٍ فَأَقْعَصَ بَعْضَهَا فَخَرَّتْ عَلَى الرِّجْلَيْنِ أَخْيَبَ خَائِبِ

هنا يصف صخرٌ خطيئةَالأم الغزالة التي سرحتْ في المرعى وتركتْ ولدها تحت سَلَمَةٍ ، فاستغلت العقابُ ضعْف ذلك الصغيروحْدتَه حين بعُدت أمه عنه في المراعي ، وكادت تلك العقاب أن تصطاده ؛ فتبقى تلك الغزالة في حسرة وندم على ترك ولدها ، ولكنها اصطدمتْ وهي في طريقهالالقضاض على الغزال بصخرة شاخصةٍ أدّت إلى هلاكها ، فخرّت عاجزةً عن إطعام فراخها التي كانت في انتظار الطعام .

ومن خلال تناولُ الشعراء للبقر الوحشي ، والمهاة في أشعارهم نستطيع أن نرصد كثيرًا من رؤاهم وموقفهم من الأمومة عند الحيوان ، من خلال المشاهد التي ذكروها في قصائدهم ؛ فحالة الحزن ، والعجز، والخطيئة ، التي سيطرت على قلب البقر الوحشي (الأم) ظهرت في أشعارهم من خلال التشبيه فقط ، تارةً عندما يريد أن يمدح ناقته السريعة القوية فيشبهها ببقرة وحشية تغيّب عنها ولدُها ،فتبحث عنه فزعةً مرعوبةً خائفةً ؛ استنهض ذلك الشعور قوتها ، ونشاطها ، وسرعتها في البحث عنه . وفي بعض الأحيان سرعان ما يتحول ذلك الشعور من الخوف والرعب إلى الحزن المرير والوجع القاتل ، والندم الحار بجرّاء غفلة الأم عن ولدها . وتارةً عندما يصفون الناقة ويشبهونها بالبقرة الوالهة الحزينة على ولدها التي هاجمتها الكلاب ، فتظل تكافح للدفاع عن نفسها بكل ما أوتيت من قوة .

وقد ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان عادة الشعراء حين يذكرون الكلاب والبقر في الشعر ، فقال : ((ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثية أو موعظة : أن تكون الكلاب التي

والشاعر هو : صخر الغي بن عبد الله الختمي ، أحد بني عمر بن الحارث ، من صعاليك العرب في الجاهلية، قيل : مات بنهشة أفعى .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، (ص ١٨٩) .

تقتل بقر الوحش .وإذا كان الشعر مديحًا ، وقال : كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا : أن تكون الكلاب هي المقتولة .ليس على أن ذلك حكايةً عن قـ ـة بـ ينها ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب وربما قتلتْها . وأما في أكثر ذلك فإنها تكون هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة ، وصاحبُها الغانم))[١] .

وقد رصد الشاعر الجاهلي أيضـًا حزن وخوف وعجز الأمومة عند البقرة الوحشية ، من خلال تشبيه عينَي الصاحبة بعينَبقرة وحشيّمذعورة تظلان تسارقان ، وتراقبان ، وتحملقان بنظراتهما فيما حولها إمّا خوفًا على ولدها وإمّا بحثًا عنه حين تفقده .

وتبين ّ للباحثة من خلال استخراجها واستقرائها للنصوص الشعرية الجاهلية أن الحزن، والخوف ، والخطيئة ، والعجز الأمومي قد عبر ّ عنه الشعراء الجاهليون عند البقر الوحشي من خلال التشبيه خاصة ، إضافةً إلى أن بعض الشعراء أوجدوا ذلك التشبيه بين طيّات السرد القصصي ّ الشيّق الممتع ؛ كما في أبيات : لبيد بن ربيعة ، والأعشى ، وابن مقبل .

ويتحدث الدكتور نجيب محمد البهبيتي عن قصص الحيوان في الشعر الجاهلي ، فيقول: ((ولا ريب في أن الشاعر يتخذ من هذه القصة مرآةًيعكس عليها صورة أمرٍ آخر َغير ِ موضوع القص ّة الأصلي))[٢] .

ولكن هناك وقفة لا نستطيع أنغْفُ لها ؛ وهي عبارة عنتساؤلٍ يفرض ُ نفس َه : لماذا كان التشبيهُون غيره هو الوسيلة التي عبر َّ بها الشعراء عن حزن الأمومة وعجزها وخطيئتها عند البقر الوحشي؟ . قد يكون الحضور الماثل في مخيلة الشاعر الجاهلي الذي يجعله سرعان ما يستدعي صورة البقر الوحشي لتلك المعاني التي بنظراته وهيئاته ؛ لذا كان هذا الحيوان يشكّل

(١) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (٢/ ٢٠) .

(٢) خالد محمد الزواوي ، تطور الصورة في الشعر الجاهلي ، مؤسسة حورس الدولية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٥م ، د ط ، (ص٢٥٢) .

قيمة تراثية لدى العربي .

ولأن الشاعر يرى أن اللغة جامدة لا تعبر عن شعوره وأحاسيسه ، فيلجأ إلى الصورة.

ثالثًا : الحمار الوحشي وأتانه

كانت الجزيرة العربي في ما مضى حافلةً بقطعان الحُمر الوحشية ، التي تروح وتغدو نصب أعين العربي في البادية ؛ لذا كان كثيرًا ما يستحضرها في شعره ، و ((الشاعر الجاهلي كان يجد في حياة هذا الحيوان (حمار الوحش)وحياة غيره من حيوان الصحراء فرصةً طيّبةً للتأمل والتفكير في أمور الكون والحياة والموت ، وما يدُ به الدهر ، أو يأتي به على غير موعد ؛ من شقاءٍ وخيبةٍوضعفٍ ويأسٍوحبٍّ وكفاحٍ لا ينتهي))[١] .

((وقد صّور كثيرًا صورة حمار الوحش في الشعر الجاهلي ، وتبدأ في الغالب بمنظر الحمار يرعى منفردًا ،أو معه أَتَانُه أو تحوطه حلائله النحائص ، ويكون فيهن الآمر الناهي ، يتسرّى بما يشاء ، ويعضّ أخرى ، ويضع رأسهَ الشتّيم على كفلِ ثالثة))[٢].

ولئن قصر الشعراء - على غير عادتهم في وصف الحمار وصفًا حسيًّا واسعًا ؛ فإن فريقًا منهم انصرفوا إلى وصفه نفسيًّا ، فأجادوا))[٣] ؛ كشاعرنا لبيد بن ربيعة ، ((فقد مس بيد بإحساس الفنان الأصيل أعمق مشاعر النفس وأخفاها ، فصوّر غيرته القاتلة وحرصه العجيب على إناثه ؛غيرةً بلغتبه ألا يّطيق رؤية ذكر آخر سواه ، وحرصًا دفع به إلى أن ينفي أولادها الصغار خشية أنتْغلبه حين تشبّ))[٤] ، فيقول[٥] :

فَجَحْشَانَهَا بِجِمَادِ قَوٍّ لَمْ يَطَأْ يُلامُ عَلَى الزِّيَالِ

(١) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص١٢٧) .

(٢) نصرت عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، (ص٨٢) .

(٣) المرجع نفسه ، (ص١٣٢) .

(٤) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص١٣٦) .

(٥) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٨١) .

وبهامشه : (الجماد : أرض صلبة ، قو : بلد ، الخليط : المخالط ، الزيال : المفارقة) .

يتعمّق لبيد بن ربيعة من خلال أبياته في أعمق مشاعر النفس وأخفاها ،فيشبّه ناقته بحمار الوحش مع أتانه ، فقد طرد الجحاش وهم صغار الأتان ، ونفى هؤلاء الصغار ؛ لغيرته ومخافةأن تغلبه حين تشبّ والأتانُ عاجزةٌلا تملك ردّ ذلك ، ولا الدفاع عنه أمام فحل غاضبٍ ، فما كان عليها إلا أن تطوي هذا الحزن أو تقف عاجزة .

يقول متمم بن نويرة في حمار الوحش[١] :

فكَأَنَّها بعدَ الكَلالةِ والسُّرى عِلْجٌ تُفالِيهِ قَذُورٌ مُلْمِعُ

يحْتازُها عَنْ جَحْشِها وتكُفُّهُ عنْفَسْنَها إنَّ اليَتيمَ مُدَفَّعُ

فهو يصف حمار الوحش يطرد الصغير عن أمه ، ويحتازها لنفسه ، حتى يصبح ذلك الصغير يتيماً والأم تعجز عن كفه .

ويأتي كعب بن زهير على ذِكْر حمار الوحش ، حين يصف ناقته ، فيقول[٢] :

---

(١) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر عبد السلام هارون ، (ص ٥٠) .

وبهامشه :العِلْج : الحمار الوحشي الشديد الغليظ . تفاليه : تباريه في السير القَذُور : السيئة الطبع . يحتازها : يحوزها ويعزلها عنه) .

والشاعر هو : متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن تميم ، صحابي .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٤٨) .

(٢) كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق : مفيد قميحة ، (ص١٣١) .

وبهامشه : (الرحل ما يوضع على ظهر الدابة ليركب عليه ، الجآب الغليظ من حمُر الوحش ، الخلج : التي اختلجت من أولادها ففصلت عنها جحاشها ، والخلوج : التي اختلج عنها ولدها بذبح أو بموت ، الحيال : جمع حائل وهي التي حال عليها الحول ولم تحمل) .

فَسَلِّ حِلابَهَا وتَعَزَّ عنْها بِناجِيةٍ كأَنَّ بِها خَبَالا

أَمُونٌ ما تَمَلُّ وما تَشَكَّى إذا جَشَّمْتَها يوماً كَلالا

كأنّ الرَّحْلَ نها فوق جَأْبٍ يُقَلِّبُ لَثَّأجُلُّا حِيالا

هنا يصف ناقته بالقوة فهي تامّة الخلق ويشبه الرَّحْل فوقها كأنه فوق حمار وحشي له زوجاتٌ من الأُنُثُ وهو يتصرّف فيهن كما يشاء فالحمار الوحشيُّ يتوددّ إلى الأتن ، ويُظْهِرُ الحَبَ والعطف خاطبًا ودّهن ؛ لذلك تراه يتخلص من الحمر الأخرى ويطرد الجحاش الصغار ، فلا يتركها ترافقه ؛ليخلوَ له الجو .فهنّ قد فقدنَ أولادهنّ ، وكان انفصالهنّ رغماً عنهنّ فما كان منهن إلا الشعور بالعجْز حيال ذلك .

ويشبّه بشر بن أبي خازم ناقته بحمارٍ وحشٍ معه (عانة) -أي : قطيع من حمر الوحش-، وهو يسوقهن بغلظةٍ ؛ حتى يتبين الحامل من غير الحامل ،فتلقَى تلك الأمهات من المعاناة ما تلقى . يقول[١] :

على أنْ قدْ أُسلِيِّ الهمَّ عَنِّي بِناجِيةٍ مِن الأُدْمِ العِتاقِ

مُذَكَّرةٍ كأَنّ الرَّحْلَ مِنْها على ذِي عانَةٍ وافٍ لِصِفاقِ

ألظَّ بها يحدوهن حتى تبين حولهن من الوساق

وتتعدّد صور عجز الأمومة عند الحمار وأتانه ؛ كما في قول امرئ القيس[٢] :

(١) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٧٨) .

وبهامشه : (ألظ بهن : أي ألح بهن في السوق ، يحدوهن : يسوقهن ، والحول : جمع حائل وهي التي ضربها الفحل ولم تحمل ، الوساق :جمع واسق ، وهي الأتان التي لقحت وحملت في بطنها ولداً) .

(٢) امرؤ القيس ، الديوان ، تحقيق : حسن السندوبي ، (ص ١٤٢) .

وبهامشه : (الجون : حمار الوحش ، دروص : أجنة ، الشازب : الضامر ، الخميص : الضامر ، كدح : أثر

أذلكَ أَمْ جَوْنٌ يُطَارِدُ أَتُنًا حَمَلْنَ فَأَدنى حَمْلِهِنَّ وَضُوصُ

طَوَاهُ الطِّمَارُ الشَّدُّ فَالبَطْنُ شُلْبٌ مُعَالٍ إِلَى المَتْنَيْنِ فَهْوَ خَمِيصُ

بِجَاجِبِهِ كَالنَّصْلِ الضَّرِيبِ وَبَجْلَبٌ وَحَارِبُهُ كُمِنَ الكَدَامِ حَصِيصُ

يصف حال حمار الوحش الذي يطارد تلك الأتان ومعها الجحاش الصغيرة والأجنة ، ويسقط بعضها في رحلة الورود إجهاداً ، ويتخلّف بعضها عند الصدور لشدة ما نالهن من إعياء ؛ فما كان من تلك الأم إلا أن تقف عاجزة عن حماية أولادها .

ثم يتابع امرؤ القيس، فيقول[1] :

فيشربن أنفاساً وهُنّ خوائفٌ وتُرْعَدُ منهُنَّ الكلى والفريصُ

فأصدُرَهَا تعلو النِّجادَ عَشِيَّةً أقبُّ كَمِقْلاةِ الوليدِ خميصُ

فجحْ على آثارهنَّ جَحَلَّشٌ لدَى مَكرُهِنَّ وقيصُ

يصف تلك الأُتُنَ بأنهن حوامل قد اقترب وضعهنّ ويشربْن نفَسا بعد نفَس -أي : مرّةً بعد مرّة ؛ لشدّة خوفهن منه واضطراب فرائصهنّ ؛ لقوّة دفْعه وزجْره .وهن يَرِدْن الماء والخوف يخيّم عليهنّ ؛فهذا الحمار حادّ الطباع يضربهن حتى تسقُط الحوامل حملها ، وتموت الجحاش الصغيرة من كثرة الإعياء والورود والصدور ، فمنه من يتخلف ولا يقوى على متابعتهن في الجري ، ومنه من لديه جروح لم تمكّنه من اللَّحاق بهنّ والأمُّ عاجزةٌ عن حماية

الضرب ، الحارك : أعلى الكاهل ، الكدام : العض ، حصيص : منحول الشعر) .

(١) امرؤ القيس ، الديوان ، تحقيق : حسن السندوبي ، (ص ١٤٣) .

وبهامشه : (الفريص : لحمة عند الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب ترتعدان عند الفزع ، النجاد:المرتفعات من الأرض ، أقب : ضامر ، كمقلاء الوليد . خميص : ضامر البطن ، الوقيص : المصاب بجروح لم تمكنه من اللحاق بهم) .

أولادها أو الوقوف في وجه هذا الحمار .

ويقول سلاَ َ مة بن جندل في حمار الوحش[١] :

صَ َخ ِب ُ الشَّوارِ ِب والوَ َت ِينُ ، كأنّه مما يُغَ َرِّ ُدُ مَ َو ْه ِ نًا بِخ ِ ناقِ

فإنتعٍ شسبٍ أشد محاشها شزبٍ كأقواس السراء ، دقاقِ

هنا يشبّه حمار الوحش بشجر السراء ؛ ينطرد ونحَّى الجحاش عن أمهاتها ، وهن عاجزات عن منْع ذلك .

ويصوِّر الأعشى لوعة الأتان على صغيرها ، فيقول[٢] :

مُلْ ِ لِعٍ تَعالَفؤاد ِ إلى جَحْ ــ ــشٍ فَلاهُ عنها فَ ِئْس الفَ َالي

فُوٍّ أَدَعلى الخليط ِ خبَيْثُ الـ ـفَّسِ يَوْ ِي مرَ َاغهُ بالنُّاكِ

فهو يصف لوعتَها ؛فقد شفَّها وأوجعها الحزن على صغيرها الذي فصله الحمار عنها ، فأذاه الفصال وزاد في لوعتها وحزنها .

ويقولشو ْ بن أبي خازم الأسدي في عجز الأم الأتان[٣] :

---

(١) سلامة بن جندل ، الديوان ، (ص١٤٢)

وبهامشه : (**العانة** : الجماعة من حمر الوحش ، و **الشاسب والشازب** : كل هذا الضامر ، **السراء** : شجر تكون منه القسي) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق ، محمد حسين ، (ص٧) .

وبهامشه : (ملمع قد استبان حملها في ضرعها فأشرق ضرعها باللبن ، لاعت لاع يلوع لوعة وهو أشد الحزن ، الافتلاء : الفطام ، المراغة : المكان الذي تتمرغ فيه الدابة وتتقلب على الأرض ، النسال : ما سقط عنه من الشعر) .

(٣) بشر بن أبي خازم الأسدي ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص ٨١) .

والعِيرُ يَرْهَقُهَا الخَبَارُ وَجحشُهُ يَنقضُّ خلفَ انقِضَاضِ الكَوْكَبِ

فقد صوَّر الحمار والأتان في شوطٍ من العدْو ، وشبّه عدْو الحمار بانقضاض الكواكب ، وقد ظهر من خلفهما جحش صغير هو ولدها الذي قد بعُدَ عن أمه .

وعن ضروع تلك الأتان التي بعدت عنها جحاشها ؛ يقول كعب بن زهير[١]:

ونازِحَةٍ بالقَيْظِ عنها جِحَاشُها وقَدْ قَلَصَتْ أَطْبَاؤُها كَالمَكَاحِلِ

فيصف عجز الأم الأتان التي بعُدت عنها جحاشها في ذلك القيظ ، ومن شدة الحر جفّت ألبانها ، فأصبحت ضروعها كالمكاحل الفارغة .

وتحاولُ الباحثة إيجاز ما توصلت إليه من خلال استقصاء ما جاء في الدواوين الشعرية الجاهلية ؛ ما يختص بحزن الأمومة وخطيئتها عند حمار الوحش ، فقد((استغل الشاعر وصْفَه لحمار الوحش وأُتُنه لصالح مواقفه وتأملاته في الحياة . وفي صورة حمار الوحش كثير من خواطره وتأمُّلاته))[٢] .

ونجدأنّ صورة الأتان (الأم) التي خالجها الحزن والألم على صغارها عند الشعراء الجاهليين قد جاءت على صورة تشبيهٍ أو وصفٍ ، ويبدو حمار الوحش مرتبطًا بالأتان وبالمكان. ففي أغلب الأبيات نجد حمار الوحش يمتاز بالاكتناز ، والصلابة ، والقوة ، والهيمنة

وبهامشه (الخبار : أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم) .

(١) كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق : مفيد نميحة ، (ص١٢٩) .

وبهامشه : (النازحة : أي الأتان التي بعدت عنها جحاشها ، القيظ : شدة الحر ، قلصت : ارتفعت وغرزت ألبانها ، الأطباء : الأخلاف) .

(٢) عبد العزيز محمد شحاده ، الزمن في الشعر الجاهلي ، دائرة المكتبة الوطنية ، د ط ، ت ، ١٩٩٥م ، (ص١٨٣) .

على أُنْثَى ؛ فهو يطرد الجحاش الصغيرة عن أمها لغيرته الجامحة ،فيصيب تلك الأتانَ الضَّمُورَ ،ويشفُّها الحزن واللوعة على صغيرها ، فتقف عاجزةً ، وتصبح طوع أمره . كذلك يظهر عجز الأمومة وحزنها عندما يشبّه الشعراء الناقة بحمار الوحش الذي هو رمزٌ للقوة ، والصلابة ، والخصب . فهو يخدّ له أكثر من أتانٍ (حليلة) يأتمر عليهن ويعترفن بإمرته ولا يعصينه ، وهو ينفي عنهن الجحاش بالعضّ فما يكون من تلك الأمهات من الأُتن إلا الحزن والعجز .

وقد جمع الشعراء الجاهليون الصور والتشبيهات في طابع قصصيٍّ ممتعٍ لوصف حمار الوحش بالسرعة والنشاط والقوة ؛ فهو يطارد أتانه التي تحزن وتعجز عن حماية ولدها الذي ستفقده رغماً عنها . و((الشعراء عندما يكررون هذه القصة يعبرونّ عن حاجةٍ ملحّةٍ في النفس، فيختارون لها هذا الشكل الفني العريق))[١] .

إنَّ عقل الشاعر الجاهلي لا يظهر ظهوراً واضحاً في غرض من أغراض شعره -إذا استثنينا الحكمة- كما يظهر في الحديث عن الحيوان ، ولا سيما الثور الوحشي ، وحمار الوحش ، والظليم .ولعل شغفَ الشعراء بتصوير هذه الحيوانات تصويراً دقيقاً واسعاً يتكرر في طائفة عظيمة من هذا الشعر يعكس حاجةً أو رغبةً ملحّةً بين جوانحهم للتعبير عما في نفوسهم وعقولهم))[٢] . ويبدو أن ذلك هو واقع حال الشعراء ؛ إذْ إنّ ((الشاعر لا يشبّه ناقته بحمار الوحش في سرعته وصلابته فقط لأن قصة حمار الوحش تحمل معانٍ أخرى غير السرعة والصلابة ؛ففيها حكمةُ الحمار ،وسدادُ رأيه ،وعزيمتُه ،وإمرتُه ،وغيرتُه))[٣] .

وترى الباحثة أنّ الشعراء عندما يتناولون أمومة الحيوان فإنهم يركّزون على جانب

(١) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص ١٨٤) .

(٢) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص١٢٧) .

(٣) أنور عليان أبو سويلم ،الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص١٨٤) .

الحزن والعجز والخطيئة عند تلك الأتان حينما تفقد ولدها ، أو عندما تنفصل عنه -وهو الغالب وإن لم تكن جميعها تنفصل- وهي مجبرةٌ على ذلك . وقد يفسر ذلك كله على أنه انعكاسٌ لحزنه الذي يؤرقه على أولاده ؛ لفقدهم ، أو الابتعاد عنهم لظروف الحياة الصحراوية التي يطغى عليها الجدب ، والقحط ، والشقاء ، والصراع وحتى يؤمّن لهم حياة معيشية كريمة؛ فإنّ ذلك يستلزم بعده عنهم فصوّر ذلك الفراق والجبُد والحزن الذي لم يخيّر فيه ؛ فالحياة الصحراوية فرضت ذلك عليه . وما أشبهه بفراق الأتان عن ولدها وحزنها وأساها ؛ فهو عندما يورد أو يذكر فراق الأتان ولدَها إنما هو يعبر عن فراقه وأساه وحزنه على أولاده .

وقد تبين للباحثة من خلال التمعُّن والتدقيق في الأبيات الشعرية والموضوعات التي هي بصدد مناقشتها أنّ حنّان الأمومة لم يوجد في أي بيتٍ يعرض صورة أمومة الحيوان عند حمار الوحش ، إنما كانت تصوّر حزن وخوف الأم الأتان على ولدها الذي فقدتْه ،أو فُصِل عنها بموتٍ ، أو غيره .

ومما يثير التساؤل : أن حنان الأمومة لدى الأتان والحمر لا نجده إطلاقًا في قصائد الشعراء الجاهليين ، وقد يُعزَى ذلك إلى سلوك حياة الأتان والحمار الوحشي وطبيعتها. وهذه ظاهرةٌ تحتاج إلى تفسير دقيق ولعل ذلك راجعٌ إلى نفور حمار الوحش وهياجه إذا أحس بقُرب إنسانٍ ، وغيره .

رابعًا : الخيل

اهتم العرب بالخيل منذ القِدم ، وكانت رمزًا للفخر والقوة . كما ان الخيل العربي يمتاز بصفات الجمال والشجاعة ، فاستخدمه العرب في الحرب ، والمباهاة والتفاخر ، ونظموا القصائد التي قيلت فيها باعتبارها مصدرًا من مصادر القوة لديهم .

((لقد كان الجاهلي يسمي الخيل حصونًا لأنهم يتحصنون بها .وقد حدَّثنا الفرسان من الشعراء عن جيادهم حين تضيق المنازل بأصحابها ، ويعلو الرهج حديثًا تملؤه الغبطة والنشوة، وما أكثر ما صوروا بسالة هذه الجياد ! وافتخروا بأنسابها وعروقها الماجدة وبصبرها وشدة جلادها في الموقف الضنك . والخيل كانت وسيلة للركوب والزينة والصيد والحرب ، تشارك الفرسان في الطعن واللهو والصيد ، فوصفت لجمالها وسرعتها))[١] .

والعربي من طبعه الفخر بخيله . فهذا النابغة الذبياني يفخر بقومه وبخيلهم ، فيقول[٢]:

يَتَحَلَّبُ اليَعْضِيدُ مِن أشْداقِها صُفْرًا مَناخِرُها مِن الجَرْجَارِ

تُشْلِي تَوابِعَهُا إلى الأُفَّ لِها خَبَبَ السِّباعِ الوالِهُ الأَبْكَارِ

فهو يفخر بقومه وبخيلهم ويشبِّه خبب صغار الخيل إلى أمهاتها حين تدعوها ، بخبب

(١) خالد محمد الزواوي ، تطور الصور في الشعر الجاهلي ، مطبعة حورس ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ، (ص١٤٨) .

(٢) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص٦٠) .

وبهامشه : (تشلي توابعها : أي ترعى أولادها إليها ، الألاف : جمع إلف وإلفة ، وهي التي تألف غيرها وتسكن إليه ، خبب السباع : أي تدعى الصغار من الخيل أمهاتها فتخب إليها خبب السباع ، الواله : الفاقدة أولادها الحزينة ، الأبكار : جمع بكر وهي التي وضعت أول بطن) .

السباع الأبكار الواهة التي فقدت أولادها ، وخص ّ الأبكار لأن الأم التي تُنجب لأول مرة تكونأشد ولهً ا على ولدها من غيرها .

إن عاطفة الأمومة عند الإنسان والحيوان هي عاطفة واحدة ، يجمعها الحب والتضحية والحنانويتجلى ّ ذلك في قول رجلٍ من عبد القيس حليف لبني شيبان[١] :

إذا نَفَّهْ ُمْ رُكَّبَتْ ْ عَلَيْهِمِ ْ كأنّ فَلُوًّا فِ ِيهم وبَكْ ِي

يفخر الشاعر بنفسه وبفرسه ، فيقول : من شدة طلبي وطلب فرسي لهم كأني أطلب ولد البِكر وهي تطلب ولدها . واختار الشاعر ولدها ؛ فهو أعز وأعظم ما تملك ؛ فهي تكابد وتحارب من أجله .

إنّانتقام َالأم ّلولدها والأب لولده يجمعهما شيء ٌواحدٌ ؛ هو عاطفة الحب .

وقال أبو ذؤيب الهذلي[٢] :

ضربِ َبْ ِيضَقُ ٌ طَلِيَّ شَ ِدَّقُوعَةْ ِ وَطَعْنٍ كَ َكْ ِضِ الخَيْلِ لِلْقُ ْمَ ِهَارُ ها

شبَّه سرعة خروج الدم وتدفُّقه لشدة ضربهم بالسيف بركض الخيل بقوائمها حين

(١) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧٠) .

وبهامشه : (نفذتهم : نفدت فيهم ، الفلو : ولد الفرس أو الأتان) .

والشاعر هو : يزيد بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وهو أخو هرم بن سنان .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧٠) .

(٢) ديوان الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، محمود شاكر ، (ص ٨٣) .

الشاعر هو : أبو ذؤيب الهذلي ، اسمه : خويلد بن خالد بن محرث بن مضر . مات أبو ذؤيب في إفريقية .

يُنظَر في ترجمته : ديوان الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، محمود شاكر ، (ص٣) .

يفصل ولدها عنها ، فهي تذبُّ عنه .

ويقول الأعشى في مدح قيس بن معد يكرب[١] :

مَقَادَكَ بالخيلِ فُوْسَ العدَوْ وجَذْعانَهُا تكلَظِ العجَمَ

يمدح قيس بن معديكرب بأنه يُبعِد في الغارة على أعدائه ، فيقود الخيل في أرض الأعداء المسافات الطويلةَ ، وصغار الخيل لا تحتمل هذا السفر الطويل ، فتسقط أجنتها كأنها العَجَم الذي يُلفظ . ولعله أراد : أن الخيل الحوامل تُسقِط حملها .

وتقول الخنساء في رثائها أخاها صخراً[٢] :

وابْكُوا فتَى البأْس وافَتْهُ مَنِيّتُه في كلِّ نائِبَةٍ نَابَتْ وأقْدارِ

لاوَنَ حتّى تقُودُ والخيل عَابِسةً يَنْظُرْنَ رحًا بِمَهْوَتٍ وأمْهَارِ

فهي تصفُ تلك الخيول التي تلقي أجنتها نتيجة لكثرة السير والترحال من شدة الغارات ، فتعجز تلك الأمهات عن حماية تلك الأجنة .

وتقول الخنساء أيضاً[٣] :

إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقَةٍ وذلكَ ما كان أُكْلاً لها

وتمنحُ بالأرض العِدَى وتنبذُ بالغوْرِ أطفالَها

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣٧) .

وبهامشه : (الجذعان : جمع جذع وهو ولد الشاة في السنة الثانية ، العجم النوى لفيظ ملقوطٌ من الفم) .

(٢) الخنساء ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص٥٩) .

وبهامشه : (ينبذن يلقين ، طرحاً من طرحت الأنثى الجنين : ألقته قبل كماله) .

(٣) الخنساء ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص١٢٣) .

فتصف عجزَ الأمهات من الخيول التي تسقط أجنتها ؛كنايةً عن بُعد الغارة .

ويفتخر الأفوه الأودي بشجاعة قومه وقوتهم ، فيقول[١] :

نحن قُدْنا الخَيل حتى انْقَطَعَتْ شُدُنُ الأَلْآءِ عنها والمِهارُ

فافتخر الشاعر بشجاعة قومه الذين توغّلوا في الديار حتى عجزت المهور والأفلاء (وهو ولد الفرس) عن ملاحقة أمهاتها ؛ لأنها ابتعدت عنها ولم تستطع اللحاق بها ، فحزنت على فراق صغارها .

وعن قومه يقول عوف بن عطية [٢] :

تَقُودُ الجيادَ بأَرسانِها يَضَعْنَ بِبَطْنِ الرُّشَاءِ المِهارَا

هنا يصفُ شدة قومه ، وقوة بأسهم ، وحسن بلائهم في تلك الحروب ، التي كانت فيها المهر تلقي أولادها من شدة الجهد والتعب الذي تلقاه .

ويذكر الأعشى غارات ممدوحه طويلة الأمد ، فيقول[٣] :

---

(١) الأفوه الأودي ، الديوان ، تحقيق : محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، (ص٧٧) .

وبهامشه : (شدن : مفردها شادن وهو الظبي الصغير ، المهار :مفردها المهر وهو الحصان الصغير ، الأفلاء : مفردها فلو ، وهو ولد الفرس إذا فطم) .

(٢) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٤١٥) .

والشاعر هو : عوف بن عطية بن عمرو بن عبس بن وديعة بن عبد الله بن لؤي بن عمرو . والخِرِع) لقب جدّه عمرو وعوف . من فرسان العرب شاعر جاهلي مُقْلِ .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، (ص٢٨٠) .

(٣) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣١) .

وبهامشه : (شعثًا :أي متفرقة الشعر منتشرته ، رجعًا : جمع رجيع وهو الذي أعياه السفر ، السخل : ابن المعز

بِالخَيْلِ شُعْثًا مَا تَزَالُ جِيَادُهَا رُجُعًا تَتُعَرُ بِالطَّرِيقِ خَاهَا

فهو يصف تلك الغارات البعيدة التي سارت فيها الخيول الشعث التي أجهدها التعب وأعياها السفر فتألمت ولم تقوَ صغارها على متابعتها ، فسقطت وفارقتها في الطريق ، وحزنت لفقْدها أولادَها .

وعنأكْلِ سباع الطير لصغار الخيل الملقاة في الصحراء ، الذيظْهِر العجز الكامل من الأم ؛ يقول النابغة الذبياني[١]:

وَيَنَقْفِنَالأولادِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ شَحَطَّيِ لَئَلاَّ تِهَا كَلَوصَائِلِ

كنايةً عن بُعد غارة الممدوح ؛ حيث تسير خيله حتىلقتُي الحوامل منها ما في بطونها من كثرة السير والتعب ، والجهد .

ويصف الشاعر خفاف السلمي سرعة خيول قومه ، فيقول[٢] :

إِذَاَلْتَقِ الخيلُ أولاَهَا فَأَثْرَ عَلَى جَرَيْهَا أَقْرَبُ

فتلك الخيول تتسم بالسرعة والنشاط في حروبهم ؛ فهيلقتُي أولادهَا لقوةّ جرْيها ، وهي مع ذلك لا يصيبها الإعياء أو التعب .

والشاعر الربيع بن زياد يحرض قومه في طلب دم مالك بن زهير ، فيقول[٣] :

أو الضأن ويقصد هنا ابن الفرس) .

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص١٤٥) .

وبهامشه : (تشحط في الأسلاء : أي تضطرب ، الوصائل :ثياب حمر فيها خطوط خضر فشبّه السلى بها) .

(٢) خفاف السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد ذيل ط يفي ، (ص٥٤) .

(٣) عادل جاسم البياتي ، مجلة كلية الآداب ، العدد الرابع عشر ، مطبعة المعارف ، بغداد ، المجلد الأول ، ١٩٧٠ - ١٩٧١م ، (ص٣٩٤) .

ومجنبات ما يذقن عزوفةً يقذفن بالمهرات والأمهار

هنا يصف قوة قومه وشدة بأسهم ،وأنّ خيولهم التي تمتاز بالنشاط والقوة تقذف ما في بطونها من المهر -وهو (ولد الفرس)- ؛كنايةً عن بُعد الغارة .

لقد جمعت الباحثة عددًا من أبيات الأمومة عند الخيل ؛ تجلى فيها الحزن والخوف عند الفرس .فالشاعر الجاهلي صوَّر الجانب المادي للفرس الذي هو رمز القوة ، والشجاعة ، والسرعة عند العركذلك نجده صوَّر الجانب الحسي ؛ فالخيل لقوتها وسرعتها وشدة عدوها في الحروب والغارات تفقِد أولادَها إمّابابتعادِها عنها فلا تستطيع تلك الأفلاء اللَّحاق بها فتهلك ، وإمّا بسقوط أجنّتها لكثرة السير والترحال . كذلك ظهر في بعض الأبيات تشبيه قوة تلك الخيول في الغارات بالفرس التي تدافع عن أولادها حينما فُصلت عنها ، وما تلاقيه تلك الفرس من جهد ومشقة في الدفاع عن صغارها .

ووجدتْ الباحثةُ أن الوصف قد كثُر عن أمومة الخيل من خلال التشبيه ؛ لأن الجاهلي يرى في وصف الخيل مجالاً رحبًا للتوغُّل في خفايا النفس ، ووصف ما تعانيه تلك الأم أثناء فراق أولادها ، وما تقوم به من الاستبسال للدفاع عن صغارها .

وبدا للباحثة من خلال جمْعها أبيات الأمومة عند الخيلأنهّا لمتصفْ حزن الخيل ، ولا شدة ولهها على صغيرها ، ولم تصف صوتًا يعبر عن الحزن ؛ كما هو الحال عند الناقة والظبية . ولا نجدُ وصفًا لتلك النظرات التي يملؤها الحزن والوله والترقب والقلق ، والبحث عن الصغير ؛ كما لدى الناقة والمهاة والبقرة الوحشية . ونلاحظ أن الخيل تشترك مع الأتان في أن الشاعر يبرز صورة عجز الأمومة أكثر من حزنها ، ويصف الشاعر الجاهلي الخيل بالقوة ،

والشاعر هو : الربيع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ناشب . من فرسان العرب ، نسبه إلى مضر بن نزار ، أمه فاطمة بنت الخرشب الأنمارية .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، (ص١٤١) .

والشجاعة ، والسرعة ؛ فهي لشدة عدوها في الحروب والغارات تفقد أولادها إمّا بابتعادها عنها لا تستطيع تلك الأفلاء اللحاق بها فتهلك ، وإمّا بسقوط أجنّتها لكثرة السير والترحال ؛ فتعجزُ تلك الخيول جراءّ ما حلّ بأفلائها .

الفصل الثالث

الأمومة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : صورة الأمومة المحضة.

المبحث الثاني : نفي الأمومة.

المبحث الأول
الأمومة المحضة

المراد بالأمومة المحضة : ما ذكره الشعراء في أشعارهم من أحوال الأمومةالمجرّدة من التلبُّس بأي عاطفة ، التي اجتمعت فيها كل صفات الأم التي فطرها الله عليها ، من حملٍ ، وولادةٍ ، وفطامٍ ، وتربيةٍ ، وعنايةٍ .

ومظاهر الأمومة المحضة عند الحيوان تناولها الشعراء في كثير من أشعارهم وقصائدهم .

والمحضة من (محض) . والمحض : اللبن الخالص بلا رغوة . ولبن محض : خالص لم يخالطه ماء ،حلوًا كان أوحامضًا . وعربي محض : خالص النسب . وكل شيء أمحضته ، فقد أخلصته[١] .

((والإبل تُقدَّم كرمًا للضيفان . وديوان العرب من مأثور الشعر وما جال في نفوسهم وتردد على ألسنتهم حافل بفطرة العربي في الكرم ، وطبعه الأريحي في استقبال الأضياف والطارقين))[٢] .

ويفتخر الأعشى[٣]بكرم قومه عندما يبذلون الإبل اللّقاح للمحتاجين ، فيقول :

إِذا رَوَّحَ الرَّاعِي اللِّقَاحَ مُعَجِّلاً وَأَمْسَتْ عَلَى آفَاقِهَا غَبَرَاتُهَا

أَهَنَّا لَهَا أَمْوَالَنَا عِنْدَ حَقِّهَا وَعَزَّتْ بِهَا أَعْرَاضُنَا لا نُفَاتُهَا

(١) اللسان (م ح ض) .

(٢) محمد أحمد سلامه ، الإبل في التراث العربي ، (ص٧٢) .

(٣) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٨٧) .

فيفخر بنفسه وبقومه في زمن الشتاء حين يروّح الراعي الإبل (اللّقاح) مستعجلاً ذلك خشية عليها من البرد ، وقد أغبرت الآفاق جدبًا ؛ عندها يهين قومُه أموالهم ، ويبذلونها كرمًا منهم للمحتاجين .

ويخاطب حُجْر بن خالد زوجته مفتخرًا بجوده وبكرمه ، فيقول[١] :

واسْتَبْدِلِي خَتَنًا لأَهْلَكِ مِثْلُهُ يُعْطِي الجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الأبطالا

يَرَ الجَدِيرِ بأن تكُونَ لَقُوحُهُ رَبَّاعِيَه والأصيلِيُّ عِيَالا

ذكَرَ (اللَّقُوح) وهي صفة للإبل إذا كان بها لبن ، والناقة اللَّقوح من أنفس المال عند العرب . فالشاعر يفخر بنفسه في حواره مع زوجته وأنه إن هلك فلن تجد رجلاً مثله يتصف بالسجايا الكريمة ، فلتبحثْ إذَنْ عن زوج تكون ناقته اللَّقوح مالكة له وليس هو المالك لها ، وفصيله عنده محل عياله لشدة بخله فذِكْر الناقة اللقوح هنا يدل على مبلغ عنايتهم بهذا النوع من الإبل ، وأنّ بذْل مثله دلالة الكرم وسخاء النفس .

ويذكر سلمة بن الخرشب[٢] ما بذله من مال فداءً لأبي أسماء ، فقد بذل أفضل الإبل الحوامل والنوق غزيرة اللبن والتي تعطف على ولد غيرها؛ كنايةً عن كرمه وسعة عطائه ،

---

(١) الحماسة لأبي تمام ، الديوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (ص٣٥١ - ٣٥٤) .

والشاعر ؛ هو : حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . شاعر جاهلي .

وبهامش الحماسة : ((اللَّقُوح :صفةٌ ، يقال : ناقةٌ لقوحٌ ؛ إذا كان بها لبنٌ . وجمْعُه :لُقَحٌ)) .

(٢) هو سلمة بن عمر بن نصر بن حارثة بن طريف بن أنمار بن ربث بن غطفان . والخرشب لقب أبيه . وهو شاعر جاهلي مقلّ .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص١٧٠) .

فيقول[١] :

خَاضِ بَالبُزْلَ الثُّمّ عِشَارَهَا ولم تَنْهَ منها عن صَفُوفٍ مُظائرِ

ويعتزّ الشاعر عارق الطائي[٢] بالناقة ، فهو يقسم بها ويقول[٣] :

حلفتُ بهديٍ مشكراتُه تخبُّ بصحراء الغبيط لِدُقُهْ

هنا يعتزّ بالناقة ويقدمها هديًا للبيت الحرام ويختار أفضل النُّوق ، وهي الوَلود اللَّبون التي تسير صغارُها خلفها متبخترةً .

ويفخر وُهْج بن مسهر بنفسه ، فيقول[٤] :

---

(١) شعر غطفان ، الديوان ، تحقيق : إبراهيم النعانعة ، دار جرير ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، (ص٢٦٨) .

وبهامشه (ص٢٧١) : **الخَاضِ** : الإبل الحوامل . **البُزل** : جمع بازل ؛ وهو ما استكمل الثامنة وطعن في التاسعة **الصَّفُوف**: الناقة الغزيرة اللبن . **المظائر** : التي عطفت على ولد غيرها) .

(٢) هو : قيس بن جروة بن سيف بن مالك بن عمرو بن أمان بن ربيعة بن جرول بن ثعل الطائي الأجئي. يقال له : عارق الطائي .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص٢٠٣) .

(٣) شعر طيّئ ، الديوان ، تحقيق : وفاء فهمي السنديوني ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (ص٢٤٤) .

الغبيطُ : أرض مطمئنة . وقيل : **الغبيط** : أرض واسعة مستوية يرتفع طرفاها . اللسان (غ ب ط) . **لِدُقُه**: صغار الإبل . اللسان (دردق) .

(٤) الحماسة لأبي تمام ، الديوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، أحمد أمين ، (ص١٧٤٧) .

والشاعر هو : البرج بن مسهر بجلاّس ، أحد بني جديلة ثم أحد بني طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان . وهو من معمّري الجاهلية .

فلـ ـلقَوْمِ منها بالمَرَاجِـ ـل قُبْخَ ولَّطير ْ ـ منْها فَرْ ْثُها وجَـنينُها

فالشاعر يفخر بنفسه وما يتصف به من كرم ؛ حيث ينحر النوق ويطعم الضيوف ، ويترك فر ْثها وجنينَها لـ طير .

ويقول سنان بن حميضة في الكرم[١] :

ي إذا أُطْـ ـنَّ الجوادُ بمالِـ ـه من البكَرات ـ ـنْقِيات ـ المتالِـيَا

هنا يصف كرمه ، فهو يجود عليهم في حال بخل الجواد بماله ويعطيهم الإبل السمينة الضخمة التي تمتاز بالنتاج وهي المتالي التي تتبعها أولادها .

ويقول محمد بن حمران الجعفي أحد شعراء مذحج[٢] :

أتَتْنِي ثَمَا َ نُونَ أُطْـ ـيتُخَهَال ُ مَ ـتَالِيَـهُـنَّ الجـلامَـا

فالشاعر يفخر بنفسه وبكرمه ، فهو مِ ـعْطاء يعطي أفضل النوق المتالي التي تتبعها أولادُ ها ، وتخال تلك المتالي أمام الشاة الضخمة العظيمة الصغيرة .

يُنظَر في ترجمته : (ص٣٥٩)

(١) شعر غطفان ، الديوان ، تحقيق : إبراهيم النعانعة ، (ص٤٨١) .

والشاعر هو : سنان بن حميضة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وهو شاعر جاهلي . من أجواد العرب ، وشعرائهم ، وقضاتهم في الجاهلية .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص١٧٥) .

وبهامش الديوان نظَمَنَّ جَـ ـل ، **البكَرات** : الإبل . **المنقيات** : السمينة . **المتالي** : التي تتبعها أولادها)

(٢) شعر مذحج ، الديوان ، تحقيق : محمد عبد الله آل مبارك ، منشورات نادي جازان الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، (ص٤٩٢) .

الجـ ـلاما : شاء أهل مكة واحدتهُ ا : جلمة . اللسان (ج ل م) .

وهنا يفتخر البرج بن مسهر ، فيقول[١] :

خَرَجْنَا من النَّقْبَيْنِ يَحْفِزُنَا ثَأْلٌ بِآيَتِنَا تُزْجَى اللِّقَاحُ المَطَافِلا

فهويفتخر بقومه وكثرتهمحيث خرجوا جماعاتٍ تسوق النُّوق اللقاح التي معها أولادها ؛ فهي قريبة عهد بالنتاج .كنايةً عن كرهم .

والإبل ذات النفاسة والقيمة الغالية عند العربي يعتدّ بها ويحافظ عليها ، ويصيبه العنت والمشقة من أجلها ؛ لأنه يُعلي قَدْرها ويُغلي ثمنها .قول سُلمي بن ربيعة[٢]في إغاثة المحتاج :

دَارَتْ بأرزاقِ العُفَاةِ مَغَالِقٌ يُسَيَّدَ يَّ من قَمَعِ العِشَارِ الجُلَّةِ

يصف كرمه بأنه يقيم أرزاق الطلاّب من أفضل أسنمة النوق السمان الكبار الحوامل ، التي قرُب عَهْدُها بوضع الحمل . وهو يختار أفضلها وأقواها ، وينتقي صحاح الإبل وخيارها؛ لا كسيرها ولا هزيلها .

والخنساء إحدى الشاعرات المخضرمات التي جمعت بين المدح والرثاء . قيل نها : ((من أحسن المراثي ما خلط فيه مدح بتفجيع على المرثي ، فإذا أوقع ذلك بكلام صحيح ،

---

(١) البرج بن مسهر ، ديوانه ، (ص٣٥٤) .

وبهامشه : (**النَّقْبين** : مثنى نقب ، وهو عْبٌ بين الجبلين . **آية** : جماعة .**اللّقاح** : جمع لقيحة ؛ النّاقة المُعَدّة للنسل . **المطافلا** : جمع مُطْفِل ، وهي الناقة مع طفلها ، وهي قريبة عهدٍ بالنتاج) .

(٢) الحماسة لأبي تمام ، الديوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، أحمد أمين ، (ص٥٥١) .

والشاعر هو : سلمي بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبه بن ذئب بن السيد بن مالك بن بكر سعد بن ضبة. وتماضر زوجته .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزه فوال ، (ص١٧١) .

وبهامش الحماسة : (**العُفاة** : جمع العافي ، مغالق : الأزلام ، وكل سهم في الميسر مغلق ، والمغالق : قداح الميسر . اللسان / غلق ، العشار : جمع عشراء ، وهي التي عليها من حملها عشرة أشهر) .

ولهجة مُعرَبة ، ونظم غير متفاوت ، فهو الغاية من كلام المخلوقين))[١] . ترثي الخنساء أخاها صخرًا وتمدح كرمه ، فتقول[٢] :

نَحَرَ الكومَ فَايَا والبِكَارَ الخَلِفَهْ

وذلك كناية عن كرم المرثي ، الذي يذبح أفضل النوق في زمن الشتاء حين يشتد البرد والجدب . ومن تلك النوق : (البكار الخلفه) أي : الغنية ، والحوامل ، فذِكْر أمومة الحيوان هنا لغرض وصف المرثيّ بالكرم .

وقالت الخنساء أيضًا في وصف كرم صخر[٣] :

وألجا برهُا الأشوال حَُدْبًا إلى الحُجراتِ بادية كُلاها

هنالك لو نزلت بَآل صخرٍ رقَى الأضياف شحمًا من ذُراها

وهذا كناية عن شدة البرد والجدب ، وهو الزمن الذي يتجلى فيه كرم صخر وغزارة عطائه .

ويصف الأعشى ممدوحه بالكرم والجود ، فيقول[٤] :

---

(١) المبرد ، التعازي والمراثي (ص٢١٠ - ٢٨٦) ، تحقيق : محمد الدبياجي ، دمشق ، مطبعة زيد بن ثابت ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، د ط ، (ص٢٧) .

(٢) الخنساء ، الديوان ، (ص١٠٢) .

وبهامشه : (**الكوم** : العظيمة السنام **الصفايا** : الغزار . **البكار** : الفتيّة الخلفة) .

(٣) المصدر نفسه ، (ص١٤٠) .

وبهامشه : (**الأشوال** : واحدها شائل : الناقة أتى على حملها أو وضعها سبعة أشهر . **الحجرات** : حظيرة الإبل . **ذراها** : نواحيها) .

(٤) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٥١)

هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَاةَ إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارَا

فهنا يصف الأعشى ممدوحَه بأنه كريم ، عظيم العطايا ، يهب الإبل المائة من أجود الإبل ؛ منها المخاض التي دنت ولادتها ، ومنها العشار - وهي النوق الحوامل- .وهذا كلُّه من أثمن الإبل .

ويصف عمرو بن قميئة ممدوحَه ، فيقول[1] :

مخاضٌ بَعُلَى غوارِبها زَبَدُ الفحولِ مَعَانُها بَقِلُ

وعِشارها بعد المخاض وقد صافتْ وعمَّ رباعها النَّفَلُ

هنا يصف كرم ممدوحه بأنه يهب النوق المخاض -وهي الحوامل- ، والعشار -التي أتى عليها عشرة شهور من نتاجها الكثير- في الصيف ؛كنايةً عن الكرم .

ويصف الأعشى[2] كرم ممدوحه ، فيقول :

والْهَيْكَلَ النَّهْدَ والوَلِيدَةَ والـ ـعَبْدَ وَيُعْطِي مَطَافِلاً عُطُلا

والبيت كناية عن الكرم ؛ فممدوحه يعطي الضخم القوي من الأفراس والجواري والعبيد ، والإبل الضخام يتبعها أطفالها الصغار . (والمال من أعظم ما يقدّمه الجاهلي لذوي

وبهامشه **اللِّقاح** : الحوامل . وهي أثمن وأغلى ؛ لما في بطونها . **المخاض** : التي دنت ولادتها).

(١) عمرو بن قميئة ، الديوان ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، (ص٥٤) .

وبهامشه **نقل** : فيه بقْل . **الرياع** : جمع ريع . **العشار من الإبل** : التي أتى عليها عشرة شهور . **النفل** : الغنائم . وعنى به هنا : نتاجها الكثير) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٢٣٥) .

وبهامشه ، (ص٢٣٩) : (**النهد** الفرس الحسن الجميل الجسم . **الوليدة** : الجارية . **مطافل** : جمع طفل ؛ أي معها طفلها . **العطل من الإبل** : الحسن الجسم) .

الحاجات ، وهو إحدى قيم الفخر البدوية التي ظهرت في القصيدة الجاهلية مرتبطة بالبيئة))[١].

ويفتخر ابن مقبل بكرم قومه ، فيقول[٢] :

وأكْثَرَ مِنَّا ذا مَخَاضٍ يَلِينُهَا قَوْمٌ سِوَانَا ونُحْمَدَا

فالشاعر يمدح قومه بتقديمهم العطايا من النوق الحوامل التي قرُبت ولادتها إلى المحتاجين ؛ للانتفاع بنتاجها من لبن وغيره فينالوا الحمد والثناء بإعطاء المخاض غيرَهم ، وذلك كناية عن كرمهم وبذْلهم أثمن المال (المخاض) .

ويقول المساور بن هند في مدح قومه[٣] :

إذا أخَذتْ بُزْلُ المَخَاضِ سِلاحَها تَجَرَّدَ فيها مُتْلِفُ المالِ كاسِبُهْ

هنا يمدح الشاعر عشيرة (غالب) ويعدد مآثرهم ومنها كرمهم البالغ ؛ حتى إنهم يبذلون الإبل الشابة المخاض -وهي الحوامل حين يذبحونها للقِرى .

ويصف عبد الله بن جبل حال قومه وما هم فيه مِن دَعَةٍ ونعمة ، فيقول[١] :

---

(١) حسين جمعه ، الحيوان في الشعر الجاهلي ، (ص٣٠) .

(٢) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٦٦) .

وبهامشه : (**المخاض** : الحوامل من النوق التيقرُب نتاجها . ولا واحد لها من لفظها) .

(٣) الحماسة لأبي تمام ، الديوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، أحمد أمين ، (ص١٦٦٧) .

والشاعر **هو** : مساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمه العبسي . شاعرمعمّر ، ولد في حرب داحس والغبراء . (ت نحو ٧٥ هـ / ٦٩٥ م) .

وبهامش الحماسة : (البُزل : جمع بازل ، وهو المتناهي قوةً وسبايا . و **المخاض** : النوق الحوامل **تجرّد فيها** : أيتشمّر فيعَقْرها ، ونَحْرها) .

عِشارٌ في مراتِعِها وعُصُوفًا ما تَدِرُّ على عِصابِ

هنا يصف ما عليه قومه من بلوغ العيش ؛ فهم يملكون العشار وهي النوق الحوامل والنوق حديثة النتاج والتي ترعى في المرعى ، وتلك النوق تدر عليهم من لبنها دون عصب فخذها ، كناية عن فخره بنعمتهم وثرائهم .

ويفتخر عمرو بن شأس الأسدي بقومه ، فيقول[٢] :

وكانَ اتِّيامًا كُلُّ حَرْفٍ غلَبْنَاهُمُ لها الأموالَ والعِرْضُ وافِرُ

يصف كرم قومه وقد أقدموا على ذبح النوق الحافلة باللبن ،التي لا تُحلب إلاَّ إنقاذًا للناس من المجاعة ؛وذلك كنايةً عن الكرم .

((والإبل تسرع إلى أكنافها لتحتمي من العاصفة والموت أو لتمنع الموت عن طارق ملهوف جائع ، فحياته مرهونة بموتها))[٣] .

---

(١) شعر همدان ، الديوان ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، (ص٢٦٧) .

وبهامشه : (**عُوذٌ** : جمع عائذة ، الناقة التي عاذ بها ولدها . **صَفايا** : جمع صفيّة ، كل ما اصطفاه المرء لنفسه من مراكب أو غير ذلك .**عِصاب** : من قولهم : ناقة عَصُوبٌ ؛ وهي : التي لا تدر حتى يُعصب فخذها .

والشاعر **هو** : عبد الله بن جبل من بني سلامان بن عذر الهمداني الحاشدي . من فرسان الجاهلية .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص٢٠٩) .

(٢) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، (ص٨٠) .

وبهامشه : (**الاتِّيام** : ذبح الشاه أيام المجاعة . **الحرف من الإبل** : النجيبة الماضية التي أهزلتها الأسفار ؛ شُبِّهت بحرف السيف في مضائها ، ونجائها وقّتها) .

(٣) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص١٢٤) .

ويمدح الأعشى[١] قومه ويفخر بهم وبجودهم في فصل الشتاء ، حين تلوذ صغارها من شدة البرد بالخيام ، وتروح اللّقاح في الأصيل وتعدو من شدة البرد كَعَوْدِ النَّعام . يقول :

وإذا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بأصيلَةٍ رَتَكَانَ عَلَنَّشَعَيَّةَ الصرُّادِ

مِنْ رَجْيَرَا يُلُوِّهُ رِيَاعُهَ بِالْخَيْمِ بَيْنَ طوَارِفٍ وَهَوَادِي

ويفتخر عامر بن الطفيل بقومه ، فيقول[٢] :

لاَ تَسْأَلْ إذا اللِّقَاحُ وُتِّجَ الرِّئالِ هَولَمْ تَبُلَّ صرارَا

إنَّا لَنَعْلَجَبِيطُ بِلِضَيْفِنَا قَبْلَ العيالونَبْطُلُ الأوْتَارَا

هنا يصف كرم قومه بأنهم يملكون النوق اللقاح ؛ وهي : الحلوب القريبة العهد بالنتاج التي رُتَّ من العشي إلى مراحها مع صغارها . وهم يكرمون ضيفهم قبل عيالهم ؛ وهذا كناية عن شدة إكرامهم للضيف .

وقد تجتمع الأمة المحضة ونفي الأمومة في بيت واحدٍ ؛ كما في بيت لبيد بن ربيعة

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص١٣١ - ١٣٢) .

وبهامشه : (**اللّقاح** : جمع لقحة وهي الناقة الحلوب . **الأصيل** : وقت الغروب **تروحّت** : عادت من المرعى إلى حظيرتها **رتك البعير والنعام** : وهوعدْوٌ في مقاربةخَطْوٍ يوهمٌ دٌ **وعشيّةٌ** دٌ : باردة . **الرِّباع** : جمع رَبْع ؛ وهو : ولد الناقة . **الهوادي** : جمعادٍ ؛ وهو : البدان - أي : الهود - في مقدمة الخباء) .

(٢) عامر بن الطفيل ، الديوان ، تحقيق : أنور أبو سويلم ، (ص ٣٦٤ - ٣٦٥) .

وبهامشه : (**اللَّقوح** :اللَّبون ؛ وهي : الحلوب القريبة العهد بالنتاج **الهدَجِيّ** ٌ رُوَيْدٌ ضعيفٍ . **صررت الناقة بالصرار** ؛ وهو :خيطٌ يُشَدُّ فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها .**العَبيط** : اللحم الطري غير النضيج) .

الذي يقول فيه[١] :

وَجَزورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لحتفها بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أجسامها

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُنْطِلٍ بُذِلَتْ لجيرانِ الجَمِيعِ لِحَامُها

فهو يدعو هؤلاء الفتية على تلك المغالق للمياسرة على ناقةٍ عاقر لا تحمل ولا تلد ؛ وذلك لأنها أسمن من غيرها (وفيه نفي للأمومة) ، أو الناقة المطفل ذات الولد ، والتي هي أغلى عليه (أمومة محضة) ؛ كناية عن الكرم في بذل العطاء .

وقد ((استخدم العربي الإبل في الحروب والغارات ، ودرَّبها على الطرق الوعرة ، وكيف تتقدم وتتأخر ، وكيف يفاجيء بها القائد العدو ويهاجمه ويباغت مواقعه))[٢] .

فهذه دلالة على اعتماد العربي في قتاله على الإبل ؛ إذْ جاءت صورة الناقة مرتبطة بصورة الحرب ، فالشاعر استقى من أمومة الحيوان صورة لتشبيه الحرب ووصفها . وعند حصر ْ الباحثة لتلك الصور كان معظمها يصف تلك الحروب ويشبّهها بالناقة اللقاح (الحوامل) أو الناقة اللبون التي تدرّ اللبن . وكانت هناك صلة بين الحرب وبين الناقة سيئة الطباع . وتتضح تلك التشبيهات والاستعارات من خلال استعراض بعض تلك الأبيات .

فالأعشى[٣] يمدح قيس بن معد يكرب ، فيقول :

---

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص ٣١٨) .

وبهامشه : (**الأيسار** : المضاربون بالقداح ، **فَتْهَا** : خَرْهَا **المغالق** : القداح ؛ لأنه يُغلق بها الرهن . **اللِّحام**: جمع لحم) .

(٢) محمد أحمد سلامه ، الإبل في التراث العربي ص ٧٩

(٣) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٤٩) .

وبهامشه : (**البازل** : البعير إذا بزل نابُه ؛ أي شقَّ وظَهَر **أحلّ الحمار** : استباحهم ، وجعلهم لا ً)

أخُو الحَرْبِ إذ لقِحَتْ بَازِلاً سَمَا للعُلا، فِي الحِمَارَا

فهو هنا وصفه بأنه (أخو الحرب) كناية عن طول ممارسته للحرب وخوضه لها ؛ وذلك حين تتوالد الحروب ويتنامى شرُّها مثل البازل إذا لقحت - أي : حملت- . فهو في هذا الهول المخيف يسمو للعُلا ، ويستبيح قبائل معيّنةً تُعرفُ بـ (الحمار) - وهم قبائل ضبّة، وعبس ، والحارث بن كعب- .

و((تنتزع الشعراء من طباع الإبل العنيفة صورًا كثيرة يشبّهون بها أنفسهم وأعداءهم أثناء الحرب))[١] . مثل قول النابغة الذبياني[٢] :

فَدَعْ عنْكَ قومًا لا عتابَ عليهِمُ هُمُ ألحَقُوا عَبْسًا بأرضِ القَعاقِعِ

وقد عَسَرَتْ مِن دُونهِم بأكُفِّهم بنو عامِرٍ عَنِ المَخاضِ المَوانِعِ

يصف قومًا (هم بنو عمر) أنهم أقاموا في بلادهم ، وحموا حلفاءهم ،وأبَوا غير ذلك ؛ فرفعوا أكفهم بالسيوف -كنايةً عن التهيؤ للحرب- كما ترفع الناقة ذنَبَها وتشول به بتمتنعُ من الفحل إذا حملت .

ويفخر أحد شعراء بني تميم[٣] ، فيقول :

---

(١) أنور عليان أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص١٥٢) .

(٢) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص٨٧) . ==

= وبهامشه : (**عسرت** : دفعت أكفها بالسيوف لتمنع الناقة من الفحل إذا حملت . **المخاض** : الحامل إذا دنا وقت ولادتها) .

(٣) الحماسة لأبي تمام ، الديوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، أحمد أمين ، (ص١٣٣)

قال التبريزي: ((قال أبو رياش : هذه الأبيات لبعض بني تميم الله بن ثعلبه ، يوم أوارة . و **أوارة** : موضع)).

وبهامش الحماسة : (**الوُلن** : أي شائلة الدواب . وهي تشول بأذنابها : إذا اشتدعلوُها **الغبر** : البقية

ولَقَدْ رَأَيْتُ غَدَاةَ شُلْنَ عَلَيْكُمُ شَوْلَ المَخَاضِ أَبَتْ لُغَبْرِ

يفخر الشاعر هنا بخيولهم وقوتها فيشبهها إذا اشتدّ عدْوُها ورفعت أذنابها بالنوق الحوامل إذا طلب حلْبُ غبرِ لبنها - وهو : المتبقي من اللبن الذي في الضرع - .

ويصف سلامة بن جندل إبلَ قومه ، فيقول[1] :

يُحْبَسْنَ بِالدَّارِ أَدنَى لَمْرتَعٍ لَهَا ولو تَعَالَى بِكُلِّ مَحْلُوبِ

الإبل حين تُحبس في دار الحفاظ على جدبها ؛ إنما ذلك لحاربة العدوّ . وهي تُحبس في المراتع التي ترعى بها ، وإن كان في ذلك الحبس ما يقلّل لبن النوق ويجفّف ضرعها .

ويُنبِّه لقيط بن يعمر الإيادي قومه لكي ينتبهوا من غفلتهم ، فيقول[2] :

وتُلْقِحُونَ حِيَالَ الشَّوْلِ آونَةً مُتْوِجُونَ بِدَارِ القُلْعَةِ الرَّبَعَا

يذكرُ الشاعر أنّ قومَه لُغِلوا بتلقيح النوق الحائل عن الاستعداد للحروب أمام الأعداء ؛ فهو ينبِّههم كي يستيقظوا من غفلتهم .كنايةً عن الانشغال بأموالهم ، والغفلة عن الخطر المحدق بهم .

ويصف قيس بن الخطيم شجاعة قومه فيقول[1] :

تبقى من اللبن في الضرع) .

(١) سلامة بن جندل ، الديوان ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، (ص١٢٨) .

وبهامشه : (**محلوب** : ضرع حلوب . و**الكَعْبُ** :قلّة اللبن) .

(٢) لقيط بن يعمر الإيادي ، الديوان ، تحقيق : محمد التونجي ، (ص٨٠) .

وبهامشه : (**حالت الناقة** : إذا لم تحمل فهي حائل ، والجمع حيال **الشَّول** : إناث الإبل التي قد شولت ألبانها ، أي جفّت وآنَ : أحيانًا ، واحدها أَوَانٌ . دارالقُلعة : الدار التي تريد أن تنتقل عنها **الرّبع**: الفصيل الذي ينتج في الربيع) .

فأرْظَنَا كُتَمٌ بالأبْتِيُضِ أذلٌّ مِنَ السُّقْبانِ بَيْنَ الحَلائبِ

وهذا يُضرب مثلاً في الإعطاء على المخافة ؛ أي : ضربناكم بالسيوف حتى عطفناكم على الصلح في ذِلّة حتى لأنتم أذلّ من السقبان بين الحلائب . والسقبان : جمع سقب ، وهو : الذَّكرُ من أولاد الإبل . ففي وقت الحلب تدفع أولادها بشدة ، وتبقى محمومة .

وفي الشعر الجاهلي نرى الشعراء يلبّون نداء الحرب وهم على ظهور الإبل النجيبة ؛ فهناك ارتباط وثيق بين الحرب وبين الإبل . ومن ذلك قول سلامة بن جندل[٢] :

وتَغلِبُ ، إذ حَرْبُها لاقحٌ تُشَبُّ ، وتُسْعَرُ نيرانُها

يشبّه الشاعر حرب تغلب التي تثور شيئًا فشيئًا ، وتعاني ويلات الحروب =بالناقة اللاقح التي تزداد معاناتها كلما اقترب موعد وضْعها .

وقال عنترة العبسي[٣] :

تَنْسَى بلائي إذا ما غارةٌ لَحِقَتْ تَخُرُّ منها الطُّوالُ السُّرَّاعِيفُ

شبّه الحرب إذا اشتدت وعظُمت بالناقة إذا حملت . حذف المشبه به - وهو الناقة- وجاء بشيء من لوازمه -اللقاح- ؛ على سبيل الاستعارة .

ويقول خفاف السلمي هاجيًا العبّاس[١] :

---

(١) قيس بن الخطيم ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، بيروت ، (ص٩٤) .

وبهامشه : (يقال **ظأرتْ** الناقةأظأرُها : إذا عطفتها على ولد غيرها . **السقب** : ولد البعير الذكر . **الحلائب**: جمع الحلوبة ؛ وهي التي تحلب) .

(٢) سلامة بن جندل ، الديوان ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، (ص٢٥٥) .

(٣) عنترة العبسي ، الديوان ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، (ص٢٧١) .

وبهامشه : (**الطُّوالات** : جمع طُوالة من الخيل . و **السراعيف** جمع سرعوفة ؛ وهي : الجرادة) .

قَحَتْ أَلَحَرْبًا لَهَا شِدَّةٌ مَانًا تُسَعِّرُهَا بِاللَّظَى

يشبّه الشاعر الحرب التي أوقدها وأشعلها العباس بالناقة ، فيقول له : انتظر نتاجها إذا لقحت -أي : حملت- ؛ فهي تعاني حتى يظهر نتاجها .

ويشبّه عمرو بن براقة الحرب ، فيقول[٢] :

عَدَانِي أَنْ أَزُورَكَ أَنَّقُومِي وَقَوْلُكَ أَلْقَحُوا حَرْبًا شَمُولَا

يشبّه عمروٌ الحرب وَما يتوالد من شرّها بالناقة اللاقح .

وعمرو بن كلثوم كغيره من شعراء الجاهلية يجد علاقة بين الحرب والناقة ، فقال[٣] :

وَمَا انْفَكَّ عَنَّا مِنْ عُمَارَةَ ضَرْبُ شَالَتْ لَاقِحًا مَنْ يَقُودُهَا

هنا شبّه الحرب حين ينمو شرّها ويتصاعد بالناقة اللاقح ؛فهي في حملها تكون أشدّ عصيانًا .

وقالت الخنساء[١] :

---

(١) خفاف السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، (ص٣٢) .

وبهامشه : (**تلقّحت الحرب** : أيتلقّحت بالقتال ، أي حملته واستلقت به فانتظر نتاجها .**تسعّرها** : توقدها. و**اللّظى**: شدة اللهبوالتوقّد) .

(٢) شعر همدان ، الديوان ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، (ص٢٧٥) .

والشاعر هو : عمرو بن براقة . قال الآمدي : ((براقة أمه . ابن منبه بن زيد بن عمرو بن منبه بن شهر بن نهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن صعب بن بكيل الهمداني . شاعر فارسي ، وسيد شريف)) .

(٣) عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تحقيق : أيمن ميدان ، (ص٢٥٩) .

وبهامشه : (**مانفك** منّا : أي ما انفصل عنّا هذا الشرف . **العمارة** : أصغر من القبيلة . وقيل : هي الحي العظيم) .

وألْقَحَ القَوْمُ حَرْبًا لَيْسَ يُلْقِحُها إلاّ المَساعيرُ أبْناءُ المَاعيرِ

شبَّهت الشاعرة الحرب حين يتصاعد شرّها وبلاياها بالناقة التي تلقح ؛ أي : تحمل.

وقال الحارث بن عباد[٢] :

قَرِّبا مَرْبِطَ النعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيَالِ

هنا شبّه الشاعر الحرب بنتاج الناقة التي لم تلقح أعوامًا ثم لقحت ؛ فكان ذلك أقوى لولدها ؛ لأن النتاج بمنزلة الحرب . وفيه كناية عن شدة مراس هذه الحرب .

ويرد عبيد بن الأبرص على امرىء القيس مفتخر بأسرته، فيقول[٣] :

أبَوْا دِينَ المُلُوكِ فَلَجَّ مِنْهُمْ لَقاحٌ إذا نُدِبُوا إلى حَرْبٍ أجَابُوا

فيفخر بقومه ويشبههم بالنوق اللقاح التي تجود بألبانها وهم يجودون بأنفسهم ، ولا يطيعون الملوك ؛ فهم هواة حرب يسارعون إلىخوضها حالما يُدعَون إليها .

وقال عمرو بن قميئة[١] :

---

(١) الخنساء ، الديوان : دار صادر ، (ص٦٦) .

وبهامشه : (**المساعير** : واحدهم مسعار **مُسْعِر** وقُد نار الحرب) .

(٢) الأصمعيات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧١)

وبهامشه : (**النعامة** : اسم فرس . **لقحت** : حملت . **عن حيال** : حالت الناقة ؛ أي : لم تحمل) .

والشاعر **هو** : الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن بكر بن وائل . كان الحارث من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين .

يُنظَر في ترجمته : الأصمعيات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون . (ص٧٠) .

(٣) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، (ص٢٦) .

وبهامشه : (**أبَوْا** : رفضوا . **دين الملوك** : طاعتهم .**لَقاح** : يريد : أنهم لقحوا بحب القتال**ندُبوا** :دُعُوا) .

فدارتْ رحانا ساعةً ورحاهمُ ودرْتِ طِباقًا بعدبكْءٍ لقوحُها

هنا يشبّه الشاعر الحرب وما ينتج عنها من الشر والويلات بتتابعُ ما تدرّه الناقة بعد قلّة لبنها .

وقال قيس بن الخطيم في الحرب التي أخذ فيها بثأره من قاتل أبيه وجدّه[٢] :

وإنّإذاتعَامُوْا الحَرْبِ بَلّحُوا نُقيمُ بلأمْلِيعَرِينِلواءَها

ونُلْقِحُسهُلومرَقبْضَرْزَنِيّةً بأسْافِنا حتّىنُلَّإبلءَها

شبّه الحرب وما تؤدي إليه من الشرور والمهالك بالناقة التي يستدرّ الحالب منها بالمسح حتى تدرّ اللبن .

ويشبه عامر بن الطفيل الحرب بالناقة إذا امتنعت عن الحلب عُصِب فخذاها فتُدرّ ، فيقول[٣] :

شُعَثُّصاب الحربِ حتّىنُواًَ إذا ما نفوسُ القومِ طالعت الثّغر

---

(١) عمرو بن قميئة ، الديوان ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، (ص٣٦) .

وبهامشه **ظِباقا** : أي طابقت بعد أن كانت لاتدرّ .**البَكْء** : قلة اللبن . **لقوحها** : لقحت الناقة ؛ أي : أعطت كثرةً بعدقلّة) .

(٢) قيس بن الخطيم ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص٥٠ -٥١) .

وبهامشه :**السّيد** : الذئب ، والداهية . وهو سيد أسياد : داهية في اللصوصية . وعني بـ **(أسياد العرين)** : الأسود. **زَنِيَّةً** : عاصية) .

(٣) عامر بن الطفيل ، الديوان ، تحقيق : أنور أبو سويلم ، (ص٢٩٤) .

وبهامشه **عِصاب** : أصله من عصاب الناقة .**وعصابًا** : شد فخذيها أو أدنى منخريها بحبلتدرّ . و **ناقة عصوب** : لاتدرّ إلا على ذلك) .

ويشبه النابغة الجعدي الحرب فيقول[١] :

ألا أبلِغْ بَنِي شَيْبَانَ عَنِّي فَقَدْ حَلَبَتْ صِرُّامُ لَكُمْ صِرَّاهَا

هنا يشبه الحرب في شدتها وما فيها من شرور بالناقة التي صِرُّ ضروعها فيفسد لبنها ؛ وذلك لشدة الصِّرِّي لتلك الناقة .

وقال عروة بن الورد عندما سَبَتْ بنو عبس نساء طيء[٢] :

رَحَلْنَا من الأجبال ، أجبالِ طيِّئ نسوق النساءَ عُوذًا وعشارَها

شبّه النساء السبايا بالعوذ والعشار -أي : حديثة النتاج ، التي قربت أن تضع حملها- . وقصدأن منهن حواملاً ،ومنهن مراضعًا ؛كنايةً عن كثرة النساء السبايا .

ويشبه سلامة بن جندل الحرب بالناقة الحامل ، فيقول[٣] :

وقَدِّمْ قَوَافِي المَدَائِحِ إِذْ لَا يَومَ الحِفَاظِ ، ونَحمِي كلَّ مَكرُوبِ

هنا شبه الشاعر الحرب بالناقة الحامل التي لا يُدرى ما تلد ؛فهُم في تلك الحرب يقومون بحماية كل مكروب ومحتاج ، وهم لا يدرون ما حال هذه الحرب .

وقال أبو جندب[١] :

---

(١) النابغة الجعدي ، الديوان ، تحقيق : واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، (ص١٨٣) .

وبهامشه **الضِّرام** : من أسماء العرب ، مشتقة من الصرامة بمعنى الشدة . **الصرى** : اللبن يُترك في ضرع الناقة فيصير بطعم الملح فاسدًا) .

(٢) عروة بن الورد ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، بيروت ، (ص٤٣) .

وبهامشه : (**عائذ** : وهي حديثة النتاج **العِشار** : التي قربت أن تضع) .

(٣) سلامة بن جندل ، الديوان ، تحقيق ، فخر الدين قباوة ، (ص٢٢٩) .

بِطَعْنٍ مِنْ حَأْمِ الشَّوْلِ غَوَّارٍ زًا جَوَاذِبُهَا تَأْبَى عَلَى المُتَبَغِّرِ

شبّه ما يندفع من الدم لأجل تلك الطعنة برمح الإبل الثِّلّ بقوائمها حين تحسّ الحالب يريد حلب بقيّة لبنها فتركه .

وقال مالك بن خالد[٢] :

رَبَطْعَةٍ كَإِيزَاغِ المَخَاضِ بِكَشْقِيقِ الحَصِيرِ المُشَقَّقِ

ها يشبّه ما تقذف به الطعنة من الدم بما تقذف الناقة الحامل من البول متقطعًا دفعةً دفعةً .

وقال امرؤ القيس يمدح بني ثعل ويذم خالدًا[٣] :

تُلاعِبُ أَوْلادُ الوُعُولِ رُؤُوسَ المَجَادِلِ

أي : إبله سارحة في رؤوس الجبال ؛ فأولادها تلاعب أولاد الوعول ؛ لأنها في منَعة

---

(١) الهذليين ، الديوان ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، (ص٣٦٠) .

وبهامشه : **الشَّول** : إبل حوامل ، فقدخفّت ألبانها وقد غزرت **المتغبرّ** : وهو بقية اللبن) .

والشاعر **هو** : أبو جندب . من بني مرة بن فرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل .

يُنظَر في ترجمته : الهذليين ، الديوان ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، (ص٣٤٥) .

(٢) الهذليين ، الديوان ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، محمود شاكر ، (ص٤٧٢)

وبهامشه : (**الإيزاغ** : الدفع بالبول . و **المخاض** : النوق الحوامل ورشاشُه : ما تطاير من دمه) .

والشاعر **هو** : مالك بن خالد الخناعي الهذلي . شاعر جاهلي .

يُنظَر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة فوال بابتي ، (ص٣١٥) .

(٣) امرىء القيس ، الديوان ، تحقيق : حسن السندوبي ، (ص١٩٦) .

وبهامشه : (**الوعول** : تيوس الجبال . **الرباع** : الفصلان ، أي : الصغار من الإبل **المَجادل** : الجبال) .

وأمْن ؛كنايةً عما حظي به من أمن وسلام عند هؤلاء القوم .

وقد اتضح أثناء جمع وتفنيد أبيات الأمومة المحضة عند الناقة :أنّ هناك صلةً وثيقةً بين السحاب أو الغيوم المحمّلة بالماء وبـ بالناقة غزيرة اللبن . والعلاقة هي : علاقة الحياة والعطاء والنماء لكل منهما ؛ فجاءت تلك الأبيات في صورة تشبيه فقط وأكثرُ صور التشبيه حضورًا السحاب الممطرة التي لقحتها الرياح فامتازت بغزارة الماءتُشبَّه بالناقة اللاقح التي تمتاز بغزارة اللبن حينمايستدرّها الحالب . فهذا ابن مقبل مثلاً - يشبه السحابة الممطرة بالناقة ، فيقول(١) :

وقَاظَتْ كِشَافًا مِنْ ضَرِيَّةِ مُشْلَهِبًّا مِفِنٍّ حَبَوْبَاةٍ خَسِيفٌ وأبْطحُ

هنا شبّهالسحابة الممطرة التي تمتاز بكثرة الماء المتوالي الذي لا ينقطع بالناقة الكِشاف التي يكون حملها لسنوات متتالية .

ويتغزل الحادرة في الصاحبة ، فيقول(٢) :

---

(١) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٤٤) .

وبهامشه : (**قاضت السحابة** : إذا أمطرت في الصيف .**كِشافًا** : أيممرّة بعدمرّة ؛ مكنِشاف الناقة وهو : حملها سنين متوالية . و **ضرية مشرق** : اسم موضع . **حبوباة** : اسم ماء . **الخسيف** : البئر التيتحُفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤهاكثرةً . و **الأبطح** : مسيل الوادي الواسع العريض) .

(٢) الحادرة ، الديوان ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر -بيروت ، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩١م ، (ص٤٧ـ ٥٠) .

وبهامشه : (**الغريض** : الماء الطري من سارية سرت . و **أسجر** : ماء لميُصف . **ظلم** : جاء في غير وقته . **البطاح** : بطون الأودية . **انهلالها** : سيلها ؛ أي : سالت . **الحريصة** : الحاجة تقع على الأرض شديدة الوقع فتقشر وجه الأرض . **فصفا النطاف** : أي : صفا ماء النطاف . أي : ماء هذه السحابة بعد أن أقلعت . و **النطفة** : الماء) .

كغريضِ ساريَةٍ أدَرَّتهُ الصَّبا من ماءٍ أسْجَرَ طيِّبِ المُسْتَنقَعِ

ظلَمَ البطاحَ به انهلالُ حريصَةٍ فَصَفا القَطُ بها بُعيدَ المُقلعِ

من خلال البيتين السابقين تظهر صورة من صور الأمومة المحضة ؛ فالحادرة يتغزل في محبوبته (سمية) ، ويصف طيب ريقها وعذوبته ؛ فهو كالمطر الصافي القريب العهد بالسحابة التي تسري بالليل أدرّتها الرياح الساكنة . فوصف السماء بالناقة ، والسحب بأضرعها التي تدر اللبن ، والرياح بالقائم بعملية الحلب ؛ وهذا مظهر من مظاهر الأمومة .

وكذلك يشبه عبيد بن الأبرص السحب السوداء المثقلة بالماء بالنوق اللواقح غزيرة الألبان ، فيقول[١] :

لَوَاقِحَ دُلَّحٍ بِالماء سُحْمٍ تَثُجُّ المَاءَ مِنْ خَلَلِ الخَصَطِ

يشبّه الرياح التي لقحت الغيوم السوداء المثقلة بالماء فهطل منها المطر بغزارة بالنوق اللواقح غزيرة الألبان .

وأيضاً يقول عبيد بن الأبرص في تشبيه الغيوم السوداء[٢] :

جَوْنٌ تُكَرْكِرُهُ الصَّبَا وَهْنًا وَتِيمَهْ خَرِيقُهْ

(١) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، (ص٧٢) .

وبهامشه : (**اللواقح** : السحب التي لقحت من الرياح . **الدلح** : المثقلة بالماء . **السحم** : السود **تثجّ** : تصب. **من خلل الخصاص** : من بين الغيوم) .

(٢) المصدر نفسه ، (ص٨٤) .

وبهامشه : (**الجَون** : الأسود . **تكركره** : تعيده مرة بعد أخرى . **الصبا** : الرياح الآتيه من الشمال أو من الشرق . **تميه**: تنزل مطره ، **الخريق** : الرياح الشديدة . **مري** : مسح ضرعها لتدر . **العسيف** : العبد أو الأجير . **العشار** : اللقاح) .

مَرْيَ العَسِيفِ عِشَارَهُ حَتّى إذا دَرّتعُرُوقُهْ

هنا يشبه الغيوم السوداء التي تمرّ عليها الرياح مرة بعد أخرى من الشمال أو الشرق فينزل المطر -بالأجير الذي يمسح على ضرع العشار اللقاح مرة بعد أخرى لتدرّ هذه العشار بألبانها .

وقال الطفيل الغنوي يصف سحابًا ويشبهها بالناقة[١] :

أبستْ فأسعدتْ رَوايا له بالماءِ لمّا تصرّمِ

شبه السحاب التي تستدرها رياح الجنوب فينزل المطر ولا يكاد ينقطع الماء بالناقة التي تستدر إذا دعاها الحالب للحلب فتدر اللبن ولا ينقطع .

وقال خفاف السلمي في وصف ضخامة السيل وقوّته[٢] :

الحُداةَ والمُشَايِعَ أفزَّ سَطَه وَعُوذًا مَطافِيلا بأمْعزَ تَصْدُقِ

هنا شبّه صوت هدير السيل وتدافُع أمواجه بصوت حداةٍ يحدون عوذًا مطافيل - أي: نوقًا حديثة الولادة معها صغارها- باجتماع الأم برفقة صغارها . هذا من مظاهر الأمومة.

ويفخر عبيد بن الأبرص بقومه أهل العقول الراجحة ، فيقول[١] :

---

(١) الطفيل الغنوي ، الديوان ، تحقيق : حسان فلاح أوغلي ، (ص١٠٥) .

وبهامشه : (**أبست** : يريد استدرّته كما تستدرّ الناقة **فأسعدتْ** : أجابته كما تفعل الناقة فأجابته الروايا بالماء. **لما تصرم** : لم تنقطع) .

(٢) خفاف السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد نبيل طريقي ، (ص٧٨) .

وبهامشه : (**الحداة** : جمع حادٍ ؛ وهو : الذي يحدو الإبل ، أي يسوقها ويغني لها . **والمشايع** : مفاعل ، من شايعت الإبل : إذا دعوت لها لتجتمع وتنساق . **العوذ** : جمع عائذ ، وهي الناقة الحديثة الولادة . **والمطافيل** : جمع مُطْفِل ؛ وهي الناقة ذات الولد . **والأمعز** : الأرض الخشنة الغليظة ذات الحجارة) .

قَوْمي بَنُو دُودانَ أهْلُ النُّهَى يَوْمَ إلْمَاتِ الحَائِلُ

يفخر الشاعر بقومه أهل العقول الراجحة عند مواجهة الشدائد والأزمات . وشبّه مجيء الشر وتوالده بالناقة التي تحمل بعد أن كانت حائلاً ، كناية عن إثارة الحرب .

ويقول أحد شعراء بني أسد المجهولين[٢] :

إذا سَنَةٌ حَالَتْ بِأرْبَقِحَتْ وفِينَا حَتَّى تُرى غَيْرَ حَايِلِ

هنا يشبّه السنة بالناقة الحائل وهي التي حمُل عليها فلم تلقح ؛ فهذه السنة سنة قحط وجدب . ويشبه السنة بالناقة اللقاح غير الحائل ؛ وذلك نتيجة لمعروفهم .

ويخاطب لقيط بن زرارة قومه مبينًا لهم صفات الفارس الذي عليهم اختياره ، فيقول[٣] :

ما زالَ يحلبُ دُرَّ الدَّهْرِ أشطُرَه يكُونُ مُتبِعًا يومًا ومُتَّبَعَا

يشبه الشاعر الدّهر بما فيه من خير وشر بما تدرّه الناقة عند الحلب ؛ فمنه الجيد النافع ،

---

(١) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، (ص٩٤

وبهامشه : (**النُّهى** : العقل . **ألقحت** : حلبت . **الحائل** : العاقر ، أي : الأنثى التي لا تحمل) .

(٢) بني أسد ، الديوان ، تحقيق : محمد علي دقه ، (ص٢١٨) .

وبهامشه : (**حالت** : أي لم تحمل . **الأزم** : الشدة والقحط) .

(٣) بني تميم ، الديوان ، تحقيق : عبد الحميد محمود المعيني ، (ص٣١٦) .

وبهامشه : (**درّ الدهر أشطره** : اختبر الدهر خيره وشره) .

والشاعر هو : لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بني تميم بن مر . ولقيط سيد فارس .

يُنظَر في ترجمته : ص٣١١ .

ومنه الرديء الضار .

ويقول عَيرة بن جُعَل في هجاو جُلَين[١] :

وبالشَّرَفِ الأعْلَى وُحُوشٌ كأنَّها عَلَي جَاذِبِ الأرجَاءِ عُوذُهِ جِانِ

هنا يشبه الشاعر الوحوش في هذا المكان المرتفع من الأرض بالإبل الكرام التي تتبعها أولادها ؛كنايةً عن كثرة الوحوش في تلك الديار .

وقد أكثر الشعراء الجاهليون من ذكر الظباء والبقر والثور الوحشي في أشعارهم ، وتوصلت الباحثة إلى أن الشعراء ربطوا بين الأمومة المحضة لدى الظباء ، والثور الوحشي ، والبقر ، وبين الأطلال ؛ فإذا بحثنا في تلك القصائد عن الأمومة المحضة لدى تلك الحيوانات لا نجدها إلا في المقدمات الطللية عند وصف الديار وآثارها ؛ فقط .

فهذا مضرس بن ربعي يصف ديار الأحبة ، فيقول[٢] :

---

(١) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٢٥٩) .

وبهامشه : (**الشرف** : المرتفع من الأرض . **الأرجاء** : النواحي . **العوذ** : الإبل التي معها أولادها . **الهجان** : الكرام) .

والشاعر **هو** : عميرة بن جعل بن عمرو بن مالك بن الحرث بن حبيب بن حرقة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب من بني أسد بن ربيعة بن نزار . شاعر جاهلي .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات (ص٢٥٧) .

(٢) بني أسد ، الديوان ، تحقيق : محمد علي دقه ، (ص٢٧٤) .

وبهامشه : (**ترجعت** : رددت أصواتها . **الخنس** : مفردها أخنس . وهو الذي في أنفه خنس وأراد الظباء . **الأرام** : الظباء البيض . **الشقيق** : وهي الفرجة بين الحبلين من حبال الرمل تنبت العشب . **الباقر** : جماعة البقر . **الوقوف** : واحدها وقف ؛ وهو الخلخال : ما كان من شيء من الفضة ، والزبل ، وغيرهما) .

بِتِلْاعِ خَزَّ أَهْلُهَا وَتَجَمَّعَتْ بِالْخُزَّمِ الشَّقِيقِ وَبَارِقِهْ

كَأَنَّ وُقُوفًا طُرِّحَتْ فِي مَلَاعِبٍ يَعْفُو غَزْلَانُهُ وَجَآذِرُهْ

فالشاعر يصف ديار الأحبة التي خلَتْ من أهلها ، وصارت مألفًا لقطعان البقر وأسراب الظباء مع صغارهن ، وهن يرجّعن أصواتهن بين فرج حبال الرمال التي تنبت العشب ، ومعهن صغارهن الرابضة في دعة وأمن وهن منطويات رابضات كأنهن (الوقوف) وهي حلية كالخلخال من شيء كالعاج ؛ فكأن الصغار الرابضة وقوفٌ مُطرّحةٌ في ملاعب .

وقال بشر بن أبي خازم في وصف الديار[١] :

تَظَلُّ فِي النِّعَاجِ صُوَّالَاتِهِنَّ وَأَوْلَادُهَا مِنْ بَيْنِ فَنٍّ وَتَوْأَمِ

هنا وصف الشاعر حال تلك الديار والبقر الوحشي يقطن ويتنقل في عرصاتها الفسيحة برفقة أولادها إمّا معها ولد واحد فردٌ أو توأمٌ .

وقال امرؤ القيس في وصف ديار سلمى[٢] :

وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَعِينًا بِالْوَحْشِ أَوْ بَيْضًا بِمَيْثَاءَ مُحْلَالِ

والشاعر هو : مضرس بن ربعي بن لقيط الأسدي . شاعر جاهلي .

يُنظر في ترجمته : عزيزه فوال ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص٣٣٨) .

(١) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٢٠٠) .

وبهامشه : (**النعاج** : جمع نعجة ؛ وهي البقرة الوحشية . **العين** : جمع عيناء وهي الواسعة العين . **عرصات الدار** : ساحاتها التي ليس فيها بناء . **الفنّ** : الفرد) .

(٢) امرىء القيس ، الديوان ، تحقيق : حسن السندوبي ، (ص١٨٠) .

وبهامشه : (**الطّلا** : ولد الظبية . **البيض** : بيض النعام . **بميثاء** : بأرض سهلة . **محلال** : يكثر نزول الناس بها) .

يقول : وتحسب سلمى لا تزال مقيمة في الموضع الذي ارتبعوا فيه ، فترى فيها أولاد الظباء (الطَّلا) وبيض النعام .

ويصف المخبل السعدي ديار وأطلال صاحبته الرباب ، فيقول[١] :

تَقُرُّ وبها البَقَرُ السَّوارِبُ واخْتَلَطَتْ بها الآرامُ والأُدْمُ

وكأنَّ أطْلاءَ الجآذِرِ والْعِينِ حَوْلَ رُسُومِها البُهَمُ

يصف ديار الصاحبة وهي تعج بالظباء البيض وأولادها والتي تتبع المراعي ، ويشبّه صغار أولاد البقر والغزلان بصغار المعزى ؛كنايةً عن كثرة الظباء وصغارها في ساحات تلك الديار .

ويقول عمرو بن شأس الأسدي[٢]:

لِيالِيَ تَسْتَبِيكَ بجيدِ رِئْمٍ وعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ يَقِرُّ

يشبّه عيني الصاحبة بعيني ولد البقرة الوحشية وهو ينظر ويتتبع القطيع الذي يخرج

---

(١) بني تميم ، الديوان ، تحقيق : عبد الحميد محمود المعيني ، منشورات نادي القصيم الأدبي ، الإصدار رقم (٧) ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، (ص١١٠ - ١١١) .

وبهامشه : **تقرُ** : تتبع . **المسارب** : المراعي والطرق . **الآرام** : الظباء البيض البطون السمر الظهور . **الأرم** : الظباء البيض . **الأطلاء** : الصغار من ذوات الظلف . **الجآذر** : أولاد البقر . **البهم** : صغار المعزى).

والشاعر هو : ربيع بن ربيعة بن عوف بن قتال بن جعفر بن قريع بن عوف من بني تميم برمرّ ، ولقبه : المخبل .

يُنظَر في ترجمته : ديوان بني تميم ، تحقيق عبد الحميد المعيني ، (ص١١٠) .

(٢) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، (ص٦٣) .

وبهامشه : (**الجؤذر** : ولد البقرة الوحشية . **يقرو** : يتتبع ويخرج من أرض إلى أرض . **الصريمة** : طَع الرمال)

من أرض إلى أرض ويقطع الرمال .

ومن خلال الاطلاع على شعر الشعراء الجاهليين ، ثم بالتنقيب والبحث عن الأمومة المحضة عند الخيل والأتان والغنم والكلاب وجدتُ أن أغلب تلك الأمومة عند الخيل والأتان في مقام الهجاء والوصف ، وهي قليلة جدًّا ولاتقتارَن بما قيل في الأمومة المحضة عند الناقة . وقد يرجع ذلك إلى مخالطة العربي الجاهلي للناقة أكثر من الحيوانات الأخرى ؛ فهي تلازمه في حلّه وترحاله ، وفي حربه وسلمهوأيضًا إلى فخره بها ، وبكثرة ما يمتلكه من تلك النوق .

ونذكر أمثلةً للأمومة المحضة عنكلٍّ من الخيل ، ثم الأتان ، ثم الغنم ، ثم الكلاب . فهذا الحطيئة يهجو الأعداء ، فيقول[١] :

وَلنْ يَفْعَلوا حتّى تَشُولَ عِلَهِمُ بِفُرْسَانهاشْلَ المخاضِ اقْمَرَّطَتِ

يهجوهم بأنهم لن يدخلوا في الصلح حتى تقع الحرب ، وتهاجمهم هذه الخيول وهي رافعة أذنابها كما تشول المخاض بأذنابها .

ويصف الأعشى الخيل وصغارَها ، فيقول[٢] :

سَوَاهِمُ جُذْعَانُهَا كالْجِلا مِأقْرَحَ مِنْهَا القِيَادُ النُّسُورَا

يصف صغار الخيل الموفورة النشاط ، بينما الخيل ضامرة بدا عليها الكلال ، وقرحت بطون حوافرها ؛ لكثرة الغزو والغاراتلأن الممدوح رجل حُربٍ .

---

(١) الحطيئة ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، بيروت ، (ص١١٩) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٩٩) .

وبهامشه : (**جذعان** : جمع جذع وهو الشاب الحدث ، **الجلام** : جمع جلم وهو تيس الظباء والغنم ، **النسور** : جمع نسر وهو لحم في بطن الحافر يكون كالنوى والحصى) .

وهنا يصف لبيد بن ربيعة قوة الأتان ، فيقول[١] :

وَأَمْكَنَهَا مِنْ الصُّلْبَيْنِ تَبَيَّنَت المِخَاض مُنَ[٢]الحِيَال

فالشاعر يصف قوة الأتان فهي تضل تكرّ بحافرها ونابها الأرض الصلبة المرتفعة ، ومن شلةّ الفزع تتفرّق وتعتزل الّتي حملت من اللّواتي لم تحمل .

وقال كعب بن زهير[٣] :

يقلِّبُ حُقبًا ترى كلهنَّ قَدْ حَمَلتْ وأسرَّت جنينا

فهو يصف نشاطها وقوتها ؛فلا يظهر عليها الحمل إنأخْفت حمْلها .

وقال مزرد بن ضرار الذبياني ، يهجو زرعة بن ثوب[٤] :

أطاعَ لَهُ لَسُّ الغَمِيرِ بِيَقْوَاعِي أمَّهُ غيرَ سَافِدِ

هجا الشاعر زرعة بن ثوب ، وشبهه بالحمار الذي يرعى مع أمه في أرض خضراء

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ص٨٢) .

وبهامشه **الصُّلب** : الغليظ المنقاد المرتفع من الأرض ، وجمعها : صلبة) .

(٢) المخاض : اسم للنوق الحوامل . اللسان / خاض

(٣) المصدر نفسه ، (ص١٥١

(٤) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٨١) .

وبهامشه : **اللَّسُّ** أخْذ الراية الكلأ بمقدم فمها . **الغمير** : النبات الأخضر غمره اليابس . **التّلعه** : ما ارتفع من الأرض . **غير سافد** : أي هو لا ينزو عليها) .

والشاعر هو : (مزرد) لقبه ، واسمه : يزيد بن ضرار بن حرملة بن أصرم بن إياس بن عبد غنم من بني ذبيان بن بغيض بن ربث بن غطفان الذبياني الغطفاني . شاعر فارس مشهور ، أدرك الإسلام .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، تحقيق أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧٥) .

مرتفعة ولا يبتعد عنها .

ويقول امرؤ القيس[١] :

وَيَوْمًا عَلَى بَيْدَانَةٍ تَوْلَبِ ... وَيَوْمًا عَلَى جُلْوَدَةٍ قَرْنِيٍّ

أي يومًا يطارد هذا الفرس سرب البقر الوحشي ، ويومًا يطارد أتانًا مع ولدها الصغير .

وقال مخارق بن شهاب في غنمه[٢] :

وَرَاحَ كَأَنَّ ضُلَّالُهُ وَعَهَا ... دِلاءٌ وَفِي أَيْهَالُهُ القَرْنِ يَلْلَبُ

هنا شبّه ضروع غنمه في العشيّ وقت الرّواح بالدّلاء وبالجلود التي تُلبس على الرّؤوس ، ولكن بدون قرون ؛كنايةً عن شدّة امتلاء ضروعها باللّبن .

ولقد ظهر للباحثة من خلال الأبيات التي استنبطتْها من دواوين الشعر الجاهلي في ما يخص الأمومة المحضة :أنّ الناقة كان لها النصيب الأكبر في ذلك ، ثم تليها الظباء ، والبقر الوحشي ، والخيل ، والأتان .

وكان للالتصاق الشديد بين الشاعر العربي والناقة أثرُه على أشعاره ، فاستوحى

(١) امرىء القيس ، الديوان ، تحقيق : حسن السندوبي ، (ص٦٨) .

وبهامشه : (**السرب** : القطيع من بقر الوحش . **نقي جلوده** : يريد بيض الجلود . **البيدانة** : الأتان الوحشية المكتنزة الجسم . و **التولب** : الجحش) .

(٢) بني تميم ، الديوان ، تحقيق : عبد الحميد محمود المعيني ، (ص٣٩٧) .

وبهامشه : (**وائد** : أي بدون قرن . **ليلب** : جلود تُلبس على الرؤوس) .

والشاعر هو مخارق بن شهاب من بني مازن عاش زمن النعمان بن المنذر . كان سيدًا كريمًا .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص٣٢٧) .

الشعراء من أمومة الناقة التشبيهات والأوصاف ، وتُرجمت في أشعارهم لإثبات صفة الكرم في الممدوح ، وإثبات قوتهم وشجاعتهم ، واستبسالهم في حروبهم ، وكذلك لنفي صفة البخل عن الممدوح أو إثباتها للمهجوّتناولوها أيضً ا لوصف مظهرٍ من مظاهر الطبيعة ؛ وهي : السحب الممطرة ، والغيوم السوداء المثقلة بالماء .

وربّما يتساءل سائل : لماذا السحب دون غيرها من مظاهر الطبيعة ؟

وقدنُجِ ع ذلك إلى التشابه الحسي والمعنوي بين الناقة والسحاب إلى حدٍّكبيرٍ ؛ من حيث غزارة الماء وغزارة اللبنوأثر ذلك على كلٍّ من الإنسان والناقة .

وقد جاءت أغلب هذه التشبيهات والكنايات للأمومة المحضة عند الناقة في سياق المدح والفخر ، وتكررت بصور شتى . وهذه دلالة على أهمية الأمومة المحضة للحيوان وعمق معناها عند الشعراء الجاهليين ؛ فعن ريق تلك الأمومة ينقل الشاعر همومه وأحزانه ، أفراحه وأتراحه . كما أنها وسيلة يصل بها الشاعر إلى رموز القوة والإقدام والكرم التي يفخر بها العربي.

المبحث الثاني
نفي الأمومة

لطالما تغنى الشاعر الجاهلي بأمومة الحيوانات وحنانها وعطفها على صغارها ، ولكننا نجده في مقامات أخرى ينفي عنها تلك الأمومة في بعض أبياته ؛ لمقاصد يهدف إليها . وقد اقتصر ذلك النفي الأمومي من بين سائر الحيوانات على الناقة -وهو الغالب- ، ثم الحمار الوحشي ، ثم الفرس .

ومن خلال تتبع الباحثة لأوصاف الشعراء الجاهليين للناقة وجدت أن ألفاظها فخمة وتراكيبها ضخمة ؛ ولعلّ تلك الأوصاف جاءت من ضخامة الإبل وفخامتها ، وقوتها وعظَمتها .

وتبينّ من خلال هذا البحث أن الشعراء الجاهليين يلجؤون إلى نفي الأمومة أو أي مظهر من مظاهرها ؛ مثل : الحمل والإرضاع ، وكل ما له من دلالة على الضعف الجسمي . وقد كان الغرض من هذا النفي إثبات صفات الناقة ؛ من الضخامة ، والقوة ، والصلابة ، والاكتناز . فجلبوا لها الأوصاف والتشبيهات ؛ تارةً بأنها حائل ، أو عاقر ، أو عقيم فلا تلد ؛ وهذا سبب قوتها الجسمية .وصُفت تارةً بالاكتناز والامتلاء وعِظَم ذَنَبها وكثرة حركته ؛ لذلك كانت من المقلات التي لا يبقى لها ولد ، فهي تمتاز بالنشاط والسرعة والصلابة .

وتبينّ أيضًا أن نفي الأمومة عند الشاعر الجاهلي في شعره لم يكن اعتباطًا ، كيف ذلك ؟ هل أو يلغي الأمومة عند الناقة التي طالما تغنَّى الشعراء بحنانها وحزنها الأمومي ؟ ولكن كان لسببٍ هو في غاية الأهمية لدى الشاعر ؛ ألا وهو الفخر بأثمن وأغلى ما يملكه . فالناقة رمز للقوة ، والهيبة ، والمنعة لديه بين قبيلته وسائر القبائل ، وهي أهم ما يعتز به العربي ؛ فهو يبرز أمومة الناقة ، وغيرها من الحيوانات في مقامات معينة تستدعي ذلك . وحينًا ينفي الشاعر

أمومة الحيوان في مقامات أخرى تستدعي ذلك ، وأهمها وأظهرها : وصف قوة الناقة وصلابتها .

يصف الأعشى ناقته التي ينفي عنها الأمومة ، فيقول[١] :

لَمْ تَعَطَّفْ عَلَى حُوارٍ وَطَلَّعْ يُقْيِدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالِ

فيصف الناقة التي يشد الرحال عليها بأنها لم يذهب بعزمها صغير ترضعه . وكأنه يشير إلى أن الحمل والولادة والإرضاع تُهِب قوة الناقة وجَلَدها .

وقال الأعشى أيضًا[٢]:

سَلِّي الهَمَّ حِينَ وَاعْتَرَاكَ بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ

فالشاعر إذا نزلت عليه الهموم يرحل في الصحراء على ناقة صلبة ضخمه ، عاقر لا تحمل ولا تلد ؛ لذلك هي قوية متمعة .

ويصف النابغة الذبياني ناقته ،نافيًا عنها الأمومة ؛ فهي لم تحمل ، وذلك أقوى لها ؛ لأن الحمل يضعفها باعتباره علامة ضعف سمي ، فيقول[٣] :

عَقَامًا لَمْ يُبَسَّ بِهَا مُبِسٌّ وَلَمْ تَعْقِدْ عَلَى وَلَدٍ لَقَاحَا

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٥) .

وبهامشه : (**الحُوار** : ولد الناقة **الخُمال** : داء يصيب القوائم فتتشنّج عروقها) .

(٢) المصدر نفسه ، (ص١٤٧) .

وبهامشه : (**اعتراه** : عرض له ونزل به . **بجسرة** : ناقة ضخمة . **عاقر** : غير حامل) .

(٣) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص٢١٥)

يبس : أيبس الناقةَ : دعاها للحلب . وقيل : معناها : دعا ولدها للتدرّ على حالبها . اللسان (ي ب س)

ويصف المرقش الأكبر ناقته النجيبة ، فيقول[١] :

تَقْرِإِ القَيْظَ جَمْنِينًا وَلا أَصُرُّها تَحْمِلُ بهَمَ الغَنَمْ

بَلْ عَزَبَتْ فِي الشَّوْلِ حَتَّى نَوَتْ وسُوِّغَتْ ذا حُبُكٍ كالإِرَمْ

هنا يصف آثار الديار ثم يصف ناقته القوية الشديدة التي لا تحمل ، وكان ذلك أجلد وأقوى لها فليس لها لبن فيُحلب ؛ وهو سبب سِمَنِها وضخامتها ، وتجمُّع الوبر في سنامها ؛ فكأنه جبل في كبره وبُروزه .

ويصف عنترة ناقته ، فيقول[٢] :

هَلْ تُبْلِغَنِّي دارَها شَدَنِيَّةٌ لُعِنَتْ بِالْمُحَرَّمِ مُصرَّمِ

فهو يصف ناقته بالقوة والضخامة ، وينفي عنها الأمومة أو أي مظهر من مظاهرها؛ لأن الأمومة هنا دلالة ضعفٍ جسمي .

ويصف بشامة بن عمرو ناقته التي يرحل عليها في الصحراء ، فيقول[١] :

---

(١) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، أحمد شاكر ، (ص٢٣٠) .

وبهامشه : (**لم تقرأ جنينًا** : لم تحمل به . **لأصر** : شد الأخلاف . أي : ليس لها لبن فأصرّ ها . **البهم**: ولد الغنم . **عزبت** :تباعدت . **الشول** : مع الشول وهي : الإبل التي لا لبن لها . **نوت** : سمنت. **الحبك** : الطرائق من تجمّع الوبر في السنام . **سوغت** : ساغ لها ذلك السنام) .

والشاعر هو : هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . و(المرقش) لقبٌ له . من فرسان العرب .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، الديون ، تحقق عبد السلام هارون ، أحمد شاكر ، (ص٢٢١) .

(٢) عنترة ، الديوان ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، (ص١٩٩) .

وبهامشه : (**شدنية** : هي ناقة منسوبة إلى فحل يقال له شدن ويقال إلى موضع باليمن ، **لعنت بمحروم** : أي سبتْ بضرعها . وإنما يريد : أن ضرعها قحُرم اللبن فذاك أوفر لقوتها . **المصرم** : المقطوع اللبن) .

تَطَرَّدُ أَطْرَافُ عَامٍ خَصِيبٍ ولم يُشْلِ عَبْدٌ إِلَيْهَا فَصِيلَا

فهو يرحل عليها في الصحراء ويتركها ترعى حيث تشاء ، ويصفها بالصلابة والقوة ؛ لأنها عقيم لا تلد ، وذلك دليلٌ على قوتها الجسمية .

كما يصف الحطيئةالناقة التي ينفي عنها الأمومة ، فيقول[٢] :

لَمْ يُؤْذِهَا الصَّيْفَ طَوْفُ الحَالِ بِينَ بِهَا وَلَمْ تَغِطَّيْهَا الجِلَّةُ الفُقُحُ

هنا يصف هذه الناقة بأنها لم تحمل ؛ بل ظلت حائلا ؛ وذلك أشد وأقوى لها . فالشاعر نفى عنها الحمل ؛ لأنه علامة ضعفٍ في الناقة .

وللناقة الكريمة مكانة عند لبيد بن ربيعة ، فيصفها بقوله[٣] :

لَولا تُسَحِّلُ قَيَّدَ الجَانِزَجٌ كَأَحْنَاءِ الغَبِيطِ عَقِيمُ

هنا يصف الشاعر هذه الناقة الكريمة التي تذهب الهمّ ، ويُشبهها بمراكب النساء ؛

---

(١) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٥٧) .

وبهامشه : (**تطرد** : يريد : أنها ترعى حيث شاءت . **أطراف عام خصيب** : يريد : أطراف شجرةنبتٍ . **لم يشل** : لم يدع . **الفصيل** : ولد الناقة) .

والشاعر **هو** : بشامة بن عمرو بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان شاعرٌ محسنٌ مقدَّم ، وهوممّن فقأ عين بعيره في الجاهلية .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، الديوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، أحمد شاكر ، (ص٥٥) .

(٢) الحطيئة ، الديوان ، تحقيق ، دار صادر ، (ص٢٦٥) .

وبهامشه : (**الفنق** : جمع فنيق ؛ وهو : الفحل .**الجلّة** : جمع جليل ؛ أي : ناقة لاتحلب) .

(٣) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص١٢٤) .

وبهامشه : (**تُسليك** : تذهبهم . **الحرة** : الكريمة . **عقيم** : لم تلد . **الغبيط** : مركب من مراكب النساء) .

دلالةً على قوتها وضخامتها ، فهي عقيم لم تلد . والشاعر ينفي عنها الأمومة ؛ لأنها لامة ضعف .

ويتغزل عمرو بن كلثوم بالصاحبة ، فيقول[١] :

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

يشبه ذراعيها الممتلئتين بذراعَي ناقة طويلة العنق ، شديدة البياض ، فتيّة لم تحمل ولم تلد ؛ وذلك أقوى لجمالها وقوتها .

ويشبه مالك بن خالد الحرب بالناقة ، فيقول[٢] :

نَعْضُ الوَعِيدِ إِنَّهَا قَدْ تَكَشَّفَتْ لأَشْيَاعِهَا عَنْ فَرْجِ صَرْمَاءَ مُكْذِرِ

هنا يشبه الحرب التي تأتي بما يكره الناس بالناقة الصرماء التي لا أخلاف لها .

وينفي مضرس بن ربعي عن ناقته الضخمةالأمومةَ ، فيقول[٣] :

---

(١) عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تحقيق : أيمن سيدان ، (ص٣١٣) .

وبهامشه : (**العيطل** : الطويلة العنق من النوق . **الأدماء** : البيضاء ، و **الأدمة** : البياض الشديد في الإبل ، **البكر** : الفتى من الإبل . **الهجان** : الأبيض الخالص البياض . **لم تقرأ جنينا** : أي لم تضم رحمها على ولد).

(٢) شعر الهذليين ، الديوان ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، (ص٤٣٩) .

والشاعر هو : مالك بن خالد الخناعي ، من خناعة بن سعد بن هذيل . شاعر جاهلي .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال بابتي ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص٣١٥) .

(٣) بني أسد ، الديوان ، تحقيق : محمد علي دقه ، (ص٢٥٤) .

وبهامشه : (**الدوسرة** : الناقة الضخمة . **العتيق** : القديم . **النيّ** : الشحم . **تحضر** ، لعلها من الحضيرة ، وهي ما تلقيه الناقة بعد الولادة) .

ضَ بِسَاقٍ دَوْسَرَ قَعْدَ عَلَيْهَا عَتِيقُ النَّيِّ لَمْ تَحْضُرْ لَقُوحَا

فالشاعر يصف هذه الناقة بالقوة والضخامة لأنها لم تلقح بولد ، ولم يكن عهدها قريبًا بالنتاج ، مما أكسبها القوة والاكتناز .

وقال الحطيئة عن كثرة إبله وتنوُّعها ؛ ففيها اللواقح ، وفيها الحول[١] :

فأَقْسِمُ وَهْيَ تَنهَضُ بي إِلَيكُمْ لواقحُ مِنْ جَوَازِبِها وَحُولُ

وأسامة بن الحارث لا يبالي السير في مهلكة ومعه ناقته التي يقول فيها[٢] :

لَدْ دَمَّهَبَالتَّبِيُّنْهَلَا قَ وَذاتِ المُدَرَأةِ الْعَائِطِ

فهو يصف ناقته بالقوة وعِظَم الخلق والاكتناز ، حيث طلاها شحمها لذلك هي عائطٌ لا تحمل .

ويقول المثقب العبدي في وصف ناقته التي ينفي عنها الأمومة[٣] :

والشاعر هو : مضرس بن ربعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن الأشتر من بني أسد . شاعر جاهلي ، وعمه بغثر بن لقيط شاعر جاهلي .

(١) الحطيئة ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص٢٠٩) .

وبهامشه : (**حُول** : جمع حائل ؛ وهي : التي لم تُلقح عليها فلم تلقح) .

(٢) شعر الهذليين ، الديوان ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، (ص١٢٨٩) .

وبهامشه : (**لدمّ بها** : أي طلاها شحمها . و **ذات المدرأة** : الناقة التي بها اعتراض وشدة نفس . **العائط** : التي اعتاطت أي أُعيطت فلم تحمل) .

(٣) المثقب العبدي ، الديوان ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، (ص١٨٠) .

وبهامشه : (**دائم الحطران** : يريد ذنبها . **الجثل** : كثير الشعر . **الدهين من الإبل** : الناقة البكيئة ، القليلة اللبن ، التي يُمرَى ضرعها فلا يدرّ قطرة) .

تَسُرُّ لَلاَّئِمَ الخَوَّاءَ فَرْجٌ مِنَ المَقْلاتِ دَهْرِينِ

ويصف الشاعر ناقته بأنها قليلة اللبن ؛ فهي من المقلات اللاتي لا يبقى لها ولد ؛ لعظم ذَنَبِها وكثرة شعره ودوام حركته ؛وذلك كان سببًا في سر قوتها وضخامتها .

وناقة المخبل السعدي التي يجتاز بها الفيافي والجبال ، يصفها فيقول[١] :

يُهَوِّي بِذَنَبٍ يُخَطْخِطُ عُقْمَتْ فَنَاعَمَ نَبْتَهُ العُقْمُ

فهو يصف تلك الناقة العظيمة بالقوة ، والضخامة ، والسرعة ؛لأن لها ذَنَبٌ عظيم تسدُّ به لفا فلا مل ؛ مما زاد في اكتنازها ، وقوتها ، وسرعتها .

ويتناسى بشر بن أبي خازم الهَمّ مع ناقته التي ساق لها الكثير من الصفات ، ومنها قوله[٢] :

تُطِيفُ بِهِ طَوْرًا وَطَوْرًا عَتَالِيَ فَطُّ مَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ

هنا يصف تلك الناقة بالقوة ؛فلها ذَنَبضخم دائم اللوَّران ، يسدما بين فخذيها ؛

---

(١) شعر تميم ، الديوان ، تحقيق : عبد الحميد محمود المعيني ، (ص١١٢) .

وبهامشه : (**يسدّ حاذيها** : تسد خلفهلبذَنَبها **تعقُمت** : لم تحمل فزاد في قوتها) .

والشاعر هو : ربيع بن ربيعة بن عوف بن قتال بن جعفر بن قريع بن عوف . من بني تميم بن مر . ولقبه (المخبّل) .

يُنظَر في ترجمته : بني تميم ، الديوان ، تحقيق عبد الحميد محمود المعيني (ص١٠٣) .

(٢) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٢٠٣) .

وبهامشه : (**تطيف به** : أي تدور بهيمنةً ويسرةً .**تلطّه** : من لطت الناقة بذنبها إذا ألزقته على فرجها وأدخلته بين فخذيها . و **الشراب** : اللبن هاهنا **المصرّم** : من الصرم وهو القطع . **محروم الشراب** :ممنوعًا لانقطاعه) .

فهي لا تحمل ، ولبنها أصبح ممنوعًا ؛ لانقطاعه .

ويفخر الأسعر الجعفي بنفسه ،فهو يُؤوي الضيفان وينحر لهم الناقة الكوماء ، ويصفها ، فيقول[١] :

أحذيْت رُمحْ ي عَائِطًا مَكورةً كَوْمَاءَ أطرافُ العِضَاهِ لها حُلَى

هنا يفخر بنفسه وهو يطعن هذه الناقة برمحه ليُؤوي ويطعم الضيفان . واختار الناقة العائط التي أدركت اللقاح ولم تلقح ؛ وهذه دلالة على قوتهاوضخامتها وعِظَم خلْقها ؛ لأنها لم تحمل ولم تلد .

وقال عروة بن الورد[٢] :

ومُستثبتَ الفِيامَا أنّي أراكَ على أقتاد صرماء مُذكِر

يذكر أن زوجته تعاتبه وتقول : إنها تراه هالكًا على اقتياد ناقة صرماء انقطع لبنها ، فيشتد لحمها ، وقوتها ، وهي لا تلد إلا الذكور ؛ وهي أبغض النتاج .

---

(١) الأصمعيات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص١٤٣) .

وبهامشه : (**أحذيت** : في صلب الشنقيطية : (أي : جعلت لهاحذيًا ؛ أي :عطيةً) . **العائط من الإبل** : هي البكرة التي أدركت اللقاح ولم تلقح . **المكورة** : المدمجة الخلق . **الكوماء** : الضخمة السنام . **العضاه** : شجر عظام) .

والشاعر هو : مرثد بن أبي حمران الجعفى ، ويكنى أبا حمران . والأسعرلقبٌ له . وهو شاعر جاهلي .

يُنظَر في ترجمته : الأصمعيات ، الديون ، تحقيق أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص١٤٠) .

(٢) عروة بن الورد ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، بيروت ، (ص٣٦) .

وبهامشه : (أراد بـ(**المستثبت**) هنا : القاعد عن الغارات . **الأقتاد** : الواحدقَتَدٌ : خشب الرحل . **الصرماء** : الناقة التي صرمتأطْباؤها ؛ أي :قُطعت لينقطع لبنها فتشتد قوتها ويشتد لحمها . **المُذكِر** : التي تلد الذكور) .

وعلى نحو ما نرى فالشعراء كانوا ينفون الأمومة عن الناقة غالبًا إذا كانت تحملهم في أسفارهم ، أو تخوض بهم غمار الحروب ؛ وذلك دلالة على قوتها وبأسها . كذلك كانوا ينفون عنها الأمومة إذا أرادوا ذبحها ؛ إشارةً إلى اكتناز لحمها وكثرته ؛ حيث لم ينقص لحمها بولادة أو رضاع .

وقد كان الحمار هو الآخر يظهر دائماً في صورة مثالية ؛ في قوه ، وصلابته وسُمنه واكتنازه . وقد توصلت الباحثة إلى أن صورة الحمار فيما يخص نفْي الأمومة يغلب عليها التشبيه ؛فتُشبِّلَفاقة بالحمار وأتانِه ؛ لأنّ في هذا نَفْيٌ أي علامة للضَّعف الجسمي ، وإلباسَها لباس القوة ، والضخامة ، والاكتناز .

يقول النابغة الذبياني عن ناقته[1] :

فانشقَّ عنها عَمُودُ الصَّبْحِ الجَافِلُ تَوَّصِ تخافُ القانِصَ اللَّحِمَا

فشبه ناقته القوية المسرعة في سيرها بالأتان التي لا لبن لها ولا حمْلَ ا ؛ فهي ينفر عن الأتان الأمومة لأنها دلالة ضعف جسدي .

وقال لبيد بن ربيعة[2] :

كأنَّ قَتُودِي فَوْقَ جَأبٍ مُطَرَّدٍ يَزُّ نَيحُفُوصًا بالبراعيمِ حَائلا

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص٦٥) .

وبهامشه : (**جافلة** : أي مسرعة ماضية . **عمود الصبح** : هو الخط المستطيل الذي نراه في وجه الصبح . **النحوص** : الأتان التي لا لبن لها ولا حمل بها . **القانص** : الصائد) .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٢٣٥) .

وبهامشه : (**الجأب** : الحمار الغليظ من حمر الوحش . **مطرد** : متتابع في سيره لا يكبو .**يفزّ** : يثير . **الخَوص**: الأتان الوحشية السمينة ، وهي حائل لم تحمل . **البراعيم** : اسم موضع) .

هنا شبّه لبيد ناقته بالحمار الغليظ القوي المتتابع في سيره دون أن يكبو ، وتفز وتُثار منه الأتان الوحشية السمينة التي لا تحمل ؛ فهو ينفي عنها الأمومة ليدلل على قوة وضخامة تلك الأتان التي تخشى حمار الوحش .

ويمدح بشر بن أبي خازم ناقته ، فيقول[١] :

كَأَنَّ يَقُودُ الأَحْقَبِ يَدُ نَحْوٌ وصًا تَؤُمُّ السِّلامَا

شَتِيمٌ تَرَبَّعَ فِي عانَةٍ حِيَالٍ يُكادِ فِيهُا كِدَامَا

هنا شبّه ناقته بحمار وحش يريد أتانًا (وصًا) ليس في بطنها ولد ومعه عانة ، والعانة قطيع حمر الوحش والأتان التي لم تلقح يكون هذا أبقى لقوتها وسرعتها .

ويمتدح الحطيئة فرسه في قوته وصلابته ، فيقول[٢] :

أَمِينُ الفُصُوصِ كَعَيْرِ الفَيَلَاقُلُونَحائِصَ قُبًّا جِسَامَا

يشبه فرسه بحمار الوحش في قوته وضخامته وصلابته ؛ فهو موثوق المفاصل ، يسير تلو الأتان الحائل التي لم يثقلها الحمل . نفى عنها الأمومة ؛ ليدل على قوتها ، وليثبت شدة

(١) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٩٧) .

وبهامشه : (**قتودي** : جمع قَتَد وهو خشب الرحل . **الأحقب** : حمار الوحش الأبيض الحقوين . **النحوص** : الأتان ليس في بطنها ولد . **والسلام** : اسم ماء . **الشتيم** : حمار الوحش الكريه الوجه . **تربّع** : أكل . **والعانة** : القطيع من حمر الوحش . **الحيال** : جمع حائل . وهي الأتان التي لم تلقح . **يكادم** : من الكدم. وهو ظلع) .

(٢) الحطيئة ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص٨٥) .

وبهامشه : (**فصوص** : مفاصله أراد أنه موثق المفاصل مأمونها . و **النحائص** : جماعة النحوص ؛ وهي الأتن الحوائل . **القب** : الضوامر) .

حمار الوحش وضخامته .

ويصف لبيد بن ربيعة آثار الديار والقفار ، فيقول[١] :

وشتيمٌ جَوْنٌ يُطارِدُ حُولاً أخدريٌّ مُسَحَّجٌ صَلْصَالُ

فهو يصف الأطلال وآثار الديار والتي لم يبق فيها إلا حمار الوحش كريه الطلعة ، ولكنه يمتاز بالقوة والصلابة فهو يطارد الحائل التي لم تحمل من الأُتُن . وفَيْلأمومة الأُتُن فيه إثبات لقوة حمار الوحش وضخامته .

ويصف لبيد بن ربيعة[٢] :

أتِيكَ أمْ سَمْحَجٌ تَخَيَّرَهَا عِلْجٌ تَسَرَّى نحائصاً شُسُبَا

ويصف أبو ذؤيب الهذلي شجاعة الصياد ، فيقول[٣] :

فرمى فأنفَذَ من نَحوصٍ عائطٍ سهماً فخَرَّ وريشُهُ مُتصمِّغُ

هنا يصف شجاعةَ ذلك القانص الذي اصطاد الأتان (النحوص) وهي التي لم تحمل

---

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٢٦٩) .

وبهامشه : (**شتيم** : قبيح كريه الطلعة . **جون** : أسود أو أبيض**حولاً** : جمع حائل وهي التي لم تحمل من الأتن . **أخدري** : منسوب إلى فحل يقال له أخدر **مسجّح**مغضّ ض . (**صلصال** : شديد الصوت).

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٢٨) .

وبهامشه : (**سمجح** : طويلة على الأرض . **تسري** : تخير خيارها وأسراها . **نحائص** : أتن حوائل الواحدة نحوص . **شسب** : ضامرة قد بئست للعطش وهي سمان) .

(٣) شعر الهذليين ، الديوان ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، محمود شاكر ، (ص٢٢) .

أبو ذؤيب ، خويلد بن خالد بن محرث بن مضر ، (ص٣) .

وبهامشه : (**النحوص** : التي ليس في بطنها ولد . **العائط** : التي اعتاطت رحمها فلم تحمل سنتين أوثلاثًا) .

وليس لها ولد ؛كنايةً عن قوتها وسرعتها .

وقال أبو ذؤيب الهذلي أيضًا يصف الفرس ونفي الأمومة عنها[١] :

مُتَلَفِّعٌ سَلَأُوْها عن قانىءٍ كالقِرْطِ صاوٍ بِرغُرُ لا يُرْضِعُ

يصف ضرع الناقة بأنّه لا يُرضع ؛فهي لم تحمل قطّ ، وهو وإن كان فيه لبنٌ إلا أنه لا يُرضع ألبتّة ؛ وذلك كناية عن قوتها ، وسرعتها ، وضخامتها .

إن الفرَس من الحيوانات التي نفى عنها الشاعر الجاهلي الأمومة ؛ وذلك لإثبات قوتها ونشاطها ؛ لأن الشاعر الجاهلي كان ذِكْره للخيل يتمحور حول أمرين : رحلات الصيد برفقة الخيل ، واعتماده عليه في الحروب والغارات . ولكن استخدام الشاعر الجاهلي لنفي الأمومة عند الفرَس كان قليلاً جدًّا ، وقد يرجع ذلك إلى أنه اكتفى بوصفه ، وتشبيه قوته ونشاطه وصلابته بمظاهر الطبيعة من حوله ؛كما تردَّد على ألسنة الشعراء .

ويقول المُزرّد بن ضرار الذبياني عن فرسه [٢] :

وسَلْهَبَةٌ جَرْلَقٌ مِرَسُها مُوَثَّقَةٌ لِثْلُهِ إِوَةِ حائلُ

فهو شبَّه خيلَه في شدتها وصبرها في السير بالعصا في شدة صلابتها وقوتها ؛ فجعل

(١) الهذليين ، الديوان ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، محمود شاكر ، (ص٣٥) .

وبهامشه : (**القانىء** : الضرع ، كان أسوفاحمرّ ، فإذا ذهب لبنه أسودّ **صاوٍ** : يابس . **كالقرط** :يعني الضرع ؛ كأنه قرط في صغره . **الغبر** : بقية اللبن . **لا يرضع** : أي أنها لم تحمل قط) .

(٢) المفضّليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٩٧) .

والشاعر هو : : يزيد بن ضرار بن حرملة بن صيفي بن أصرم بن إياس بن جحاش بن بجالة الذبياني الغطفاني ، و (مزرد) لقبٌ لبيتٍ قاله شاعرٌ فارسٌ مشهورٌ .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، تحقيق أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧٥) .

النشاط والصلابة سببًا لتكون تلك الخيل حائلاً لا تحمل .

وقال بشر بن أبي خازم[١] :

بِأَحْقِيهَا المُلاءُ مُحَزَّمَاتٍ كَأَنَّ جِذَاعَهَا أُصُلاً جِلامُ

فهو يشبه الخيول التي تلقي أولادها فتعصب بطونها ليكون أقوى لها وأصلب لظهورها -بالجلام ؛ وهو : الجدْي .

وعندما نقارن أبيات الشعراء التي قيلت في نفي الأمومة لدى الحيوان نجدها قد قيلت في الناقة ، والحمار ، والفرس فقط . وقد حظيت الناقة بأغلب تلك الأبيات ، و نكاد نقول : إن نفي الأمومة خصّصه الشعراء للناقة غالبًا ؛ ويعود ذلك إلى مكانة الناقة عند الإنسان العربي ؛ فهو دائماً يتغنى بها وبقوتها ، وضخامتها ، وصلابتها فحريٌّ به أن ينفي عنها كل مظهر من مظاهر الضعف سواء كان ضعفًا أموميًّا أو غيره وقد يعود ذلك أيضًا إلى ارتباطه الوثيق بالناقة ، بخلاف الحيوانات الأخرى ؛ فهي تلازمه في حله وترحاله ، وهي مصدر لرزقه ، وطعامه ، وشرابه ؛ فمن الطبيعي أن ينسج لها أقوى وأفضل الصور والتشبيهات ، بخلاف سائر الحيوان .

(١) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزه حسن ، (ص٢١٤) .

وبهامشه : (**الأحقي** : جمع حقو ، وهو الخاصرة . **الملاء** : جمع ملاءة ، وهي الإزار . **جذاعها** : جذاع الخيل ، جمع جذع وهو الفرس في الثالثة من عمره **أُصُلاً** : أي عشيًّا **الجِلام** : جمع جلم وهو الجدْي) .

الفصل الرابع

الدراسة الفنية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التشبيه ـ الكناية ـ الاستعارة .

المبحث الثاني : نموذج لعاطفة الأمومة عند الحيوان في قصيدة الخنساء (دراسة تحليلية).

المبحث الأول
التشبيه ـ الكناية ـ الاستعارة

أولا : التشبيه :

مدخل :

التشبيه وأهميته ، وقيمته الجمالية :

يأتي التشبيه على درجة عالية من الأهمية في دراسة الشعر الجاهلي ؛ فهويُعدّ إحدى وسائل التصوير الهامة التي لجأ إليها الشاعر الجاهلي ليجسد من خلالها رؤيته للأشياء .

ولبيان المصطلحات وتحديد مفاهيمها لابد من الرجوع إلى المعنى اللغوي ؛ لأنه أصل وعماد ذلك المعنى .

والتشبيه لغةً مشتقٌّ من الفعل (شبه) واصطلاحًا : ((صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ؛ لأنه لوناسبَه مناسبة كلية لكان إياه))(١).

ويعرّفه عبد القاهر الجرجاني فيقول : ((تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل)) (٢) . أي : إعطاؤهشَبَهَ غيره ؛ كقول الله تعالى :] N M L K J I ZO النساء: ١٥٧ ؛ ((أي شُبِّه لليهود والنصارى ، فظنوا المقتول عيسى ، مع أن الله قد أنجاه ورفعه إليه))(٣) .

---

(١) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، تحقيق : عفيف حاطوم ، (ص٢٤١) .

(٢) عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) ، أسرار البلاغة ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط١ ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م ، (ص٩٠) .

(٣) محمد بن جرير الطبري ، (ت٣١٠هـ) ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق :

وجاء في المعاجم تفسير الشَّبَه بالمثل ؛ كما في لسان العرب :أنّ ((الشَّبَه والشِّبْه والشَّبِيه : المِثْل . والجمع أشباه .وأشبه الشيءُ الشيءَ :ماثَله))[١] .

وقد تحدث الخطيب القزويني عن أهمية التشبيه وتأثيره ، فقال : ((اعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره ، وفخامة أمره في فن البلاغة ، وأن تعقيب المعاني به -لاسيما قسم التمثيل منه- يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها ممدحًا كانت ، أوذمًّا ، أو افتخارًا ، أو غير ذلك))[٢] .

ولذلك أسباب ؛ ((منها ما يحصل للنفس من الأنس بإخراجها من خفي إلى جلي ؛ كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى مايُعلم بالفطرة ، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته ؛ كما قيل :

*** ما الحب إلا للحبيب الأول ***

أو مما تَعْلَمه إلى ما هي به أعلم ؛ كالانتقال من المعقول إلى المحسوس . فإنك تعبر عن المعنى بعبارةتؤدّيه وتبالغ ؛ نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقِصَر : يوم كأقصر ما يتصور))[٣] .

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة ؛ نحو أن يعطيك من الزند بإيرائه [٤].

صلاح الخالدي ، دار القلم ، ط١ ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، (٣/٨١) .

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة (ش ب هـ) .

(٢) عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح ، مكتبة الآداب ، د ط ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ، (٣/٧) .

(٣) عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح ، (ص٩ ، ١٠) .

(٤) المرجع نفسه ، (ص١١) .

و((للتشبيه روعة وجمال ،وموقعٌ حسن في البلاغة ؛ وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي الظاهر ، وإدنائه البعيد من القريب ، يزيد المعاني رفعةووضوحًا ، ويكسبها جمالاً وفضلاً . ومن أساليب البيان : أننا إذا أردنا إثبات صفة لموصوف مع التوضيح أو وجه من المبالغة ، عمدْنا إلى شيء آخر تكون هذه الصفةواضحةً فيه ،وعقدْنا بين الاثنين مماثلة تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة أو المبالغة في إثباتها ؛ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى))[١] .

وتكمن فائدة التشبيه ((في تقريب المشبه من فهم السامع ، وإيضاحه له ؛ لأن المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة وإفهام السامع))[٢] .

ولا بد أن نشير إلى أركان التشبيه ، ((وهي أربعة : (طرفاه ، ووجهه ، وأداته) :

وطرفا التشبيه فهما **إمّا حسيّان** ؛ كما في تشبه الخد بالورد ،والقدّ بالرمح . والمراد بالحسي (المدرك) : المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة . **وإمّا عقليّان** ؛ كما في تشبيه العلم بالحياة . والمراد بـ(العقلي) : الذي دخل فيه الوهمي ؛ وهو ما ليسمدْرَكًا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة .

ووجه التشبيه : وأما وجهه فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقًا أوتخييلاً . والمراد بـ(التخييل) ألاّ يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل .

وأداة التشبيه **الكاف** في نحو قولك : (زيد كالأسد) ، و **كأنّ** في نحو قولك : (زيد كأنه أسد) ،و**مثل** في نحو قولك : (زيد مثل الأسد) . وما في معنى (مثل) ؛ كلفظة (نحو) ،

(١) البيان دراسة في المصطلح والدلالة ، د. آمال يوسف سيد ، د. ماجدة زين العابدين حسن ، (ص١٦ ، ١٧) ، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ، مكتبة المتنبي .

(٢) بتصرف عن : ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، تحقيق : عفيف حاطوم ، (ص٢٤٤) .

وما يشتق من لفظة (مثل ، وشبه) ونحوهما))[١].

وفي شعر الأمومة عند الحيوانلست الباحثةحرصًا شديدًا من الشعراء على هذا الأسلوب الذيصوّر مشاعرهم وأحاسيسهم وحالاتهم ؛ بل إن معاني الأمومة عند الحيوان غالبًا ما تتضح من خلال هذا التشبيه الذي يصف لناويصوّر ويجمع بين الصور التي في مخيلته وصور الواقع التي يراها ويشعر بها في باديته وحاضرته ،وحلّه وترحاله .

وعند استقراء الباحثة لدواوين الشعر الجاهلي ، واستنباط الأبيات التي تخص (الأمومة عند الحيوان) بكل عواطفها ؛ مجنانٍ وحنُوٍّ وعجزٍ ..فإنهّا عند تأمل تلك الأبيات تجدها مليئة بالصور البيانية الجميلة والمختلفة .

كانت أمومة الحيوان حاضرة عند شعراء جاهليينكُثُر ، نظموا فيها أبياتًا كثيرةً من ثمتنوّعت الصور البيانية والأساليب الفنية عند هؤلاء الشعراء ، مما استوجب على الباحثة استقصاء تلك الصور البيانية بكل أشكالها : أينكثُرت ؟ وأينقلّت ؟ ومامردّ ذلك ؟ .

ومن خلال عمل الباحثة على الدراسة الفنية وإحصاء الأبيات المستنبطة وتفنيدها -بدا أن أكثر أبيات الأمومة كانت في التشبيه . وعند استقراء جميع أبيات التشبيه في أمومة الحيوان بكل عواطفها نجد سمات مشتركة في أشعار الشعراء الجاهليين ؛ فمعانيهم ، وأخيلتهم ، وصورهم ، وخواطرهم -تمتاز بالدقة ، والخصوبة ، والخيال الواسع ، كما أنها تصف خصائصهم النفسية والروحية والفكرية ، وإن اختلفت أساليبهم .

وأيضًا فإن تلك المعاني والصور والأخيلة وثيقة الصلة بالصحراء والأماكن التي يرتادونها في طبيعتهم البدوية .

(١) بتصرف عن : عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح ، (ص ١٣ - ٣٢) .

أولاً : حنان الأم عند الظباء وبقر الوحش :

احتلّت عاطفة حنان الأم عند الظباء وبقر الوحش أكثر أبيات التشبيه لدى الشعراء الجاهليين . ولا غرابة في ذلك ؛ لأن باب التشبيه عمدة علم البيان ، وهو من الأساليب البيانية التي تقوم على الفطنة والبراعة ، وبيان مراتب الشعراء وتفاوت منازلهم ؛ فهو مقياسٌ لمعرفة مدى خصوبة الخيال عندهم ، ودليل على درجة الشاعرية واتساع المدارك لديهم ؛ من خلال رؤية مشاهد الكون من حولهم .

والتشبيه مادّةٌ خصبة ، استطاع الشاعر الجاهلي من خلالها أن يعبر عن المعاني والأفكار التي تجول في خاطره . وبدا لنا أن عاطفة حنان الأم عند الظباء حازت أكثر أبيات التشبيه مقارنة ببقر الوحش ، وقد يقصر هذا التشبيه وقد يمتد ، لكن من خلال إحصاء وتفنيد تلك الأبيات تبين أن الغالب عليها قصر التشبيه .

ونستعرض أحوال التشبيه التي بدا فيها حنان الأم وحرصها لدى الظباء والبقرة الوحشية . فمن تلك التشبيهات التي امتاز بقصر بيت تأبطّرا حينما فتخر بشدة عدْوه وسرعته . يقول[1] :

كأنّها خَذْوَ ثُواحَيَّ الوَدِيمُهُ أَوْ أُمُّ خِشْفٍ بِذِي شَثٍّ وَطَّفِ

يشبّه الشاعر سرعته وشدة عدوه بظبية لها صغير تحنو عليه ؛ فهي تسرع إليه كلما احتاجها صغيرها لتحميه وترعاه . ثم خصص في تشبيهه تلك الظبية التي تتغذى على نبات

(١) تأبطّرا ، الديوان ، تحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (ص١٣٢) .

وبهامشه : ((حثحثوا ؛ أي : حثوا . ويعني بحص القوادم ظليماً قد تناثر ريشه . وأم خشف : أي ظبية . الشث والطباق : هما نباتان يقويّان الراعية ويضمّرانها) .

(الشث والطباق) ، وهما مما يقوي اللحم ويشده . فالشاعر جمع عوامل السرعة المادية وهو النبات- ، والمعنوية وهو صغيرها الذي ترعاه وتحميه ، ولا تبتعد عنه .

ومن التشبيهات الممتدّة التي حلّق فيها الشاعر الجاهلي بخياله ليغور في أعماق نفس تلك الظبية (الأم) ليصف ويصور تلك المشاعر التي امتزجت بمشاعر الشاعر ؛ فكأنه بمثابة الظبية (الأم) مع صغيرها =ما جاء في قول الأعشى[1]:

يَوْمَ أَبْدَتْ لَنا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ ... ـدٍ لِمَتْنٍ تَزِينُهُ الأَطْواقُ

ثم يقول :

كخذولٍ تَرْعَى النواصفَ من ثَلـ ... ـلِ يثٍ قَفرٍ تَخَلّلَ الأسلاقُ

تنفض المَرْدَ والكباثَ بحَمْلا ... جٍ لطيفٍ في جانبيه انفراقُ

في أراكٍ مَرْدٍ يكادُ إذا ما ... ذرّ شمسٌ ساعةً يُهْراقُ

وهي تَخْتُوصُ العِظامَ ئيلاً ... فلتَ الطَّرْفِ فَيْقُها المِسْراقُ

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص ٢٠٩- ٢١١) .

وبهامشه : (خذول : خذلت الظبية : تخلّفت عن صحبها وانفردت فهي خاذل . النواصف : جمع ناصفة وهي مجرى الماء ، والمكان الكثير النبات الخصب . تثليث : بلد في اليمن . الأسلاق : جمع سلق وهو القاع . والقاع : الوادي المطمئن الذي يستقر فيه الماء . المرد : ثمر الأراك الأخضر ، فإذا نضج وأدرك فهو كباث . الحملاج : منفاخ الصائغ ؛ شبه به قرنيها . الأراك : شجر تستعمل قضبانه في السواك ، هراق : هراق الماء وأراقه ضَبَّه رَخْصرلِينٌ . انسراق : نقص وضعف . تعجوه : عجت الأم ولدها أخّرت رضاعته عن مواقيته . وعجتأيضًا : أرضعته .عُفافه : العفافة اجتماع اللبن في الضرع . الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت . شف جسمها : أنحله وأسقمه . الغيل : الشجر الملتف. جيداء : طويلة العنق . المرتع : المكان الذي ترتع فيه ؛ أي : ترعى وتلعب .خبّة : تخبىء درتها ولبنها . مغلاق : من غلق الرجل إذا ضجر أو قلق حُمّ الأمر : قضى) .

مَـلَـعَـادَى عَـنْـهُ الـنَّـهْـوُ ولاتَـعْـ ـجُـوهُ إلاَّ عُـفَـافَـةٌ أوفُـوَاقُ

مشْـفِـقًـقَـلْـبُـهُ لَـدَيْـهِ فَـمَـاتَـعْـ ـدُوهُ قَـدْشُـغِـلَّ مِـنْـهَـاالإِشْـفَـاقُ

وإذا خَـافَ لِـسِّـبَـاعِ مِـنَ الْـغَـيـ ـلِ أَلَـمَّ سَـتْـوَحَـانَ مِـنْـهَـالِـطِـلاقُ

رَوَّحَـتْـهُ يَـدَاءُ ذَاهِـبَـالْـقُـمَـرْ تَـعِ لا خَـبَّـةٌ وَلا مِـغْـلاقُ

فَاصْـبِـرِي النَّفْسَ إِنَّ أُمَّ حَقٌّ لَـيْـسَ لِلصَّـدْعِ إِلَّـزُّجَـاجِ اتِّـفَـاقُ

والشاعر هنا يشبّه الصاحبة بتلك الظبية الفاتنة الرشيقة الحنون العطوف ؛ فهو يجمع لها كل الصور الدالّة على رقّتها وحنانها وعطفها ؛ فهي التي تخلّفت عن القطيع . وذكر الشاعر أن سبب تخلُّفها عن القطيع هو حنانها وحرصها على صغيرها الذي بقي يرعى في المرعى ؛ فهي لا تمنعه من ذلك ولا تدفعه نحو القطيع ؛ بل تتركه يرعى في قاع ذلك الوادي وتظل ترعاه وتحرص عليه وترعى معه . كذلك تهزّ شجر الأراك بقرنيها اللطيفين لصغيرها ؛ حتى تتساقط أوراقه وثماره الرطبة . وتلك صورة أخرى صورها الشاعر لحنان الأم على صغيرها الضعيف لين العظام فاتر الطرف ، فتلك الأم ملازمة له تراعيه وتساعده في تناوش الأوراق والثمار ، ولا تغفل عنه ولا تؤخر رضاعته كلما اجتمع في ضرعها بعض اللبن أرضعته .

والشاعر من خلال ذلك التشبيه يصف ما تقدمه تلك الأم الرؤوم لصغيرها ؛ فهي توازن في طعامه بين ما يتناوله هو وبين ما تقدمه له . فالشاعر بحسه المرهف ودقة ملاحظته لم يغفل من تصوير حنان الظبية المتدفق على صغيرها .

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف حال تلك الظبية الرؤوم التي لاتكلّ ولاتملّ من مراقبة ولدها والعناية به ورعايته ؛ فهي لا تكاد تبتعد عنه حتى تطعمه وتحميه مما حوله ، وبينما هي في خِضَمّ تلك الأمور العظام -وهي : الرعاية ، والإطعام ، والحماية ،والتتبُّع- لم تعد ترى أو تحسّ ، فقد ملأ قلبها الإشفاق عليه ، فقلبها وعقلها منشغلان في رعاية ذلك الصغير بهزال

وسقم جسمها .

وإذا حل المساء فليس أهون عليها من النهار الذي كانت فيه؛ إذْ لا تتوانى عن رعايته وحمايته ، بل هو عليها أشد صعوبة ، فهي تخاف عليه من السباع ، فتنطلق به من ذلك الموضع وأماكن الخطر إلى موضع أكثر أمانًا . فالشاعر في هذا البيت والذي يليه يوضح سياسة تلك الظبية طويلة العنق الحانية على أولادها ؛ فهي لا تبيت ، حيث كانت تلعب وترتع وترعى في النهار ؛ لحماية صغيرها من الأخطار . ونلاحظ أن الشاعر عندما يصف مشاعر تلك الظبية تجاه صغيرها لم يكن ذلك وليد الصدفة ؛ بل إنه ينم عن تتبُّعٍ ومشاهدةٍ متكررة لتلك الظبية مع صغيرها ،إضافةً إلى إحساسه العميق بها واستشعاره لمشاعرها .

فهذه الظبية الحنون لا تمنع عنه لبنها ولا تقلّ رعايته ، ولا تضيق أو تتضجر مما تقوم به تجاه صغيرها ؛ بل تستميت في رعايته وحمايته ، لتحيطه بالدفء والطمأنينة .

ولعل أبرز ما ورد من تصوير حنان الظباء كان في المجالات التالية :

أ- تشبيه الصاحبة بالبقرة الوحشية ، وبالظبية الخاذل :

ترتبط صورة الظباء في الشعر الجاهلي بالمرأة ، لوجود علاقة حسية ومعنوية ، فقد درج الشعراء الجاهليون في تشبيهاتهم للصاحبة بالظبية ، أو البقرة الوحشية الخاذل -وهي التي خذلت صواحباتها وانفردت بولدها وتخلفت عن القطيع ، وذلك حنانًا وعطفًا على ولدها لتبقى معه وتحميه - ، ثم تشبيه جمال (عينَيْ) تلك الصاحبة وحسن عنقها وجيدها بالظبية الخاذل التي خذلت القطيع وأقامت على ولدها ترقبه وتتابعه بتلكما العينين المكحولتين ، وبذلك العنق الذي تمدّه وهي منفردة عن القطيع ترقُب صغيرها ، فكان أبْين لحسنها وجمالها .

وقد بدا للباحثة أن الشعراء شبّهوا الصاحبة بالظبية أو البقرة الوحشية الخاذل ، ولكن تشبيه الصاحبة بالظبية الخاذل يفوق تشبيه البقرة الوحشية ، وقد يعود ذلك إلى الجمال الذي

تتسم به الظبية ، فهو يفوق جمال البقرة الوحشية ، فالشاعر الجاهلي شاعر يعشق الجمال ، صاحجسٍ مُرهَف .

وقلتنوّعت التشبيهات من حيالقصرِ والطول ، ولكن أغلبها اتّسبالقصرِ ؛ على نحو ما قال بشر بن أبي خازم الأسدي متغلاً بمحبوبته : (١)

ومَدْغِلٌ أَمْهَاءُصْبِحَخَشْفُهَا بِأَسْفَلِوَادٍسَيْلُهُمُضَبِّبُ

خَذُولٌمِنَالبِيضِالجُدُودِ دَلَهَا أَرَاكُبُرُوَضَاتِالخُزَامَىوحُلَّبُ

بِأَحْسَنَمِنهَاإِذْرَتَاعَتْ وَذُوالهَوَى حَزِينٌوَكُلٌّمِنَالخَلِيطَتَجَنَّبُوا

يشبه بشر الصاحبة بالظبية بيضاءالخدّ ، التي لها ولد خذلت القطيع لأجله ، وهو بأسفل الوادي المنحدر متصوب المياه كأنه شلال يتدفق فيه الماء الغدق ، وهي في روضات الخزامى وقد دنا لها الأراك والخلب ، والشاعر حزين ، لا يمحو حزنَكلٌّ هذاالحُسن الطبيعي؛ بل يريد أن تتراءى له صاحبته في يقظة أو حلم ؛ فإن الرؤياأعزّ عليه مكلّ ما في الدنيا منحُسن .

ويقول طرفة في تشبيه الصاحبة بالظبية أو البقرة الخاذل التي خذلت قطيع الظباء أو البقر (٢) :

(١) بشر بن أبي خازم الأسدي ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص ٥٧ - ٥٨) .

وبهامشه : (مغزل : الظبية التي لها غزال . الخشف : ولد الظبي أول مشيه . المنصوب : المنحدر . الحلب : نبات ترعاه الظباء . الخليط : الصديق المخالط ، والقوم الذين أمرهم واحد) .

(٢) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : دريه الخطيب ، لطفي الصفال ، (ص٩) .

وبهامشه : (الخذول : التي خذلت صواحبها وأقامت على ولدها ، الربرب : القطيع من الظباء وبقر الوحش ، الخميلة : أرض سهلة ذات شجر ، البرير : ثمر الأراك) .

أَحْوَى يَنْعُضُ وَفِي الحَيِّ الحَدَائِقِ نُ مُظَاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ

خَذُولاً تُرَاعِي رَبْرَبًا بِخَمِيلَةٍ تَنَاوَلُ أَطْرَافَ البَرِيرِ ، وَتَرْتَدِي

فإن قال قائل : كيف قال : (وفي الحي أحوى) ، ثم قال : (خذول) ، والخذول نعت الأنثى ؟

قيل له : هذا على طريق التشبيه ، أراد : وفي الحي امرأةٌ تشبه الغزال ، في طول عنقها وحسنها ، وتشبه البقرة في حُسن عينيها .

وقوله (تراعي ربربًا) أي : ترعى مع ربرب . و (الربرب) : القطيع من البقر ، وغير ذلك وخص الخذول ؛ لأنها فَعُولَةٌ على خشفها ؛ فهي تشرئب ،وتمدّ عنقها ، وترتاع لأنها منفردة . وهو أحسن لها . ولو كانت في قطيعها لم يَنْحُسْ نها . و (الخميلة) : الأرض السهلة اللينة ذات الشجر . و (البرير) : ثمر الأراك))[1] .

وقد بدا أن أغلب تلك التشبيهات هي تشبيهات قصيرة .

ويقول المثقب العبدي:[2]

وَهُنَّ على الرِّجَائِزِ وَاكِنَاتٌ قَوَاتِلُ كُلِّ أَشْجَعَ مُسْتَكِينِ

(١) الخطيب التبريزي ، شرح القصائد العشر ، تحقيق : فخر الدين قباوة، دار الأفق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٠م ، (ص١٠٠) .

(٢) المثقب العبدي ، الديوان ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ط ٢ ، (ص ١٥٤) .

ضال : مكان أو جبل بعينه ، ويروى بالنون . وهو أيضًا جبل في أرض دوس . اللسان (ض أ ل) (ص٤٤٨) . تنوش : ناشه بيده ينوشه نوشًا: تناوله . التناوش - بلا همز- : الأخذ من قُرب . والتناؤش -بالهمز-: من بعُد . اللسان (ن و ش) (ص٧٤٠) .

غِذَكَ لِأَنٍ خِذَ لَمْذَبَتِ ضِالَ وشَنُّ الْيَأَتِ مِ نِ الضُونِ

يشبه الشاعر رحيل النساء المتطيبات بالغزلان من الظباء التي تخلفت عن القطيع ؛ لتبقى مع أولادها وترعى معهم ، وتتناول الأوراق الدانية من شجر السدر . فالشاعر يصور ويصف من خلال التشبيه جمال هؤلاء النسوة وهن متفردات عن بقية النساء ؛ لأن ذلكأبْين لحسنهن وجمالهن ؛ كتلك الظبية التي تنفرد مع صغيرها تناوله وتتناول معه شجر السدر ، وذلك لحرصها وحنانها عليه .

ويقول الحطيئة[1] مُتغزلاً في محبوبته :

بِتُلْةٍ يَثَمْ يِالسَّقِيمَ كَلَامُ هَا هَجِيدْأَهْ الْعشيّ خذول

يتغزل الشاعر بالصاحبة ويشبهها بالظبية الخاذل والتي انفردت عن القطيع ، وأقامت على ولدها . ويتغلغل الشاعر هنا في نفس تلك الظبية ؛ ليعلم أنها تركت القطيع لأجل ولدها؛ لتبقى معه تراقبه وترعاه ، فهي في تلك اللحظة ترعى وتتبع ولدها في حنان وحرص عليه . هذا الانفراد لتلك الظبية الذي شبّه به الصاحبة ؛ حتى يزيد في جمالها ويبرز جمال عنقها حين تمدّه لتراقب صغيرها ؛ فتلك الظبية من الغزلانالأُدُم ، بيضاء البطن سمراء الظهر ، وهي ترعى في أول النهار ، ثم يظهرحُسنها وجمالها في آخر النهار عندما تكون هادئة مطمئنة مع صغيرها الذي تحنو وتحرص عليه .

ب. تشبيه عيني الصاحبة بالظبية والبقرة الوحشية الحانية على صغيرها:

(١) الحطيئة ، الديوان ، شرح : أبي سعيد السكري ، دار صادر ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م ، دط، (ص ٨٩) .

وبهامشه : (المبتلة : التيعظُم أسفلها ،ولطُف أعلاها ، وانقطع خصرها . المبتلة : السبطة الخلق . الأدماء : ظبية طويلة العنق والقوائم ، بيضاء البطن ، سمراء الظهر ، مساكنها الجبال) .

يتغلغل الشاعر الجاهلي إلى تصوير المشاعر النفسية المعبرة عن مشاعر الحنان ، من خلال وصف عيني الظباء والبقر خاصة ؛ فالعينان مرآة الروح ، ونافذة المشاعر . فالشاعر الجاهلي يتميز بالحس المرهف العالي بكل ما حوله ؛ فهو يستشعر حنان الظباء والبقرة الوحشية، وعطفها ، وألمها ، وحزنها ؛ من خلال عينيها ونظراتها الحانية .

ويظهر حنان الأمومة لدى الظباء في أبيات الشعراء عند تغزل الشاعر الجاهلي وتشبيه عين الصاحبة بعين الظبية التي ترمق وتراقب صغيرها في حنان وحرص ؛ كما هو واضحٌ في أبيات امرئ القيس [1] :

نظرتَ إليك بَعين جؤذَة حوراء حَانيـة عطى فَلْ

فَلها مقلدُ هاوِ مُقْلَتُها ولَها عيلَرِ اوَةُ الضَّلْ

يشبّه صاحبته التي تتحلى بالبشاشة والخفة وكأنها ظبية تعلق قلبها بولدها ؛ فهي تمتاز بالخفة لأنها تكتفي بشرب الماء القليل ، وذلك لتظل تراقب وتتبع صغيرها بتلك النظرات الحانية العاطفة عليه . فالشاعر حين يشبه الصاحبة بالظبية في خفتها يعطيها أسباب تلك الخفة؛ دلالةً على عمق تأمله في مشاعر الظبية مع صغيرها . وتصويره لحركة الظبية التي تتشارك مع حركة العينين في الخفة والنشاط والترقب يوحي لنا بمدى ذلك الحنان والعطف الدائم مقِبَل الظبية لصغيرها .

ومن التشبيهات الممتدة التي صوّرها الشعراء الجاهليون عند حنان الظباء وبقر

(١) امرؤ القيس ، الديوان - وهي لامرىء القيس بن عابس الكندي- ، تحقيق : حسن السندوبي وأسامة صلاح الدين منيمنة ، (ص ١٨٨) .

وبهامشه : (جازئة : ظبية مكتفية بالقليل من الماء عن كثيره ؛ فهي لذلك يكون بها ضمور وهيف . حانية على طفل : عاطفة على ولدها . لها مقلدها ومقلتها : يعني لها جيد الغزالة وعينها) .

الوحش : غزل عبيد بن الأبرص بمحبوبته ، وتشبيه عينيها بعيني بقرة وحشية؛ إذْ يقول : [١]

وَإِنْ يَحوَراءُ الْمَدامِعِ طَفْلَةٌ كَمِثْلِ مَهَاةٍ حُرَّ أُمَّ فَرِيقِ
رَائُمِ يَبِهْتَ الخَمائِلِ لِلضُّحَى وَتَأْوِي بِإِلْفٍ أَرَاكٍ وَغَرْقَدِ
وَتَجْعَلُهُ فِي بَهْمِ لَهُ بَعْيَنِهَا وَنَتْيِ عِيَالِ الجِيدَ فِي كُلِّ مَرْقَدِ

يشبه الشاعر عينَي محبوبته الناعمة الحور بعيني بقرة وحشية حور ، ونجد أن صفة الحور موجودة عند الظبية ذات الولد والظبية غير ذات الولد ؛ فهي صفة تتصف بها الظباء على الدوام ؛ ولكن نجد الشاعر بإحساسه المرهف ودقة استشعاره لما حوله خصّ تشبيهه بالظبية ذات الولد ، وذلك لأن عينيها ونظراتها دائمة التتبع والترقب لصغيرها ، فذلك أبْين لجمال تلك العين وسعتها وشدة بياضها وسوادها ، فالفارق بينهما هو الإحساس والشعور الداخلي ؛ فالظبية ذات الولد تحرص وتراعي ولدها في تلك الخمائل وفي الصحراء وحين الضحى و العشي ، ثم تأوي به بين النبات الكثيف الملتف حتى لا تعرضه للخطر . ونجد الشاعر اختار ألطف أنواع الشجرالطريّ على الحيوان الذي ينمو في الظلال ؛ ليبين مدى نعومة ورقة تلك الظبية على صغيرها . ثمصوّر لنا أقوى معاني الأمومة حينصوّر حال تلك الظبية مع صغيرها مجتمعة مع القطيع في قوله : (وتجعله في سربها نصب عينها) ؛ فهي صفة لرعايتها الدائمة لهذا الصغير (فهي تتابعه وتراقبه) إمامنفرداً أو مع القطيع ، وهي صفة تدل على غاية الرعاية وحفاظ الأم على وليدها .

وتظهر لنا صفة من صفات الأمومة في قوله : (وتثني عليه الجيد في كل مرقد) ؛ ليدلل

(١) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، (ص٥٧ ، ٥٨) .

وبهامشه : (الحوراء : الشديدة بياض العين وسوادها .الطَّفْلة : الناعمة . المهاة : البقرة الوحشية . الحرة : الكريمة . الفرقد : ولد البقرة . الخمائل : جمع خميلة : الشجر الملتف . الأراك والغرقد : نوعان من الشجر . السرب : القطيع . الجيد: العنق) .

على مدى عمق ذلك الحنان الغامر المتوالد الذي لا نهاية له ، وعلى قمة تلك الحماية ؛ بحيث تصبح كالجسد الواحد هي وولدها ، عندما تَثني عليه جيدها. فنجد في هذا التشبيه الممتد مدى عمق رابطة أو علاقة الأمومة بين الظبية وصغيرها .

وقد بدا فيما يخص الحنان عند الظباء أن الشعراء الجاهليين غالبًا ما يجمعون بين العين والجيد في تشبيهاتهم ،فيشبّهون عينَ الصاحبة وجيدها بعيني الظبية وجيده ؛ وقد يكون سبب ذلك العلاقة الحسية الشعورية ، فحركة العين وحركة الجيد هما النافذة التي نستشعر منها كوامن المشاعر الداخلية عند ذلك الحيوان الأعجم ؛ كالحنان ، والعطف ، والحرص.

ونستشعر حنان الأمومة عند الظباء من خلال بيت أبي الحنان الهذلي حين شبّه الصاحبة بالظبية ، فقال : [١]

لها عَينا ظَبيةٍ أُمِّ طفلٍ وجِيدٍ أحمَّ مختلسِ البغامِ

شبّه الصاحبة في رقّتها وحنانها وعطفها الذي يراه ويستشعره من خلال تلك العينين - بالظبية الحانية التي لها طفل تراعيه وتحنّ وتحرص عليه ؛ فهي دائمة المراقبة له ، تتابعه بعينيها الحانيتين . أما جيد الصاحبة فيشبهه بجيد الظبي الصغير .

ويشبّه عمرو بن شأس الأسدي عيني الصاحبة فيقول : [٢]

---

(١) أبو الحنان الهذلي ، واسمه زياد بن عبله السهمي ، ديوان الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، راجعه محمود شاكر ، (ص٨٩٧) .

أحمّ : أسود . **مختلس** : الخلس : الأخذ في نهزة ومخاتلة ، اللسان ، (خ ل س) ، (ص١٧٥) .

البغام: بغام الظبية ، صوتها وهي بغوم : صاحت على ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . لسان العرب ، (ب غ م) ، (ص ٤٦٦) .

(٢) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، مطبعة الأدب ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، دط، (ص ٥٢) .

لها قُلَّتا هَضْبٍ كأُمِّ جُؤَذَرٍ وأَتْلَعَ نَهَّاضٍ مِقَلَّدُهُ جُدُلُ

يشبّه عيني الصاحبة بعيني ظبية لها طفل تعطف وتحنو عليه . واختار الظبية الحانية لأنها من خلال هذه العينين تراقب وتتابع صغيرها بصفة مستمرة دون كلل أو ملل ؛ بل بكل نشاط وحرص ، فيكون أبْين لجمال عينيها .

كذلك شبّه عنقها بعنق الظبية التي تتبع صغيرها ، فهو أبْين لجمال عنقها حين تمده لتراقب صغيرها الذي قد علّق على عنقه جرس ، فهي لا تكتفي بسماع صوت الجرس بل تمد عنقها وترمق صغيرها بتلك العينين الجميلتين الواسعتين ؛ لحنانها وعطفها عليه .

فنجد الشاعر جمع عدة تشبيهات في بيت واحد لوصف جمال الصاحبة ، وإعطاء صورة من صور الأمومة وهي عاطفة حنان الأمومة عند الظباء والبقر الوحشية .

وقال امرؤ القيس : [1]

تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

يشبه الصاحبة بالظبية فيقول إنها ((تعرض عنّي ، وتُظهر خداً أسيلاً ، وتجعل بيني وبينها عَيْنَي ناظرة من نواظر وحش وجْرة ؛ هذا الموضع المعروف))[2] .

وبهامشه : (أتلع : عنق طويل . الجلجل : الجرس الصغير الذي يعلق بأعناق الدواب) .

(١) امرؤ القيس ، الديوان ، تحقيق: حسن السندوبي ، (ص١٧١) .

وبهامش : شرح المعلقات السبع ، دار بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م ، ص ٢١ : الصَّدّ والصُّدُود : الإعراض . الإبداء : الإظهار . الأسالة : امتداد وطول في الخد . الاتقاء : الحجز بين الشيئين وَجْرة: موضع . المطفل : لها طفل) .

(٢) الأعلم الشنتمري ، يوسف بن سليمان بن عيسى (٤١٥ - ٤٧٦ هـ) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الآفاق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م ، (ص٣٤) .

((إنهلعتُرِ ض عناستحياءً وتبسُم ، فيبدو لنا ثغرها ، و (تتقي) ؛ أي : تلقانا ، بعد الإعراض عنا ، بملاحظتها ؛ كما تلاحظ الظبية طفلتها))[١] .

وأحيانًا يشبه الشاعر عيني ناقته بعيني بقرة وحشية . يقول طرفة : [٢]

طَحُورَانَعِوٌّ ارَ القَذىفَتَرَاهمُ ُا كَهَكْحُولَيَّةٍ مذْعُورِفُّمٍّ قَدِ

يظهر حنان الأمومة لدى البقر الوحشي في هذا التشبيه القصير ؛ فهو يشبه عيني ناقته الصحيحتين اللتين لم يصبهما عوار بعيني بقرة مذعورة على ولدها ، وإذا كانت مذعورة كان ذلكأحدُّ لنظرهاوأبْين لحسنها ؛ فبهذا التشبيه نستشعر نظرات تلك البقرة الوحشية التي مِ لْؤُها الحنان والحرص .

ج .تشبيه صوت الصاحبة بصوت الظبية الحانية على أولادها :

يظهر حنان الأمومة عند الظباء وبقر الوحش من خلال التشبيه بصوت الظبية الحانية التي يمتاز صوتها بالدفء والحنان على صغيرها ، وتمتاز تلك التشبيهات بالقصر حتى توحي لنا بمدى رقة هذا الصوت ودفئه .

ويقول عمرو بن شأس الأسدي[٣] :

---

(١) التبريزي ، شرح القصائد العشر ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، (ص٥٨) .

(٢) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصفال ، (ص٢٣) .

وبهامشه : (عوار القذى : قطعة من الرمد . والقذى : وسخ العين ، وما سقط فيها . أم فرقد : ولد البقرة) .

طحوران : طحر : قذف العين بقذاها . ابن سيده : طرحت العين قذاها تطحرطحرًا : رمت به . اللسان (ط ح ر) .

(٣) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، (ص٤١) .

وبهامشه : (دوامج أيكة : أي : الظباء في كناسها . الخذور : ستريمدّ للجارية في ناحية البيت) . اللسان

ينظرونَ مِنْ خَلَلِ الخُدُورِ كَمَا ... نَظَرَتْ لِهَوَجٍ أُيَّكَةٍ كُحْلِ

فِيهِنَّ جَازِيَةٌ إِذَا بَغَمَتْ ... تَخْشَى السِّبَاعَ غَدَاةَ ظَفْلِ

فهو يشبّه عيون النساء وهن في خدورهن بعيون الظباء في كناسها ، ومن بين هؤلاء النساء يصف الصاحبة ويشبّه صوتها الرخيم بصوت الظبية التي قطعت الحنين ؛ فهي تنادي ولدها بصوت رقيقٍ فيه رفءٌ ؛ خوفًا عليه .

فالشاعر يصور جمال الصاحبة وجمال صوتها وعنقها وجيدها ، ثم يحاول أن يشبهها بأجمل ما يرى وما يسمع من حوله . مثال ذلك ما قاله النابغة الذبياني [1] :

كأنَّ الشَّذَرَ وَالياقوتَ مِنها ... على جَيدا غَاتِرةِ البُغامِ

خَلَتْ بغزالها ودَنا عليها ... أراكُ الجِزْعِ أسفلَ مِن سنامِ

لقد طاف الشاعر بخياله فلم يجد أجمل من صورة الأمومة لدى الحيوان ، فاستشعر العلاقة بين الظبية وصغيرها ، ومن خلال تلك الصورة شبّه عنق الصاحبة المحلَّى بالياقوت والفضة بالظبية طويلة العنق التي تمد عنقها لتراقب صغيرها . كذلك وجد في تشبيه صوت الصاحبة بصوت الظبية الحانية على وليدها أجمل وأبلغ تشبيه لوصف مدى رقتها ونعومتها .

وعند تشبيه الشاعر صاحبته بتلك الظبية جعلها منفردة بصغيرها في قوله (خلت بغزالها) ، وقد قرب منها شجر الأراك الذي على جانبي الوادي ؛ لأن صورة تلك الظبية

(خ د ر) .

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، د ت ، (ص١٣١) .

وبهامشه : (الشذر : شيءٌ يُعمل من فضة أو ذهب . الجيداء : الظبية الطويلة العنق . البغام : الصوت . الجزع : جانب الوادي . سنام : جبل) .

منفردة مع صغيرها هوأبْين لحسنها وجمالها ، كما هو أبين لمدى عطفها وحرصها وحنانها على ولدها .

د . تشبيه ِ يد الصاحبة ِ يد الظبية ، وتصوير حركة الظبية لإبراز ذلك :

قال الأعشى : [١]

وجَ ِ يدُ ةٍ لَ تَؤُ ووأَجِذُ ها مِ نأَيْ ِ عِ المَوْ مَ احْلَ وَمَ اطَابَا

يشبه جيد الصاحبة بجيد الظبية ، وخص حركة جيد تلك الظبية التي ترعى وتتبع ولدها في حنان وعطف بين ثمر الأراك اليانع النظر ذي الرائحة الزكية ؛ فحركة الظبية الدائمة لرعاية طفلها ومراقبته توحي لنا برشاقة وخفة جيد الصاحبة ، ومن خلال تلك الحركة الدائمة التي هي خير وسيلة تناولها الشاعر لتصوير ذلك الحنان -استشعرنا معه عاطفة الأمومة عند الظباء .

وترى الباحثة أن عين الحيوان نافذة للشاعر يتطلع من خلالها على مشاعر الحيوان ، فكذلك الحركةأيضً ا نافذة للتعبير عن مشاعر الحيوان المختلفة ؛ من حنين وعطف وحزن وعجز ، ولكن لن يشعر بها ّ صاحب الحس المرهف خصب الخيال .

وقد بدا أن الشعراء الجاهليين في تشبيهاتهم لحنان الأمومة عند الظباء والبقرة الوحشية يجمعونكثيرً ا بين الظبية الخاذل ووصف جيدها ، وبين حركتها ؛ كقول طرفة ابن العبد[٢] :

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣٦١) . = =

=وبهامشه : (مغزلة : ظبية ذات غزال صغير ، قرا الشيء : تتبعه ، يانع : مشرق نضر ، المرد : ثمر الأراك الأخضر) .

(٢) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : دريه الخطيب ، لطفي الصفال ، (ص٩) .

وبهامشه : (الخذول : التي خذلت صواحبها وأقامت على ولدها . الربرب : القطيع من الظباء وبقر

خذولا تراعي رِبرَبًا بخميلةٍ تناول أطراف البرير ، وترتدي

ففي الشطر الأول يشبّهها بالظبية الخذول التي خذلت القطيع لتراعي ولدها وترقبه ؛ فهي ولهة مشفقة على صغيرها ، ففي بقائها منفردة عن القطيع أبْين لحسنها وجمالها .وزادَ في ذلك الحسن والجمال ما قاله في الشطر الثاني ، حينما وصفها عندما تمد جيدها ثم عنقها لتساعد وليدها وتناوله وتتناول أغصان شجر الأراك ، فيظهر مدى حنانها و حرصها على صغيرها . ومن خلال هذا التشبيه جمع لهذه الصاحبة جمال العين وحُسن الجيد والعنق ، والرقة والحنان والعطف . والشاعر عندما أراد أن يعبّر عن جمال الصاحبة لم يجد أصدق من عاطفة حنان الأمومة عند الظباء ؛ في نظراتها الحانية ، وجيدها الممشوق وعنقها الممتد الذي لا يقر له قرار ؛ فهي تمده حتى تتابع وتراقب صغيرها . وقد جمع الشاعر تلك التشبيهات للصاحبة من خلال استشعاره لحنان وعطف الأمومة عند الظباء والبقرة الوحشية .

ولطرفة بن العبد أيضًا : (١)

أَصَحَوْتَ اليومَ أمْ شاقَتْكَ هِرْ ومِن الحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِرْ

ثم يقول :

وَعَلَى المَتْنَيْنِ مِنْهَا لِوَارِدٌ حَسَنُ التَّبْ ثِأَيْتٌ مُسْكَرْ

جابة المدري لها ذو جدة تَنْفُضُ الضَّالَ وَأَفْنَانَ السَّمُرْ

بِنَ أَكْفَانِ خَفَّاقٍ فاللوى مِخْرَقٌ تَحْنُو لِمُرخَصِ الظِّلِّ حُرّ

الوحش. الخميلة : أرض سهلة ذات شجر . البرير : ثمر الأراك) .

(١) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصفال ، (ص ٥٤) .

وبهامشه : (جابة المدري : غليظة القرن . لها ذو جدة : لها ولد ذو جدة في ظهره . الضال : السدر البري . السمر : شجر . الأكناف : النواحي . المخرف : التي نتجت في الخريف . تحنو : تعطف . لرخص الظلف : تعطف على ولد صغير لم يشتد ظلفه بعد . الحر : الكريم العتيق) .

أراد الشاعر جمع التشبيهات والصور لوصف جمال تلك الصاحبة ، فصورها بالظبية صغيرة السن الحانية التي ترعى مع ولدها وتحنو عليه في أرض خصبة ، ويصفها بصغر السن من خلال وصفه لقرني الظبية اللذين لم يرتفعا بعد ؛ فهي في حركتها تنفض شجر السدر والسمر بقرنيها الصغيرين ؛ ا يدل على خفتها ورشاقتها .

هنا الشاعر عندما شبهها بالصغر ليكون أبين لجمالها ، ثم زاد في وصف جمال جيدها ، فعند حركته تمد جسمها وعنقها لتنفض الشجر والنبات من حولها في كنف خفاق فاللوى ؛ فهي تعطف على ولدها الصغير الذي لم يشتد ظلفه بعد ؛ لذلك تخذل القطيع . فكان ذلك أبين لحسن جيدها وجماله .

ونلاحظ من خلال الأبيات كثْرة استخدام الشاعر للفعل الماضي ؛ وذلك لاستحضاره الصورة .

ثانيًا : حزن الأمومة عند الناقة :

((إن للتشبيه وظيفة هامة في شعر الإبل ، لها خطرها في فهم الشعر ، وإن هذه التشبيهات تكشف عن حقائق وقضايا هامة في الفكر الجاهلي ، وقد حمَّله الجاهلي فكره بوعي وحس ٍّ شعري فَّائق . وإن النظرة المتكاملة لحلقات التشبيه المترابطة ّ حقيقة فكر الجاهلي وحقيقة إحساسه ومشاعره)) [(١)].

وعاطفة حزن الأم عند الناقة هي من أرفع المشاعر والعواطف التي عبر َّ عنها الشعراء بعد أن امتزجت آلامهم وأحزانهم بآلام وأحزان تلك النوق . وعند إحصاء أبيات التشبيه وجدنا أن التشبيه في حزن الأمومة عند الناقة يلي حنان الأمومة عند الظباء .

وقد كان الشاعر الجاهلي يتقاسم الآلام والأحزان مع الناقة ، من خلال تصويره ألم

(١) بتصرف عن : أنور أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص١٦٨) .

الناقة التي ترافقه في حلِّه وترحاله ، فظهر ذكر ذلك الحزن في سياق الرثاء . وكان ذلك التشبيه يقصر أحيانًا -وهو الغالب في حزن الناقة- ، وأحيانًايمتدّ ، وقد يكونمردّ ذلك (القصر) نتيجة طبيعية للخلاص من تلك الأحزان والأوجاع ، وعدم الخوض في تلك المعاناة . وكذلك ظهر حزن الأمومة من خلال تشبيه حزنه على فراق الصاحبة أو فراق الأخ بحزن الناقة الواله التي تفقد ولدها .

وبالأيضً ا حزن الأم عند الناقة من خلال تشبيه صوت الرعد ، أو صوت الرياح ، أو صوت القدور ، أو صوت النساء -بصوت الناقة الحزينة الفاقد .

ويظهر التشبيه بصورة ممتدة لحزن الأم عند الناقة ؛ وذلك في سياق الرثاء . قالت الخنساء[1] ترثي أخاهصخرً ا :

ومطجولٌ عليَوٍّ تطيف بـــه لهاحَنَينانِ :إعلانٌوإسرارُ
رتْعَ ُ ما رَتَعَتْ ، حتّى إذاذكرتْ فإنّما هيإقبالٌ وإدبارُ
لا تسمن الدهر فيأرضٍ ، وإنرتَعَتْ فإنّما هيحَنْانٌ وتَسجارُ
يومًبِأوجدَ منّييوم فَارَ قَنـــي صخروٌللدّ هرِ إحلاءٌوإمرارُ

فالتشبيه جاء هنانشبيهً اضمنيًّا ، وهو ممتد ما بين حرف النفي وأفعل التفضيل ؛ حيث أسقطت الخنساء مشاعرها على تلك الناقة التي ينتابها الحزن واللوعة على صغيرها الذي

(١) الخنساء ، الديوان ، دار صادر ، (ص٤٨) .

وبهامشه : (العجول : الثكلى من النساء الوالهة التي فقدت ولدها .البَوّ : أنيُنحر ولد الناقة فيؤخذ جلده ويحُشى ويُدنى منأمّه فترأمه . إقبال وإدبار : أي لا تنفك تقبل وتدبر . يقال : حنت الناقة : إذا طربت في أثر ولدها . فإذامدّت الحنين وطربته قيل : قد سجرت تسجرسجرً ا . بأوجد :بأشدّ وجدً انحُزنًا . إحلاء وإمرار : أي أن الدهر يأتي بالحلو المحبوب والمر المكروه) .

فقدته، ويسيطر عليها الحزن العميق ؛ فهي تحاول أن تتناساه ولكن دون جدوى . وهذا يتضح في (تطيف به) ؛ فهي تسلو حينًا ، وتلتهي بالرعي . ثم تصحو عواطف (الأم المفجوعة) وتشتعل ذكراها في القلب فتُقبِل وتُدبِر في تردُّد ، وتضطرب حركتها بشكل لا إرادي ،ويخيّم عليها الذهول والحزن والأسى .

ويقصر التشبيه في أبيات حزن الأمومة لدى الناقة ، وهو الغالب عند الشعراء الجاهليين ؛ كما في أبيات عمرو بن كلثوم[١] التي يقول فيها :

فَهَاجَ دَتو وُجْدِ يأمِّ سَقْبٍ أضرَّ بِهِ فَجَعَت بِالْبَنِينَا

فَلاَ مَ طَاءُ لَهُم تُرْكُ شقَاهَا لَهَا بِسَنْعَةٍ إِلاَّ بِنِينَا

فهويشبّه حزنه ، فيقول :وَجْدي على فراق الصاحبة أشد من حزن هذه الناقة التي أضلّت ولدها ، فهي لا تزالترجّعوتردّد ذلك الحنان بصوتها المتوجع الحزين .

ويرثي بغثر بن لقيط ولده ، فيقول[٢] :

كَمَانِي بَقِيَّ طُعْمَالمَوتِ إِنَّما التُّـ ـراثُ وإِنْعَزَّالحبيبُ الغنائمُ

(١) عمرو بن كلثوم ، الديوان ، تحقيق : أيمن ميدان ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، (ص ٣١٦ - ٣١٧) .

وبهامشه : (الوجد : الحزن . أم السقب : الناقة . والسقب : ولدها الذكر . الترجيع : ترديد الصوت . الحنين : صوت المتوجع . الشمطاء : المرأة الكبيرة . الشقا : ضد السعادة . الجنين : هنا المقبور) .

(٢) بغثر بن لقيط ، ديوان بني أسد ، تحقيق : محمد علي دقه ، (ص٩٧) .

وبهامشه : (التراث ، والورث ، والميراث واحد . الرائم : الناقة يفارقها ولدها ،فيُحشى جلد فصيل تبنًا أو غير ذلك ، ويلطخ بشيء من سلاها ، فإذاشمَّت ذلك الولد فقد رأمته ؛ أي: عطفت عليه ولزمته).

والشاعر هو : بغثر بن لقيط بن خالد بن نخلة ، شاعر جاهلي ، له ولدان : طعمة ، وسلاك .

يُنظَر في ترجمته : ديوان بني أسد ، تحقيق : محمد علي دقة ، (ص٩٧) .

إذا فَحَتْ يُرَّاهمُ الريِّحُ فَحْـــةً أَيَتُ كأنِّيفَحَّـةُ الطَّرْلِئَمُ

وطعمه هو اسم ولد الشاعر الذي مات والأب يرثيه ؛ فهو لشدة حزنه يتمسك بثيابه التي ورثها عن ولده ، ومما زاد معاناته وحزنه أنه إذا نفحته الرياح نفحةً يشم رائحة ابنه من ذلك الثوب ؛ فشبه حزنه بالناقة التي ترأم الجلد المحشو تبنًا ؛ لأنه من رائحة ولدها الذي فقدته فحزنت عليه أشد الحزن . والشاعر هنا شعر بإحساس الناقة الرؤم ، وبلّت معاناتها ؛ إذْ لم يبقَ لها من ولدها إلا تلك الرائحة التي تهبّ نسماتها فتثير لوعتها وحزنها ، وشعورها بالأسى على فقد ولدها .

ولبيد بن ربيعة أحد أكبر الشعراء الجاهليين الذين عُنوا بجمال التشبيه وبالألوان والحركة ، وهذا دليل على سعة خياله ورهافة حسه وخصب قريحته ، وبراعة التفكير والتعبير لديه ؛ يقول : (١)

كأصفحاتٍ في ذُرَاه وأنواحً عليهنّ المآلي

يشبّه لبيد صوت الرعد بصوت الإبل التي عُزلت عن أولادها ومنعت منها ، فرغاؤها ما هو إلا تعبير عن حُزنها لفقد أولادها .

نلاحظ هنا مدى استشعار الشاعر لهذا الحزن العميق الذي جلّ بهذه النوق ، ويتضح من خلال هذا التشبيه المتناقض في قوة الصوت ؛ فشدة وقوة صوت الرعد لا تقارن بقوة وشدة صوت النوق النوائح ، ولكن الشاعر صنع هذا التشبيه ليصور لنا عمق وشدة حزن النوق على صغارها، وكما جاءت الناقة مشبها به تأتي مشبهةً .

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٩٠) .

وبهامشه : (المصفحات : الإبل اللواتي قد صفحت عن أولادها ؛ أي : عزلت عنها . الأنواح : النساء ينحن. المآلي الخرق التي تكون مع المرأة تحركها تندب بها) .

ويصوِّر طرفة بن العبد حُزن الناقة ، فيقول : (١)

إذا جَعَتْ في صوتها ، لمْتَ صوتها تجاوُبَ أظآرٍ على ربعٍ

وطرفة هنا يشبه صوت القينة المترنم الشجي بصوت النوق التي يتفطر قلبها حزنًا وبكاءً ؛ فهي تجاوبإبلا ً (أظآ ا) مات وليدها ، فهنيَحْنُوَّويرجّ عن ؛ بما في ذلك من مرارة الثكل وألم الأمومة .

ثالثا: حنان الأمومة عند الناقة :

الناقة هي رفيقة الشاعر الجاهلي التي يقطع معها الصحراء الهاجرة ؛ فهو يسقط عليها مشاعره وأحاسيسه ؛ لأنها الرفيقة التي يتذكر معها الماضي ويعيش معها الحاضر ، ويتأمل معها المستقبل المجهول . وخلال رحلاته الدائمة تكونت تلك الرابطة الوثيقة بين الشاعر وناقته ، فبلغ الاندماج بينهما أن يشعر بعالمها الداخلي والخارجي ؛ فيعبر عن عواطفها ؛ من حنانٍ ، وعطفٍ ، وألمٍ وحزنٍ وعجزٍ ، وغيرها .

والتشبيه مادّة خصبة ، ووسيلة يشكّل بها الشاعر عواطف الناقة ؛ ومنها : عاطفة حنان الأم التي تلي عاطفة الحزن عند الناقة ، وقد تناولناها سابقًا ، وكان الفارق بينهما قليلا ً من حيث عدد الأبيات . وبدا أن تشبيه الحنان عند الناقة كان ما بين الصوت والحركة ، وتنوعت صور التشبيه من حيث الصوت ؛ كالتشبيه بصوت الرعد ، وصوت الوتر ، وأصوات الجيوش . كذلك جاء التشبيه بصور حركية متنوعة للناقة ؛ مثل (الضرَّ وس ، والعَضوض ، والعَطوف ، والتي تزجي وتسوق صغارها) . وما تلك الأصوات والحركات

(١) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصقال ، (ص ١٤٩) .

وبهامشه : (أظآر : جمع ظئر العاطفة على ولد غيرها ، المرضعة له ، الربع : الفصيل ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج) .

التي رصدها الشاعر إلاليصوّر لنا الحنان الأمومي لدى الناقة ؛ وهذا مايدلّل على التوافق الحسي والنفسي بين الشاعر وناقته .

وبدا للباحثة أن جميع تلك التشبيهات الصوتية والحركية تقتصر فيها التشبيه ولايمتدّ أبدًا ؛ وقد يكون مردّ ذلك إلى أن تشبيهَ الصوت والحركة لا مجال فيهما للاستطراد والتصوير، ولأنّكلاً من المشبه والمشبه به سِيّان . وبدأيضًا أن الناقة كانت في جميع التشبيهات مشبهًا به ؛ سوى تشبيه واحد كانت هي المشبَّه . وعدد أبيات التشبيه بالصوت متقاربة مع عدد أبيات التشبيه بالحركة .

وإذا أمعنّا النظر وجدنا الشعراء الجاهليين قد عبّروا عن حنان الأمومة عند الناقة بالصوت والحركة فقط ، وهذا يرجع إلى أنها لغة التواصل والتفاهم بين الشاعر والناقة ، وهي التي ساعدت على استشعار حنان الأمومة المشترك بين الناقة والشاعر . ومن ذلك : قول علقمة الفحل[1] :

يَتْبَعْنَ جَوْنًا إذا ما هيّجت زَجَلت كأنّ فُوقًا على العلياء مَهْزُومُ

يهدي بها كلفٌ الخدّين مختبرٌ مثل الحمامِ كثير اللحم عَيْثُومُ

إذا تزَغّم من حافاتها لبعٌ حنّت شغاميم في حافاتها كُومُ

يشبّه ارتفاع أصوات الإبل السود أثناء الحلب ، وعند حنين وعطف الأمهات على

(١) علقمة بن عبده ، الديوان ، تحقيق : سعيد نسيب مكارم ، دار صادر بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م ، (ص٦٠- ٦١) .

وبهامشه : (جونًا : الإبل الأسود . زجلت : ارتفاع صوتها ، وحن بعضها على بعض . مهزوم : مشقوق . تزغّم : حن حنينًا خفيفًا)

وفي اللسان : الشغاميم : الطوال الحسان . الكوماء : القطعة من الإبل أقلها اثنان أو ثلاثة ، وأكثرها خمسة عشر . وناقة كوماء : عظيمة السنام .

صغارها -بصوت الدُّف ، ثم وصف ذلك الفُّ بأنه مهزوم -أي مشقوق أو مخروق - ؛ حتى يُدْرَ ذلك الصوت الأبح الذي يُسمع عند اجتماع النوق صغيرِها وكبيرِها ، لتقتربها وبعيرِها . ثم اشترط أن يكون الدُّف في مكان مرتفع (مشرق) ؛ لأن ذلك أبْين للصوت وأوضح له . فالشاعر الجاهلي كان يربط مشاعره الداخلية وكل ما يجول في نفسه من مشاعر الحب والحنين بما حوله ؛ كعلقمة الذي تناول في تشبيهاته أدق التفاصيل في طبقات صوت الناقة ؛ فعند حنينها يبح صوتها .

من خلال ما سبق يظهر حنان الأمومة وبراعة ودقة التشبيه عند لبيد بن ربيعة ؛ حيث شبه صوت الرعد الخفيف الهادىء بصوت إرزام الناقة ؛ وذلك عند حنينها على ولدها .

ويستقي الشاعر الجاهلي تشبيهاته من بيئته الجاهلية ، حين يشبه صوت الوتر المترنم بصوت إرزام الناقة الرائم ؛ فهي تُدِرُّ ذلك الصوت عند حنينها على ولدها . قال كعب بن زهير[1] :

إذا أطرَ المربوعُ منها ترنّمت كما أرزمَ مستبكرٌ على البوِّ رائمُ

والتشبيهات التي جاءت بصورة حركية التي ذكرها الشعراء للناقة ، ويظهر من خلالها حنان الأمومة ، وحرصها على صغارها تشبِّهها بالناقة الفرس ، والعَضوض ، والعَطوف . وهي حالات انفعالية تُدِرُّ بها الناقة لتذب وتدافع عن ولدها ؛ حنانًا وحرصًا عليه . ففي شعر الشعراء الجاهليين ما يدل على أن حنان (الأم) من الحيوان على صغاره كالناقة قد يفوق حنان الإنسان (الأم) على صغارها في رأي الشاعر ؛ لأنه يصف ذلك الحنان

(١) كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الشواف ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، (ص١٤٤) .

وبهامشه : (أطر : عُطف . المربوع : وتر من أربع طاقات . أرزمت : من الإرزام وهو حنين الناقة . البو : جلد يحشى تبنًا ثم يعلق عند عضد الناقة ، فإذا رأته مكنت) .

ويشبهه بحنان الحيوان على صغاره ومظاهره ؛ كالحركة والصوت . فصوت إرزام الناقة استشعره الشاعر الجاهلي واستشعر الحنان الذي تردّده .وتحدّث عن حنان الناقة من خلال الحركات التي تتصف بها الناقة وتقوم بها للدفاع عن صغارها وحمايتهم ؛ لحنانها وحرصها عليهم ؛كالعَضوض والضرّوس ، والعطوف .

من خلال ما سبق يتبادرسؤالٌ يحتاج إلى إمعان النظر فيه ؛ وهو : لماذا لجأ الشاعر الجاهلي إلى ذلك الصوت وتلك الحركة عند الحيوان ليشبه حنان الأمومة أو يصفه ؟ ولماذا لم يكتفِ في تلك التشبيهات بحنان الأمومة عند الإنسان ؟

قال بشر بن أبي خازم الأسدي [١] :

عَطَفْنا لهم عَطْفَ الضَّروسِ وسِرْبِنا ... بشهباءَ لا شَيْخٌ الضِّراءَ ولا طِفْلُ

فالشاعريصوّر حالهم في الحرب ، ويشبههم بالناقة الضروس ؛ فهم يعطفون على العدو كما تعطف الناقةالعَضوض ، فتعض من دنا منها لحماية أولادها .

ويقول أبو كبير الهذلي [٢] :

---

(١) بشر بن أبي خازم الأسدي ، الديوان ، تحقيق: عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م ، (ص٦٦) .

وبهامشه : (الضروس : الناقة الحديثة النتاج ، وسميت بذلك لأنه يعتريها عضاض عند نتاجهاحذراً على ولدها . الشهباء : الكتيبة البيضاء من كثرة الحديد ؛ أي : هذه الكتيبة عزيزة لا تحتاج أن تختل بالاختفاء . الملا : الصحراء . الضراء : ماوارى الإنسان من شجر وغيره عمن يكيده . رقيبها : حارس القوم) .

(٢) أبو كبير الهذلي ، شرح أشعار الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، راجعه : محمود شاكر ، دار العروبة ، (١٠٧٢/٣) ، دط، دت .

وبهامشه : (العوذ : وهي التي معها ولد صغير . والمعقل : الحرز الذي يأوون إليه) .

يتعطّفونَ على اليَطفِ تعطُّفَ الـ ـوغدِ المطافلِ في مناخِ المعْقلِ

ويستوقفنا تشبيه الشاعر لمنظر قد يتكرر دائماً في بيئته الصحراوية ؛ فهو يصور لنا الحنان عند النوق من خلال تشبيه المحاربين الذين يتعطفون على جرحاهم بالناقة التي تتعطف وتعطف وتحن على صغيرها .

ويصور لنا الشاعر الجاهلي حنان الأمومة عند الناقة من خلال تشبيهه لحركة تلك الناقة الأم مع صغارها ؛ كما يقول عمرو بن قميئة [1] :

وتمشي جالاً إلى الداعينَ كأعناقِ خورٍ تُزجِّ فصالا

فهو يشبِّه تدافُع الأبطال في المعركة بتدافُع النّوق العظام الغزيرات اللاتي يدفعن أولادهن لحمايتهم ؛ حنانًا وعطفًا عليهم .

رابعًا : حزن الأمومة عند البقرة الوحشية والظبية :

حظيتْ البقرة الوحشية والظبية باهتمامٍ بالغٍ من قِبَل الشعراء الجاهليين ، الذين جعلوا لهما مساحة واسعة في قصائدهم ، فوقفوا يصورونهما حسيًّا ونفسيًّا ، ويصفون عواطفهما ؛ كعاطفة الأمومة من حنانٍ وحرْصٍ وحنوٍ وعجزٍ .

ومن خلال تتبع الباحثة لحضور التشبيه في الأمومة عند الحيوان بدا أن حزن الأمومة عند البقرة الوحشية والظبية اختلفت فيه التشبيهات ؛ فقد تقصر ، وقد تمتد . واتسمت تشبيهات الظبية بالقصر، أما تشبيهات البقرة الوحشية فاتسمت بالإطالة ؛ومردّ ذلك إلى أن تشبيهات البقر الوحشي تتسم بالطابع القصصي الممتع ، وأغلب تلك التشبيهات كانت في

(١) عمرو بن قميئة ، الديوان ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، (ص ٥٨) .

وبهامشه : (الخور : الإبل الحُمْر إلى الغُبرة ، رقيقات الجلود طوال الأدبار . تزجي : زجى الشيء وأزجاه : ساقه ودفعه . الفصال : جمع الفصيل ، وهو : ولد الناقة إذا فصل عن أمه) .

تشبيه الناقة بالبقرة الوحشية التي تبحث تارةً عن ولدها الذي غفلت عنه ؛ فيتملكها الخوف والفزع عليه ، أو تدافع عنه تارةً بكل مَلوتيت ْ من قوة . وفي بعض المشاهد يصفها الشاعر بالعجز والندم اللذين يسيطرِا عليها أمام مالحَّ بولدهاوهِ نمثَّ يخيّم الحزن المرير على قلبها الحنون . ونجد أن الشاعر جلب تلك التشبيهات ليثبت قوتها في الإسراع ، وشدة تلك الناقة وضخامتها .

ويقصر ُ التشبيه عندما يتغزل الشاعر بالصاحبة ، وتشبيه عيني الناقة بعيني البقرة الوحشية أو بعيني الظبية حين تبحث عن ولـدها مذعورة وقد أصابها الخوف والهلع ، وحين ترقب وتحملق وتتبع بعينها صغيرها فيحذرٍ وحرصٍ .

ومن ذلك : قول طرفة بن العبد ، يتغزل بصاحبته [١] :

وَإِذْيِهَ لِثْ الرِّيْمِ يِدَ غَزَالَهُ ا هَ ا نَظَرٌ سَ اجٍإِلَيْكَ وَاثِغٍ لَهُ ْ

ويمتاز هذا التشبيه بالإيجاز ، ومع ذلك فهو مكتنز بالتعبير العالي عن مشاعر الأم ، وخوفها وقلقها على الصغير ؛ فهويشبِّه عينَ ْ الصاحبة التي لا ترفعطر ْ فها الفاتر الساكن - بعيني الظبية الريِ يدَولدُها ؛ فهي تسارق النظرمسارقةً حتى تتبع ولدها .

ومن التشبيهات القصيرة تشبيه لبيد بن ربيعة لناقته؛ إذْ يقول[٢] :

---

(١) طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصقال ، (ص١١٩) .

وبهامشه : (الريم والريمة : الظبية البيضاء . الساجي : الساكن الفاتر . تواغله : الواغل في القوم ؛ وهو : الداخل عليهم ، ولمبُدْعَ) .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص ٢٧-٢٨) .

وبهامشه : (الغمير : موضع ببلاد بني عقيل . وكثمان : جب ببني عقل . الممرية : التي قدأُكل ولدها أو مات وهي حينئذ يكثر لبنها . عطب : هالك أصابه سبع . والبغاء : الطلب .ملـمعًا : ثور به توليع من سواد في وجهه وقوائمه وسائره أبيض . شيب : مسن)

كأنَّها بالغُوَيْرِ مُمْرِيَّةٌ تَبْغِي بِكُثْمَانَ جُؤذًا طَبَا

قَدْ أَثَرَتْ فُرْقَةُ البُغَاءِ وقدْ كلَّفَ رَأْدُ الضُّحَى مُلَمَّعًا شَبَبَا

يشبِّه لبيد ناقته في نشاطها وقوتها بالبقرة الممرية التي كثر لبنها ؛ لأنها فقدت ولدها حيث أكله السبع ، فأصابها الألم والحزن على فقده ؛ حيث كانت ترعى معه في موضع (الغمير)، وعندما أرادت إرضاعه وجدت بقايا جسده التي أكلها السبع في موضع (كثمان) فهي آثرت البحث عن ولدها على مراعاة الثور الوحشي في قوله : (قد أثرت فرقة البغاء) . من خلال هذا الشطر استطاع الشاعر أن يشبهها في قوتها وسرعتها عند بحثها عن ولدها ؛ فهي لا تهدأ ولا تسكن بل تظل تجري يمنة ويسرة حتى تجد ولدها . ونجد الشاعر وصف بدقة هذا التشبيه ، وتغلغل في نفس تلك البقرة الفاقد ، وأخذ يخبرنا عن شعورها وكأنه هو من فقد هذا الولد .

ويبهرنا الأعشى بذلك الإحساس الفذ المميز ؛ من خلال وصف مشاعر خوف البقرة على صغيرها ، فيبدأ الأبيات بقوله [1] :

بَانَتْ سُعادُ وأَمْسَى حَبْلُها رَابا وأَحْدَثَتْ لِلنَّأْشَوْقًا وأَوْصابَا

ثم يقول :

وعَيْنِ وحْشِيَّةٍ أَغْفَتْ لِفُرَّتِها صوتُ الذِّئَابِ فَوَلَّتْ خَوْهُ أَبَا

هنايشبّه عَيْنَيْ صاحبته الجميلتين بعينَيْ البقرة الوحشية المذعورة من عواء الذئاب ؛ من خلال قوله : (صوت الذئاب) ، فهي في حالة شديدة من الخوف والذعر . فوصفها من

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣٦١) .

وبهامشه : (وحشية ؛ أي : بقرة وحشية . أوقت : أتت نحوه ؛ أي : نحو الصوت . دأبا ؛ أي دائبا من دأب؛ أي : مضى واستمر) .

خلال هذا التشبيه أنها ترقُب وتتبع بسمعها وبصرها معًا مصدر الصوت ؛ خوفًا على طفلها الصغير . والشاعر جعلها تراقب بنظراتها ؛ لأن ذلك أبْين لجمال تلك العين . ونجد الشاعر بإحساسه المرهف أجاد في ربط العلاقة بين البصر والسمع في وصف مشاعر خوف الأمومة عند الحيوان .

ويمتدّ التشبيه في قول لبيد[١] :

لِمَنِ الظَّعائِنُ سَفَّعَتْها الرِّيحُ ... خَذَلَتْ وهادِيَ الصُّوارِ قَوائِمُها

خَنساءُ ضَيَّعَتِ الفَريرَ فلَم يَرِمْ ... عُرْضَ الشَّقائِقِ طَوْفُها وبُغامُها

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنازَعَ لَوْنَهُ ... غُبْسٌ وكاسِبُ كُلِّ يَوْمٍ طَعامُها

صادَفْنَ مِنها غِرَّةً فأصَبْنَها ... إنّ المَنايا لا تَطيشُ سِهامُها

بِلَوَى وأسْلَمَ فَمُّ دِيمَةٍ ... يُرْوِي الخَمائِلَ دائِمًا تَسْجامُها

يَعْلُو طَريقَةَ مَتْنِها مُوَّارُها ... في لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمامُها

تَجْتافُ أصْلادًا وصِرًّا مُتْأَدًا ... بِعُجُوبِ أنْقاءٍ يَمِيلُ هُيامُها

ظَبْيٌ يَرِيعُ إلى وَجارِ الضَّلَّةِ ... كَجُمانَةِ البَحْرِيِّ سُلَّ نِظامُها

حتّى إذا انْحازَ الظَّلامُ وأسْفَرَتْ ... بُكَرَتْ تَزُورُ عَنِ الثَّوَى أيْلامُها

عَلِهَتْ تَرَدَّدُ في مَحالِ صَعائِدٍ ... سَبْعًا تُؤامًا كامِلًا أيَّامُها

حتّى إذا يَئِسَتْ وأسْحَقَ خَلْقُها ... لَمْ يُلْبِ مِرْضاعُها وفِطامُها

وتَوَجَّسَتْ رِزَّ الأنِيسِ فَراعَها ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأنِيسُ سَقامُها

فَعَلَتْ كِلا الفَرْجَينِ تَحْسَبُ أنّهُ ... مَوْلَى المَخافَةِ خَلْفُها وأمامُها

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص ٣٠٧ - ٣١٢) .

حتّى إذا يَئِسَ الرُّمَّاةُ وَأَرْسَلُوا مِنْهُ ثُفَالاً وَاجِناً وَأَقَالاَ أَعْصَامُهَا

غُلْبِ الرِّقَابِ وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدَرِيَّةٌ كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا

لِلَّهِ دَرُّ عِصَابَةٍ وَأَيْقَنَتْ إِنْ لَمْ تَذُدْ أَنْ قَدْ أُتِيحَ لَهَا لَئِيمٌ حَامُهَا

فَتَنَازَعَتْ سَلَبَ امْرِئٍ رَفَضَ الصِّبَا بِدَمٍ وَغُودِرَ فِي الْمَكَرِّ سُخَامُهَا

يشبه هنا لبيد ناقته ببقرة وحشية ابتدع لها في تلك القصيدة كبيراً من التشبيهات ؛ فهو لم يكتف بوصف أعضائها فقط ، فناقته تمتاز بالقوة والنشاط والحياة والحركة إلى جانب السرعة ؛ بل استحضر لها لبيد الصور الطبيعية المختلفة من حوله ، وجعلها في أسلوب قصصي يسير به إلى عرض تلك الصور الحيّة والأحداث المؤلمة .

والبقرة الوحشية التي فقدت ولدها بعد أن تركته وذهبت للرعي فافترسته الذئاب ((هاهي تعدو مذعورة تدفعها الرياح الباردة ، ثم تلوذ بأصل شجرة وهي حزينة متألمة والمطر يسقط من فوقها وتنتشر قطراته على متنها حبات متلألئة كأنها جمان . وقد جمع الشاعر المخاوف حين صورغدوّها وتبكيرها ، وبين جزعها حين كانت تبحث عن ولدها سبعة أيام بلياليها . وتحدث عن يأسها بعد طول انتظار وطول غيبة ، وكشف عن مخاوفها وهي تتوجس رزّ الأنيس ، ثم هروبها وهي لا تدري من أين تأتيها المخاطر ، ومتى تصيبها المنية . وهكذا نجد لبيداً يقلّب الكلام ليبيّ أحوال الحيوان النفسية فهَمّه أن يمثّل المخاوف والأحزان والعواطف وهواجس النفس ، ولم يعرض للهيئة من وصف الأعضاء وحُسن البناء)) [1].

ومن خلال هذا التشبيه صوّر الشاعر بخياله الخصب البقر تصويراً عبّر فيه عما يجول في خاطره من أفكار وانفعالات ، بعبارات قوية ، وأسلوب متين . امتازت ألفاظه في هذه

(١) بتصرف عن : يحيى الجبوري ، لبيد بن ربيعة ، دار القلم ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨١م ، (ص٤٣٧) .

القصيدة وسائر قصائده بألفاظه البدوية المرتبطة ببيئته الجاهلية .

ويشبه الأعشى ناقته في كفاحها الطويل بالبقرة الوحشية ، فيقول[١] :

كَعَيْلَاءَ ضَلَّ لَهَا جُؤْذُرٌ بِقُنَّةِ جَوٍّ فَأَجْمَادِهَا
فَبَاتَتْ بِشَجْوٍ تَضَمُّ الحَشَا عَلَى حُزْنِ نَفْسٍ وَإِيحَادِهَا
فَجَاءَتْ بِطُلْلِيَّةٍ وُقِ ضَرَاءَ تُسَامِي بِأَبْلَادِهَا
فَجَالَتْ وَجَالَ لَهَا أَرْبَعٌ جَهَدْنَ لَهَا مَعَ إِجْهَادِهَا
فَمَرَّتْ كَهُبَّانِ ضَاءَ الجَلَا فَتَتْرُكُهُ بَعْدَ إِشْلَادِهَا
وَكَانَ إِذَا أَرْهَقَتْهَا عُكَّتْ عَلَيْهِ بِيَصْلَادِهَا
فَوَرَّعَ عَنْ جِلْدِهَا وَقْهَا يَشُكُّ ضُلُوعًا بِأَعْضَادِهَا
تَذَكَّرَ أُشَبِّهُهَا إِذْ غَلَتْ تَشُقُّ البُرَاقَ بِأَصْلَادِهَا
تَؤُمُّ سَلَامَةَ ذَاقِشٍ هُوَ اليَوْمَ حَمٌّ يُعَادِهَا

في أبيات الأعشى يمتد التشبيه ،فيشبّه ناقته القوية الضخمة التي تتغلب على مصاعب الصحاري ببقرة وحشيةيصوّر ما حل عليها من معارك حامية ؛ ليثبت أن قوة ناقته وسرعتها كتلك البقرة التي خلفت ولدها في (قنة جو) بين الصخور الغليظة . ثم يصور حزنها

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٧٣) .

وبهامشه : (الجؤذر : ولدها . الأجماد : جمع جمد وهو الأرض الغليظة . الشجون : الحزن . إحادها : انفرادها . ضراء : جمع ضرو وهو كلب الصيد . تسامى : تطاول . إبسادها : إغراؤها . جال لها أربع -يعني قوائمها- . إجهادها : الأرض الصلبة الباردة . أرهقتها : أي غشيتها . ميصادها : قرنها . الأعضاد : جمع عضد . البراق : جمع برقة وهي أرض متلبدة يختلط فيها الحصى بالرمل والطين . إصعادها : إرتفاعها وسيرها إلى العالية حمٌ : أي : تصد) .

العميق الذي عصف بقلبها الرؤم ؛ فقد باتت وحيدة مستوحشة لبعد ولدها عنها، وما أسلها ليلها الحزين الثقيل إلى الصباح العاصف الثقيل ، الذي هاجمتها فيه كلاب الصيد التي أغراها بها الصياد ، وظلت تلاحقها وقد أجهدتها الأرض الصلبة وأجهدت أرجلها الأربع . ونجد أن الشاعر غار في أعماق نفس تلك البقرة الحزينة على فقد ولدها وكأنها ترى وتواجه من كان سببًا في فقْد ولدها ومن أراد النيل منها ؛ فعلى الرغم من تلك الصعاب التي تواجهها إلا أنها قررت الانتقام والصمود ، ولم تجد بُدًّا من الاستبسال ، ثم ثبتت في تلك الأرض الصلبة الخالية وأخذت تقاتل وتكرّ على الكلاب بقرنها لتطعنها ، ولكي تحمي جلدها أن تنالَ فيابهُا ، وتصر على طعنها فتصيبها في ضلوعها . فالشاعر هنا أراد أن يقول : إن ناقته تشبه تلك البقرة الوحشية في قوتها وغلاظتها ، واستبسالها أمام ما تلاقيه من صعاب .

وفي إطار التشبيه الممتد يقول زهير[1]:

(١) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، تحقيق : فخر الدين قباوه ، (ص ١٨١ -١٨٦) .

وبهامشه : (الخنساء : بقرة قصيرة الأنف . السفعاء : السوداء . الملاطم : خداها . المزؤودة : المذعورة . الفرقد : ولد البقرة . جذر مدلوك : جذر قرن مدلوك (والجذر) الأصل . الكعوب : عقد العصا طباها ضحاء : أي دعاها للرعي . الكناس : حيث تستتر من حر أو برد . الشلو : بقية الجسد . تحجل الطير : أي تمشي مشي المقيد . والحجل : القيد . تنفض : أي تنظر . الخميلة : رملة ذات شجر . الغيب: كل ما استتر عنك . والغوث : قبيلة من طي . فجالت : أي جاءت وذهبت . المرصد : المكان الذي يُرصد فيه . المسربلة : اللابسة السربال وهو القميص . الرازقي : ثوب أبيض . والمعضد : المخطط . وشك البين : سرعته . والبين : مفارقة ولدها . أنفاقها : مخارجها وطرقها . السوابق : ما سبق منها . تصطد : أي تصب بقرنيها ما تقدمها من الكلاب . غمرة الموت : شدته وكربته . النجاء : السرعة في السير . والوتيرة :التلبُّث والفترة . الأسحم : قرن أسود . الغرقد : شجر. الخذاريف : جمع خذروف وهو الخرارة التي يلعب بها الصبيان . إلى جوشن : أي مع جوشن ؛ وهو : الصدر = =الخاظي : الكثير اللحم الكتنز المتراكم . المسند : الذي أسند إلى ظهرها) .

كخنساء ، سفعاءِ الملاطم ، حرَّةٍ مُسافقٍ ، مزَؤودةٍ ، أمِّ فُرقِ

لغَتْ بسلاحٍ ، مثلُهُ يُتّقى بهِ ويُؤمِ أشُجَ الخائفِ والمُحَدِّدِ

وسامعتَ تعوفُ العتَ فيهما نذرإلى مجدَلُوكِ الكعُوبِ ،مُحدَّدِ

وناظرتين ، تطَّرانِ قذاهُما كأنهما كحُولَتانِ بإثمِدِ

طَباها ضَحاءٌ ، أو خَلاءٌ ، فخالَفتْ إليه السِّباعُ ، في كِنسٍ ، ومَرقَدِ

أضاعَتلم فُغفَرْ لها خَلَواتُها لاقَت بَيانًا ، عِندَ آخِرِ مَعهَدِ

دَماً ، عند شلوٍ لَجُ الطَّيرُ حولَهُ وبَضعَ لحامٍ ، في إهابٍ ،ممَدَّدِ

وتَنفُضُ ما عنهَيبَ كلِّ وَخيلَةٍ رُماة الغَوثِ ،من كل مَرصَدِ

فجالَتْ ، على وحَشيّها ، وكأنَّها مُسَربَلةٌ ، في يازّقمُعَضَّدِ

ولم تَدْرِ وَشْكَ البَين ، حتى رأتهُمُ وقدَقُوا أنفاقَها ، كلَّ مَقعَدِ

وثارُوا بها ، من جانبيها كلَيهمتْ ، وإنجالُشمْنَها الشَّدَّ تجَهَدِ

تَبُذأُلأُ لَى يأتينَها ، من ورَائها وإنْ تلتَقَمْها السَّوَانِيُ تَطلَدِ

فأنقَذها ، من غَمْرة المَوتِ ، أنَّها رأت أنَّها إنْ تنظُرِالنَّبتُقصَدِ

نَجَجٌ مِدُّ ، ليسَ فيهِ وتيرةٌ وتَذبيبُهُعنها ، بأسحَمِذْوَدِ

وجَدَّتْ ، فألقتبينهُنَّ وبَينَها غُباراً ، كلفارتْ دَواجُغرَقَدِ

بمُتُلتَئمٍ كالخَذاريف ، قُوبلَإلىْ جَوشَنٍ ،خاظي الطَّريقة ، مُسْنَدِ

يصوّر زهير البقرة الوحشية ، من خلال عرضه لحكاية تلك البقرة ذكر تفاصيلها ، واتخذ من تشبيه الناقة بالبقرة الوحشية وسيلةً لتصوير فزع الأمومة، ومعاناتها ، وألمها ،

وعجزها ، الذي أصابها وأكثرُ من ذلك كله : الفجيعة ، وحزنها على مقتل ولدها ؛ فقد غفلت عنه وانشغلت بالرعي .

وقد حشد زهير في تشبيهاته مجموعة أوصاف لتلك البقرة ؛ فهي قصيرة الأنف ، على خدهاقُشْقُبة بسواد ، تنطلق في الصحراء من أرض إلى أرض ، مذعورة قلقة ومضطربة ؛ لأجل ولدها الذي تركته في كناس وذهبت للرعي .

ثم يصف قرنيها اللذين تتقي بهما العدو ، ويصف أذنيها المرهفتين التي تتسمع بهما حركة العدو ، ويصف عينيها الواسعتين كأنهما مكحولتان بإثمد ، تترقب بهما في حذر ما يدور حولها .

ثم ينتقل إلى وصف عواطف الأمومة عند البقرة الوحشية التيجسّدت العجز والحزن واللوعة ،وصوّر انفعالاتها الحركية والنفسية التي تظهر من خلالها غريزة الأمومة ؛ فتلك اللحظات التي غفلت فيها عن ولدها كانتمصدرًا لفزعها ولوعتها وحزنها العميق ، حيث عادت مسرعة بعدما رعت وألبنضرعُها ، فأرادت العودة كي ترضع ولدها ، وعندما لم تجد ولدها أصابتها الصدمة والذهول . وفي مكان ليس ببعيد راعها هول المشهد ؛ حيث تحولت طمأنينتها إلىخوفٍ وفزع حين رأته أشلاءممزّقة ملاقة على الأرض ودماؤه تسيل من حوله بفعل تلك السباع ، ثم أخذت تعدو في تلك الصحاري وهي في حركة مستمرة غير منتظمة ؛ تارةً ذات اليمين وتارةً ذات الشمال ، وعيناها يملؤها الخوف ، فهي قاربت على الهلاك ؛ لأن سهام رماة الصيد توشك أن تصيبها . ويزداد خوفها وحركتها عندما تُرسل الرماة الكلاب خلفها تطردها ؛ فهي تارة تسبقها والكلاب تسبقها تارة أخرى ، وأخذت ترى أنه لا بد من المواجهة وأن تذب عن نفسها بقرنيها ، فأخذت تطعن هذا وتصد هذا حتى استطاعت أن تنجو من الموت .

لقد رصد زهير كل تلك التشبيهات التي تجلّت من خلالها خطيئة الأمومة وحزنها ؛

ليصف لنا إعجابه بتلك الناقة التي ألبسها شتى المعاني مقوةٍ وضخامةٍ ،وإقدامٍ .

خامسًا : الأمومة المحضة (الناقة ـ البقرة الوحشية ـ الخيل ـ الأتان) :

يُقصد بالأمومة المحضة هنا: الأمومة الخالصة بكل جوانبها ؛ فمن الأم اشتقت الأمومة التي هي عاطفة أودعها الله -تعالى- في الأنثى (إنسان أو حيوان) الوالدة السوية ؛ لتدفعها إلى كثير من الشفقة والحنان والعطف ، والحرص ، والتربية والعناية .

والأمومة المحضة هي التي اجتمعت فيها كل صفات الأم التي فطرها الله عليها ؛ من حملٍ وولادةٍ ،وإرضاعٍ ،وفطامٍ وتربيةٍ وعنايةٍ .

لقد بين ّ من خلال فحص أبيات الأمومة المحضة أن عدد أبيات التشبيه في الأمومة المحضة أقل من أبيات الكناية والاستعارة . كذلك ظهر التشبيه في الأمومة المحضة عند الشعراء الجاهليين من خلال تصويرهم لأمومة الناقة ، والظباء ، والأتان ، والخيل . واتسمت كل تلك التشبيهات بالقصر َ فقط ، وبدا أن التشبيه في الأمومة المحضة يركز على جانب الأم الحقي ّ بما فيها من أوصاف ؛ كالحمل ، والإرضاع ، والفطام ، والرعاية ، والعناية الأمومية . ومن هذه الكلمات التي رددها الشعراء في أشعارهم : (البازل - المخاض - الشول - الغبر - العوذ - العشار - الإيزاغ - اللقاح - المطافيل - الحائل) . وقد جاءت الناقة في جميع تلك الأبيات مشبهًا به لامشبهًا .

وكانت أبيات التشبيه عند الناقة متنوعة من حيث السياق ، فقد جاءت في سياق الفخر؛ كقول النابغة الذبياني[1] :

---

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص٨٧) .

وبهامشه : (عسرت : دفعت أكفها بالسيوف كي تمنع الناقة من الفحل إذا حملت . المخاض : الحامل إذا دنا وقت ولادتها) .

وقد عَسرَ تْ من دُونهم بأكُفِّهم بنو عامرٍ عَنِ المَخاضِ المَوانعِ

يشبه قومه أنهم حمَوا حلفاءهم فرفعوا أكفهم بالسيوف كما ترفع الناقة ذنبها وتشول به ممتنعة من الفحل إذا حملت .

وقال عروة بن الورد[١]:

رحَلْنا والأَجَالُ أَجالُ طَيٍّ سَنَوُقُ النّاءَ عُوذَها وشارَها

يشبه النساء السبايا وقت الحرب بالعوذ والعشار ؛ أي : حديثة النتاج ، التي قربت أن تضع حملها وقصَد أن منهن حواملاً ومنهن مراضعًا . والأمومة المحضة تجلت في قول الشاعر (عوذها وعشارها) وهي حديثة النتاج التي قربت أن تضع حملها .

ويشبه عبيد بن الأبرص الغيوم السوداء فيقول[٢] :

جَوْنٌ تُكَرِّرُهُ الصَّبَا وَهنًا وتَمْرِيهِ خَرِيقُهْ

مَرْيَ العَسِيفِ عِشارَهُ حَتّى إذا وَتَّعْرُوقُهْ

الشاعر الجاهلي ابن بيئته الجاهلية التي ينتقل فيها من مكان إلى آخر بحثًا عن الماء والكلأ ، وهو يجد في شعره علاقة بين مظاهر الطبيعة من حوله وبين الناقة التي لا تفارقه ؛ عالمًا بصفاتها وشئونها الحياتية ؛ من حملٍ ،وإرضاعٍ ،وفطامٍ ...الخ .

(١) عروة بن الورد ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، بيروت ، (ص٤٣) .

وبهامشه : (عائذ : وهي حديثة النتاج . العشار : التي قربت أن تضع) .

(٢) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، (ص٨٤) .

وبهامشه : (الجون : الأسود . تكركره : تعيده مرة بعد أخرى ، الصبا : الرياح الآتيه من الشمال أو من الشرق . تمريه: تنزل مطره . الخريق : الرياح الشديدة . مري : مسح ضرعها لتدر . العسيف : العبد أو الأجير . العشار : اللقاح) .

فقد شبه الشاعر الغيوم السوداء التي تمر عليها الرياح مرة بعد أخرى من الشمال أو الشرق فينزل المطر -بالأجير الذي يمسح على ضرع العشار اللقاح مرة بعد أخرى لتدر هذه النوق بألبانها .

وشبه عمرو بن شأس الأسدي عيني الصاحبة بعيني ولد البقرة الوحشية وهو ينظر القطيع ، فقال[١] :

إلَيَّ سَتَتْكَ بَجِيرِ رِئْمٍ وعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ يَلْهُو بِيَا

وقال خفاف السلمي[٢]:

كأنّ الحُداةَ المشايِعَ وَسطَهُ وعوفًا طافيلا بأمْعَزَ تَصدقُ

هنا تظهر الأمومة المحضة عندما قال : (وعوفًا طافيلا) ؛ فهو يشبه صوت هدير السيل وتدافُعه بصوت حُدَاة يحدون عوفًا طافيلا ؛ وهي : النوق حديثة الولادة ، والنوق ذات الولد .

وأبيات التشبيه في الأمومة المحضة عند البقرة الوحشية والخيل والأتان قليلة بالنسبة لأبيات الناقة ، وقد يرجع ذلك إلى أن الشاعر ابن بيئته الجاهلية ، والناقة عنطَرَس ٌ في حياة الجاهلي ؛ فهي ترافقه أكثر من غيرها من الحيوانات : في حلّه وترحاله ، وفي سلمه وحربه ،

(١) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، (ص٦٣) .

وبهامشه : (الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . يقرو : يتتبع ويخرج من أرض إلى أرض . الصريمة: طَع الرمال).

(٢) خفاف السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد نبيل طريقي ، (ص٧٨) .

وبهامشه : (الحداة : جمع حاد وهو الذي يحدو الإبل ، أي يسوقها ويغني لها . والمشايع : مفاعل من شايعت الإبل ، إذا دعوت لها لتجتمع وتنساق . العوذ : جمع عائذ ، وهي الناقة الحديثة الولادة . والمطافيل : جمع مطفل : وهي الناقة ذات الولد . والأمعز : الأرض الخشنة الغليظة ذات الحجارة) .

يعيش ويتعايش معها . بخلاف تلك الحيوانات التي قد تعرض لعرضٍ ما في الصحاري ، أو قد تكون أقلّ رفقةً من الناقة .

وبدا أن التشبيه في الأمومة المحضة عند الخيل والأتان جاء في سياق الهجاء والوصف فقط ، وكانت قليلةمقارنةً بما قيل في الناقة ، كما أن ألفاظها تحمل معاني الأمومة التي سبق ذكرها ؛ كقول الحطيئة في هجاء الأعداء[١]:

وَلَنْ يَفْعَلُوا حَتَّى تَشُولَ عَلَيْهِمُ بِأُشْهَبَ تَشْوَلُ المَخَاضَ القَوَطَّفِ

يهجو القوم ، فيقول : إنهم لن يدخلوا في الصلح حتى تقع الحرب ، وتهاجمهم الخيول وهي رافعة أذنابها كما تشول المخاض بأذنابها .

وقالمزرّد بن ضرار الذبياني يهجو زرعة بن ثوب[٢] :

أَطَاعَ لَهُ الغَمِيرَ بِتَلْعَةٍ حِمَارٌ يُرَاعِي أُمَّهُ غَيْرَ سَافِدِ

ظهرت الأمومة في هذا البيت في الشطر الثاني (حمارًا يراعي أمه غير سافد) فقد هجا الشاعر خصمه وشبهه بالحمار الذي يرعى مع أمه في المراعي الخضراء ولا يبتعد عنها .

---

(١) الحطيئة ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، بيروت ، (ص١١٩) .

(٢) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٨١) .

وبهامشه : (اللّذ أخذ الدابّة الكلأ بمقدم فمها . الغمير : النبات الأخضر غمره اليابس . التلعة : ما ارتفع من الأرض . غير سافد : أي هو لا ينزو عليها) .

والشاعر هو : مزرد ، لقب له . واسمه : يزيد بن ضرار بن حرملة بن أصرم بن إياس بن عبد غنم من بني ذبيان بن بغيض بن ربث بن غطفان الذبياني الغطفاني ، شاعر فارس مشهور ، أدرك الإسلام . = = يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧٥) .

سادسًا : عجز الأم عند الأتان وحمار الوحش :

صوَّر الشاعر الجاهلي حمار الوحش وأتانهوفقًا لتأملاته للحياة وانفعالاته وخواطره .

والشعراء الجاهليون جعلوا من الأتان خير من يمثل عاطفة العجز الأمومي ، بينما لم نجد لديهم تصوير الحنان عند تلك الأتان ، ولعل لسلوك تلك الحمر والأتان وطبيعتها علاقة بذلك .

والتشبيه كان من أهم الوسائل التيعبر وا بها عن عجز الأم ، وقدتم ذلك داخل بنية التشبيه . وتنوع ذلك التشبيه بالقصر والطول ، ويقع الحمار والأتان في الغالبمشبهًا به وأحيانًامشبهًا . وقد بدا ذلك العجز الأمومي بأشكال عدة ؛ منها : تشبيه الشاعر ناقته بحمار الوحش ؛ كما في قول كعب بن زهير[١] :

كأنَّالرَّحْلَ وَهْيَ لهُفَوْقَ جَأْبٍ يُقَلِّبُ آتُنًاخُلُجًا حِيَالا

بدا عجز الأمومة من خلال التشبيه ؛ فهو يصف ناقته بالقوة ، ويشبهها بحمار الوحش ، بجامع القوة والشجاعة ؛ فهو القوي المتسلط الذي يقضي على الصغار من خلال قتلها أو نفيها ، فالحمار لا يرضى أن يشاركهأحدٌ في ملكه ، والأتان تستسلم وتقف عاجزة عن حماية صغارها .

ويشبّه لبيد ناقته بالثور أو الحمار ، فيقول[٢] :

---

(١) كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق : مفيد قميحة ، (ص١٣١) .

وبهامشه :الرَّحْل : ما يوضع على ظهر الدابة ليركب عليه . الجآب : الغليظ منحمُر الوحش . الخلج : التي اختلجت من أولادها ففصلت عنها جحاشها . والخلوج : التي اختلج عنها ولدها بذبح أو بموت . الحيال : جمع حائل وهي التي حال عليها الحول ولم تحمل) .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص ٨١ - ٨٢) .

أذلكَ أمِ حمارٌ عراقيٌّ شتيمٌ أرنَّ نحائصَ كالمقالي

فَوَى حشْانَهَ بجمادِ قَوٍّ لحيطٍ مَا يلامُ عَلى الزيالِ

وأمْكَنَهَا الصِّلبُ حتّى تَمَلْخَاضُ مُ الحلِيلَ

يشبّه لبيد ناقته بالثور تارةً ، وبحمار عراقي تارةً فكلٌّ من الحمار والثور (المشبه به) امتاز بالقوة والصلابة ، وهذا دليل قوة وضخامة ناقته (المشبه) . وهذا التشبيه تشبيهٌ ضمنيٌّ يعتمد على الاستفهام في قوله : (أذلك؟) ، ثم يدلل على قوة ذلك الحمار كريه الوجه يصيح على الأتان ليس معهن أولاد أو ذوات أولاد ؛ فهو يطرد الجحاش (صغار الأتان) ، وينفي هؤلاء الجحاش الصغيرة عن أمهاتهن لغيرته ، ومخافة أن تغلبه حين تشب . وهذه الأتن عاجزة عن رد ذلك أو الدفاع عنهن أمام فحل غاضب ؛ فالشاعر يصف حال الأم العاجزة عن حماية أولادها أمام هذا الفحل القوي . نلاحظ هذا التشبيه الذي جلبه الشاعر لكي يثبت لنا قوة هذه الناقة . فالشاعر اختار عاطفة الأمومة خير وسيلة لذلك ؛ لأن الأتان (الأم) تستميت في دفاعها عن أولادها ، وتبذل كل ما بوسعها لمواجهة كلّ من يقترب من حمى صغارها . ولكنه هنا صورها لنا على أنها عاجزة عن مواجهة ذلك الحمار لقوته وضخامته ، فما كان منها إلا أن تتجرع مرارة الحزن ، وتقف عاجزة أمام فحل بها وبصغارها .

ويصوّر الأعشى لوعة الأتان العاجزة أمام صغيرها ، فيقول [1] :

وبهامشه : (شتيم : كريه الوجه كأن كل من يراه يشتمه . النحائص : اللواتي ليس معهن أولاد . والنحوص: التي قد حالت فلم تحمل .أرنّ : صاح ونهق . كالمقالي : وهي العصا التي تكون بأيدي الصبيان يلعبون بها . الجماد : أرض صلبة . وقو : بلد . ما يلام على الزيال : يقول : ما يلام على أن لا يكون معه فحل . الصلب : الغليظ المنقاد المرتفع من الأرض) .

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق ، محمد حسين ، (ص٧) .

وبهامشه : (عنتريس : صلبة قوية . المصلصل : حمار أوحش لكثرة نهيقه ؛ من صلصل الشيء ؛ أي نصوّت.

عنتريس تَعْدو إفلسَّ هالسَّوْ ط كَعَدْوِ الصَلْ الجَوَلِّ

لا حَالُ الصَّيفُ والصيَّال وإشْ ما ق عليه عَقْ كَقَوْسِ الضالِّ

مَلْمَعْلاً عَةُ الفؤاد إلجحَ ـــ ـش فَلاه عَنها فَزِعْ الظَلِي

ذُوأَةٍ عالخليط بجَ الـ ـنفس رِيهَ يِ مَراغَه باللآلِ

غَارَ الجحْ في الغبار وعَدّا هَ لخَ يلتَطُ وَّ الأَحْالِ

في هذه الأبيات شبّه الأعشى ناقته الغليظة الصلبة التي تعدو كحمار الوحش الجوّال الذي لا يستقر ، وقد أهزله الصيف الجاف والإشفاق على أتان ناحلة هزيلة كأنها قوس من شجر الضال . وصورها الأعشى وقد ظهر حملها في بطنها ، ثم شفّها الحزن وأوجعها على صغيرها الذي فصله الحمار عنها ، فآذاه الفصال . وصورها الشاعر عاجزة أمام هذا الحمار الغليظ القَوّ الذي لا تستطيع مواجهته لقوته وصلابته ، ثم يصفه بأنه يتمرغ في الأرض فيتساقط شعره منه ، ثم راح يدفع أتانه إلى مورد الماء فقد سيطر على تلك الأُتُن ، وكانت عاجزة عن حماية نفسها وصغارها .

سابعًا : حنان الأمومة عند اللبؤة :

تحنُّ اللَّبُؤَة على صغارها كسائر الحيوانات ، ويشاركها الأسد ذلك الحنان والحرص على أشباله . وتنحصر التشبيهات عند اللبؤة والأسد في المعاني التي جلبها الشعراء الجاهليون فأسقطوها على أنفسهم وعلى ممدوحيهم ؛ فيتجلى من خلالها الحنان على الصغار عند اللبؤة

الصيال : مصاولة الفحول من حمر الوحش . الصعدة : الأتان . الضال : شجر تتخذ منه القسي . ملمع : قد استبان حملها في ضرعها فأشرق ضرعها باللبن . لاعت : لاع يلوع لوعة ؛ وهو : أشد الحزن . الافتلاء : الفطام . المراغة : المكان الذي تتمرغ فيه الدابة وتتقلب على الأرض . النسال : ما سقط عنه من الشعر) .

والأسد . وكان ذلك الحصر في سياق الفخر ، أو المدح .

وكذلك اتسمت كل تلك التشبيهات بالحضر ووضع الشعراء اللبؤة والأسد في موضع المشبه به دائماً . وتصوير الأمومة عند اللبؤة والحنان عند الأسد له طابع خاص عن بقية الحيوانات ؛ لأنه يقتصر على تصوير مدى القوة والشجاعة والاستبسال في حماية الصغار من الأعداء .

والخنساء أكثر الشعراء الذين جلبوا صورة الأمومة عند الحيوان ؛ من خلال ذكر شجاعة اللبؤة والأسد عند حمايتهما ودفاعهما عن أولادها . تقول [١] :

يَذُودُ هُمُ عَنْ حَامِيَاتِ الذِّمَارِ شِدَّة كَلَيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ شَبِلَانِ

ترثي أخاها وتفتخر بقوته وشجاعته فتشبهه بالأسد الذي يحمي عرينه حنانًا وحرصًا على أولاده . فالخنساء رأت في أخيها الشجاعة والقوة والاستبسال والذود عن الحمى ، فشبهته بالأسد الذي امتاز بالقوة والشجاعة التي وظفها في حماية عرينه وحماية أشباله والذود عنهم لحنانه وحرصه عليهم .

وتشبّه الخنساء أيضًا شجاعة أخيها بشجاعة الأسد الذي له أشبال يحميهم ، فتقول[٢] :

كَأَنَّ لَهُ إِذَا مَا بَدَا يَخَافُونَهُ أَبَ أَشْبُلِ

مُدِلاًّ مِنَ الأُسْدِ ذِي بِدَةً حَمَى الجَزْعِ فَلْمُنْزِلِ

(١) الخنساء ، الديوان ، دار صادر (ص ١٠٩) .

وبهامشه : (يذودها : يدفعها ذائدُه : المدافع عنها) . عرينًا : العرين : مأوى الأسد الذي يألفه . اللسان (ع ر ن) . بدة الشعر المجتمع على زبرة الأسد . اللسان (ل ب د) .

(٢) الخنساء ، الديوان ، دار صادر بيروت ، (ص١١٧) .

وبهامشه : (الورد : الأسد . المدل : الواثق بنفسه . الجزع : مكان القوم) .

تشبّه الخنساء شجاعة أخيها وهيبته في نفوس أعدائه حينما بدا لهم أو عندما يرونه ، وكأنهم رأواأسدًا له أشبال فيخافونه ولا يجرؤون على الاقتراب من واديه أو من أشباله ؛ لأنهم يعلمون مدى حرصه وحنانه على صغاره . وهذايدلّل على أن الشعراء اقتبسوا من قوة عواطف الحيوان ؛ كعاطفة حنان الأب التي تتساوى مع حنان الأم على صغارهـ ؛ ليصوروا أو يعبر ّ وا عما أرادوا . كالخنساء التي أرادت أن تصف وتصور قوة أخيها فشبهته بالأسد ، ولم تكتف بذلك ؛ بل عينت الأسد الذي له أشبال يحميهم ، فحينها تكون عاطفة الحنان لديه متأججة في سبيل حماية صغاره ورعايتهم .

ويقول الجميح الأسدي في امرأته [1] :

أَمَّا إِذَا حَرَدَتْ حَوْلِيَّةٌ جَرْلَاءُ تَمْغَطُ غِيلًا غَيْرَ مَقْرُوبِ

يهجو الشاعر زوجته ، فيشبهها إذا واثبته وقصدته باللبؤة التي لها جراء تضعها في الغيل -وهو الشجر الملتف- وتحميها فلا يقربها أحد ؛ كما أنها تكون أشد غضبًا عند اقتراب أحد من حماها ، فهي تحرص على صغارها وتحن ّ عليهم . والشاعر اختار اللبؤة في تشبيه زوجته ؛ لقوتها وقوة عاطفة الأمومة عندها ؛ لأنها تكون في غاية الغضب وشدته عند الاقتراب من صغارها .

(١)ديوان بني أسد ، تحقيق : محمد علي دقه ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، (ص٣٥) .

وبهامشه : (حردي : قصت قصدي . المجرية : ذات الجراء ، جمع جرو . الجرداء : المتساقطة الشعر . الغيل : الأحيمة والشجر الملتف) .

والشاعر هو : منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، كان منقذ من فرسان الجاهلية يوم الغارة على ابن النعمان بن ماء السماء . قتل منقذ يوم شعب جبله عام مولد النبي -صلى الله عليه وسلم- .

يُنظَر في ترجمه : عزيزة فوال ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص ٨٢) .

ويُظهر باعث بن صريم حنان الأمومة عند جماعة الأسود في دفاعها عن صغارها ؛ من خلال فخره بشجاعة قومه؛ إذْ يقول(١):

وَبِيَكَةٍ سُفْعِ الوُجُوهِ بَوَاسِلٍ كَالأُسْدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا

قَدْ قُلْتُ أَوَّلَ عُنْوَانٍ عِيَالِهَا فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيبَةٍ أَمْثَالِهَا

يفتخر بقومه وقوة جيوشهم التي اعتادت على الغارات والحروب ، وسودت وجوههم بسبب ما لاقوا من تعب الحروب ؛ فهو يشبههم في قوتهم ونجدتهم وبأسهم بجماعة الأسود إذا دافعت في قوة واستبسال عن أولادها لحمايتهم والدفاع عنهم ، فقومه البواسل الذين يبذلون كل ما أوتوا من قوة ليحموا ويدافعوا عن المستغيث بهم من النساء والأولاد ، همكالأُسْد تدافع وتذود وتحمي أشبالها بكل قواه ؛ لحنانها وحرصها عليهم .

ويشبه قيس بن عزارة (أحد الشعراء الهذليين) ممدوحه باللبؤة التي تحمي شبلها ، فيقول(٢):

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، محمد محمود شاكر ، (ص ٥٣٦) .

سفع : السواد والشحوب . اللسان (س ف ع) . تذبّ : الدفع والمنع . اللسان (ذ ب ب) . عنفوان : من العنف ضد الرقق . اللسان (ع ن ف) .

والشاعر هو : باعث بن صريم بن تميم بن ثعلبه بن غبر بن حبيب بن كعب بن يشكر . شاعر جاهلي .= من =فرسان بني غبر الشجعان في الجاهلية .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال ، معجم الشعراء الجاهليين (ص٤٨) .

(٢)ديوان أشعار الهذليين ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، (ص٥٩٩) .

وبهامشه : (ألفيته : وجدته . المضاف : المنهزم . صبحاء : لبؤة لونها أصبح أغبر إلى الحمرة . وتحيد : موضع الحيدودة ؛ يصفه بالحزم والثقافة . وتحيد : تروغ كما يحيد الرجل يقاتل ، فيروغ أحيانًا مُلْحمة : تطعم اللحم ولدها . جريوا حدٍ : كاسوا حدٍ سألتَ : صارت أسدًا) .

أَلْفَيْتُهُ يَحْمِي المَضَافَ كَأَنَّهُ صَجْأَءُ حُقَمِيٌّ شَبِلَهَا تَحِيدُ

صَجْأَءُ مُطْعِمَةٌ جَرِيمَةَ وَحَدٍ سَأَلَتْ وَنَازَعَهَا اللَّحَامَ أَسْوَدُ

ظهر هنا حنان الأمومة عند اللبؤة من خلال تشبيه الممدوح الذي يحمي المنهزم باللبؤة ذات اللون الأغبر ، التي تحمي شبلها ، وتقاتل بين الأسود وتستأسد فيه ؛ بل صارت كالأسود في قتالها من أجل أن تطعم اللحم صغيرَها .

فالشاعر يصور أعمق مشاعر حنان الأم على صغارها ؛ فهذه اللبؤة لشدة حنانها وحرصها على صغارها لم تعتقرِ ن بين قوتها وقوة من تواجه ، وتقاتل كأنها أسد . وتلك القوة إنما هي قوة ومشاعر عاطفة حنان الأمومة عند هذه اللبؤة .

ثامنًا : عجز الأمومة وحزنها عند الخيل :

الخيل عند العربي ثروة من ثرواته ؛ عليه يغزو ، ويدافع عن النفس . فالغزو عنصر رئيس للبقاء في الحياة البدوية الجاهلية ؛ فعلى ظهور الخيل يقاتل ويخوض المعارك . ونجد في قصائد الشعراء الجاهليين علاقة بين المرأة والخيل ؛ ((فالمرأة التي تلد المقاتلين هي رمزٌ للخصب وللخير في المجتمع الجاهلي ، والخيل التي تهزم العدو وتظفر بالغنيمة هي رمزٌ للخصب والخير))[1] . فصورة الأمومة عند الخيل تظهر في الشعر الجاهلي من خلال وصفهم لما يحلّ بخيولهم وصغارها أثناء خوض المعارك ؛ فهي تطرح حملها ، ويسيل سلاها ، وتنبذ

والشاعر هو : قيس بن عزارة الهذلي ، شاعر جاهلي ، والعزارة أمه ، أبوه خويلد بن كاهل بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركه .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص ٣٠٠) .

(١) حمود الدغيشي ، الخيل في الشعر الجاهلي ، دار جرير ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، (ص٢١٧) .

أفلاءها.

نجد أن عاطفة الأمومة عند الخيل لهاحضورٌ عند الشعراء الجاهليين عبر عنه الشعراء من خلال التشبيه الذي امتلأ القصر ، وقد جعل الشاعر الخيل وصغارها في تلك التشبيهات تارةً مشبهًا ، وتارةً مشبهًا به .

وبدا أن أبيات عجز الأمومة وحزنها عند الخيل أقل من الأبيات التي تختص بالحزن عند الناقة والظباء ، وقد يكون مرد ذلك إلى أن الشاعر العربي الجاهلي جعل من الخيل رمزًا للشجاعة ، والفروسية ، والبطولة ، فكان تصويره لتلك الأمومة في سياق الفخر والمدح أكثر من العجز .

ويظهر عجز الأمومة للخيل حين يفتخر النابغة الذبياني بقومه ويحنو عليهم ، فيقول(١):

تُشلى توابعها إلى أُفِّها خبَبَ السِّباع الوُلَّهِ الأبكارِ

يفخر الشاعر بقومه وبخيلهم وبصغارهم ، ويشبه خبب صغار الخيل إلى أمهاتها حين تدعوها بخبب السباع الأبكار الوالهة التي فقدت أولادها .

ويفتخر رجل من عبد القيس بقوته وشجاعته ، فيقول(٢) :

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص٦٠) .

وبهامشه : (تشلي توابعها : أي ترعى أولادها إليها ،الأُفّ : جمع إلف وإلفة ، وهي التي تألف غيرها وتسكن إليه . خبب السباع : أي تدعو الصغار من الخيل أمهاتها فتخب إليها خبب السباع . الواله : الفاقدة أولادها الحزينة . الأبكار : جمع بكر وهي التي وضعت أول بطن) .

(٢) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧٠) .

وبهامشه : (نفذتهم : نفدت فيهم . الفلو : ولد الفرس أو الأتان) .

إذا نَفَرَتْ كُرَّتْ عليهمْ كأنّ فَوُّها فيهم بِكْرِ

يشبه الشاعر قوته في هذه الحرب بقوة فرسه ، وكأنه يريد أن يأخذ الثأر لولده بالفرس التي تطلب الثأر لولدها ؛ فهو في الظاهر يتحدث عن قوته وشجاعته ، ولكن نجد عاطفة الحزن التي أصابت الشاعر والخيل هي التي بثّتوحرّكت تلكالقوّة والشجاعة في نفس الشاعر والخيل .

وقال الأعشى في مدح قيس بن معد يكرب[1] :

مَقَادَكَ بَالخيلِ طُسْ العدَوْ وجَدْعَانَهُا تَكَلَفِيْ العجَمْ

هنا يصور عاطفة عجز الأمومة للخيل حينما يمدح قيس بن معد يكرب بأنهيُبعد في الغارة على أعدائه ، فيقود الخيل في أرض الأعداء لمسافات طويلة ، وصغار الخيل لا تقوى على ذلك السفر ، فتسقط أجنتها وكأنهم العجم الذييُلفظ . فهنا يشبه صغار الخيل بالعجم الذييُلفظ دلالة على عجزها ومعاناتها . فالشاعر أراد أن يثبت قوة وشجاعة ممدوحه الذي يقود الخيول الكثيرة فصوَّر ما يحل بتلك الخيول جراء ما تلقى في الحروب التي تسقط بسببها أجنتها ، وتعجز عن حماية صغارها .

تاسعًا : حنان الأمومة عند الخيل :

لجأ الشعراء الجاهليون في تشبيهاتهم للخيل إلى الحياة والبيئة الجاهلية ، وكانت كثيرة

والشاعر هو : يزيد بن سنان بن أبي حارثة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وهو أخو هرم بن سنان .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، تحقيق : عبد السلام هارون ، أحمد شاكر ، (ص٧٠) .

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣٧) .

وبهامشه : (الجذعان : جمع جذع وهو ولد الشاة في السنة الثانية . العجم : النوى . لفيظ : ملقوط من الفم).

متنوعة . وعند إحصاء واستقراء الباحثة تلك الأبيات بدا أن الحنان الأمومي ينحصر عند الفرَس من خلال تشبيه واحد لم أجد غيره ؛ كان في موضعين عند الشعراء الجاهليين . فهم يشبهون بياض البرق في السحاب ببياض بطن الفرس التي ترفع يديها أو رجليها لتحمي أولادها حنانًا وحرصًا عليهم . قال خفاف السلمي[١] :

كأنّ تكشّفه بالنّشا ص بُلْقٌ تكَشَّفُ عن مِهارَا[٢]

فهو يشبه البرق الذي يتكشف في السحاب المرتفعا بالخيل البُلق التي فيها بياض وسواد ؛ حين ترفع رجليها حتى تحمي مهارها ، حنانًا عليهم وعطفًا.

في ختام الحديث عن التشبيه لا بد أن أشير إلى ما لهذا الأسلوب من أثرٍ نفسيٍّ لدى الشاعر والقارئ ؛ فهو يكشف عن رؤية الشاعر وحاله النفسية إزاء الظاهرة التي يتناولها ، وهو يهيئ نفس القارئ لتلقّي هذه المشاعر والأحاسيس التي امتلأت بها نفس الشاعر .

ولم يكن الشاعر الجاهلي بعيدًا في تشبيهاته عن بيئته ، إذْ راح يلتقط منها ما يصور به أحاسيسه ومشاعره ؛ لذا جاءت تشبيهاته تعكس شعوره وحالات نفسه ؛ كالفرح ، أو الحزن ، أو الحنان ، أو العجز ، أو الخطيئة .

ومن خلال استقراء شعر الأمومة عند الحيوان في الشعر الجاهلي رأينا كيف تقلّبت صورة الأمومة لدى الشاعر الجاهلي وفقًا لحالته النفسية ؛ فالناقة والظبية والبقرة ، وكذا سائر الحيوانات التي استوقفت الشاعر الجاهلي فقلبت حالاتها في شعره لتعبرّ عن معانٍ مختلفة تعبرّ

(١) خفاف السلمي ، الديوان ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، (ص ٤٩) .

(٢) الديوان ، (ص ٤٩) .

وبهامشه : (تكشفه : أي ظهوره . النشاص : السحاب المرتفع . بلق : أي خيل أبلق وهو الذي في لونه سواد وبياض . المهار : جمع مهر وللفرَس) .

عن الحالة النفسية التي هو عليها ، فرأينا حنان الأمومة ، ورأينا عجزها ، ورأينا حزنها ، ورأينا نفيها . كل ذلك وفق حالة الشاعر النفسية ، وما يريد أن ينقله إلينا من مشاعر .

ولعل في الشواهد التي وقفت عليها في مبحث التشبيه هذا ما يؤكد ذلك ؛ فقد تعدّدت الصور التشبيهية عند الشاعر ؛ لتنقل الجو النفسي الذي يريد أن ينقله الشاعر إلينا ، ويضعنا فيه ؛ فلمحْنا قوة عاطفة الشاعر مع قوة الناقة ، ورقة مشاعره مع رقة الظبية .. وهكذا .

لذا فالباحثة تؤكد أن الشاعر الجاهلي كان على دراية ووعي باستخدام التشبيه ، ومحاولة الوصول به إلى أغوار النفس ومكنونها ؛ ومِن ثَمّ إيصاله إلى المتلقي .

ثانيًا : الكناية :

مدخل :

الكناية في اللغة : ((أن تتكلّم بشيء وتريد غيره . وكنى عن الأمر بغيره . والكنية على ثلاثة أوجه : **أحدها** أن يُكنى عن الشيء الذي يُستفحَش ذكره . و **الثاني** :أن يُكنى الرجل باسم تعظيمًا وتوقيرًا . و **الثالث** : أن تقوم الكنية مقام الاسم ،فيُعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه ؛ كأبي لهب اسمه عبد العزى ويُعرف بكنية فسماه الله بها))[١] .

الكناية عند بعض العلماء السابقين :

من أوّل العلماء الذين تحدّثوا عن الكناية أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن)، فعرّف الكناية عندما بأنها :كل ما فُهم من سياق الكلام ، من غير ذكر اسمه الصريح))[٢] .

أما الجاحظ فقد تناول الكناية بمفهومها العام ؛ حيث قال في (البيان والتبيين) : ((ربّ قليل يُغني عن الكثير ،كما أنّ ربّ كثير لا يتعلّق به صاحب القليل ،بل ربّ كلمة تُغني عن خطبة وتنوب عن رسالة ،بل ربّ كناية تزيّن على إفصاح ولحظ دليل على ضمير ، وإن كان ذلك الضمير بعيد الغاية على النهاية .ومتى شاكَل -أبقاك الله-ذلك اللفظُ معناه وأعرب عن فحواه ،وكان لتلك الحال وفقاً ولذلك القدر لفقًا ، وخرج من سماجة

(١) اللسان ، مادة (ك ن ى) .

(٢) أبو عبيدة معمر بن المثنى تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الأولى ، د ت، (ص١٨) .

الاستكراه،وسلم من فساد التكلُّف كان قميناً بحسُن الموقع ، وبانتفاع المستمع ...))[١] .

والمراد بالكناية كما عرّفها الإمام عبد القاهر الجرجاني - : ((أن يُريد المتكلم إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُ باللّفظ الموضوعِ له في اللُّغة،ولكن يجيءُ إلى معنى هو تاليه وردِفُه في الوجود، فيومئ بهِ إليه ،ويجعلهُ دليلاً عليه . مثال ذلك قولهُم : (هو طويلُ النَّجاد) ؛ يريدون طويلَ القامة))[٢] .

والكناية حسب تصنيف السكاكي : ((تتفاوت إلى تعريضٍ ، وتلويحٍ، ورمزٍ ،وإيماءٍ ، وإشارةٍ))[٣] .

ويعرّف الخطيب الكناية بأنها : ((لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ؛ كقولك : (فلان طويل النجاد) ؛ أي : طويل القامة))[٤] .

ويرى الدكتور محمد شادي أنها : ((فنٌّ من فنون البيان ، وركن من أركانه الأساسية . وهي تستمد قيمتها من الغايات التي تقوم بها . ولقد التفت إليها القدماء ولاحظوا من شواهدها أنها فن متميز لا يلتبس بالتشبيه ولا بالاستعارة ، وكان هذا واضحًا من خلال تعريفهم الكناية تعريفًا يحددها ، ويُبرز تميزها عن غيرها))[٥] .

وتؤدي الكناية دورًا أساسًا في تشكيل الصورة الواقعة المشاهَدة التي تحوي معانيَ عدّةً تشير إلى صفاتٍ خاصةٍ تتعلق بتلك الصورة .

(١) الجاحظ ، البيان والتبيين ، (١/ ٢١٦) .

(٢) محمود محمد شاكر ، دلائل الإعجاز ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م) ، (ص٦٦) .

(٣) المرجع نفسه ، (ص١٦٢) .

(٤) عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، (ص٥٠-٥١)

(٥) محمد شادي ، أساليب البيان والصورة القرآنية ، (ص٣٨٩) .

يقول عبد القاهر في (الدلائل) عن دور الكناية : ((ليس المعنى إذا قلنا إن الكناية أبلغ من التصريح أنك لما كنَّيتَ عن المعنى زِدْتَ في ذاته ؛ بل المعنى : أنك زدت في إثباته ، فجعلته أبلَغ ،وآكَد ،وأشدّ))[١] .

فكيف تجعل الكناية الكلام آكد وأبلغ وأشد ؟

أورد الشيخ محمد أبو موسى توضيحًا شافيًالذلك ، خلاصته[٢] : أنك في الكناية لا تُرسل المعنىفلاًّ ساذجًا ؛ كأن تقول : زيد كريم . بل تأتي به مقترنًا بما يفتح له باب القبول ؛ وهو الإتيان بالدليل ، فتأتي الفكرة مع دليلها لا تنفكّ عنه . والأمر الآخر : أنك في الكناية تصل للمراد من معنى المعنى ؛ وهذا يحتاج للنظر والتأمل . ومن المركوز في الطباع أن الشيء إذا نِيلَ بعد طلب له واشتياق إليه كان موقعه في النفس أجلَّ وألطفُ .

وقد ورد العديد من الكنايات الجميلة في قصائد الشعراء الجاهليين ، تظهر فيها عواطف الأمومة ، ولكنها ليست بكثرة التشبيهات .

وجاءت تلك الكنايات شاملةً جميع عواطف الأمومة ، ولكنها تتفاوت في ما بينها ؛ فهي أكثر في الأمومة المحضة عند الناقة ، ثم يليها نفي الأمومة عند الناقة ، فالحزن عندها . ثم الحنان عند الظباء ، يتلوها الحزن عند الخيل . ويأتي بعدها نفي الأمومة عند الأتان والحمر الوحشية ، ثم الحنان عند الناقة ، فالأمومة المحضة عند الظباء ، فالحنان عند الغنم والعنز والأروية ثم يتساوى الحنان ونفي الأمومة عند الخيل مع الأمومة المحضة عند الأتان والحُمُر الوحشية واللبؤة والأسد ، مع الأمومة المحضة عند الغنم والعنز والأروية . فكنّ في كل تلك المقامات تؤكد المعنى وتُثْبِته ، مستحضرة أرقى عاطفة في الكائن الحي ؛ ألا وهي :

(١) محمود محمد شاكر ، دلائل الإعجاز ، ص٧١

(٢) بتصرف ، محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، (ص٤٣٨ - ٤٣٩) .

الأمومة .

أولا: الأمومة المحضة عند الناقة :

تلحظ الباحثة أنه عند تفحُّص أبيات الأمومة المحضة عند الناقة نجد الشاعر الجاهلي يُظهِر الأمومة الخالصة المحضة بين الأم (الحيوان) وبين صغارها بمن حملٍ ، أو إرضاعٍ ، أو فطامٍ، أو تتبُّع الصغار لأمهاتهم . فالشاعر استشعر ما لم يستشعره غيره من علاقة الأمومة بين الأم وصغارها ، أو العكس ؛ فهم ملازمون لها يتبعونها حيثما حلّت وأينما ارتحلت . وقبث الشاعر الجاهلي تلك العلاقة في شعره وإن تنوّع حضورها .

وقد توصلت الباحثة إلى أن الشعراء الجاهليين قد رسموا للأمومة المحضة عند الناقة العديد من الكنايات في موضعين ؛ ا الكرمُ : والحرب . وقد حظي الكرم بأكثرها :

أ -الكَرَم :

أورالشَعراء الجاهليون كنايات متنوعة عن الكرم ، تأتي في سياق الفخر حينًا ، وفي سياق المدح حينًا آخر ، وفي سياق الرثاء كذلك . وهي تحمل في طياتها الأمومة المحضة عند الناقة ؛ مثل قول ابن مقبل[١] :

وَأَكْفَهَ نَّا لِلْمَخَاضِ يَسُوقُهُ لَ يَتُخْجَهَا قَوَمٌ وَانا وَخُمْدَا

والأمومة المحضة -كما تقدم- تحمل معنى الأمومة الخالصة بكل معانيها وجوانبها ؛ من حملٍ ،وإرضاعٍ ،وفطامٍووعايةٍ ونجد الشعراء قد أوردوا كلماتٍ تحمل تلك المعاني ؛ مثل : (المخاض - العشار - البكار - مطافل - البازل - اللقاح - الشول -الظّئر) .

(١) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٦٦) .

وبهامشه : (**المخاض** : الحوامل من النوق التي قرب نتاجها .ولا واحدَ لها من لفظها) .

وبيتُ ابن مقبل كناية عن كرم قومه وبذلهم لأثمن المال من النوق (المخاض) وهي التي دنا نتاجها ؛ فهو يفخر بقومه الذين يقدمون العطايا من النوق الحوامل للمحتاجين لينتفعوا بها وبنتاجها ؛ فهم ينالون الحمد والثناء والنوق ذاتهُا من أثمن المال ، يجعلها الشاعر مخاضًا - أي حاملاً ، أو اقترب نتاجها - فهي بذلك أثمن بصغيرها ، وغزارة لبنها .

واللّقاح - النياق ذوات الألبان - من أنفَس المال عند العرب . يفخر الشاعر حجر بن خالد بنفسه مخاطبًا زوجته ، فيقول(١):

غيرُ الجديرِ بأنْ تكونَ لَقُوحُهُ رَبًّا عليه ولا الفصيلُ يالا

تظهرت الأمومة المحضة من خلال فخره بنفسه ، وبكرمه وجوده ؛ فهو مالك الناقة اللقوح التي تحظى بعناية خاصة لديهم ؛ فذلُّه هذا كناية عن الكرم والسخاء .

ويكني سنان بن حميضةعن كرمه ، فيقول(٢) :

وأُعطي إذا ضَنَّ الجواد بماله من البكَرات المُلْنِيات المَتالية

---

(١) الحماسة لأبي تمام ، الديوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (ص٣٥١ - ٣٥٤) .

وبهامشه : (**اللقوح**: لِقَةٌ ؛ يقال ناقة لقوحٌ إذا كان بها لبنٌ . وجمعهلُقح) .

والشاعر هو : حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وحجر شاعر جاهلي ، كان معاصرًا لعمرو بن كلثوم .

يُنظر في ترجمته : معجم الشعراء الجاهليين ، تحقيق : عزيزة فوال بابتي ، (ص١٠٣) .

(٢) شعر غطفان ، الديوان ، تحقيق : إبراهيم النعانعة ، ص٤٨١

وبهامشه : (**ضنّ** : بخل . **البكرات** : الإبل . **المنقيات** : السمينة . **المتالي** : التي تتبعها أولادها)

والشاعر هو : سنان بن حميضة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض وهو شاعر جاهلي .

يُنظَر في ترجمته : شعر غطفان ، تحقيق إبراهيم النعانعة ، (ص٤٨١) .

يصف رمه فيذكرُ أنه يجود عليهم بماله في حال بُخل الجواد بماله ، وهو يعطيهم أفضل الإبل السمِّان الضِّخام التي تمتاز بالنتاج تتبعها صغارُها ؛كنايةً عن كرمه وجوده . وهنا نجد الشاعر قد استشعر علاقة الأمومة وارتباط الأم بصغارها ، فصورها في سياق حديثه عن الكرم.

وترثي الخنساء أخاها صخرًا ، وتصفه بالكرم ، فتقول[١] :

نَحَرَ الكُومَ فَايَا والبِكَارَ الخَلِفَهْ

فالبيت كنايةٌ عن كرم المرثيِّ الذي ينحر أفضل النوق في زمن الشتاء حين الجدب والقحط ، ولكن صخرًا لكرمه يختار للقِرَى العِظامَ حديثة النتاج غزيرة اللبن ؛ كناية عن كرمه. فالشاعرة تعبر عن كرم ممدوحها من خلال استحضار صورة الأمومة المحضة الخالصة للنوق ونتاجها سواءً من أولادها ، أو من لبنها .

ويكني الأعشى[٢] عن كرم ممدوحه فيقول :

وَالهَيْكَلِ النَّهْدِ وَالوَلِيدَةِ وَالـ ـعَبْدِ وَيُعْطِي مَطَافِلاً عُطُلا

فالبيت كناية عن كرم ممدوحه ؛ فهو جواد ، كريم ، يهب الفرس الضخم القوي حسن الجسم ، والجواري ، ويعطي الإبل الضخام التي يتبعها أولادها الشاعر هنا خصَّ النوق

(١) الخنساء ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص١٠٢) .

وبهامشه : (**الكُوم** : العظيمة السنام**الصَّفايا** : الغزار . **البكار** : الفتية . **الخلفة** : المخاض، وهي الحوامل من النوق) .

(٢) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٢٣٥) .

وبهامشه : (**النَّهد** الفرس الحسَن الجميل الجسم . **الوليدة** : الجارية . **مطافل** : جمع مُفل ؛ أي : معها طفلها. **العطل** من الإبل الحسَن الجسم) .

بالأمومة المحضة ،فصوّر الإبل والنوق التي يتبعها أولادها ؛ لاستشعاره بعلاقة الأمومة القوية بينهما .

ب - الحرب :

تظهر الأمومة المحضة عند الناقة أيضًا في الحديث عن الحروب ؛ كقول لقيط بن يعمر الإيادي[١] :

وتُلقِحُونَ يالَ الشَّوْلِ آونةً وتُنْجِبُونَ بدالقلعة الرُّبَعا

فال اعر يصف قومه المشغولين عن الاستعداد للحروب ، وغفلتهم عن الخطر المحدق بهم ، ويكني عن ذلك بتلقيح النوق الحائل - أي : التي لا تحمل - .

ويصف قيس بن الخطيم شجاء قومه ، فيقول[٢] :

ظَرَبْنا كُمُ بالبِيضِ حتّى لأَنْتُمُ أَذَمُّ مِن السُّقْبانِ بينَ الحلائبِ

هو يضرب في الإعطاء على مخافة ، فيقول : ضربناكم بالسيوف حتى عطفناكم على الصلح في ذِلّ، فأصبحتم أذلّ من السُّقْبان بين الحلائب . وهو يقصد ولد البعير ؛ حيث ينعطف تحت النوق الحلوب لحاجته إلى ذلك اللبن ؛ وهي صورة من صور الأمومة حين

(١) لقيط بن يعمر الإيادي ، الديوان ، تحقيق : محمد التونجي ، ص٨٠

وبهامشه : (**حالت الناقة** : إذا لم تحمل فهي حائل ، والجمع حيال . **الشول** : إناث الإبل التي قد شولت ألبانها ؛ أي :جفّت . **آونة** : أحيانًا ، واحدها : أون . **دار القلعة** : الدار التي تريد أن تنتقل عنها . **الرُّبَع** : الفصيل الذي ينتج في الربيع) .

(٢) قيس بن الخطيم ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص٩٤) .

وبهامشه : (يقال : ظأرت الناقة أظأرها : إذا عطفتها على ولد غيرها . السقب : ولد البعير الذكر . الحلائب: جمع الحلوبة وهي التي تحلب) .

تُرضع الناقة سقبها . وأتى بتلك الصورة ليكني عن قوة قومه ، وشجاعتهم .

ثانيًا: نفي الأمومة عند الناقة :

أبيات الكناية في نفي الأمومة عند الناقة تلي من حيث العدد أبيات الأمومة المحضة عند الناقة . ((والناقة هي أبرز الحيوانات التي عُني بها الشاعر الجاهلي ؛ فهي مصدر الخير والرزق ، ورفيقة الشاعر الجاهلي ؛ يقطع الصحاري على ظهرها ، ويجتاب بها الفيافي دون كلل أو ملل . وقد وقف الشعراء يتأملون فيها ، فوصفوا جسمها الضخم القوي ، ودققوا في أعضائها فلم يغادروا عرقًا ولا عصبًا إلا وصفوه أدق وصف . ونظروا في أحوالها وسرعتها ونشاطها وعاطفتها وحنينها ، فعبروا عن إحساساتها ومشاعرها وأحوالها))[1].

وعند تفحُّص أبيات الأمومة عند الناقة نجد أن الشعراء الجاهليين كما أثبتوا الأمومة من خلال تصويرهم لحنينها وحزنها وعجزها ، فهم كذلك نفوا عنها تلك الأمومة وأيضًا عند تأمُّل تلك الأبيات التي ينفي الشاعر فيها الأمومة عن الناقة ، نجد أنه يلجأ إلى ذلك لكي ينفي عنها الضعف ؛ لأن الأمومة مع أي مظهر من مظاهرها -كالحمل والإرضاع- إنما هي دلالة على الضعف الجسمي .

وللناقة عند الشاعر الجاهلي مكانة رفيعة في قلبه ؛ فهي أثمن ما لديه ، وهي رفيقة الحل والترحال في السلم والحرب ، وهي مصدر التباهي بين قومه خاصة ، وبين القبائل عامة . فإذا نفى أمومة الناقة فإنما هو يُثبت قوتها وصلابتها وضخامتها وسمنتها واكتنازها . ونجده يورد للناقة الألفاظ والصفات الدالة على نفي الأمومة ؛ كقوله : **(عائط** : وهي التي لا تحمل - **وعاقر** : غير حامل - **لم تقرأ جنينًا** : لم تحمل به - **لم تعطف على حُوار - صرماء)** . وغيرها من الألفاظ والصفات التي تنفي عنها علامة الضعف الجسمي .

(١) يحيى الجبوري ، مصادر الشعر الجاهلي ، (ص٣٦٦) .

فهذا الأعشى يكني عن قوة ناقته وصلابتها ، وينفي عنها أي دلالة على الضعف الجسمي من حمل وإرضاع وغيره ، فيقول[١] :

ما ضَنَّ لُبَّها العُقالُ جُبَّ وَرَعْيُ الحِمَى وطُولُ الحِيَالِ

لم تعطف على حُوارٍ ولم يقـ ـطع عبيد عروقها من خُمالِ

وهذه كناية جميلة ؛ فالأعشى في قوله : (طوال الحيال) يُثْبِتُ الحيال على ناقته ؛ فهي غير حامل ، ثم ينفي عنها الإرضاع في قوله : (لم تعطف على حُوارٍ) ، فلم يذهب بعقلها طفلٌ رُضِعُه . وهذه كناية عن قوتها وشدتها ، وصلابتها وضخامتها .

ويكني المرقش الأكبر عن قوة ناقته النجيبة بقوله[٢] :

لَمْ تَقْرَإِ القَيْظَ جَنِينًا ولا أَصْرُمُها تَحْمِلُ بَهْمَ الغَنَمْ

لَمْ عَزَبَتْ فِي الشَّوْلِ حَتَّى وَنَتْ وَسُوِّغَتْ لَحْبُكِ كَالإِرَمْ

ففي قول الشاعر : (لم تقرأ جنينًا) صِرَمُّها) و(الشَّول) كناية عن قوة ناقته وشدتها

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٥) .

وبهامشه : (الحُوار : ولد الناقة . الخمال داءٌ يصيب القوائم فتتشنج عروقُها) .

(٢) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، أحمد شاكر ، (ص٢٣٠) .

وبهامشه : (لم تقرأ جنينًا : لم تحمل ولا أصرّ الضمز شد الأخلاف ؛ أي لبن لها لبن فأصرّها . البَهْم : ولد الغنم . عزبَتْ : تباعدت . في الشَّوْل : مع الشول ؛ وهي : الإبل التي لا لبن لها . ونَتْ : فترت . الحُبُك الطرائق من تجمُّع الوبر في السنام . سُوِّغَتْ : ساغ لها ذلك السنام) .

والشاعر هو : المرقش الأكبر : هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ـ والمرقش لقب له من فرسان العرب .

يُنظَر في ترجمته : المفضليات ، تحقيق : عبد السلام هارون ، أحمد شاكر ، (ص٢٣٠) .

وضخامتها ؛ فهي لا تحمل وذلك أجلد لها وأقوى ؛فليس لها لبن فيُحلب ، وهذا سببٌ لِسِمَنِهَا وتجمُّع الوبر في سنامهافكأنه في كبره وبروزه جبلٌ .

ومن الكنايات التيطَرَقها الشعراء في نفي الأمومة عند الناقة : الكناية عن ضخامتها وقوتهاوجعلوا من علامات ذلك عِظَمَ ذنبها ، وكثرةشَعره ، ودوامَ حركته فقد سُدَّ به خلْفُها لا حمل ؛ مما زاد قوتها وسرعتها واكتنازها . قالالمثقّب العبدي[1] :

سَدُّ بِدَائِمِ الخَطَرَانِ جَثْلٍ خَوَايَةَ فَرْجِ الهَقْوِ يَنْهَضُ

ما ذكره الشاعر كناية عن قوة ناقته ؛ فهي وله : (فرج مقلات) من المقلات اللاتي لا يبقى لهولد ، فعِظَمُ ذَنَبِها وكثرة شعره علامة على قوتها وضخامتها .

وقال أسامة بن الحارث[2] :

وبالبُزْلِ قَدَمَّ هِلَيَّهَا وذَاتِ الْدَأْدَاةِ العَائِطِ

هنا يكني الشاعر عن قوة ناقته وعِظَمِ خَلقها واكتنازها ؛ حيث لا شحم ا ؛ لذلك اعتطَمَّهَاُفلا تحمِل . فنفى عنها الشاعر الحمل وهو مظهر من مظاهر الأمومة ؛ ليثبت أن له ناقةً لا يبلي بالسير في مهلكة وهي معه .

(١) المثقب العبدي ، الديوان ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، (ص١٨٠) .

وبهامشه : (دائم الخطران ؛ يعني :ذَنَبها . وخطرانه : حركته . الجثل كثير الشَّعر . الخواية :هي ما يسدّه الفرس بذَنَبِه من فرْجه ما بين رجليه) .

(٢) شعر الهذليين ، الديوان ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، (ص١٢٨٩) .

وبهامشه : (قد دمها نيها : أي طلاها شحمها . وذات المدارة : الناقة التي بها اعتراض وشدة نفس . العائط : التي اعتاط رحمها فلم تحمل) .

ثالثا: الحزن وعجز الأمومة عند الناقة :

تُعَدُّ الناقة من أهم مصادر الحياة عند الإنسان الجاهلي ، وقد حظيت لديه بعناية بالغة؛ فهي رفيقة دربه .والشاعر الجاهلي صوّر آلام الناقة وأحزانها ؛ لأنه لا يفارقها ، فمصيره مرتبط بها لأنها أثمن ما لديه .

وقد بدت الكناية من خلال عاطفة الحزن والعجز عند الناقة ، وإثبات صفة الكرم ، ومن خلال وصف آثار الحرب . فعادة العرب إكرام الضيف ونحر أفضل النوق لإكرامه ، ولكن الشاعر من خلالها يصور عاطفة من عواطف الأمومة وهي حزن الناقة الأم ، وعجزها حماية نفسها وحماية صغيرها .

وكذلك قد تمتزج في البيت الواحد أو في عدة أبيات عاطفتان للأمومة ؛ مثل العجز والحزن ، أو العجز والخوف . وهذا ما سنلحظه في ما يلي .

أ - إثبات الكرم :

كان إكرام الضيف من أبرز القيم التي أوصى بها الشعراء الجاهليون ، وهو أمر لا يرون التفريط فيه ولا التهاون به ؛ ففي سبيل إكرام الضيف يبذلون وينحرون أفضل ما لديهم من النوق . ومن هذا القبيل : ما وصف به ابن مقبل قومه ؛ حين قال[١] :

لهِنُ ق بالكُوم الجلادوَقد رَغَتْ أَجَ نَتُّها ولم تنضجْ لها حمْلا

هنا يخر بر ومه ؛ فهم يبذلون أفضل ما عندهم ، ويذبحون أثمن ما لديهم من الإبل ،

(١) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٥٨)

وبهامشه : (الكوم : جمع كوماء وهي الناقة عظيمة السنام ، الجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن ، وقيل التي لا لبن فيها ، رغت : صوتت وضجت وذلك من الجزع حين رأت أماتها قد عرقيت، أجنتها : يريد أولادها . ولمضنج لها حملاً : أي لم تتجاوز بها وقت الولادة) .

كناية عن كرمهم . فعند ذبحهم لأفضل الإبل العظيمة السنام ذوات الألبان ، والأولاد التي تجر من أحضان أمهاتها وهي تذبح فيُسمع (رُغاء) الصغير وهو يقف عاجزًا جرّاء ما حلّ بأمّه وقد عجزت عن حماية نفسها أصلاً .

ويفخر عمر بن الأهتم بجوده وكرمه ، فيقول[1] :

وقُمتُ إِلَى الهَوَاجِدِ فاتَّقَتْ مقاحِيكُلُومٌ جَادِلٌ رُوقُ

بأَدْلَعَ رِبْاعِ النِّتَاجِ كأَنَّها إِذَا ضَتْ دُولَعِقٌ فَتِيقِ

بِضَرْبَةِ سَاقٍ أَبُونَجْلاءَ رَثَّةٍ لهَا مِنْ أَمَامِ الْبَيْنِ فَتْقٌ

وقامَ إِلَيها الزَّاهِقُ انْفَأَوْفَدَا يُطِيرُ عَنها الْوَدَهْيُ تَفُوقُ

فَجُرَّ إِظِينَاءُ عُهَاسَنَامُها وأَزْهَرُ يَحْبُولِ الْقَعِيطَمِ تِيقُ

---

(١) المفضليات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبدالسلام هارون ، (ص ١٢٥ - ١٢٧) .

وبهامشه : (البرك : إبل الحي كلهم . الهواجد : النيام . المقاحيد : الإبل العظام الأسنمة . المجادل : القصور. الروق : الخيار . الأدماء : البيضاء . مرباع النتاج : يكون نتاجها أول الربيع وذلك أقوى لولدها . الفتيق : الفحل الذي يودع الفحلة . النجلاء : الطعنة الواسعة . الفتيق يزيد أنه طعنها في لِيتها . أوفدا : ارتفعا . أي : علَا عليها . الأزهر : الأبيض ؛ يعني : ولدها . العتيق : الكريم . بقير : مشقوق عنه غشاؤه . موهنا : بعد وقت من الليل ، قريب من نصفه . الزاهق : الذي ليس بعد سمنه سمن . الغبوق : شراب العشي) .

والشاعر هو : عمر بن سنان ، وهو الأهتم ، بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحرث ، وهو مقاعس ، بن عمر بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .كان سيدًا من سادات قومه ،خطيبًا بليغًا شاعرًا .

يُنظر في ترجمته : المفضليات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص١٢٥) .

وبهامشه : (ربعي الناقة : الذي ولدته في الربيع ولم يمض عليه الحول) .

بَقِيرٌ جَالَلاَبَّيفِ غِعنفشُ َاء َهُ أَخٌ بِإِلظُّهَّالِ حِينَ رَفِيقُ

فَبَاتَ لَنَاوالنهضاَّ يْفِ وُهِنًا شِوَاءُسَمَينٌأُهِتٌ وغَبُوقُ

يكني الشاعر عن جوده وكرمه فهو يختار لإكرام الضيف أفضل وأثمن النوق البيض وهي : النوق العظام الأسنمة الحوامل والتي قرب نتاجها ، فينحرها ويستخرج ولدها من بطنها ، ثم يكشف غشاء الولادة بالسيف ، وهي في غاية العجز عن حماية نفسها أو ولدها ، فهذه الناقة قد وقت الأخريات من النحر لعظمها وكان فعله كناية عن كرمه .

وقال مالك بن حريم عن إكرامه ضيوفَه[1] :

ورُبَعَيٍّنحرتُ علىالاثِ لِحَمَثْلاثةٍ مِن بعيْنِ

فراحوا حامدينوَرُحْنَجُدًّا فلم أحفلِ بهَوْهَوَ للحنَينِ

فالشاعر يكني عن كرمه وجوده بنحره لصغار الإبل التي لم يمضِ عليها الحول وقد انصرف ضيفانه حامدين ، ثم ينتقل لوصف حال النوق التي فقدت صغارها وعجزت عن حمايتهم ، فما كان منها إلا الهرير الذي لا ينقطع فبحت أصواتها تعبيرًا عن عجزها وحزنها على نحر صغارها ، ومع ما حل لتلك النوق لا يكترث لأن كرمه هو المفضل لديه .

ب - الحرب :

(١) مالك بن حريم ، ديوان همدان ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، (ص ٢٨٩ - ٣٠٠)

وبهامشه : (ربعي الناقة : الذي ولدته في الربيع ولم يمض عليه الحول) . و هرهرة : يطلق الهرير على صوت غير الكلب . وهرهر : دعا الإبل إلى الماء . اللسان (هـ ر ر) (ص ٧٤ـ ٧٥)

والشاعر هو : مالك بن حريم بن دألان بن عبيد الله بن حبيش بن ناشح بن وادعة بن مالك الحاشدي ، الهمدانيشاعر فحلٌ ، جاهلي ، من لصوص همدان .

يُنظر في ترجمته : ديوان همدان ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، (ص٢٨٩) .

((في الشعر الجاهلي أحاديث طويلة عن الغارة التي أفزعت الإبل وأرجفت قلوبها هلعًا؛لأنها أثمن ما ينُهب ، والمنتصر كثيرًا ما نراه يشل الإبل أمامه غنيمة)) (١).

وقد وصف الشعراء أهوال تلك الحروب وتأثيرها على النوق إمّا بحزنٍ أو بعجزٍ . قالأبط شرًّا في النوق المرضعات(٢) :

إذ روّحـ بلنْ اللِّقاحِ عشيّةً حدْبُ الظهورِ ودُرُّهن زهيدُ

وحبِسْن في هزْمِ الضريع فكلُّها حبْاءُ باديةُ الضلوعِ جدودُ

فلقد لقيت النوق المرضعات من الجوع وشدة البرد والجهد وظهر أثر ذلك على ضروعها فجفت ؛ مما زاد من معاناتها وحزنها على صغارها ، ففي قوله (حدب الظهور) و (هزم الضريع) كنية عن الهزال والضعف .

وتظهر عاطفة عجز الناقة الأم وخوفها وحزنها في بيت الأعشى(٣):

تخرُجِ الشيخَ عنْ بنيه وتُلْوِي بِلَبُونِ المعْزابَةِ عِلْزَ

يصف الأعشى حال النوق الخائفة من تلك الحروب والغارات ،وقد أثّرت على النوق المرضعة غزيرة الألبان فذهبت ألبانها تُذهل الشيخَ عن بنيه ، وتشرّد الإبل . وقد اعتزل

(١) أنور أبو سويلم ، الإبل في الشعر الجاهلي ، (ص ١٤٦) .

(٢) أبط شرًا ، الديوان ، تحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، (ص٥٩٨) .

وبهامشه : (حدب الظهور : من الهزال . زهيد : قليل . الضريع : يابس العشرق . وهزمه : ما كسر منه ويبس . جدود : التي لا لبن لها) .

(٣) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص ١٣) .

المعزابة : هو الذي قد عزب بإبله . اللسان (ع ز ب) ، ص ٢٣٤ . المعزال :الذي يستبد برأيه في رعي أُنف الكلا ، ويتبع مساقط الغيث ، ويعزب فيها . اللسان (ع ز ل) ، (ص ٢٣٤) .

بها راعيها ، وأوغل في أطراف الرمال . وتلك الحروب تشرّد النوق وتفرق بينها وبين وأولادها ؛ فتحزن على فراق أولادها وبُعدهم عنها . وذلك كناية عن هول الغارة على تلك النوق وبُعْدها .

ويمدح مالك بن حريم الهمداني قومَه ، فيقول[١] :

فمَنْ يَأْنِنا أو يَتَعَرَّضْ بِسِيلِنا يجِدْ لِأَثْرًا امعًّا وسلاحًا مُوَضَّعَا

فهو يكني عن سطوة قومه وبأسهم بالإبل والنوق التي تلقى من بُعد الغارة وثِقل الأحمال ما في بطونها ، والذي يعترض الطريق سيجد في مواضع متفرقة من الطريق أثر دعس السخال التي وضعتها الحوامل من النوق ؛ لطول سيرها وشدة تعبها ، فتعجز عن حماية أجنّتها وحماية فصلانها التي تُذبح لتوقفها عن السير .تعجز أيضًا عن حماية نفسها ، فيصيبها اليأس. ومضمون هذا البيت كناية عن قوة قومه وبأسهم.

وقد يمتزج الخوف بالعجز لدى الإبل ؛ كفعل طرفة بن العبدحين ثار على ناقة متعمدًا وعقرها بغيًا وجحودًا ، ثم قال[٢] :

(١) مالك بن حريم الهمداني ، الأصمعيات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٦٤) .

وبهامشه : (دعسًا : الطريق الدعس الذي دعسته القوائم ووطئته وكثرت فيه الآثار ، السخل : جمع سلة يريد أولاد الإبل والخيل . الموضع : المتفرق) .

(٢) طرفة بن العبد ، الديوان ، ص (٤٤-٤٥) .

وبهامشه : (البرك : جماعة إبل الحي . الهجود : النيام . نواديه : أوائله وما سبق منه . العضب : القاطع . المجرد : المسلول من غمده . الكهاة : الضخمة المسنة . الخيف : جلد الضرع . الجلالة : الضخمة . عقيلة المال : خيره وأفضله . الوبيل : العصا . اليلندد : الشديد الخصومة ترّ : طن وندر . الوظيف : ما بين الرسغ والساق . المؤيد : الداهية . قاصيتها : منها وتنحّى . والقصا : الناحية . يمتللن حوارها : أي يشوينه . الحوار : ولد الناقة . السعي : المشي . السديف : شقق السنام وهي قطعة .

وَبَرْهُجُودٍ قَدْ أَثَارَ نَخَافَتِي وَادٍ يَهَاءُ شَرِيضٍ مُجَدِّدِ

فَمَرَّتْ كَهَاةٌ ذَاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالوَبِيلِ يَلَنْدَدِ

يَقُولُ وَقَدْ تَلْفِي وَظِيفِي وَسَاقُهَا: أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتُ بِمُؤْيِدِ

وَقَالَ أَلا ذَا رَاتِنٌ وَنِئُولَبٍ شَدِيدٌ عَلَيْنَا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ

وَقَدْ ذَرَوْا إِنَّمَا يَنْفَعُهُ مَالَهُ وَإِلا تَكُفُّوا قَاصِيَيْكِ يَزِيَدِ

فَظَلَّ الإِمَاءُ مُعْتَدِلاتٍ يَحُرْنَهَا وَيُسْعِينَ لَمَّا يَلْفُرِ الْهَدِ

يصف طرفة حاله حينما أثار الرعب في إبل الحي ، ودخل بينها والسيف المرهف في قبضته . ثم ينتقل إلى وصف حال تلك الإبل وقد اعتراها الخوف عندما اختار ناقة ضخمة كانت لشيخ هي من أثمن ما لديه ، وأخذ يطعنها في قوائمها -وهي عاجزة عن الدفاع عن نفسها وحماية صغيرها-، وجعلَ الإماء من النساء يستخرجن حُوارها ويشوينه ،ويقدّمن للشاربين اللحم السمين والسنام المشوي . فالأبيات كناية عن شجاعته ، وقوته ، وكرمه .

رابعا: حنان الأمومة عند الظباء والبقرة الوحشية :

يستقي الشاعر الجاهلي صوره من الصحراء الواسعة ؛ حيث تتراءى له الظباء والبقر الوحشي فيصورها في أشعاره من خلال تعبيره عن تجاربه وانفعالاته الصادقة تعبيرًا مباشرًا ، لا تصعُّفيه ولا تكلُّف . ومن ذلك : صور الكناية في عاطفة حنان الأمومة عند الظباء والبقرة الوحشية ؛ حيث كان وجود هذه العاطفة في قصائد الشعراء الجاهليين أقل من العواطف التي سبق أن أوردناها .

وعاطفة حنان الأمومة عند الظباء والبقرة الوحشية أكثر ما تظهر في المقدمات الطللية

المسرهد : الحسن الغذاء) .

التي تزخر بالحياة ؛ فهم يصورون واقع حياتهم ولا يتصنعون العواطف ؛ بل يريدون أن يفرغوا شحناتهم العاطفية من خلال عاطفة الأمومة ، لعلها تكون لهم عزاءً وتنفيساً من خلال وصفهم لرسم الديار المقفرة . ومن ذلك : قول المرقش الأصغر عندما وقف باكيًا على رسم الدار الذي صار مألفًا للظباء والبقرة الوحشية[١] :

مأَنْ رَسْمِ دارٍ ماءُ عينيك يسفحُ غداً من مقامٍ أهلُهُ وتروّحوا

تجذرُها بالجوّ ورد وأصبحُ

في الأبيات يرسم الشاعر كناية رائقة بقوله : **(تزجّي بها خنْسُ الظباء سِخالها)** لتلك الأطلال التي خلت من الأنيس وتحولت إلى مرابع للظباء والبقرة الوحشية التي نتجت فيها ، وأخذت تنتقل هي وسخالها في ساحاتها تعطف وتحنو عليها ، بينما تبدو البقر وجآذرها ذات الألوان المختلفة وهي تتبع صغارها حنانًا وحرصاً عليها .

وقال سبيع بن الخطيم التيمي[٢]:

---

(١) المرقشين الأصغر والأكبر ، الديوان ، تحقيق : كارين صادر ، دار صادر بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م = =(ص٨٧) .

وبهامشه : (تزجي : تسوق سوقًا ضعيفًا .الخُنْس : جمع خنساء ؛ وهو قِصَر الأنف ولزوقه بالوجه . سخالها : أولادها ، الجأذر : وهو ولد البقرة . الورد : الذي تعلوه حمرة ، و الأصبح : أشد حمرة منه) .

(٢) سبيع بن الخطيم ، المفضليات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص ٣٧٣) .

وبهامشه : (العازب : البعيد المتنحي .أنفًا : يقول : هبطته أول من هبطه فرعيته قبل أن يسبقني إليه أحد . العوذ : الحديثات النتاج ، جمع عائذ . النعاج : البقرة الوحشية . عطوف : عطفت على أولادها) .

والشاعر هو : سبيع بن الخطيم التيمي ، واسمه : تيم عبد مناه بن أدين طابخة من بطن منها يقال له بنو رفاعة ، شاعر محسن .

يُنظر في ترجمته : المفضليات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، دار المعارف ، الطبعة العاشرة،

ولقد هبطت الغيث أصبح عَازِبًا أنفًا به عُوذُالنعاجِ عطوفُ

حيث كنى عن بُعد المكان عن الناس وخلوه بقوله : (عازبًا أنفًا) ، ولم يكن يقبلُ إلا البقرة الوحشية ، التي ترعى مع صغارها ، وتحن وتعطف عليها .

وبرزت الكناية في حنان الأمومة عند الظباء والبقرة الوحشية من خلال أصواتها في الأطلال التي صارت مرتعًا لها . قال كعب بن زهير[١] :

فَلَمْ تَزُلْ كُلُّ غَثَّاءِ البُغَامِ مِنَ الظَّبْيِ رَائُهُ عَيَّاقِدًا خَرِقَا

كنى الشاعر هنا عن صوت الظباء في رقته وعذوبته بقوله : (غناء البغام) ؛ فالظبية حينما تُدرِك ذلك الصوت العذب الرخيم عند حنينها على صغيرها الذي لا يقوى على حماية نفسه ؛ فبغامها أشد ما يكون لشدة حنينها على ولدها .

خامسًا: عجز الأمومة عند الخيل :

((خاض شعراء الجاهلية على ظهور الخيل حربين متلازمتين متداخلتين : حرب السيف ، وحرب الكلمة ... وشاركتهم الخيل في الحربين فحقوقٌ من حدة السيف ، واتخذت من نفسها دروعًا لفرسانها وبسالةً ومضاءً ،وعزيمةً ...))[٢].

وقد كان مقابل ذلك كلّه إحساس تلك الفرس بعجز الأمومة ، فقد برزت في (الكناية) عاطفة عجز الأمومة عند الخيل أكثر من الحيوانات الأخرى . وأكثر عواطف

١٩٩٤م ،(ص٣٧٢) .

(١) كعب بن زهير ، الديوان ، تحقيق : مفيد نميحة ، (ص١٠٦) .

وبهامشه : (الغناء : من الغنة ؛ وهي : صوت يخرج من الأنف في رقة وحسن . والبغام : حنين الظبية إلى ولدها . العاقد : الذي عقد عنقه ونام . والخرق : الضعيف القيام ؛ لصغره) .

(٢) أحمد أبو يحيى ، الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين ، (ص١٦١) .

الأمومة بالنسبة لأبيات الخيل هي أبيات عاطفة العجز التي تظهر في بعض الأبيات بصفة خاصة ، وفي بعض الأبيات تمتزج بالحزن أو الخوف ؛ فقد كانت تدور حول الحروب والغارات البعيدة التي سارت فيها المُهُر فأعياها السفر والجهد والتعب ؛ مما أدى إلى إلقائها جنينها .

وقد جاءت الكناية عن عجز الأمومة في سياق الفخر بالقوم ، وفي المديح والرثاء . قال النابغة الذبياني[١]:

وينَقْ فِيالأولاد في كُلِّ مَنْزِلٍ شَحَطْنَ لِلَاْئِ بها كَلَوصَائِلِ

ويصف أكل سباع الطير لصغار الخيل الملقاة في الصحراء من شدة التعب والجهد والتي عجزت فيها الأم عن حماية صغارها وذلك كناية عن بعد الغارة .

وترثي الخنساء أخاها صخرًا ، فتقول[٢] :

لاوَمَ حتّى تَقُودُ والخيل عَابِسةً يَنْبُذْنَ رحًا بِمَهْوَتٍ وأَمْهَارِ

هنا تكني عن بُعد الغارة بقيادته لتلك الخيول التي تتسم بالقوة والنشاط وكثرة السير والترحال والتي تلقي أولادها من شدة ما تلقاه في تلك الغارات فتعجز عن حماية أولادها كناية عن بُعد الغارة .

ويكني الأفوه الأودي عن شجاعة قومه ، فيقول[٣] :

---

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص١٤٥) .

وبهامشه : (شحّط في الأسلاء : أي تضطرب . الوصائل : ثياب حمر فيها خطوط خضر ؛فشبّه السلى بها) .

(٢) الخنساء ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص٥٩) .

وبهامشه : (ينبذن : يلقين طرحًا : من طرحت الأنثى الجنين : ألقته قبل كماله) .

(٣) الأفوه الأودي ، الديوان ، تحقيق : محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ،

نحن قُدْنا الخَيل حتى انْقَطَعَتْ شُدُنُ الأَلاءِ عنها والمِهارُ

فالشاعر يكني مفتخرًا بشجاعة قومه الذين توغّلوا في الديار حتى عجزت المهار الصغيرة والأفلاء عن اللحاق بأمهاتها ؛ لأنها ابتعدت عنها ، فهي عاجزة عن مساعدة أولادها، وأصابها الحزن لفراقهم . وقد صور الشاعر ذلك العجز والحزن اللذين أصابا الفرَس ؛كنايةً عن قوة قومه وشجاعتهم .

وقال الأعشى[1] :

بِالخَيْلِ شُعْثًا مَا تَزَالُ جِيَادُهَا رُجُعًا تُغَيِّرُ بِالطَّرِيقِ خَاهَا

فهو يصف الغارات البعيدة التي يقودها ممدوحه وقد سارت فيها الخيول الشُّعْث التي أصابها الجهد والتعب وأعياها السفر ، فأسقطت صغارها التي لم تعد تقوى على متابعتها وعجزت عن حمايتها ، وفارقتها في الطريق ؛ فكانت عاجزة حزينة إثر ذلك الفراق . وهذا كله كناية عن بُعد الغارات التي يشنّها ممدوحه .

سادسًا : نفي الأمومة عند الأتان وحمار الوحش :

تردَّدَ ذِكْر حمار الوحش وأتانه في قصائد الشعراء الجاهليين ، في موضوعات عدة ؛ منها أمومة الحيوان التي وردت عند الشعراء بصور بيانية متنوعة ، والكناية إحدى الصور التي

(ص٧٧) .

وبهامشه : (شدن : مفردها شادن ؛ وهو : الظبي الصغير ، المهار :مفردها المهر ؛ وهو : الحصان الصغير . الأفلاء :مفردها فلوّ ؛ وهو : ولد الفرس إذا فطم) .

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص٣١) .

وبهامشه : (شعثًا : أي متفرقة الشعر منتثرته .رجعًا : جمع رجيع ؛ وهو :الذي أعياه السفر فكَلَّ . السخل: ابن المعز أو الضأن ، ويقصد هنا : ابن الفرس) .

ظهرت خلال نفي الأمومة عند الأتان وحمار الوحش ، وكان ذلك النفي في حال تشبيه الشاعر ناقته أو فرسه بالحمار في سرعته ونشاطه وعدوه ؛ فهو ينفي عنها الأمومة من حمل وإرضاع ؛ لأنها دلالة على ضعف جسمي . وقد وردت معظمها في سياق المدح ؛ كما في قول النابغة الذبياني يصف ناقته[١] :

فانشقَّ عنها عَمُودُ الصُّبْحِ ذُلْتُوصٌ تخافُ القانِصَ اللَّحِماَ

يشبّه الشاعر ناقته القوية المسرعة بالأتان التي لا حمل لها ولا لبن ؛ فهو ينفي عنها الأمومة لأنها علامة للضعف الجسمي ؛ كناية عن قوة ناقته وضخامتها ونفْيُ جميع صور الأمومة هنا ناشئ من عطف وضعفٍ جرّاء الحمل والإرضاع ، والحماية الدائمة التي تقوم بها الأم لصغارها .

ويمتدح الحطيئة فرسه ، فيقول[٢] :

أمينُ الفُصُوصِ كَعَيْرِ الفَلاة يَتْلُو نَحائِصَ قُبًّا جِسَاما

يتحدّث الشاعر عن فرسه في قوته وضخامته وصلابته ، وأنه موثوق المفاصل ؛ يكني عنه بحمار الوحش ، الذي يسير تلو الأتان الحائل التي لم يثقلها الحمل ، فنفى عنها أي مظهر من مظاهر الأمومة ؛ وذلك ليثبت قوة ذلك الحمار وضخامته .

(١) النابغة الذبياني ، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ص٦٥) .

وبهامشه : (جافلة : أي مسرعة ماضية . عمود الصبح : هو الخط المستطيل الذي نراه في وجه الصبح . النحوص : الأتان التي لا لبن لها ولا حمل بها . القانص : الصائد) .

(٢) الحطيئة ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص٨٥) .

وبهامشه : (فصوص : مفاصله ؛ أراد : أنه موثق المفاصل مأمونها . والنحائص : جماعة النحوص ، وهي الأتن الحوائل . القب : الضوامر) .

ويصف لبيد بن ربيعةناقته التي يشبهها بحمار الوحش ، فيقول[١] :

كأنَّ قَتُودِي فَوْقَ جَأبٍ مُطَرَّدٍ ... نَيُحْفُوَصًا بالبراعيمِ حَائلا

فالشاعر يصف ناقته بالقوة والضخامة والغلظة ؛ كحمار الوحش القوي المتتابع في سيره دون أن يكبو ، وتفز وتثار منه الأتان الوحشية الغليظة السمينة ؛ لأ ا لا تحمل . فهو ينفي عن الأتان الأمومة ؛ ليثبت قوة حمار الوحش وضخامته . وخوف تلك الأتان منه كناية عن ق ته .

والشاعر يقتبس صوره الشعرية من بيئته التي يعيش فيها ؛ فهو يرى الحيوانات التي منحها الله -سبحانه- جانب الأمومة ، والحيوانات التي لا تنعم بتلك الأمومة ، ويقارن بينهما من حيث البنية والقوة ، ومعايشتها غيرها .

سابعًا : حنان الأمومة عند الناقة :

تنوعت الصور البيانية في حنان الأمومة عند الناقة ، ومنها الكناية التي بدت في تلك الأبيات من خلال الفخر بشجاعة القوم ، ومدح كرمهم .وصوّ ر الشعراء ذلك الحنان من خلال صوت تلك النوق وحركتها مع صغارها .

فعند حنانها تضطرب حركتها وتُصدر ذلك الصوت ؛ وهو : إرزام الناقة حين تخرج ذلك الصوت من حلقها ولا تفتح به فاها . قال أبو دؤاد الإيادي[٢]:

---

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٢٣٥) .

وبهامشه : (الجأب : الحمار الغليظ من حمر الوحش . مطرد : متتابع في سيره لا يكبو . يفز : يثير . النحوص : الأتان الوحشية السمينة وهي حائل لم تحمل . البراعيم : اسم موضع) .

(٢) أبو داود الإيادي ، الأصمعيات ، الديوان ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبدالسلام هارون ، (ص ١٨٩) .

لجب : الصوت والصياح . اللسان (ل ج ب) . **الرباع** : جمع ربع وهو الفصيل ينتج في الربيع . اللسان

بٌ تُسْمَعُ الصَّواهِلُ فيه وحَنينُ اللِّقاحِ والإرْزامُ

بعُرًى نَهْوَا وتُقْرَنُ بالْقَيْـ ـدِ فقد دلَّهَ الرِّبَاعَ البُغَامُ

يكني الشاعر عن كثرة الجيوش بقوله : (جَبٌ) و(حَنينُ اللِّقاحِ والإرْزامُ) . وهو يعبر عن كثرة الجيش بسماع صوت صهيل الخيل ، وصوت حنين النوق وإرزامها على فصيلها الذي أذهب فؤادها .

ويصف عنترة صوت حنين الظؤار ، فيقول[1] :

سَلَعْمُ أَيُّنا الموتِ أدْنَى دانَيْتَ بي الأَسَلَ الحرارا

والرُّعيان في لُقُحٍ ثَملنٍ هلهلهُنَّ صرًّا وغِرارا

أَقَلَّ خَليسَتِهِ قَحٍ حتْنٍ ولَتَّجَ الأُخَرَ العِشارا

وقَظْنَ على لَصافٍ وَهْنَّ غُلْبٌ تُرِنُّ مُتونُها لِلَيٍّ ظُؤارا

ومَنجوبٍ له منهضَّ رْعٌ يميل إذا عَلَتْ به الشِّوارا

أقَلُّ عليك ضُرًّا من قَوَيحٍ إذا أَصحابُه ذمروهُ سارا

(ر ب ع) . **البغام** : صوت الإبل . اللسان (ب غ م) .

والشاعر هو : جارية بن الحجاج ، وهو أحد غُنّات الخيل المجيدين . جاور كعب بن مامة الإيادي .

يُنظر في ترجمته : الأصمعيات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص١٨٥) .

(١) عنترة ، الديوان ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م (ص٢٣٦ ، ٢٣٧) .

وبهامشه : (رنّ تصوّت ، وتحنّ . الشوار : هو متاع البيت ، ومتاع الرجل) .

صرّت الناقة يصرها صرّا وصرّت بها : شدّ ضرعها . اللسان (ص ر ر) . **غرار** : نقصان اللبن وحلبه شيئًا بعد شيء . اللسان (غ ر ر) . **ظؤار** : العاطفة على غير ولدها . اللسان (ظ أ ر) .

وتظهر حركة النوق الحانية على صغارها حينما يكني الأعشى[١] عن كرم ممدوحه بقوله:

الواهبُ المِائة الهِجان وعبدَها عوذًا تزجّي خلفَها أطفالَها

كنى عن كرم الممدوح الواهب المائة -وهي من أجود وأثمن الإبل السمان والعظام- بقوله :(عوذًا تزجّي خلفها أطفالها) ؛ يدلّل على كثرة تلك الهبة ، فهذه النوق تسير وتدفع صغارها بحنان وعطف كما أن بعض النوق تتلو خلفها صغارًا حديثة النتاج .

وعن خلوّ ديار الصاحبة يقول بشر بن أبي خازم[٢] :

إلا الجآذرَ تترَى فجُؤذ لامةٍ عرين ، ليس بهنّ عينٌ تَطْرُفُ

حمُّ القوادمِ ما يعُرّ ضروعها حلبٌ الأكفِّ، لها قرارٌ مُؤنفُ

فهو يصف ديار الصاحبة الخالية التي لم يعد بها إلا أولاد البقر حديثة النتاج ، تنعطف عليها أمهاتها حتى تمد رؤوسها لترضع ، ثم تمتري وتمسح ضروعها وحتى يؤكد خلوّ المكان لتلك البقر وأولادها يصفها بأنها سود القرون ، ترعى في مطمئن ومستقر من الأرض ، لم تمس الأكف ضروعها ولم تحلبها ؛كناية عن خلوّ المكان الذي لا ترعى فيه سوى تلك الجآذر وأمهاتها .

---

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص ٢٩) .

وبهامشه : (الهجين : الخيار من كل شيء) .

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق : عزة حسن ، (ص١٦٩ ، ١٧٠) .

وبهامشه : (الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة . تمتري بأنوفها : أي تمد رؤوسها لترضع أمهاتها. والعوذ : جمع عائذ ، وهي الحديثة الولادة . تلع النهار : ارتفع حمّ القوادم : سود القوادم . والقوادم : يقال القرون . ويعر : يؤذي ويعقر ؛ أي : لا تسوء الأكف ضروعها بالحلب ؛ لأنه لا أحد يحلبها . القرار : المطمئن المستقر من الأرض . المؤنف : بمعنى الأنف ؛ أي : لم يرعه أحد) .

وقد استحضر الشاعر صور الأمومة ، ورسم لنا من خلال تلك الأبيات حنان تلك البقر على صغارها وهي تنعطف لترضع صغيرها . ولتكتمل صورة ذلك الحنان صوّر الشاعر ما حول تلك الجآذر وأمهاتها من المراعي الخضراء المطمئنة المستقرة .

ثامنًا: الأمومة المحضة عند الظباء والبقرة الوحشية :

تبدو الكنايات التي أوردها الشعراء الجاهليون في الأمومة المحضة عند الظباء والبقرة الوحشيةقليلة جدًّا، كما أنها لا توجد إلا في المقدمات الطللية عند وصف بقايا الديار والآثار ؛ فالشعراء الجاهليون عادة يصفون الديار بأنها خالية ، لا يوجد بها سوى تلك الحيوانات التي تعيش مع صغارها ، لا يعكر صفوها أحد ، فتعيش آمنة مطمئنة في رغد ودعة من العيش . وحين يتمم ذلك الوصف ينتقل إلى وصف مظاهر الأمومة المختلفة التي تحققت بعد تحقق الأمان في ذلك المكان . ومن ذلك :

قول بشر بن أبي خازم ، يصف الديار[١]:

تَظَلُّ النِّعاجُ العِينُ في عَرَصَاتِها وَأَوْلادُها مِنْ بَيْنَ ° فَنَوٍّ تَوْأَمِ

يكني الشاعر عن خلو تلك الديار التي لم يعد يقطن بها ويتنقل في عرصاتها الواسعة سوى البقرة الوحشية ، واسعة العينين ، اللتين يرى الشاعر من خلالهما حنانها وعطفها على أولادها ، ومراقبتها لهمودائماً تكون الرعاية واحدة لمن لها صغيرواحد ، أو لمن عندها توأم .

ويصف المخبل السعدي ديار وأطلال الصاحبة ، فيقول[٢] :

(١) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزه حسن ، (ص٢٠٠) .

وبهامشه : (**النعاج** : جمع نعجة وهي البقرة الوحشية . **والعين** : جمع عيناء ؛ وهي : الواسعة العين . **عرصات الدار** : ساحاتها التي ليس فيها بناء . **الفذ** : الفرد) .

(٢) ديوان بني تميم ، الديوان ، تحقيق : عبد الحميد محمود المعيني ، منشورات نادي القصيم الأدبي ،

تَقُو بِهَا الْبَقَرَ المسَارِبَ واخْتَلَطَتْ بِهَا الآرامُ والأدْمُ

وكَأنَّ أطْلاءَ الجآذِرِ والْـ ـحَوْلَ رُسُومِها البَهْمُ

هنا كناية عن خلو الديار من أهلها ؛حتى صارت مألفًا لبقر الوحش والظباء ، فديار الصاحبة صارت تعج بالظباء البيض التي تتلوها أولادها في تلك المراعي الخصبة . ويصف صغار أولاد البقر والغزلان مع صغار المعزى ؛ كناية عن كثرة الظباء وصغارها في جنبات تلك الديار .

وقد تفاوت حضور عواطف الأمومة عند الحيوانات في قصائد الشعراء الجاهليين ، فنجد بعض تلك العواطف عند بعض الحيوانات في موضع واحد فقط ، أو في موضعين ؛ كعاطفة الحنان ، ونفي الأمومة عند الخيل ، والأمومة المحضة عند الحمار وأتانه ، والأمومة المحضة عند الغنم والأروية والعنز ، والحنان عند اللبؤة والأسد مع صغاره .

يتسلوى الحنان ونفي الأمومة عند الخيل مع الأمومة المحضة عند الأتان والحُمر الوحشية واللبوة والأسد مع الأمومة المحضة عند الغنم والأروية .

وبدا للباحثة أن معظم أبيات الخيل نالت فيها عاطفة عجز الأمومة النصيب الأكبر ، يليها نفي الأمومة ، فالحنان الذي لم أجده إلا في بيت واحد لابن مقبل ؛ حينما وصف ديار

الإصدار رقم (٧) ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، (ص١١٠ - ١١١) .

وبهامشه : (**تقرو** : تتبع . **المسارب** : المراعي والطرق . **الأرام** : الظباء البيض البطون السمر الظهور . **الأدْم**: الظباء البيض . **الأطلاء** : الصغار من ذوات الظلف . **الجآذر** : أولاد البقر ، **البهم** : صغار المعزى) .

والشاعر هو :ربيع بن ربيعة بن عوف بن قتال بن جعفر بن قريع بن عوف من بني تميم بن مرّ ، ولقبه المخبل .

يُنظر في ترجمته : ديوان بني تميم ، تحقيق : عبد الحميد المعيني ، (ص ١١٠) .

قومه قوله[١] :

فيهم تجاوب آلاء الوجيه إذا صام الضحى ، تقدع الذبان بالخمر

فالشاعر في هذا البيت يصف المهر الصغيرة التي تتبع أمهاتها في حنان وعطف . وقد خص الأفلاء المنسوبة للوجيه ، ثم عدّد ميزات تلك المهر وهي تلقى العناية من أصحابها ؛ لأنها ترعى في أطيب المراعي التي ينبت بها برعم نبات الحوذان والخضر . وفي ذلك كناية عن النعمة والقوة التي يتميز بها قومه .

كذلك بدت أبيات الكناية عن عاطفة الأمومة المحضة نادرةً عند حمار الوحش وأتانه ؛ وذلك لوصف قوة الحمار وأتانه وضخامتهما . قال لبيد بن ربيعة[٢] :

وأمكنها الصينُّ حتى تتلخاض مُ الحِ ليلَ

حيث كنى عن قوة الأتان بقوله (أمكنها من الصلبين) فهي تظل تكر بحافرها ونابها الأرض الصلبة المرتفعة ، ومن شدة الفزع بان الفرق بين الحامل وغيرها فالبيت كان كناية عن قوة الأتان .

ومن أبيات الكناية عن عاطفة حنان الأمومة عند اللبؤة والأسد -وقد كانت قليلة- :

(١) ابن مقبل ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٧٧) .

أفلاء : جمع فلو ، وهو المهر الصغير . صام الضحى : اللآلئ ضحًى :إذا اعتدل وسكن واشتدّ فيه الحرّ تقدعُ الذِّبان النبخر :أي تكفّه وتطرده بأفواهها ونخيرها .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص٨٢) .

وبهامشه : (الصلب : الغليظ المنقاد المرتفع من الأرض ، وجمعها صلبه) .

المخاض : اسم للنوق الحوامل . اللسان (خ ا ض) .

قول ُالسليك بن السلكة مفتخر ً ا بقوته وشجاعته[١] :

ورَبُّ عَاقِدٍ فككتُ مكبولِ ورُبَّ وَادٍ قد قطعتُ مُشَوْلِ

فهاهنا كناية عن شجاعته وقوة بأسه ، فهو يصول ويجول في وادي الأسود ، وهي أودية بعيدة عن الناس يسكنها الأسود التي تحنو وتحرص على أشبالها ، تدربها لتكون أكثر فراسة وأشد خطر ً ا .

ونجد للأسد واللبؤة حضور ً ا في التشبيه في عاطفة حنان الأمومة ، على العكس من الكناية عن عاطفة حنان الأمومة ، فلم أجد فيها سوى البيت المتقدم ذكره . وقد يرجع ذلك إلى أن الشعراء الجاهليين يجعلون من صورة الأسد مجالا ً لتشبيه ممدوحيهم والفخر بقوتهم وشجاعتهم ، وهي الصفات التي امتاز بها الأسد واللبؤة .

وأبيات الكناية عن عاطفة حنان الأمومة عند الغنم والعنز والأروية كانت قليلة جدًّا وهي من ضمن المشاهد التي تعرض للشاعر في تلك الصحاري والجبال . ومن ذلك : قول أمية بن أبي الصلت[٢] :

وما يبقى على الحدثان غُفْرٌ بلهْقةٍ لهمٌّ رؤومُ

تبيت الليل حانيةً عليه كما يخرمس الأرخ الأطومُ

(١) السليك بن السلكة ، الديوان ، شرح : سعدي الضناوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م . (ص٩١) .

(٢) أمية بن أبي الصلت ، الديوان ، تحقيق : الدكتور سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، (ص١٢٥) .

هامشه : (الحدثان : مصائب الدهر . الغفر : ولد الوعل . يخرمس : يسكت . الأرخ : ولد البقرة . الأطوم : الضما ّ م بين شفتيه . النشز : المرتفع) .

تصدَّى كلما طلعت لنشز ووتّ ْأنها منه عقيمُ

يكنى عن حتمية موت كل الكائنات ؛حتى ذلك الغُفر الذي يعيش في جبل شاهق منيع ، وترعاه أم رؤوم ، لا تفتر عن مراقبته والعناية به .

فهو يصف حال الأم الرؤوم من الأروية أم الغفر ، التي لها ولد يرعى في الجبال الشاهقةفتظل تراقبه في وله وحنان ، وهي صامتة كصمت ولد البقرة ، عيناها تتابعه كلما طلعت به مرتفعًا ، ومن شدة حنانها وحرصها عليه تتمنى لو أنها عقيم .

صوّر الشاعر قلب الأم الرؤوم التي لا تكل ولا تمل عن مراقبة صغيرها كلما صعد جبلاً أو هبط واديًا ، وقد استشعر العلاقة الوجدانية بين الأم وصغيرها ، فوجد ا علاقة ملؤها الحنان والحرص ، من خلال مشاهداته لها في رحلاته المتكررة ، وظل يتمعن ويراقب ذلك الحيوان . فالشاعر صاحب حس مرهف ، يشعر بما تشعر به تلك الأم الرؤوم .

ثالثًا : الاستعارة :

مدخل :

((الاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس في حلي الشعر أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها . والناس مختلفون فيها : منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه))[١] .

والاستعارة : في اللغة من العارية ؛ وهي : ((ما يتداوله الناس بينهم . أو هي : نقل الشيء من شخص إلى آخر . واستعار الشيء : طلب منه أن يعيره إياه))[٢] .

((وقال القاضي الجرجاني : الاستعارة : ما اكتُفي فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ، ونُقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها بقرب التشبيه ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر))[٣] .

وقد عرّف الخطيب الاستعارة فقال : ((ما تضمّن تشبيه معناه بما وُضع له . والمراد بـ(معناه) : ما عُني به ؛ أي : ما استُعمل فيه . فلم يتناول ما استُعمل في ما وُضع له وإن تضمن التشبيه به ؛ نحو : (زيد أسدٌ) ، و (رأيته أسدًا) . ونحو : (رأيتُ به أسدًا) ؛ لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه))[٤] .

---

(١) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، تحقيق : عفيف حاطوم ، (ص ٢٢٥) .

(٢) اللسان ، مادة (ع و ر) .

(٣) المرجع نفسه ، (ص٢٢٦) .

(٤) عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح ، (ص٩٢) .

وعرّفها الإمام عبد القاهر الجرجاني بقوله : ((اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ ، تدل الشواهد على أنه خصّ به حين وُضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إلى غيره نقلاً غير لازم ؛ فيكون هناك كالعارية)) .[١]

الاستعارة التصريحية والمكنية :

((إن الاستعارة مبنية على إحلال أحد الطرفين في الآخر ، ويترتب على هذا ما نسميه تجوُّزًا بحذف أحد الطرفين ؛ فإذا كان المحذوف هو المشبه ، فالاستعارة تصريحية للتصريح بالمشبه به ؛ كقوله تعالى :] 7 8 9 Z الفاتحة: ٦. أما إذا كان المحذوف هو المشبه به فلابدّ من إثبات لازمه وصفته للمشبه والاستعارة حينئذ مكنية))[٢] ؛ مثل : أتاك الربيع يختال .

إن الشواهد الشعرية للشعراء الجاهليين خير دليل على موهبتهم ، وعلى تمتُّعهم بالفطرة اللغوية والشعرية ، التي تتفاوت من شاعر إلى آخر . كذلك تنوّعت الصور البيانية في أشعارهم ، ومنها الاستعارة التي وظفها الشعراء في قصائدهم توظيفًا جميلاً ، جعل تلك الصور البيانية تنطق بالحنان ، أو بالحزن والبكاء .

والاستعارة من أهم الصورة البيانية التي تناولها الشعراء في حديثهم عن عاطفة الأمومة عند الحيوان بكل صورها وأشكالها ، فظهرت عواطف الأمومة حنانٍ وعطفٍ ، وحزنٍ وعجزٍ .

وقد بدا للباحثة من خلال الجمع والاستقراء أن حضور الاستعارة يتفاوت من

(١) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، (ص٣٠) .

(٢) محمد شادي ، أساليب البيان والصورة القرآنية ، (ص٢٨٥) .

عاطفة إلى أخرى .

والاستعارة تلي التشبيه والكناية في حضورها في قصائد الشعراء التي تحوي عاطفة الأمومة عند الحيوان . وإذا تفحّصنا تلك القصائد وجدنا الاستعارة تتركز في عاطفة الأمومة المحضة أكثر من غيرها من العواطف ؛ بل إنّ هناك بَوْنًا كبيرًا بينها . فالأمومة المحضة عند الناقة حصلت على أكثر أبيات الاستعارة ، والأمومة المحضة تشمل جميع صور الأمومة ؛ من الإلقاح ، والحمل ، والولادة ، والإرضاع ، والفطام ، وهي صور مرتبطة بحيوانات البيئة العربية الجاهلية . ونجد أن هذه الصور قد سيطرت على ذهن الشاعر فأصبحت منبعًا لكثير من صور الشعراء الجاهليين ومصدرًا لها .

ونلحظ أن الاستعارة في الأمومة المحضة عند الناقة جاءت مستوحاة من بيئتهم الجاهلية الصحراوية ، سواءً أكان في السلم أم الحرب ، وقد صورها الشعراء في سياق الفخر والمدح فقط .

وهنا يُثار التساؤل : لماذا كانت الاستعارة عند الشعراء الجاهليين في الأمومة المحضة عند الناقة أكثر حضورًا منها عند الحيوانات الأخرى ؟

ترى الباحثة أن ذلك يرجع إلى الالتصاق الشديد بين الشاعر وناقته ؛ فهي رفيقه الدائم في الليل والنهار ، في الحلّ والترَحال ، وفي فرحه وترحه ، وسلمه وحربه ، واعتماده عليها في المأكل والمشرب ؛ لذلك كله فهي لا تغيب عن ناظريه . وكما ذكرنا فإنّ أكثر سياق جاء به الشعراء في الأمومة المحضة عند الناقة هو سياق المدح أو الفخر ، خلال الحروب التي خاضوها ؛ كقول الأعشى يمدح قيس بن معد يكرب[1] :

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق محمد حسين ، (ص٤٩)

وبهامشه : (البازل : البعير إذا بزل نابه ؛ أي شقّ ، وظهر أحلاجِ ما : استباجهوجعلهم حلالاً) .

أَخُو الحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّةً ... وَمُرٌّ لِمَنْ ذَاقَ الحُلُومِ وَأَحْلَامِ

فالأعشى يمدح قيس بن معد يكرب بالشجاعة والبأس . والصورة التي يجسدها لذلك البطل مشحونة بمفردات الأمومة المستقاة من البيئة التي يعيشها الشاعر الجاهلي في باديته ، وهذا أهم ما يميز الصورة عند الشاعر الجاهلي ؛ وذلك أنها :

١ - منتزعة من البيئة التي يعيشها الشاعر بشتى مفرداتها .

٢ - أنها تعتمد بالدرجة الأولى على التشبيه أو الاستعارة .

والأعشى يصوّر الحرب كأن لها أخًا لا يفارقها -وهو قيس- ؛ وهذا كناية عن الشجاعة وقوة البأس فالأخوّة بين الحرب وقيس تقتضي أن تكون هناك أمومة تجمعهم . ولعلها الشجاعة التي ولّدت كلٌّ من الشاعر والحرب من رحمها فلا يفترقان ؛ إذ يعيش قيسٌ أبد دهره شجاعًا مقدامًا في الحروب ، غير قاعدٍ عنها ولا متخاذلٍ .

وتنعكس مفردات البيئة في صورة الشاعر الجاهلي حين يصور الحرب في شدتها وعِظَمها بالناقة ؛ فخَلْق الناقة يتسم بالعِظَم والشدة ، كما أن الناقة تلقح فتنتج -كذلك الحرب يُقدح زنادها فتتوالد عنها الأحداث الجِسام .

وقد شبه الشاعر الحرب بالناقة مكتملة الخَلْق ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (لقحت) ؛ وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

وقد صف الشاعر الحرب بصفة الناقة أنها (بازل) ؛ أي : مكتملة الخَلْق ، بظهور جميع أسنانها ؛ ولا يكون ذلك إلا في مرحلة النضج وتمام الخَلق ، وعندها يكون الخَلق شديدًا والنتاج قويًّا وكثيرًا ، وهذا ينعكس بدوره على صورة المشبه (الحرب) التي تكون في أقصى درجات شدتها وأكثر أوان نتاجها للأهوال والحوادث الجسيمة ؛ وهنا يكون قيس خوّاضًا لغمارها ، ومن أشجع رجالها .

وقال الحارث بن عباد[١]:

قَرِّبْ بِرَبْطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لِقَحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ [٢]

قال هذا بعد مقتل ابنه بجير الذي كان رسول سلام إلى المهلهل ، فقتله وائلاً . كلمته المشهورة : (قَرِّبْ بِرَبْطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لِقَحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ) . يقف الحارث في حمّى مستنهضاً قومه لنيل الثأر ، بادئًا بنفسه طالبًا أن يمنحوه لجام فرسه (النعامة) ، وهو كناية عن الدخول في الحرب مع قبيلة (وائل) ، تلك الحرب التي طالما حرص الحارث على ألاّ تدور رحاها بين حيَّ تغلب (بكر) و(وائل) ، ولكن طيش المهلهل وتهوّره كان الشرارة التي ألهبت الموقف . وهذا الفعل من المهلهل كان بمثابة تلقيحٍ للحرب ، التي صوّرها الشاعر بصورة ناقةٍ حائلٍ لم تكن تحمل أو تلد ، وهذا وقت لقاحها حين ألقحها المهلهل بقتل بُجَيرٍ . وهذا على سبيل الاستعارة المكنية ، حين شبه الشاعر الحرب بالناقة ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو : (لقحت) . فالحرب أشبه بناقة ألقحت وطالما كانت حائلاً) ؛ وذلك إشارة إلى طول أمَد السلام بين الحيَّ اللذين كانا يعيشان في رخاء وسلام إلى أن ألقحت الحرب الحائل ، فأنتجت بينهما الفتك والدمار .

وصورة الإلقاح صورة مرتبطة بالبيئة العربية في البادية ، وهي صورةٌ سيطرت على ذهن الشاعر . فالإلقاح يرتبط بالإنتاج والولادة ، وهي أخص خصائص الأمومة التي

(١) الأصمعيات ، الديوان ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧١) .

والشاعر هو : الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن بكر بن وائل . كان من حكّام ربيعة ، وفرسانها المعدودين .

يُنظَر في ترجمته : الأصمعيات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٧٠) .

(٢) المصدر نفسه ، (ص٧٩) .

وبهامشه : (النعامة : اسم فرس . لقحت : حملت . عن حيال : حالت الناقة ؛ أي : لم تحمل) .

ارتبطت بالذهنية العربية تجاه الأشياء وسيطرت الأمومة من خلالها على تصور العربي لكل شيء ، فصارت الأمومة هي الأصل ومصدر كل شيء ومنبعه ، فانعكس هذا التصور في تصويره لسائر الأشياء من حوله .

واستعار علقمة بن عبدة سقبًا للسماء ؛ وهو : (ولد الناقة) ، فقال[١] :

الأَوْسِ كَالْخَيْتِ جَالَ الْبَاذِلُ بِهِ وما جمَعَتْ جَلٌّ معًا وعَتِيبُ

رَغَا فَوْقَهُمْ سِقْبُ السَّمَاءِ بِدِلْصِ بِشَكَّةِ يَسْلُبُ وَسْلَيْبُ

كَأَنَّهُمُ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

كثيرًا ما يجمع الشعراء الجاهليين بين الناقة والسحابة في التشبيه ؛ ففي قوله : (رغا - سقب السماء) استعارة ؛ حيث شبَّه صوت الرعد حين ينطلق من السحاب بصوت رغاء السقب حين يفقد أمَّه وصوت الرعد لا يُقارَن بصوت غاء الإبل في قوته ؛ فالفرق في قوة الصوتين ، ولكن الشاعر أراد أن يعطي لنا صورة عن عمق ذلك الحزن .

ويغلب أن ((يرتبط الرَّعْد برغاء الإبل ، وهي رابطةٌ لها دلالتها)) [٢] ؛ فترجيع الأصوات بين الناقة وولدها يشبه صوت الرعد . هذا من الناحية الحسية . ولكن الذي جعل الشاعر يجمع بين صوت الرعد وصوت رغاء السقب هو قوة الحزن وعمقه الذي حلّ بولد الناقة ، وبالناقة نفسها .

(١) علقمة بن عبده ، الديوان ، تحقيق : سعيد نسيب مكارم ، (ص ٢٨ - ٢٩) .

وبهامشه : (رغا : صوّت وضجّ . سقب : ولد الناقة عند ولادته . داحض : زالق ، ومعناه زلّ فسقط على الأرض . الشكّة : حملة السلاح . لم يستلب : لم يسلب . سليب : منهوب العقل والمال . صابت : أمطرت) .

(٢) نصرت عبد الرحمن ، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، (ص٧٢) .

وقال عنترة العبسي[١] :

تَنْدَى لِإِبْنِ يَلْطَمُ الغَرَّ قُحَتْ تخرجُ منها الطِّوَالُ السُّرُّ أَعْيَفُ

هذا البيت من قصيدة لعنترة يذكر فيها امرأةَ أبيه (سمية) وقد عمد إليه أبوه يضربه بالعصا ، فقامت تدافع عنه وألقت بنفسها عليه لتحميه من عصا أبيه ، وكانت قبل ذلك تحرِّض أباه عليه ، فتأثر عنترة لها في هذا الموقف ، وذكرها في شعره مؤكِّدًا -كعادة الأبطال- على شجاعته وبسالته في الشدائد .

ويعطينا عنترة صورةً بارعة للحرب أو الغارة حين تدْهَمُ القوم وتفاجئهم ، فيشتد بلاؤه فيها . فهو يصف الحرب أو الغارة بأنها شديدة وعظيمة ؛ لذا فهي أشبه بالناقة في لِظَاها وشدّتها . كما أن لهذه الغارة خصّ ما يخص الناقة وهو الإلقاح والإنتاج ؛ وذلك امتداد لسيطرة صورة الأمومة على مخيلة الشاعر العربي خاصّةً في البادية . فهو يصوّر أو يشبّه الغارة بالناقة ، ثم حذف المشبه به (الناقة) ورمز إليه بشيء من لوازمه (لقحت) على سبيل الاستعارة المكنية . فالناقة حين تلقح تلد ويخرج منها الفصيل ، ولكن الغارة حين ألقحت خرج منها طوال الخيل وعظمها وأسرعها عدْوًا كالجراد المنتشر . كما عمد الشاعر إلى الاستعارة عمد إلى التشبيه في قوله : (الطوالات السراعيف) . فالطوالات هي الخيول ، ووصفها بأنها (السراعيف) وذلك تشبيه لها بالجراد في الكثرة وسرعة الانتشار .

وعلى نحو ما نرى ؛ فالصورة يتضح فيها ارتباط الصورة في مخيلة العربي في بيئته الجاهلية بالأمومة التي تعدُّ مصدر الأشياء وأصلها ، وقد ارتبط ذلك أشد الارتباط بالإبل التي كانت أقرب مفردات الطبيعة إلى نفس العربي ، وأشدها حنينًا ،وأمومةً ونتاجًا ؛ لذا تفرعت عنها هذه الصور التي صورها العربي في شعره .

(١) عنترة العبسي ، الديوان ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، (ص٢٧١) .

وبهامشه : (الطوالات : جمع طوالة من الخيل . والسراعيف : جمع سرعوفة ؛ وهي : الجرادة) .

وكذلك يشبه عبيد بن الأبرص السحب السوداء المثقلة بالماء بالنوق اللواقح الغزيرة الألبان فيقول[١] :

لَوَاقِحُ دُلْحٌ بِالمِاءِ سُحْمٌ تَثُجُّ المَاءَ مِنْ خَلَلِ الخَصَاصِ [٢]

فصورة الإبل أو النوق تنعكس على كثير من مفردات الشاعر الجاهلي ؛ فهي أبرز ما يستمده الجاهلي من بيئته في كثير من شؤونها وملامحها ومفرداتها ، لذا فهو يشبه السحب المجتمعة المثقلة بالماء بالنوق اللواقح وقد آذنت بالوضع ، فالرياح تلقحها -أي : تجمعها وتعصرها - فيتوالد منها الماء . وقد قال تعالى :] X Y Z Z الحجر: ٢٢ . ففي قول الشاعر (لواقح) استعارة مكنية ؛ حيث شبه السحب المثقلة بالماء بالإبل اللواقح ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (لواقح) .

والشاعر يصف هذه السحب بأنها ثقلة ، وكما تكون الإبل اللواقح مثقلة بالحمل فهذه السحب مثقلة بالماء . كما أن هذه السحب(سُحْمٌ) -أي سوداء اللون- ؛ لشدة امتلائها بالماء ؛ لذلك فماؤها يندفع بثقلٍ من بين هذه الغيوم المتراكمة .

ويفخر عبيد بن الأبرص بقومه ، فيقول : [٣]

قومي بنودُ ودانأهْلُ النُّهى يومًا إِذَا أُلْحِتَ الحَائِلُ

(١) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، (ص٧٢) .

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٢ ،

وبهامشه : (اللواقح : السحب التي لقحت من الرياح . الدلح : المثقلة بالماء السُّحم السُّود تثجُّ : تصبُّ . من خلل الخصاص : من بين الغيوم) .

(٣) المصدر نفسه ، ص٩٤

وبهامشه : (النُّهى : العقل . ألقحت : حلبت . الحائل : العاقر ؛ أي : الأنثى التي لا تحمل) .

فالشاعر حين يفخر بقومه (بني دودان) يصفهم بأنهم أهل النهى -أي : العقول الراجحة- ، وهم قوم يعز نظيرهم ، ولا تكاد تلد المعالي لهم نظيراً ، فشتى النساء عواقر لا يلدْن أشباههم . وقد شبّه الشاعر قعم النساء وعدم قدرتهن على إنجاب أشباه ببني دودان قوم الشاعر أصحاب العقول الراجحة =بإلقاح الإبل الحائل -أي : التي لا تلد- . وهذا يؤكد سيطرة فكرة الأمومة المستمدة من البيئة البدوية ، التي تعد (النوق) أبرزها وأظهرها ؛ لذا فالشاعر يستحضر هذه الصورة في فخره بقومه ،تأكيداً على أن قومه لا نظير لهم .

وقال قيس بن الخطيم في الحرب التي أخذ فيها بثأره من قاتل أبيه وجدّه[1] :

وَإِنَّا إِذَا لَمْتُمُ وَالْحَرْبَ بَجَّسُوا ... قَنِيمُ بِأَسْيَافِ العَرَيْلِ وَاءَهَا

وَقُلْ حُهَا مَسْبُورَةً رَذْزَيَّةً ... بِأَسْلَفِ نَحَّاتٍ إِبَاءَهَا

ففي البيتين يقدّم لنا الشاعر تصويراً للحرب منتزعًا من البيئة الأم التي يعيشها الشاعر، وتُعدّ الإبل أميز ما يصور هذه البيئة ؛ لذا كانت صورة أمومة الناقة هي أوثق مفردات هذه البيئة تجسيداً لصورة الحرب ، التي صارت هي الأخرى أوثق ما يسجل تاريخ البشر في صراعاتهم ونشاطهم البشري المحتدم في هذه البيئة .

وبراعة الشاعر في البيتين تتمثّل في أن الصورة امتدت من البيت الأول إلى البيت الثاني في تطور تصاعدي للحدث ؛ ففي البيت الأول يؤكد الشاعر أن هؤلاء الذين يناوشون ويحرّضون على الحرب وإدارة الصراع بين القبائل سرعان ما تدهمهم الحرب فيتشككون في قدراتهم ويضعفون عن مواصلتها ، لكن قيساً وقومه يضعون لواء الحرب في مواطن الأبطال ؛

(١) قيس بن الخطيم ، الديوان ، تحقيق : دار صادر ، (ص٥٠ - ٥١) .

وبهامشه : (السيد : الذئب ، والداهية . وهو سيد أسياد : داهية في اللصوصية ، وعني بأسياد العرين : الأسود . رَذْزَيَّة : عاصية) .

لايتردّدون ولايفرّون ؛ بل يَجُون مواطن الوحوش لا يبالون الموت .

وقدشبّه الشاعر الحرب بالناقة الأم ممتلئة الضرع ، يمسح ضرعَهاصاحبُها ليستدر لبنها الغزير . وكذلك هؤلاء الذين يناوشون للحرب ويفتعلونها ليشتعل أوارها ، ولكن الحرب سرعان ما تفيض عليهم بالنكبات التي تذهلهم ،فيتشكّكون في قدرتهم عليها .

فالاستعارة في البيت استعارة مكنية ؛ شبه الشاعر الحرب في تتابع نكباتها بالناقة التي يمسح ضرعها ليستدر لبنها ، بجامع تتابع الحدث في كلٍّ ، ثم حذف المشبه به (الناقة) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (تُمْسَحُ) -بمعنى : ماسحو الضرع- ؛ للدلالة على استدرار الأحداث ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ؛ فالشاعر يشبه إرغامهم لأحداث المعركة على أن تكون كفة الحرب في أيديهم ويكون النصر لهم بالفحل الذي يُرغم الناقة على المعاشرة بإذلالها . فقد شبه الشاعر الحرب في شناعتها وصعوبة أحداثهاوتأبّيها على الأبطال وقدرته وقومه على إذلال أبطالها بالناقة الأبية الصعبة التي أذلها الفحل ؛ على الرغم منتأبّيها عليه ، ثم حذف المشبه به (الناقة) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (نلقحها) (مبسورةً -أي : رافضةً) (نُزَيَّة -أي : صعبة-) ؛ وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

وجمال الصورة في البيتين في أن الشاعر ترقّى في التصوير من إحدى صور الأمومة وهي صورة حلب الناقة واستدرار لبنها إلى صورة طروقها عنوة بإذلالها ؛ على الرغم من صعوبتهاوتأبّيها . وجعل هذه الصورة بإزاء تطور الأحداث في الحرب من إشعالها واستدرار أحداثها إلى إذلال أبطالها ، وانتصار الشاعر وقومه فيها .

يقول لقيط بن زرارة[1] مبيِّنًا لقومه سمات الفارس النبيل :

(١) بني تميم ، الديوان ، تحقيق : عبد الحميد محمود المعيني ، (ص٣١٦) .

وبهامشه : (دَرّ الدهر أشطره : اختبر الدهر خيره وشره)

مَا لَمْ يَحْلَبْ دُرَّ الدَّهْرِ أَشْطُرُهُ يَكُونُ مُتْبِعًا يَوْمًا لِمَا تَبَعَا

هذا البيت من قصيدة للقيط بن زرارة حين أسره كسرى فارس ، فعلم أن الفُرس يعصرون قومه بالحرب والنكال ، فبعث إليهم بهذه القصيدة يحذرهم فيها من كسرى وقومه . وقد علم كسرى بنبأ القصيدة ، فأمر بقطع لسانه وقتله على أثرها ، وقد ارتضى لقيط القتل على أن يُلزم قومه ويذلّوا .

في هذا البيت يوضح لقيط لقومه صفات الفارس الخبير الذي يجب أن يكون عليه سائر رجال قومه فالفارس قد عركته الأحداث والنوائب ، تارة مهزوماً ، وتارة منتصراً ، حتى صار ذا حنكة على إدارة الأحداث ودخول المعامع . وقد شبه لقيط الدهر بالناقة التي تحلب ؛ فالدهر بأحداثه وتوالي صروفه وتتابُع نوائبه أشبه بالناقة التي يتوالى نزول لبنها من ضرعها عند ما يستدرّ حالبُها ؛ كذلك نرى هذا الفارس بصراعه مع نوائب الدهر وصروفه يستدر أحداثه ليكون خبيراً بها . وقد حذف الشاعر المشبه به (الناقة) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (يحلب درّ) ؛ وذلك على سبيل الاستعارة المكنية . والاستعارة على ما نرى منتزعة من بيئة الشاعر ؛ لتكون أشد تأثيراً وأقوى وقعاً وأشد حضوراً في مخيلة المخاطبين ، خاصة وأنه يستحثهم على الاستعداد لمنازلة جند كسرى .

وقد استلهم الشاعر لبيد بن ربيعة صوت الناقة ليصف صوت الرعد ، فقال : (١)

والشاعر هو : لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بني تميم بن مر ، ولقيط سيد فارس .

يُنظَر في ترجمته : ديوان بني تميم ، تحقيق : عبد الحميد محمود المعيني ، (ص٣١١) .

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق إحسان عباس ، التراث العربي ، الكويت ، ط ١ ، (ص ٢٩٨) .

مدجّن : ظل الغيم في اليوم المطير . اللسان (د ج ن) . **إرزامها** ضربٌ من حنين الناقة على ولدها ، وهو صوت تخُرجه من حلقها . اللسان (ر ز م) .

مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجَاوِبٍ إِرْزَامُهَا

فالشاعر حين يصوّر لنا مشهد الغيم المؤْذن بالهطول يعطينا صورة السحب ليلاً (سارية) وصباحاً (غاد) ومساءً (عشية) ؛ فحركة السحب في السماء متواصلة دائمة ، وصوت رعودها يتجاوب مع بعضه البعض مؤْذنًا بالمطر . وهذه الصورة العلوية لحركة السحب وتجاوُبها في السماء تستدعي صورة أخرى أرضية يستحضرها الشاعر ويستلهمها ؛ وهي صورة الإبل الرائحة الغادية وقد تجاوبت مع أولادها بأصوات الحنين (الإرزام) . وقد استعار الشاعر لصوت السحب (الرعد) صوت الإبل (الإرزام) ، وكأنه شبه السحب بالنوق، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإرزام ؛ وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

والصورة هنا تعكس مدى ارتباط الشاعر الجاهلي ببيئته في البيئة (الأم) ، التي تلوح من خلالها صور الأشياء ، وتصدر عنها شتى الحقائق .

ويتابع لبيد بن ربيعة وسْم الصور التي جعلت من صوت الرعد في السحاب الشديد المطر وكأنه هزيم الناقة على ولدها ، فيقول[1] :

مَرَتِ الجَنُوبُ بِهِ الغَمَامَ بَوَابِلٍ وَمُجَلْجِلٍ رَقَّ الرَّبَابَ هَزِيمُهَا

فالشاعر يُمعن أكثر في استلهام صورة الناقة وربطها بصورة السحب ؛ وذلك حين يجعل حركة الرياح التي تلف السحب فتؤثر فيها وتجعل ماءها يهطل وابلاً ومجلجلاً بهزيم الرعد ، كأن هذه الرياح التي تعصر هذه السحب (تحلبها) . فـ(مرت) بمعنى : حلبت . وكأنما

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق إحسان عباس ، التراث العربي ، الكويت ، ط ١ ، (ص ٢٩٨) .
وبهامشه : (مرت : أي حلبت له السحاب . الوابل : المطر الشديد . الرباب السحاب الذي تراه كأنه مُلَاَّ . مديم : دائم)

شبه الشاعر السحب بناقةحَلوب ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ؛ وهو (مرت) على سبيل الاستعارة المكنية .

وهذه الصورة التي استدعاها الشاعر في البيت تؤكد اتصال الشاعر ببيئته ، وانتزاعه لصوره وخيالاته منها ، كما تؤكد على سيطرة فكرة الأمومة على مفردات الصورة الجاهلية ؛ فالمرَيْ ُ -أي : الحلب- من لوازم الأنثى الأم ، وهو ما استلهمه الشاعر في تصويره لصورة هطول السحب وإدرارها لوابلها المجلجل بهزيم الرعد .

المبحث الثاني
نموذج لعاطفة الأمومة عند الحيوان في قصيدة الخنساء
دراسة تحليلية

أولا ـ نص[١] قصيدة الخنساء[٢] .

١ - ما هاج حزنك أم بالعين عوار أم ذرَّفت أن خلتْ من أهلها الدارُ[٣]

---

(١) القصيدة برواية أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب .يُنظَر : ديوان الخنساء بشرح ثعلب ، تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم (ص٣٧٨ وما بعدها) ، دار عمار الأردن ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) .

(٢) الخنساء ؛ هي : تماضر بنت عمرو بن الشريد ، كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني ، ويفضلها على سائر الشواعر . خطبها دريدبن الصمة فأبت وتزوجت رواحة بن عبد العزى السُّلمي ، فولدت له عبد الله ، وتزوجت من بعده مرداس بن أبي عامر السلمي ، فولدت له زيد أو معاوية وعمرا . كان أخوها صخربعمرو شريفًا في بني سليم كريماً معطاء ، وكانت لا تقصده في فاقة إلا اقتسم ماله وأعطاها أفضل نصفيهخرج مرة في غزاة فقاتل قتالاً شديداً وأصابه جرح متسع ، فمرض إلى أن مات فبكته بكاء حارًّا . وكانت الخنساء تقف بالموسم تسوم هودجها بسومة ، وتعاظم العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وتنشدهم فتُبكي الناس . أسلمت وحسن إسلامها ، وكانت تقول : كنت أبكي لصخر من القتل ، وأنا أبكي له اليوم من النار .
يُنظَر في ترجمتها : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، (١/٣٤٣) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة، د ت .

(٣)العُوَّار : الرمد . وقيل :بَخَر يكون في جفن العين الأسفل . وقيل : غمة تمض العين كأنما وقع فيها قذى وهو العوار .والعُوار اللحم الذي يُنزع من العين بعدما يُذر عليه الذرور ،والعُوار والساهك والرمد والرمص والغمص : واحد . (اللسان ، مادة عَوَر) .

٢- كأن عيني لذي كراهُ إذا خطرت فيض يسيلُ على الخدّ يمن مدرارُ [١]

٣- تبكي لصخرٍ هي العبرى وقد ولهت ودونه جديد الترب أستارُ [٢]

٤- تبكي خناس فما تنفكُّ ما عمرت لها عليه رنين وهي مفتارُ [٣]

٥- تبكي خناس على صخرٍ وحق لها إذ رابها الدهرُ ، إن الدهر ضرارُ [٤]

٦- لابدَّ من ميتةٍ في صرفِ بهيرٍ والدهر في صرفه حولٌ وأطوارُ [٥]

٧- قد كان فيكم أبو عمروٍ يسودكمُ نعلم معمٌ لداعين نصارُ [٦]

٨- هتُ لُبَ النُّحيزة وهّابٌ إذا منعوا وفي الحروب جريءُ الصدر مهصارُ [٧]

٩- يطخرورُ ماءٍ قد تناذره أهل الموارد ما في وردهِ عارُ [٨]

١٠- مثل السَّبنتى إلى هيجا مضلعة لها سلاحان أنياب وأظفارُ [٩]

---

(١) **الفيض** : النهر .

(٢) **العبرى** : التي لا تجف دموعها . ولهت ، **الواله** : التي قد شفها الحزن على ولدها ، **جديد الترب** : أي صار في باطن الأرض ، و **جديد الأرض** : بطنها ، **أستار** : ظُلم .

(٣) **الرّنين** : الصياح عند البكاء . (اللسان : رن ن) ، و **مفتار** : أي أصابها فترة ؛ أي : ضعف وانكسار .

(٤) **رابها** الرَّاب : الجمع والشد ، أي : أصابها ونابها بنائبة .

(٥) **صرفها** : تصرفها . حول **أحوَل** : أي يتقلب بأهله .

(٦) أبو عمرو : كنية أخيها صخر .

(٧) **النحيزة** : أي الطبيعة . مهصار ، **الهصر** : الكسر ، هصرت الشيء ووقصته إذا كسرته . والهصر : أن تأخذ برأس شيء ثم تكسره إليك . (اللسان : هـ ص ر) ، أي :قطّاع للرؤوس .

(٨) **تناذره** : أي أنذر بعضهم بعضا بخطر وروده .

(٩) **السبنتي** : النمر .**مضلّعة** : شديدة ثقيلة .

١١- فما عَجُولٌ على بَوٍّ تطيف به لها حَنِينانِ إصغارٌ وإكبارُ[١]

١٢- تَرْتَعَ ما رَتَعَتْ حتّى إذا ادَّكَرَتْ فإنّما هي إقبالٌ وإدبارُ[٢]

١٣- لا يسمن الدَّهر في أرض وإن ربعت فإنما هي يَحْنَانٌ بِجَارُ[٣]

١٤- يومًا بأوْجَدَ منّي يوم فارقني صخرٌ وللدهر إحلاءٌ وإمرارُ[٤]

١٥- وإن صخرًا لكافينا وسيدُنا وإن صخرًا إذا نَشْتُو لَنَحَّارُ[٥]

١٦- وإن صخرًا لمقدامٌ إذا ركبوا وإن صخرًا إذا جاعوا لعقَّارُ[٦]

١٧- أغرُّ أبلجُ تأتمُّ الهُداةُ بِهِ كأنّه علمٌ في رأسه نارُ[٧]

---

(١) **العجول** : الإبل . **الوالهة** : التي فقدت ولدها ، **البَوّ** : الحُوار . قيل جلد ولد الناقة بعد نحره يحُشى شيئًا من الشجر ويُدْنى منها فتراَمُه وتتصبر به ، وتدر عليه اللبن.

(٢) **ترتع** : ترعى في المرعى .

(٣) **ربعت**: أصابها مطر الربيع . **الحَنَّان** : حنّت الناقة : إذا طربت في إثر ولدها . **المتَّجار** : إذا مدت الناقة في حنينها إثر ولدها .

(٤) **أوجَد** : أي أشد وجدًا أي : حزنًا . **إحلاء وإمرار** : أي ما أتى بحلو ولا بمرّه ؛ أي الدهر بمحبة ومشقة .

(٥) **نشتو** : أي ندخل في فصل الشتاء ، وتشتد حاجتنا فيه .

(٦) **عقّار** : كثير العقر ؛ أي : الذبح .

(٧) **الأغر** : المشهور ؛ أي : الأبيض الوجه الواسع الجبهة . **الأبلج** : البعيد ما بين الحاجبين ، أو ساطع البياض . **الهداة** الأدلاء ، أي : الذين يهتدى بهم في الأمور والشرف . **العلَم** : الجبل العظيم العالي .

١٨ـ جَلْدٌ جَمِيلُ المُحَيَّا كَامِلٌ وَرِعٌ ... وَلِلْحُرُوبِ غَدَاةَ الرَّوْعِ مِسْعَارُ (١)

١٩ـ حُلْوٌ حَلاوَتُهُ فَضْلٌ مَقَالَتُهُ ... فَاشٍ جُمَالَتُهُ لِلْعَظْمِ جَبَّارُ (٢)

٢٠ـ كَمَالُ أُلْيَةٍ هَبَّاطُ أَوْدِيَةٍ ... شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ لِلْجَيْشِ جَرَّارُ

٢١ـ فَقَدْتُ لَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ لَيْسَ لَهُ ... مُعَاتِبٌ وَحْدَهُ يُسْدِي وَيُلْوِي (٣)

٢٢ـ لَقَدْ نَعَى ابْنُ نُهَيْكٍ لِي أُخَيْفَةً ... كَانَتْ تُرَجَّمُ عَنْهُ قَبْلَ أَخْبَارُ (٤)

٢٣ـ قَبْتٌ سَاهِرَةً لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ ... حَتَّى أَتَى دُونَ غَوْرِ النَّجْمِ أَسْتَارُ (٥)

---

(١) **جَلَد** : القوة والشدة ؛ أي : قويًّا في نفسه وجسده . (اللسان : ج ل د) . **المُحَيَّا** : الوجه **وَرِعٌ** تقيّ ، والأصل الكفُّ عن الحرام والتحرُّج منه ، ثم استعير للكف عن المباح والحلال . **مسعار** : موقد = =الحرب .

(٢) **فاشٍ** تفشّى الشيء تفشؤًا : انتشر . **والفَخْر** : من الفخر . (اللسان : ف ش أ) أي **مُتَفَخِّر** بمعنى ظاهر وواضح **جُمَالته** : الجمال الحُسْن يكون في الفعل والخُلق **رجل جُمَالِيٌّ** : ضخم الأعضاء تام الخلق . (اللسان : ج م ل) .

(٣) **أسدى الثوب** أقام سُداهُ ؛ أي ما مُدَّ من خيوطه . **ويَسَّر الثوب** إذا جعل له نيرًا ؛ أي : لُحمةً وهي : ما استعرض من خيوطه .

(٤) **نعى** : أذاع موته وأخبر به ، وإذا ندبه . ابن نهيك : رجل من القبيلة هو من أعلمها بموت أخيها ، **تُجَمَّ عنه أخبار** ؛ أي : تُذكر على سبيل الظن والتخمين ، ليس على سبيل اليقين .

(٥) **غَور النجم** : المقصود الظلمات ، ولعل المقصود بالنجم أخاها . و **غوره** : موته . و **الأستار** : صفائح قبره ؛ أي : طبقات الرمال فوق القبر .

٢٤. لم تره جارة يمشي بساحتها لريبةٍ حين يخلي بيته الجلوُ (١)

٢٥. وما تَراهُ وما في البيتِ يأكلُهُ لكِنّهُ بارزٌ الصَّحْنِ مِهْمارُ (٢)

٢٦. ومُطْعِمُ القومِ حيناً عندَ مَسْغَبِهم وفي الجُدوبِ كريمُ الجَدِّ ميسارُ (٣)

٢٧. قد كانَ خالِصَتي مِنْ كُلِّ ذِي يَنَبٍ فقد أُصِيبَ فمِن للعيشِ أوطارُ (٤)

٢٨. مثلُ الرُّدَيني لم تنفذ شبيبته كأنه نحت طي البُرْدِ إسوارُ (٥)

٢٩. جَهْمُ المُحَيَّا تضيء الليل صورتُه آباؤُه مِن طِوالِ السَّمْكِ أحرارُ (٦)

٣٠. ورَّثُ المجدِ ميمونٌ نقيبته ضخم الدسيعة في العزاء غوارُ (٧)

---

(١) **الريبة** : الشك ،والظِّنة ، والتُّهمة .

(٢) **الصَّحْن** ؛ أي الغسّ ، القدْح الكبير ، والجفنة الضخمة . **مهمار** :أي مكثار ، يُكْثِر ضيافه من القِرى.

(٣) **المَسْغَب** : الجوع .**كريم الجَدّ** : كريم العطاء . **ميسار** : الكثير الفضل .

(٤) **خالِصتي** : الذي اخترته لنفسي ،وخلُصت لودّه . **أوطار** : الوطر : كل حاجة كان لصاحبها فيها همة فهي وطَره . وطرى ، أي : حاجتي . (اللسان : و ط ر) .

(٥) **الرُّدَيني** : الرمح المتين الصلب المستقيم ، نسبة إلى ردينة امرأة كانت تقوِّم الرماح ، (اللسان :ردن) **الشبيبة** : خلاف الشيب (اللسان : ش ب ب) ، أي : أول شبابه **البُرْد** : الثوب . **إسوار** : أي سوار الذهب أو الفضة ، أي : كأنه إسوار من لطافة بطنه وهيفه .

(٦) **جهم المُحَيّا** : كالح الوجه ، مغضب في وجه أعدائه . **طوال السمك** : طوال القامة .

(٧) **ميمون نقيبته** : النقيبة ؛ أي : الطبيعة ، محمود المختبر ، مبارك النفس . **الدسيعة** : العطية . **العزاء** :

٣١ـ فرع لفرعٍ كريمٍ غيرِ مؤتشبٍ جلد المريرة عند الجمعِ فخَّارُ [١]

٣٢ـ في جوف رمسٍ مقيمٌ قد تضمَّنهُ فيهِ مُقْطَرَّاتٌ وأحجارُ [٢]

٣٣ـ طلق اليدين بفعلِ الخير فوَّارٍ ضخمِ الدَّسيعة بالخيراتِ أقَّارُ [٣]

٣٤ـ يكِمُّ قترٌ أفنى حريبتَهُ دهرٌ وحالفَهُ بُؤسٌ وإقتارُ [٤]

٣٥ـ ورفقةٌ حار هاديهم بمهلكةٍ كأن ظلمتها في الطّخيَةِ القارُ [٥]

٣٦ـ حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـ ـديٌّ الطريقةِ فاعٌ وضرارُ [٦]

٣٧ـ جوابُ قُاصيةٍ جزانٌ أُصيلةٍ عقادُ ألويةٍ للخيلِ جرارُ [١]

الشدة . **مغوار** : مقا ل كثير الغارات على أعدائه . (اللسان : غ و ر) .

(١) **فرع القوم** : زعيمهم . **المؤتشب** : المختلط النسب **جَلْد** :صلْب قوي حازم . **المريرة** : إبرام الرأي . الفَخار : الكثير الفخر ،أو الذي يكثُر خيره فيكثر ما يفخر به .

(٢) **الرمس** : القبر **مقمطرّات** : صخور عظام ، شداد صلاب .

(٣) **فَجَر**: أي تتفجر كفه بالعطية . **الدسيعة** : العطية ، أو النفس .

(٤) **الحريبة** : ما يتعيش به الإنسان من المال . **الإقتار** : ضيق العيش .

(٥) **المهلكة** : المفازة ؛ أي : الصحراء المهلكة . **الطخية** : الغيم ، أو الظلمة . من الطخاء وهو الغيم الرقيق.

(٦) **الطريقة** : السيرة . وطريقة الرجل : مذهبه ، وفلان حسن الطريقة . والطريقة : الحال . (اللسان : ط ر ق) .

٣٨ـ عَلْ ُ الذراعين قد تخشى بديهتُه له سلاحان أنياب ٌ وأظفار ُ (٢)

٣٩ـ لايمنع ُ القومَ إن سالوه خُلعتَهُ ولايجاوزُه بالليل ـــر َّ ار ُ (٣)

إطلالة على النص :

تُعَدُّ رائية الخنساء(٤) (ما هاج حزنك) في رثاء أخيها صخر من أشهر المراثي في الشعر العربي ؛ لما اشتملت عليه من مشاعر الحزن والأسى اللَّذَين سكنا نفس الخنساء ، فوقعت أسيرة الحزن ، والعجز ، والفراق .

والخنساء صاحبة الحس المرهف والمشاعر الجياشة ْ شأت هذه القصيدة في رثاء أخيها صخر بفحُزنها وأساها لفراقه جعلاها تستلهم أعظم عاطفة وأقوى مشاعر ؛ وهي عاطفة الأمومة ، تلك العاطفة التي سيطرت مشاعرها الفياضة على القصيدة بأكملها .

إن الخنساء في هذه القصيدة تتحدّث عن الأسى والحزن والفقد ، من مطلق حنها وفراقها لأخيها صخر ، ولكن إذا تأملنا تلك الأبيات وجدناها مليئةً بأقوى مشاعر الحزن وأدقها والفقد واللوعة ، وكأنها تعبر ّ عن فقْد الأم لوليدها وليس فقْد الأخت لأخيها .

لقد سيطرت صورة الأمومة على أبيات الخنساء من خلال تلك الصور والمعاني التي حشدتها في رثائها لأخيها صخر .

مطلع القصيدة :

---

(١) **جزاز** : اجتزه قطعه . **ناصية** : مقدمة الرأس وأرادت الرأس َ عامة .

(٢) **عبل** : غليظ الألواح كثير العصب . **البديهة** : الابتداء ، وسداد الرأي عند المفاجأة .

(٣) **خُلعته** : ثوب **خِلعته** : خيار ماله **مر ّار** : أي لا يمر به ضيف إلا أكرمه وأنعم عليه .

(٤) بتصرف . ديوان الخنساء ، بشرح ثعلب ، تحقيق أنور أبو سويلم ، (ص٣٧٨وما بعدها) .

١ - ما هاج حزنك أم بالعين عُوَّار أم رَفَّت أخلت من أهلها الدارُ

بدأت الخنساء قصيدتها بأسلوب استفهامي ، الغرض منه جذب الانتباه ؛ فهي تتساءل عن أمر عظيم حلّ بها وهيّج حزنها وألمها ثم تكرّر التساؤل لعِظَم ذلك الأمر : فهل السبب هو داء ألمّ بعينها فتسأل دموعَها ؛ لأن هذه الدموع تنهمر دون توقف ؟ أم إن هناك سببًا آخر لذلك الحزن ولتلك الدموع ؛قد يكون فراق الأحبة والأهل ، فقد اطّلعت على تلك الديار فوجدتها خلت من أحبتها ؟

وتواصل الخنساء تصوير حزنها وما أصابها من لوعةٍ وحسرةٍ ، فتقول :

٢ - كأن عيني لذكراه إذا خطرت فيضٌ يسيل على الخدين مدرارُ

لقد ظهر هذا الحزن جليًّا على الشاعرة من خلال تصويرها دموع عينيها (بالفيض) -وهو النهر الذي يفيض ماؤه على جانبيه - ؛ وذلك لتُظْهِر شدّة بكائها واستمراره ؛ بكاء لا ينقطع على أخيها ؛ لأنها كلما ذكرته هاج حزنها وسالت دموعها .

ثم تقول :

٣- تبكي لصخرٍ هي العبرى وقد ولهت ودونه من جديد الترب أستارُ

تذكرُ الشاعرة في هذا البيت سبب بكائها ؛ وهو :فقْد أخيها (صخر) ؛ فالبكاء عليه وبسببه . وهي تؤكد استمرارها في البكاء بقولها : (هي العبرى) ؛ أي : التي لا تجف دموعها . وهذه الصورة تجسد لنا مشاعر الأمومة ؛ لأن البكاء الدائم لا يكون إلا لفقد الابن ، ويظهر ذلك من خلال قولها : (وقد ولهت) فالوالهة : التي شفها الحزن واشتد عجزها لفقد صغيرها . فالخنساء صورت نفسها بمثابة الأم التي تفقد وليدها ، وتتحسر عليه في عجز ، وتطوف حوله وقد أطبق عليه التراب طبقاتٍ وأستارًا تحول بينها وبينه .

ونلاحظ أن الخنساء (الأخت) لم تعبر عن فقدها أخيها بمشاعر (الأخت) ؛ بل

بمشاعر الأم الواهة الحزينة .

وتستمر الخنساء تتجرّعه من ألمٍ وحُزْنٍ ، فتقول :

٤- تبكي خناس فما تنفك ما عمرت لها عليه رنين وهي مفتوحُ

٥- تبكي خناسٌ على صخرٍ وحقَّ لها إذ رابها الدهرُ ، إن الدهر ضرارُ

ويظهر في البيتين مدى الحزن ، والتحسر ، والألم ، والندب ؛ من خلال تكرار الشاعرة للفعل (تبكي) بحثاً عن مشاعر فقدها لأخيها ، فهذا الفقد ما هو إلا مصيبةٌ من مصائب الدهر . وعبرت الشاعرة عن نفسها بـ (خناس) -وهو ترخيم لاسمها- إشارة إلى رقتها وأنوثتها وضعفها ولتصوير عِظَم هذا الفقد وأثره الواضح عليها ؛ فهي لا تكاد تحتمله، وستظل باكية تنوح عليه ، وقد أصابها الضعف والانكسار والهزال جرّاء اللوعة والحزن المرير .

من خلال الأبيات السابقة نجد أنّ مشاعر الشاعرة وصلت إلى أشد أنواع الحزن والوله ؛ وهو حزن الأم الثكلى التي فقدت صغيرها واضطربت جوارحها . وقد ظهر هذا الاضطراب وهذا الحزن جليًّا من خلال الالتفات من كاف الخطاب (ما هاج حزنك) إلى المتكلم (كأن عيني) ، ثم إلى الغيبة (تبكي لصخرٍ) ثم انتقلت إلى ذكر اسمها مرخَّماً . فاضطراب الخنساء في ذلك الالتفات إنما هو لحزنها ، وتحسرها على فقدها لأخيها .

وفي البيت الخامس تكرر الشاعرة اسم المرثيّ دلالةً على حزنها وحسرتها على فقدها لأخيها وحُقَّ لها ذلك ؛ لأنه قد أصابها بفقده مكروه عظيم ترى أن الدهر سببه ؛ فهي تُرجع هذا المكروه إليه، ثم تُثبت أن ما أصابها من ضرر إنما يرجع إلى فقد أخيها الذي كان يحميها من نوائب الدهر .

وتقول الخنساء :

٦- لابدَّ من ميتةٍ في صرفها يَـرٌ والدهر في صرفه حول وأطوارُ

تؤكد الشاعرة في هذا البيت أن الإنسان لا يدوم على حال ، وأن نوائب الدهر وأحداثه وأحواله المتغيرة تمتد وتصيب كل إنسان وها هي تؤكد توجُّعَها من مصائب الدهر وأحداثه التي ألمت بها ، وتمثلت في فقدها أخيها صخر .

ثم تقول :

٧- قد كان فيكم أبو عمروٍ يسودكمُ نعلم معمَّمُ للداعين نَصارُ

٨- لَهْتُ لِلْنَّحيزة وهَّابٌ إذا منعوا وفي الحروب جريءُ الصدر مهصارُ

هنا تذكر المرثي وتكنيه بأبي عمرو تكريماً له . وتذكر كرمه ، ومآثره ، ومهابته ، ومكانته بين قومه ، فتخاطب قومه بذلك ؛ فهو من أصحاب العمائم والسيادة ، وهو ملاذُ كل مستنصر ومستنجد عند نزول الشدائد والفاقة والحروب . فهو لا يهاب الحروب ، ويحصد رؤوس الأعداء عند القتال . وتعداد الشاعرة لمآثر أخيها صخر ما هو إلا تعبير عن ألم الفراق ، وأيضاً تصبيرٌ للنفس ، وتهوينٌ مصابها عليها . وهذا ما نلمسه في أن إحساسها ومشاعرها في الفقد والفراق أضحت كمشاعر الأم التي تتحدث عن ألمها وولهها على ولدها المفقود .

وتواصل الخنساء ذكر مآثر أخيها صخر ، فتقول :

٩- يا صخورَ ادُ ماءٍ قلتناذره أهل الموارد ما في وردها عارُ

١٠- مشلولُ سَبَنْتى إلى هيجا مضلعةٍ لها سلاحان أنياب وأظفارُ

يتصاعد حضور المرثي في وجدانها ، فنجدها تخاطبه وتناديه : (يا صخر) ، وتبرز تميزه في المواقف العصيبة وأوّلها إقدامه حين يرد الماء الذي يخشى الناس الإقدام على وروده ؛ لما يحيط به من أخطارٍ أقوامٍ حوله قد احتازوه لهم ، صخر فيردُه ولا يأبه بخوف الآخرين الذين يزدُر بعضهم بعضاً لما يخوّفونهم من ورود ذلك الماء . وهي بذلك تصف مدى قوة صخر

وشجاعة في مواجهة الموت والأعداء ؛ فهو في شجاعته كالنمر الذي يمشي نحو المخاطر والمهالك الشديدة . والمراد : الحرب الثقيلة التي كأن لها ذات أنيابًا وأظفارًا ؛ كالوحش الضاري .تشبّه أخاها صخرًا بالنمر الشجاع الذي لا يهاب الموت في الهيجاء ، ووجه الشبه هو الشجاعة ، والقوة ، والإقدام .

واختارت الشاعرة كلمة (يمشي هلا ً من (يعدو) ؛ لتدلل على مدى قوته وشجاعته ، فهو يسير فيطبُء ؛ لثقته بأن النصر سيكون حليفه ، ولأنه اعتاد ممارسة تلك الحروب .

إن هذا الحزن والأسى والإحساس بالفقد على فراق الخنساء أخها صخرًا ق ع في نفسها فأمعنت ْ في ذكر مآثره ، والفخر بشجاعته ، والتباهي بقوته ؛محاولةً منها لتخفيف تلك الفجيعة ، والمأساة ، والاضطراب ، والحيرة التي لا تنفك عنها . والخنساء في مشاعرها المتدفقة نحو أخيها صخر استطاعت أن تجعلنا نظن أن صخرًا ولدها الذي ثكلته ؛ فهي تنوح عليه لا على أخيها .

تتّشح ُ الأبيات السابقة بعاطفة الأمومة عند الشاعرة ، وتسيطر عليها أكثر من عاطفة الأخوة ؛ لأننا لا نجد هذا الأسى والحزن المريرين غير المعتادين إلا عند الأم الثكلى التي فقدت وليدها .

والخنساء عندما تبوح بمشاعرها لفقدها أخيها تجعلها في صورة الأم الناقة التي فقدت وليدها ، وهذا ما سيتضح في ما يأتي من أبيات القصيدة .فقد عهد ْ للشعراء الجاهليين كثيرًا ما يلجؤون في أشعارهم إلى تصوير الناقة ؛ ليعبروا من خلالها عن مشاعرهم وأحاسيسهم وأخيلتهم ، والخنساء -الشاعرة الجاهلية- قد تشبعت بأساليب الجاهلية ، وأخيلتها ، وصورها ؛ فهي في رثائها لأخيها صخر سيطرت عليها عاطفة الأم (الناقة) الثكلى ، ومن خلال تلك الصورة استطاعت أن تبث وتعبر عما يختلج في نفسها من حزن ، وأسى ، وحسرة ، وتبث روح الشكوى والفراق . وهذا ما نلمسه بوضوح في الأبيات التالية التي تقول فيها :

١١- فما عجول على بوٍّ تطيف به لها حنينان إصغارٌ وإكبارُ

١٢- ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ

١٣- لا يسمن الدَّهر في أرض وإن ربقت فإنما هي تحنانٌ وتسآجارُ

١٤- يوماً وجَامِنِّيومَ فارقني صخرٌ وللدهر إحلاءٌ وإمرارُ

فهذه الأبيات تمثل أقوى صور الأمومة في النص كلِّه ؛ لأن متلقي القصيدة قد لا يتبادر إلى ذهنه صورة الأمومة إلا من خلال هذه الأبيات ، فمن خلالها يوقن أن صورة عاطفة الأمومة قد سيطرت على القصيدة كلها وليست عاطفة الأخوة التي تربط الشاعرة بالمرثي . فالشاعرة هنا نقلت لنا مشاعر الأم لا الأخت ؛ لأنها صورت نفسها كصورة الناقة الأم الثاكلة التي غلب عليها الحزن ، والأسى ، والعجز ، والذهول ، والحيرة ، والاضطراب ؛ مما نشعرُ من خلالها بقوة الانفعال والتأثر اللذَين كانت تعيشهما الشاعرة .

والأبيات من التشبيه الضمني ؛ حيث صورت الشاعرة نفسها بصورة الناقة الثكلى التي فقدت أعز ما لديها وهو وليدها ، فشبهت نفسها بالناقة العجول المفجوعة على ولدها الذي حنَّ ، فأصابها الحزن ، واللوعة ، والإحساس بالوله والفقد . وقد ظهر هذا الحزن والعجز من خلال تجسيدها للصورة الحركية للناقة ؛ فهي مضطربة ، وزاد اضطرابها عند مشاهدتها لفصيلها (البَوّ) الذي جلده شجرًا فأدْمَى منها لتدر عليه من لبنها ، وقد أصبح جثة هامدة ،فتدور حوله ذهابًا وإيابًا ، ويزداد تحسرها ، وألمها ، وحرقتها على ولدها حين يُسمع حنين صوتها الذي ترثي به شعرًا تكتمه من ألمٍ وقهرٍ على فقيدها .

ثم تنقلنا الخنساء إلى أنواع من صور حزن الناقة على ولدها ؛ فالناقة مهما تنقلت في المراعي الخضراء إلا أنها لا تنسى صغيرها ، فتُعرِض عن تلك المراعي الفسيحة كلما ذكرته ، وتصبح في حركة دائمة مقبلةً مدبرةً نتيجة لمعاناة الفقد والفراق .

وقد وقف الشيخ محمد أبو موسى وقفةتأنّيةً عند هذا التعبير العالي : (فإنما هي إقبال وإدبار) ؛ ليفصح عن ذلك بقوله : ((أسندت الإقبال والإدبار إلى الناقة على طريقة قولنا : (يدٌ علْ ٌ) ؛ وهذالجو ُّز الإسناد . والإقبال والإدبار كلاهما مستعمل في أصل معناه ، وهذا الإسناد أفاد أن هذه الناقة حين ذكرت ولدها ارتاعت من شدة ما تجد ، واشتد بها الوجد وأخذت تقبل وتدبر ، وكأنهفرط إقبالها وإدبارها صارت إقبالا ً وإدبار ً ا .الناقة استحالت إقبالا ً وإدبار ً ا ... ويرفض عبد القاهر أن يكون الكلام على حذف مضاف ، والتقدير : فإنما هي ذات إقبال وإدبار . أو أن يكون على تأويل المصدر باسم الفاعل ؛ أي : فإنما هي مقبلة مدبرة ؛ لأن كلا الاثنينلا يصفان آثار الذعر العنيف حين اد ّكرت الناقة فصيلها ، ولا يصف ما أرادته الخنساء))[1] .

أي ُّ حزن تملَّك تلك الناقة على ولدها ، فأذهلها وجعلها في حركة متضادة بلا مقصد؟!وأي ّ حزن تملَّك قلب الخنساء فلم تجد له نظير ً ا إلا حزن تلك الناقة الملتاعة ؟! إن هذا المشهد بالذات - مشهد الحركة- قد سرت أنفاسه في القصيدة : (مشي - يمشي - جو ّاب -هبّاط) مع ظهور الثنائيات المتناغمة : الإقبال ، والإدبار .

ثم تذكر أنها لا تنسى وليدها مهما مضى من الدهر ، فستبقى على حالها في جزع وألم دائمين ، وشحوب وضعف . وهي وإن رعت في المراعي الخصبة فهي لا تسمن ؛ بل يـ بح التطريب عندها حنينًا وأنينًا على فراق ولدها .

ثم تـ كر الخنساء في البيت (الرابع عشر) أنه مهما بلغألم ُ الناقة وحزنها وأساها على ولدهاإلا ّ أنها أشد حزنًا ، وألمًا ، واضطرابًا ، وحنينًا ، ومصابًا على أخيها صخر من تلك الناقة الثكلى .

(١) محمد محمد أبو موسى ، خصائص التراكيب ، مكتبة وهبة ، ط٤ ، ١٩٩٦م ، (ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

لقد بثّت الخنساء عاطفة الأمومة في أرجاء القصيدة ، وتصاعدت هذه العاطفة في أجزاء من القصيدة بخلاف أبيات أخرى نلمح فيها هذه العاطفة لمحًا ، وذلك حسب الصور التي تستحضرها الشاعرة . فالخنساء في الأبيات التالية تقول :

١٥ - وإن صخرًا لكافينا وسيدُنا وإن صخرًا إذا نَشْتُوْنَحَّارُ

١٦ - وإن صخرًا لمقدامٌ إذا ركبوا وإن صخرًا إذا جاعوا لعقَّارُ

إن أعظم الندب والرثاء هو ندب الأم ورثاؤها ولدَها ؛ فالشاعرة هنا ترثي وتندب ألمها صخرًا وكأنه ولدها لا أخوها . وهنا تناولت الخنساء جانب الأمومة من منظور آخر ، فقد جعلت صخرًا بمثابة الأم التي هي الملاذ لأولادها ؛ فكما أنّ الأم هي الملاذ وموطن الأمان لأولادها فكذلك صخر هو الملاذ الوحيد لقومه الذين يقصدونه للنجدة وعند المصائب . فهي تصفه بالكرم والبذل والعطاء ، وصاحب الهبات والخيرات ، وخاصة وقت البرد ، والجدب ، والقحط ، وهو مقصد كل جائع ومحتاج . ونستشف من هذين البيتين الحزن، والحسرة ، واللوعة لفقد هذا الرجل المعطاء .

ثم تقول :

١٧ أغرُّ أبلجُ تأتمُّ الهُداةُ بهِ كأنّهُ علمٌ في رأسهِ نارُ

١٨ - جلدٌ جميل المحيا كاملٌ وَرِعٌ وللحروب غداةَ الرَّوعِ مِسْعلوُ

١٩ - حلو حلاوته ، فصل مقالته فاشٍ بمكرُمَاتِهِ للعظم جبلوُ

٢٠ - حمَّال ألوية هباط أودية شهَّاد أندية للجيش جرارُ

في هذه الأبيات تخلع الخنساء على أخيها صخرًا أقوى معاني الثناء المتمثلة في فخر الأم بولدها ؛ فالأم دائمةَ الفخر والاعتزاز بولدها . وفي هذه الأبيات نجد الخنساء حشدت كمًّا من الصفات كما لو كانت أمًّا أكثر من كونها أختًا ؛ لأنها جلبت أعظم وأقوى صفات الفخر من

الجمال والكمال ، والبياض ، والبهاء ، والشجاعة ، والإقدام ، والزهد ، وحلاوة الكلام وفصل الخطاب ، والشخصية التي لها حضور ظاهر في جميع المحافل . صخرٌ قائد مغوار حامل للواء الحروب .

ثم تصف الشاعرة وقع نبأ النعي عليها قائلة :

٢١- فقلت لما رأيت الدهر ليس له معاتب وحده يسدي ونيلوُ

٢٢- لقد نعى ابن نهُيك لي أثلةٍ كانتْ تُرجَّمُ عنه قبل أخبارُ

٢٣ فبتُّ ساهرةً للنجم أرقُبُهُ حتى أتى دون غورِ النجمِ أستارُ

الشاعرة هنا تخاطب الدهر الذي فجعها بأخيها ، ولكن هل لأحد طاقة بمعاتبة الدهر؟! فتصاريف الدهر لا تتبع مراد الناس أبدًا . والذي أذاع خبر وفاته ابن نهيك ، وقد كانت في السابق لا تصدق أخبار موت أخيها صخر ، أخبار كانت تتناقل على الظن والتخمين. ولكنها بعد أن أيقنت بموت أخيها أصبحت تسهر الليل ترقب نجمه الذي لا يُرى بسبب ظلمة الليل ؛ فغياب هذا النجم كغياب أخيها صخر في ظلمة القبر تحت طبقات الرمال .

وما زالت الخنساء تنثر شعرها عن أخيها صخر من منطلق عاطفة الأمومة ؛ لشدة حبها وتعلقها به ، فتؤكد سمو أخلاقه بقولها :

٢٤- لم تره جارة يمشي بساحتها لريبةٍ حينُ يخلي بيته الجلوُ

٢٥- وما تراه وما في البيت يأكلُهُ لكنه بارز بالصحن مهمارُ

٢٦- ومطعم القوم حماً عند مسغبهم وفي الجدوب كريم الجدِّ ميسارُ

وما تزال الخنساء بإحساس الأم تعدد مكارم الأخلاق وكريم الصفات التي امتاز بها أخوها صخر ؛ مما لا نحسبه ابنها لا أخاها ؛ لشدة تحسرها عليه .فهو يُعرف بالطهر والعفة

بين جيرانه ، لا يعرف البخل ؛ بل هو كريم معطاء سخي ، يجود وقت الجدب والحاجة بأفضل ما عنده .

ثم تظهر مشاعر الأمومة عند الخنساء بوضوح أكثر في قولها :

٢٧ - قد كان خالصتي من كل ذي نسب فقد أصيب فما للعيش أوطارُ

٢٨ مثل الرُّدينيِّ لم تنفذ شبيبته كأنه نحت طي البُرْإسوارُ

فالخنساء تُظهِر الحسرة والأسى المريرين ؛ فكأنها فقدت وليدها الذي هو خالصتها واختيارها من بين أهلها وزوجها ، وبعد فقده لم يعد للعيش طعم ولا للحياة معنى بدونه . وتشبهه بالرمح الرديني -أشهر وأفضل أنواع الرماح - في متانته واستقامته وصلابته ، ووجه الشبه بينهما هو الاستقامة والقوة .

ثم نستشعر مع الخنساء ذكراها لأخيها صخر وهو في ريعان شبابه ، فتصفه وكأنها أم تصف ولدها الذي كان يترعرع بين أكنافها ، فتشبهه في جمال خلقه ولطفه بسوار من الذهب أو الفضة حين يلبس الثوب ؛ فهو خفيف اللحم رشيق لطيف جميل كالسوار . نجد الخنساء تذكر أدق التفاصيل عن أخيها ، وكأنها أم تتوجع لفقد ولدها الذي كانت تربيه وترعاه وتقوم على شؤونه ؛ وذلك من أجل وأبلغ معاني الأمومة .

وتعاود الخنساء ذكر محاسن أخيها ، وصفاته ، فتقول :

٢٩ جَهْمُ المُحَيَّا تضيء الليلَ صورتُه آباؤه من طوال السمك أحرارُ

٣٠ وَرِثُ المجلميمونٌ نقيبته ضخم الدسيعة في العزا غوارُ

٣١ - فرع لفرعٍ كريمٍ غيرِ مؤتشبٍ جلد المريرة عند الجمخَّارُ

جهم المحيا كناية عن قوته أمام أعدائه ، ولكن له بهاء وحسن ؛ فوجهه يضيء الليل المظلم . وليست غريبة عليه هذه السماحة وهذا الحسن لأنه ورث من آبائه الأحرار ذلك ،

وورث عنهم طول القامة ، كما ورث المجد والعزة ؛ فهو محمود الطبائع ، طيب النفس ، ضخم العطية -كناية عن جوده وكرمه- ، كما أنه عند الشدائد مقدام . وهو زعيم لقومه كما كان آباؤه زعماء القوم كرامهم لم تختلط أنسابهم بغيرهم ، وهو قوي حازم الرأي لا يتراجع عن قوله . كما أنه كثير المناقب والمفاخر التي يُفخ بها ، ولا يمكن حصرها .

وتمضي الشاعرة في بكائها وحزنها ، وكأنه بكاء الناقة وحزنها على فصيلها الذي صار تحت الثرى ؛فهي لا تزال تقبل وتدبر حسرةًوتوجعًا عليه ، فتقول :

٣٢- في جوف رمسٍ مقيمٍ قد تضمنه فـي رمسه مقمطرات وأحجلو ُ

٣٣- طلق اليدين بفعلِ الخير فوَّارٍ ضخمالدَّسيعة بالخيرالفَّار ُ

٣٤.ليبكهُقْتَرٌ أفنى حريبته دهر وحالفه بؤسوإقتار ُ

٣٥- ورفقةٌحار هاديهم بمهلكةٍ كأن ظلمتها فيالطّخيَةِ القار ُ

تحاول الخنساء أن تخفف مصابها وألمها حتى ولو صار أخوها صخر تحت الثرى ؛ فهي تصف قبره الذي دُفن فيه بأنه ليس كباقي القبور ؛بل تلتف حوله الصخور العظام كعَظَمة صاحب القبر .

لقد كان سباقًا للخير ، طلق اليدين -كناية عن فرط الكرم-، سخيًّا ، عظيم العطايا ، آمرًا لقومه وأهله بفعل الخيرات .ولايُكل مقترٍّمعسرٍ حينما يبكيه ؛ فقد كان حليفه في تقلبات الدهر من بؤس وضيق للعيش كما أنه يبكيه كل حائر وضالٍّ في الصحراء المهلكة ؛ فقد كان هاديهم ومساعدهم للنجاة من ظلمات تلك الصحاري المهلكة . ولعل الشاعرة تقصد المهالك والشدائد لا الصحراء ؛ فهي تشبه تلك الشدائد والمهالك في شدتها بسواد القار في ظلام الليل الملبد بالغيوم .

وتختم الخنساء قصيدتها وهي ما تزال تحمل مرارة الحزن والفقد كما في أبيات القصيدة

كلها ، فما تـ تأعدد خصال المرثي ّ ومناقبه ، فتقول :

٣٦- حامي الحقيقة محمود الخليقة مهـ ـدي ٌ الطريقة فاع ٌوضرار ُ

٣٧جواب قُاصية ٍ جزانُاصية ٍ عقاد ألوية للخيلِ جرار ُ

٣٨-علَيْ ُ الذراعين قد تخشى بديهتُه له سلاحانأنياب ٌوأظفار ُ

٣٩- لايمنع ُ القومَ إن سالوه ُلمعتَه ُ ولايجاوز ُه باللئيم ـر ّار ُ

هنا تصف الشاعرة أخاها بأجل ّ وأكرم الصفات فهو الحامي لكل مظلوم ، حسَ ن الخُلق ، يسير على نهج مستقيم لا يحيد عن الحق ، وله القدرة على نفع الأهل وإلحاق الضرر بالأعداء . كما تصفه بمعر ته دروب الصحاري ، وأنه على يده تُعقد ألوية الجيوش لمحاربة الأعداء . ثم تصفه بـ (عبل الذراعين)كناية عن القوة وعظمة الخَلْق . وهو سريع البديهة يحسن التصرف ، سديد الرأي . وهو لا يمنع قومه شيئًا حتى لو سألوه ثوبه أو ماله . وهو شجاع ليلا ً لا أحد يسبقه في إكرام الضيف الذي يمر ليلا ً .

وتلاحظ الباحثة أن الشاعرة جعلت صورة أمومة الناقة بما حملت من عواطف ومشاعر تخيم على أرجاء القصيدة كلها ، ولكنها تختلف ؛ فقد تجعلها جلية واضحة في مواضع، وقد تُلمح تلك الأمومة لمْلمْحًا ، أو تُستشعَر من خلال إحساسنا بما تعانيه وما تتأوه به تلك الأم فمثلا ً : نلاحظ تكرار الشاعرة وتعدادها لخصال المرثي الكريمة ؛من كرمٍ ، وشجاعة ، واستقامة ٍ ، ونبلٍ . فقد احتوت شمائلُه جميع صفاته الكريمة ، وغدامنبعًا لتلك الصفات . وصورت الشاعرة المرثي في شموله وتجسيده لتلك الصفات بصورة أمومة الحيوان التي تشمل جميع صفات ومشاعر الحنان والرحمة ، والقوة ، والشجاعة ؛ فكما تحمي الأم (الناقة)وليدها بكل ما أوتيتْ من قوة وشجاعة ، فكذلك المرثي هو حمي قومه بكل شجاعة وإقدام . وكما تغدق (الناقة) عطفها وحنانها ورحمتها على أولادها ، كذلك كان المرثي رحيما ً عطوفًا على قومه معطاء ً سخيًّا عليهم ، دون مقابل .

فالخنساء في هذه القصيدة صورت نفسها أمًّا لا أختًا ، واتضح ذلك من خلال ما بثته في هذه القصيدة من مشاعر وعواطف الأمومة الجياشة ؛ بل إنها جعلت المرثي يتحلى بصفات ومشاعر الأم الحانية .

ولا بد أن ننبه إلى دور العاطفة في النص ؛ فقد كانت عاطفة صادقة معبرة عن مشاعر الحزن والأسى اللذين سيطرا على جو القصيدة كلّه ؛ مما كان له الأثر البالغ على المتلقي ، معايشةً لحزنها وحنينها .

ولعلنا نرى أن للموسيقى دورًا هامًّا في النص ساعد على إيصال هذا الأنين والحنين إلى المتلقي ؛ فكان للإيقاع الموسيقي الحزين أثر بالغ من خلال الطباق ح مثل : (إقبال وإدبار - إصغار وإكبار - إحلال وإمرار - نفاع وضرار ... الخ) . كذلك ظهر طابع الحزن من خلال اختيار الكلمات المناسبة للحزن الذي تعيشه الشاعرة ؛ مثل ولها : (حزنك - تبكي - بأوجد - تحنان - تسجار) .وكان الجانب الصوتي بارزًا في النص : (رنين - تحنان - تسجار) .

ومن اللافت أن أجواء الحزن التي خيمت على القصيدة كستها اللون الأسود الفاحم ، يُضيءُ تلك العتمة إلا صخر ؛ فهو البدر ، وهو النار الهادية : (كأنه علم في رأسه نار - بت ساهرة للنجم أرقبه - تضيء الليل صورته - في جوف رمس - حار هاديهم بمهلكة كأن ظلمتها في الطخية القار - بالليل) .

وفي الختام :يظهر جليًّا واضحًا أن تشبيه الشاعرة حزنها على فقد أخيها بحزن الناقة التي فقدت ولدها كأبرز أبيات القصيدة توهُّجًا ، وكأنه قلب القصيدة النابض ، الذي يطوي في كل كلمة من كلماته أغوارًا بعيدة من الحزن العميق الغامر الذي لا يماثله شيء إلا حزن الأمومة ، وأي حزن هو ؟!

لقد كانت قصيدة الخنساء من أفضل عيون قصائد الشعر العربي في باب المراثي ؛ لما كان لها من أثرٍ بالغٍ في نفس المتلقي .

المبحث الثالث
المعاني الكبرى لصورة الأمومة عند الحيوان في الشعر الجاهلي

إنّ العرب تسمِّي الأبيات المنظومة قصيدةً لأن الشاعر له قصْدٌ أو مقاصدُ من تلك الأبيات ، يقول ابن جني في لسان العرب: ((سُمّي قصيداً لأنه قُصد واعتُمد وإن كان ما قَصرُ منه واضطرب بناؤه - نحو الرمَل والرجَز شعراً امراداً امقصوداً وذلك أن ما تمّ من الشعر وتوفر آثرُ عندهم وأشد تقيدا نفسلهم مما قصرُ واختلّ ، فسمُّوا ما طال ووفر قصيداً أي مُراداً امقصوداً . ويقول الجوهري :القصيدُ : جمع القصيدة ؛ كسفين : جمع سفنة . وقيل : الجمع قصائدُ ،وقصيدٌ . وقالوا : شعرقُدِّدَ إذا نُقِّحَ وجُوِّدَ وهُذِّبَ . وقيل سُمِّي الشعِّرُ اللتّمُّ قصيداً الأنّ قائلَه جعلَه بن باله فَقَصدَ له قصداً ولم يجْعَلِه حَشْيًا على ما طر با ه وجرى على لسانه بل رَوَّى فيه خاطره واجتهد في تجويده ،ولم يقتضبه اقتضاباً افهو فعيلٌ من القصد وهو الأمُّ)) [(١)].

إنّ الشاعر الجاهلي ينظم قصيدته لمقصد ، ويتباين ظهورُ مقصده ، فقد نجد إيماءً لذلك في طلع القصيدة ، وفي حديثه عن الصاحبة ، وفي وصفه لرحلته في الصحراء ، وفي حديثه عن راحلته التي قطع بها الصحاري الشاسعة وقد نستشفّ من بقية أبيات القصيدة غرضَه منها إنْ كان مدحاً ،أو هجاءً أو غزلاً ،أو رثاءً ،أو وصفًا أو فخراً . فمقصده مبثوث في القصيدة بأكملها .

وعلى الرغم من تنوع مقاصد الشعراء الجاهليين في قصائدهم إلا أن كثيراً من الشعراء يلجأ إلى صورة الأمومة لدى الحيوان ليعكس الجانب النفسي والواقع الداخلي الذي يعيشه ،

(١) اللسان (ق ص د) ، (ص٣٧٨) .

وإلماحًا إلى مقصده .

إن عقل الشاعر الجاهلي لا يظهر ظهورًا واضحًا في غرَض من أغراض شعره - إذا استثنينا الحكمة - كما يظهر في الحديث عن حيوان الصحراء. ولعلّ شغَف الشعراء بتصوير هذه الحيوانات تصويرًا دقيقًا واسعًا يتكرّر في طائفة عظيمة من هذا الشعر ،يعكس حاجةً - أو رغبةً لحّةً بين جوانحهم للتعبير عما في نفوسهم وعقولهم أنهم لا يقصّون أخبار هذه الحيوانات رغبةً في القصّ وحده ، ولا يصوّرونها في كل أحوالها حبًّا بالتصوير فحسب . ثم هم لا يكرّرون هذا القص وذلك التصوير عشقًا للتكرار وانبهارًا به ؛ ولكنهم يفعلون ذلك كله استجابةً لحاجة مقيمة لا تبرح النفس ، إنهم يحسّون ثم يتأملون ويفكرون ثم ينصرفون إلى القصّ والتصوير والإعادة وقد تبتعد ببعضهم السبل عن بعضٍ ، ولكنه بعد لا يؤول إلى الفرقة ، وقد تضيق ببعضهم وتتسع بفريق آخر ، ولكنها دائمًا - تصدر عن هذه الفسحة التي تهبّ منها رياح العقل الهادئة والإحساس العميق ، ثم تصير إليها)) [(١)].

وتأتي ظاهرة الأمومة عند الحيوان في الشعر الجاهلي في صور جزئية يجمعها إطار كلي ومقاصد كبرى حرص عليها الشاعر الجاهلي وأبرزها في شعره . ومن المقاصد الكبرى التي دعتهم لاستحضار صورة الأمومة عند الحيوان :

١- التحذير من العواقب ، حين تغلب الشهوات والملذات العابرة على النفس وتشغلها عن مهماتها الأساس .

القصيدة ما هي إلا مرآة لحياة الجاهلي ؛ يتحدث فيها عن أحلامه وآلامه ومخاوفه وهمومه ، وتجاربه الفردية ومع الجماعة ، ((ويتصدى لمشكلات أساسية في حياة الإنسان الجاهلي تملأ عليه نهاره وليله ، وتهروّتقضّ من مضجعه وعمّ يتحدث الشعر إن لم يتحدث عن

(١) وهيب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص٢٠٥) .

هموم الإنسان؟!)) [١].

ونجد الشاعر الجاهلي يتحدث عن هذه الهموم ويرمز لها في قصائده من خلال صور أمومة الحيوان ؛ ليحذر من العواقب التي تقع في حال الانشغال بالملذات عن الواجبات .

يقول صخر الغيّ الذي يصف خطيئة الأم الظبية :

فَخَرَّتِ الْأَغَرَّ جاثِماً صَرِيعَ ثَبِيرٍ لَدَى سَلَمَاتِ عِنْدَ أَهْضَابِ سَارِبِ

فَهَبَّتْ عَلَى رِيدٍ فَأَعْنَتَ بَعْضَهَا فَخَرَّتْ عَلَى الرِّجْلَيْنِ أَخْيَبَ خَائِبِ [٢]

هنا يصف صخرٌ خطيئة الأم الغزالة التي سرحت في المرعى وتركت ولدها تحت سَلَمَةٍ ، فاستغلت العقاب ضَعف ذلك الصغير ووحْدته حين بعُدت أمه عنه في المراعي ، وكادت تلك العقاب أن تصطاده فتبقى تلك الغزالة في حسرة وندم على ترْك ولدها ، ولكنها اصطدمت وهي في طريقها بالانقضاض على الغزال بصخرة شاخصة أدّت إلى هلاكها ، فخرّت عاجزة عن إطعام فراخها التي كانت في انتظار الطعام .

فصورة أمومة الحيوان التي رسمها الشاعر الجاهلي أراد منها التحذير من العواقب التي يقع فيها من يسير وراء الشهوات ثم يقع في حسرة وندمٍ على صنعه .

وكذلك في أبيات لبيد حين صور مشاعر الأم الظبية في طابع قصصي ممتع ؛ تلك الأمّ التي فقدت ولدها حينما غفلت تاركةً أحبّ وأعزّ ما لديها لترعى وتسرح مع صواحبها ؛ فقد

---

(١) وهيب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، (ص٢٠٥) .

(٢) الهذليين ، المصدر نفسه ، (ص٢٥١) .

وبهامشه : (**خاتت** انقضّت على الغزال **جاثماً** زابضاً **سلمات** : شجرات . **الأدماء** : أي الظبية . **سارب** : تسرح تطلب المرعى . **الريد** : الحرق يندر من الجبل . **أعنت بعضها** : كسر جناحها . **نهضت**: طارت) .

شُغلت بالملذات والمتعة عن التفكير في العواقب ثم يسترسل في وصف ما عانته تلك الأم من العجز والحسرة والندم .

يقول لبيد بن ربيعة :

أفَتِلْكَ أمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ ... خَذَلَتْ وهَادِيَةُ الصُّوارِ قِوَامُهَا

خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ ... مِنْهَا بِطَوْفَاءِ الشِّهَابِ مَرَامُهَا

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ ... غُبْسٌ كُوَاسِرُ لا يُمَنُّ طَعَامُهَا

فَغَدَتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أنَّهُ ... مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وأمَامُهَا

فَعَلَتْ فَرُوجُ الثَّلْتَيْنِ كأنَّمَا ... قُبِضَتْ بِكَفَّيْ سَاحِرٍ لَطِيمُهَا

حَتَّى إذَا يَئِسَتْ وأسْحَقَ حَالِقٌ ... لَمْعَ السَّرَابِ بِلَيْتِهَا وَوَظِيفُهَا

وَتَوَجَّسَتْ رِزَّ الأنِيسِ فَرَاعَهَا ... عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأنِيسُ سَقَامُهَا

فَغَدَتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أنَّهُ ... مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وأمَامُهَا

حَتَّى إذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ وَأرْسَلُوا ... غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلاً أعْصَامُهَا

فَلَحِقْنَ واعْتَكَرَتْ لَهَا مَدَرِيَّةٌ ... كالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّهَا وَتَمَامُهَا

لِـ تَذُودَهُنَّ وَأَيقنتْ إِنْ لم تَذُدْ أن قد أحِمَّ وفي الحُتُمِ مَامُها

صَدَّتْ فَتَهْكَ كَسابِ فَضَرُجَتْ بِدمٍ غودرَ في الرَّمْسِ مُخَامُها[1]

ولقد أراد لبيدٌ تشبيه ناقته في الإسراع في السير بالبقرة الوحشية التي فقدت ولدها بعد أن تركته وذهبت ترعى مع صواحبها ، فافترسته الذئاب الكواسر ، فأسرعت في السير تبحث عنه والهة عاجزة تنتقل هنا وهناك لعلها تجده ويُسمَع صوت بغامها بين كثبان الرمال ، صوتٌ يملؤه الحزن والإشفاق ،وما زالت تطوف لأجل فقْدها ولدها الذي أُلقي على أديم الأرض ، وافترسته الكلاب والذئاب التي اعتادت الاصطياد .

ويمضي النهار ويخيّم الليل ويسيل المطر الدائم الذي يروي الأرض المنبتة ، وتبيت البقرة بعد فقْدهاولدهَا في حالة من الحزن والخوف ، وتأوي إلى جذع شجرة مجوّفٍ ومتنحٍ عن سائر الشجر في أصل كثيبٍ ؛ بعيدة عن متناول الناس ، فهي تستتر عن البرد والمطر بأغصان الشجر .

وفي ظلام الليل المخيف تضيء هذه البقرة كلؤةّ الصفَّداَلبحري حين سُلّ نظامها . فهو يشبّه البقرة بالدرة المتلألئة في بياضها وحين يسل نظامها ؛ فهي تتبعثر وتنتشر ؛إشارةً إلى تلك البقرة التي تعْدو ولا تستقرّ .

وإذا انكشف ظلام الليل خرجت من مأواها ، فتزلّ قوائمها لكثرة المطر الذي كان ليلاً ، وتظلّ فيحيرتها وحزنها من هول ما أصاب قلبَها الرؤوم ،فتتردّد في دخول الغدران سبع ليال كاملاتٍ وبداخلها اليأس وكأنها تتحسس ضرعها الذي جفّ فيه اللبن ؛ ليس بسبب الإرضاع ولا بسبب الفطام إنما لفزعها وخوفها على ولدها . وبينما هي كذلك إذ تسمع صوتًا وتتحسّس ذلك الصوتالذي لم ترَ صاحبه ، فتدرك أن الخطر نحوها من الإنسان

(١) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق إحسان عباس ، (ص ٣٠٧ - ٣١٢) .

الذي راعها ؛ فلا تعلم هل هو خلفها أم أمامها . ثم تنجو البقرة من نبال الرماة فيرسلوا كلاباً مسترخية الآذان تعدو خلف البقرة التي أيقنت أنه لابد من المواجهة والقتال ، فتعطف على هذه الكلاب وتطعنها بقرنها الحاد كالرماح ،موقنةً أنها إن لم تدافع عن نفسها وظَرُد أو تَقتُل تلك الكلاب لمقُلت ؛ ولكنها استطاعت أن تنجو بنفسها وتقتل تلك الكلاب .

وهو في ذلك كله إنما يحذر نفسه وغيره من الانكباب على الشهوات ، دون التفكير في العواقب الوخيمة التي يجرها إلى نفسه .

٢- تحفيز النفس للثبات ومواجهة المخاوف والصعوبات :

إن الحياة القاسية التي يعيشها الشاعر الجاهلي هي التي دفعتهم إلى الشجاعة والقوة والجرأة ؛ لأن حياة الصحراء كانت مليئة بالمخاوف والمخاطر والمهالك . والشاعر الجاهلي ابن بيئته ؛ فهو من خلال شعره يدعو نفسه وغيره إلىالثبات وتحملُّ المشاقّ ومواجهة الصعوبات والمخاوف التي يواجهونها في حياتهم .

والشاعر الجاهلي يجتهد في تخيرُّ الصور التي تحفز على الثبات ، والوقوف أمام تلك الصعوبات والمخاوفالتي جعلها في قالب من التصوير المعبرِّ ؛ كصور أمومة الحيوان ، كما في قصيدة زهير ؛ حيث يقول :

كخنساء ، سفعاء الاطم ، حرَّة مسافرة زؤودة ، أمّ فرقِ
غدت بسلاح ، مثيلُتقى به ويؤمن جأشَ اللثّغ ، المتوحدِ
وسامعتي تعرفُ العتقَ فيهما إلى جذر مدلوكِ الكعُوب ، مُلحَّدِ
وناظرتين ، تطحَران قذاهُما كأنهما مكحُولَتانِ ، بإثمدِ
طباها ضحاءٌ ، أو خلاءٌ ، فخالفت إليالسّبلعُ ، في كناس ، ومرقدِ
أضاعَتْ ، فلم تغفرْ لها خلواتها فلاقت بيانًا ، عندآخر مَعهَدِ

عندَ مَشَلوٍ ، تحجُلُ الطيرُ حَولهُ وبضع لحلم ، في إهابٍ ، مُلقَّدِ

وتنفضُ عنها غيبَ كلِّ خميلةٍ تخشى رُماةَ الغوثِ من كلِّ مرصدِ

فجالت على وحشيّها وكأنها مسربلة في رازقي معضدِ

ولم تدر وشك البين حتى رأتهمُ وقد قعدوا أنفاقها كل مَقعَدِ

وثارُوا بها من جانبيها كليهما وجالت وإن يجشمنها الشد تجهدِ

تبُذّ الأُلى يأتينها من ورائها وإن تتقدمها السوابق تصطدِ

فأتقها من غمرة الموت أنها رأت أنها إن تنظر النبل تقصدِ

نجاءٌ مُجدٌ ليس فيه وتيرةٌ وتذبيبها عنها بأسحم مذودِ

وجَدَّتْ فألقت بينهنَّ وبينها غباراً ، كملاف دواجن غرقدِ

بملتفةٍ ، كالخذاريف ، قوبلت إلى جوشخاظي الطريقة مُسْدَنَ (١)

---

(١) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، هامشه : (**الخنساء** : بقرة قصيرة الأنف . **السفعاء** : السوداء . **الملاطم** : خدّيها . **المزؤودة** : المذعورة . **الفرقد** : ولد البقرة . **جذر مدلوك** : جذر قرن مدلوك (**والجذر**) : الأصل . **الكعوب** : عقد العصا طباها . **ضحاء** ؛ أي : دعاها للرعي . **الكناس** : حيث تترمحر أو برد . **الشلو** : بقية الجسد . **تحجل الطير** ؛ أي : تمشي مشي المقيد . **والحجل** : القيد . **تنفض** ؛ أي : تنظر . **الخميلة** : رملة ذات شجر . **الغيب** : كل ما استتر عنك . **والغوث** : قبلة من طي. **فجالت** ؛ أي : جاءت وذهبت . **المرصد** :المكان الذي يُرصد فيه . **المسربلة** : اللابسة السربال وهو : القميص . **الرازقي** : ثوب أبيض . **والمعضد** : المخطط . **وشك البين** : سرعته . **والبين** : مفارقة ولدها . **أنفاقها** : مخارجها وطرقها . **السوابق** : ما سبق منها . **تصطد** ؛ أي ضُبْط بقنيها ما تقدمها من الكلاب . **غمرة الموت** : شدته وكربته . **النجاء** : السرعة في السير . **والوتيرة** :التلبّث والفترة . **الأسحم** : قرن أسود . **الغرقد** : شجر. **الخذاريف** : جمع خذروف ؛ وهو : الخرارة التي يلعب بها الصبيان . **إلى جوشن** ؛ أي : مع جوشن وهو : الصدر . **الخاظي** : الكثير اللحم الكتنز المتراكم = =**المسند** : الذي

بقرة خنساء على خاهٍّ حمٍ رقُمُرٍ بقُسْوادٍ ، تنطلق في الصحراء مذعورةً ، تركت وليدها في كناس ، فهي قلقة مضطربة ، تخشى عليه غوائل الإنسان وسباع الصحراء . ويصف زهير قرنيهافيهما سيفان ماضيان أملسان ، ويصف أذنيها المرهفتين تتسمع بهما حركة العدو مخافة أن يفجأها فيصيب منها مقتلاً ، وعيناها واسعتان سوداوان كأنهماكُحِّلتا بأثمدٍ ، تتأمّل بهما في حذرشديدٍ أماكن المخافة ومواطن الهلاك والخطر .

ثم ينتقل فيصف حال البقرة ، ولكي يظهر خلجاتها النفسية واضطرابها نراه يستعين بحركاتها - الحركة الجسمية الظاهرة ، والحركة النفسية المصورة- ؛ فهي مسافرة مسرعة في عودتها ، مضطربة قلقة على ولدها من سباع الصحراء ، وقد راعها هول المشهد ، مشهد ابنها حين رأته أشلاء ومِزَقاً معفّرةً ، ودماؤه تصبغُ الرمال بلوالمهاتك ، والطير حوله تحجل هنا وهنالك ، ثم عادت تعدو في هذه الصحراء الواسعة ، وهي كثيرة الحركة ؛حركة عَوْها السريع ، وحركة تلَفُّتِها ذات اليمين وذات الشمال ، وحركة عينيها الزائغتين اللتين لا تستقرّان في محجرأوٍ موقٍ ؛ ذلك أنها تتوقع المهالك ، وتوشك أن تصيبها سهام الرماة من قبيلة الغوث الذين يقفون لها في كل مرصد ، يرسلون إليها سهامهم ، ويجُرُّون خلفها كلابهم ، تطاردها في هذا الموضع أو ذاك ، تسد عليها المسالك ، وهي مجِدّة في عَدْوها تسبق الكلاب تارةً ، وتسبقها الكلاب تارةً أخرى ولا تنفكّتذبّ عن نفسها بقرنها الماضيين ، فتطعن هذا وتنوش ذاك ، وما زالت على هذه الحال حتى نجت من براثن الموت وأنياب المنية [1].

في ظاهر القصيدة يتحدث فيها عن حال البقرة المذعورة التي تخشى على ولدها من الإنسان وسباع الصحراء ، ثم تفزع لتجده أشلاء ممزقة .

ثم ينصرف الشاعر لوصف الأحداث والمخاوف التي حدثت لتلك البقرة .

أسند إلى ظهرها) .

(١) يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (ص٢٢٣-٢٢٤) .

ثم يصف ثباتها وعدم خوفها ، وتغلبها على تلك الصعوبات التي واجهتها ؛ وهو في الحقيقة يجعل من تلك الأحداث وسيلة لحث نفسه وغيره على الثبات أمام تغير الأحوال ، ومواجهة المخاوف وتقلُّبات الحياة المتغيرة .

كما أن هناك جملة من المعاني كان يسعى الشاعر لإبرازها من خلال استحضار صورة أمومة الحيوان . وعلى رأس تلك المعاني :

أ - جمال الصاحبة :

من مقاصد الشاعر الجاهلي الكبرى في تصويره للأمومة عند الحيوان استحضار صورة المرأة العربية ، وما تتمتع به من توقٍّ جمالٍ وحُسْنٍ ؛ يتغنى به الشعراء . إلى جانب أمومةٍ تتدفّق بجميع العواطف من حنانٍ ، وحرصٍ وحزنٍ ، وعجزٍ ؛ ولذلك كان تصوير الشاعر للظباء والبقر الوحشي مرتبطًا غالبًا بصورة المرأة العربية في جمالها وحورها ، وجعْل الأمومة مكملة لهذه الأنوثة المفرطة ، فنجد عبيد بن الأبرص يتغزل في محبوبته ليعكس لنا تلك الصورة الجمالية ، فيقول(١) :

وَإِذْهِيَ حَوْرَاءُ المَدَامِعِ كَالْفَلَّةِ مَهَاةٍ حُرَّةٍ أُمِّ فَرْقَدِ
تُراعِي بِهِ نَبْتَ الخَمَائِلِ بِالضُّحَى وَأُوتَيِ بِيِلْوَهَ الإِلِ وَغَرْقَدِ
وَتَجْعَلُهُ رِفْبِهَا نُصْبَ عَيْنِهَا وَلَيْتُنْفِي الجَلِيدَ فِي كُلِّ مَرْقَدِ

فصوّر الشاعر البقرة الوحشية في حوَرها وجمال نظراتها بصورة المرأة العربية مرهفة

(١) عبيد بن الأبرص ، الديوان ، تحقيق أشرف أحمد عدرة ، (ص٥٧ - ٥٨) .

وبهامشه : (**الحوراء** : الشديدة بياض العين وسوادها .**الطَّفلة** : الناعمة . **المهاة** : البقرة الوحشية . **الحرة** : الكريمة . **الفرقد** : ولد البقرة . **الخمائل** : جمع خملة : الشجر الملتف . **الأراك والغرقد** : نوعان من الشجر . **السرب** : القطيع **الجِيد**: العنق) .

الحس صاحبة المشاعر الأمومية المرهفة ؛ وذلك من خلال صورة تلك البقرة الوحشية وهي تديم النظر ، وتتْبع ولدها الذي يرعى في الخمائل وترعاه وتعتني به ، وتأوي به عند الخوف إلى ملتف الأشجار الكثيف ، وتتوغل به داخل أسراب القطيع حتى لا يصيبه مكروه ، وتثني عليه عنقها شفقةً ، ورحمةً ، وحبًّا تلك هي صورة المرأة العربية التي تكرّرت في شعر الشعراء الجاهليين ، الذين جمعوا لها في أشعارهم الجمال والرحمة ؛فصوَّروا جمال المرأة من خلال الأمومة عند عنايتها ورعايتها لـ يرها ، الذي يكمن في حركتها ، ودقة خصرها ، وجيدها الممشوق .

وعلى قدْر حبّ الشاعر الجاهلي للصاحبة فهو يسعى متألّقًا وصْف جمال تلك الصاحبة من خلال إبراز مظاهر الأمومة عندها ؛ فهي الوسيلة للكشف عن ملامح ذلك الجمال . فهذاعمر بن شأس الأسدي يشبّه عينَي الصاحبة بعيني ظبية ، فيقول[١] :

لها مُقْلَتا ظبيةٍ أمِّ جُؤْذرٍ نهَّاأُتلُعٌ مقلَّدُ جُلْجُلِ

ب ـ كرم الممدوح :

لقد كان الكرم من أبرز صفات المجتمع العربي الجاهلي ؛ حيث انتشر بين الشعراء التباهي بالكرم والسخاء ، فهو فعل الآباء والأجداد . فأحبوه وارتبطوا به ،أصبح أكثر تأثيرًا في النفوس .

كما كان للحرب والنزاعات المتمرة بين القبائل دورٌ في انتشار الكرم ؛ فكان من آثار الحرب انتشار الفقر فيقلّ الغذاء ويعز الطعام . لذلك عظّموا الكرم وأصبح في مقدمة

(١) عمرو بن شأس الأسدي ، الديوان ، تحقيق : يحيى الجبوري ، مطبعة الأدب ، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ، دط ، (ص ٥٢) .

وبهامشه : (**أتلع** : عنق طويل **الجُلجل** :الجرس الصغير الذي يعلَّق بأعناق الدواب) .

الفضائل التي يحب العربي أن يتحلى ويمتدح بها ، وأصبح الشعراء يحرصون على إثبات القيم النبيلة في الممدوح وأهمها هو الكرم . من خلال ذلك يسعى الشاعر إلى استحضار صور أمومة الحيوان ليثبت كرم الممدوح وسخائه ؛ فكثير من الشعراء ربط صورة الناقة (الأم) بصورة الأمومة الخصبة ، والعطاء غير المحدود . ومن ذلك : قول الأعشى[١] :

الْوَاهِبِ الْمِائَةَ الصِّفَا يَا بَيْنَةً تَوَالِ

هنا يمدح ممدوحه بالكرم فهو يهب المائة من النوق الحائل التي لم تحمل ، والنوق الولود الغزيرة اللبن ، والتي يتبعها أولادها ، وهذه الصورة توحي لنا بالحنان والعطف المتدفق حين تتبع الصغار أمهاتها .

ويقول أيضاً[٢] :

الوَاهِبُ المِائَةَ الهِجَانَ عَوَبْدَهَا عُوذاً تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالُهَا

فيصف كرم الممدوح الواهب المائة من الإبل العظام وعبدها ، يتلوها أولادها حديثوا النتاج ؛مبالغةً في الكرم .

يصف بشر بن أبي خازم كرمَ ممدوحه ، فيقول[٣] :

وَالمانِحُ المِائَةَ الهِجانَ بِأَسْرِ تُزْهِجَى مَطافِلُها كَجَنَّةِ يَثْرِبِ

يشبّه كثرة عطاياه من الإبل البيض الكرام التي تتلوها صغارها ، وتدفعها بحنان

(١) الأعشى ، الديوان ، تحقيق : محمد حسين ، (ص ٢٩ ، ٣٤٧) .

وبهامشه: (**الصفايا** : جمع صفية ، وهي الناقة غزيرة اللبن . **التالية** :التي يتبعها تلاها . **حائل**: التي لم تحمل).

(٢) الأعشى ، المصدر نفسه ، (ص ٣٤٧) .

(٣) بشر بن أبي خازم ، الديوان ، تحقيق : عزة حسن ، (ص٨٣) .

وبهامشه : (**الهجان** من الإبل البيض الكرام العتاق . **المطافل** :جمع مطْفل ؛ وهي : الناقة معها ولدها) .

وعطف ببساتين النخيل ؛ فمنها النخيل الشامخة العظام ، ومنها ما هو دون ذلك .

ويصف مالك بن حريم إكرامه ضيوفَه ، فيقول[١] :

وربُّ بَعِيٍّ نُحِرتْ على الثَّلاثِ لِحَفْلِ ثَلاثةٍ مِنَ بَعْيِنْ

فراحوا حامدين وَرُحْنَ جُدًّا فلم أحفلِ بِهَرْهَرَةِ الحَنِينِ

فهو يصف جوده وكرمه بنحره صغار الإبل التي لم يمض عليها الحول لضيوفه الذين انصرفوا حامدين ، وانصرفت النوق حزينة على صغارها ، وقد بحت أصواتها من هرهرة حنينها وحزنها الذي لا ينقطع ، ومع ذلك لم يكترث لما أصاب تلك النوق والتي تمثل أفضل ما يملكه ، ليثبت أن كرمه هو المفضل لديه .

ج - فخر الشاعر بنفسه وبقومه :

الفخر من أبرز الفنون التي خاضها الشعراء الجاهليون ؛ فهو يرتبط بالشجاعة ، والكرم ، والوفاء ، وغيرها من الصفات وفيه يفتخر الشاعر بنفسه فيكون قاصرًا فخرَه عليها. إلى جانب ذلك كان الفخر بالقبيلة والعشيرة ؛ وفيه يتغنى الشاعر بأمجاد قومه ، ويشيد بمنعتهم وعزهم ، ويسجّل مفاخرهم ومناقبهم .

والشاعر الجاهلي يرصُد في شعره كل الصور والمعاني ؛ ليصف مناقب قومه ويفتخر بنفسه وبأمجاد قومه . ومن تلك الصور : صورة أمومة الحيوان ، التي نجدها ماثلة في الشعر الجاهلي بصور مختلفة ؛ كقول قيس بن الخطيم[٢] :

---

(١) مالك بن حريم ، ديوان همدان ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، (ص ٢٨٩ - ٣٠٠) .

وبهامشه : (**ربعي الناقة** : الذي ولدتْه في الربيع ، ولم يمض عليه الحول) .

هرهرة : يطلق الهرير على صوت غير الكلب. و **هرهر** : دعا الإبل إلى الماء. اللسان (هـ ر ر) (ص٧٤-٧٥).

(٢) قيس بن الخطيم ، الديوان ، تحقيق: ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١١هـ -

إذا هَمَّ جَمْعٌ بانصرافٍ تَعَطَّفُوا تَعَطُّفَ وِرْدِ الخَمسِ أَطَّتْ رِباعُها

فهم عطفون على الأعداء كما تعطف الإبل وتحنّ على الفصيل ليلة ورد الخمس .

ويفخر باعث بن الصريم شجاعة قومه ويشبههم بالأسد ، فيقول[١] :

وَبِيكَةَ سُفْعِ الوجوهِ لابِسِ لٍ كالأُسْدِ حينَ نَقَبُّ عن أَشْبَالِها

قَدْ قُتْ أُوَلَّ عُوْانِ عِيَالِهَا فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيبَةٍ أَمْلَاهَا

هنا يفتخر بشجاعة قومه وقوة جيشهم ؛ فكتائبهم تعودت الغارات والصبر على الإبعاد ، وسُوّدت وجوههم بسبب ما لَقُوا من تعب الحروب .فهو يشبّههم في بسهم ونجدتهم وقوتهم بالأُسْد إذا دأبت ودافعت عن أولادها ، وهي تستخدم جميع قواها من أجل حماية أولادها .

ويفخر مالك بن حريم الهمداني بسطوة قومه وبأسهم في الحروب ، فيقول[٢] :

١٩٩١ م ، (ص١٤٣) .

وبهامشه : **أطّت** : حنّت . **وأطيط الإبل** : زفيرها من البطنة ، **والورد** : الإبل الواردة ، وفي اللسان **الخمس** : وردت إبله خمساً وقال الأزهري : أن تشرب يوم وردها وتصدر يومها ذلك وتظل بعد ذلك اليوم في المرعى ثلاثة أيام سوى يوم الصدر ، وترد اليوم الرابع وذلك الخمس) .

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، محمد محمود شاكر ، ص ٥٣٦

سفع : السواد ، والشحوب . اللسان (س ف ع) **تذبّ** : تدفع وتمنع . اللسان (ذ ب ب) . **عنفوان** : من العنف ضد الرقق . اللسان (ع ن ف) .

والشاعر هو : باعث بن يم بن علبه بن غ ب حبب بن كعب بن بكر . شاعر جاهلي ، من فرسان بني يشكر الشجعان في الجاهلية .

يُنظَر في ترجمته : عزيزة فوال ، معجم الشعراء الجاهليين ، (ص ٤٨) .

(٢) مالك بن حريم الهمداني ، الأصمعيات ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون ، (ص٦٤) .

فَمَنْ يَأْتِنَا وَيْتَضِ بِسِلْبِنَا يَجِدْ أَثَرًا دَعْسًا وَسَلْاً مُوضَعا

فالشاعر يصف سطوة قومه وبأسهم ؛ فالإبل تلقَى التعب من ثقل الأحمال ، وبعد الغارة تجهض الناقةُ ما في بطنها . والذي يعترض طريقهم سيجد أثر دعْس السخال التي وضعتها الحوامل من النوق في مواضع متفرقة من الطريق ؛ لطول سيرهم ، ولشدة التعب الذي تلقاه تلك النوق فبعضها يكلّ ويتوقف عن المسير فيذبحونه ،سواءً كان من الفصلان أو من الأُمّات التي أصابها من العجز والحزن الأمومي ما أصابها .

د - إقفار الديار :

تعلَّق الشاعر الجاهلي بالطلل واعتبره وطنه الذي يحرص عليه ؛ ولكن طبيعة حياتهم ، وكثرة حلهم وترحالهم تجعلهم يتنقّلون ويسعون وراء الكلأ والماء ، وعندها تتحول الديار العامرة إلى إطلال مقفرة تغمرها الرمال وتسرح فيها الحيوانات -كالظباء ، والبقرة الوحشية- فأبناؤها ينهضون في تلك القفار ، فيشيعون فيها الحياة والأمن ، وتنتشر الطمأنينة . ويصف الشاعر الجاهلي حال تلك القفار المندثرة والديار الصامتة التي هجرها أهلها ولم يعد يسكن بها إلا الأطلاء ، ثم يعيد إليها الحياة فيوحي لنا بازدحام المكان بالحيوانات وصغارها ؛ فهي عيش في دعة وأمن وطمأنينة بين سخالها ، تحنو عليهم فتارة تدفعهم وتارة يتبعها أولادها . فصورة أمومة الحيوان حية جلية استحضرها الشاعر الجاهلي لوصف ديار الأحبة وبُعد عهد الناس بتلك الديار التي هجرها أهلها ورحلوا عنها ،فصارت مألفًا للحيوانات وصغارها .

ويفتتح أوس بن حجر قصيدته على عادة الشعراء الجاهليين بذكر محبوبته ، وذكر

وبهامشه :(دعسًا : الطريق الدعس الذي دعسته القوائم ووطئته وكثرت فيه الآثار . **السخل** : جمع سلة . يريد : أولاد الإبل والخيل . **الموضع** : المتفرق) .

الأماكن التي كانت تنزل فيها ، فيقول [١]:

تَنكَّرَ بعْدي من أمَيمَةَ قَصُاءِ فَبِرْكٌ فَأعْلى تَوْلَبٍ فَلَخالِفُ

فَقَوٌّ فَرَهْبى فَالسَّليلُ فَعَاذِبٌ مَطافِيلُ عوذِ الوَحش فيه عواطِفُ

ثم يقول :

بِها العِينُ والآرامُ تَرْعى سُهَاخَالا فَطِيمٌ وَدانٍ للفِطامِ وَطَلَّفُ

يصف أوسٌ تلك المنازل والديار التي رحل عنها أهلها فصارت مألفًا للظباء وبقر الوحش ، من ذوات الأطفال ؛ حيث تظل معهم تحنو وتحرص عليهم . ثم يوحي لنا بكثرة هذه الظباء والبقر الوحشية المتنوعة بسخالها ما بين فطيم ودانٍ للفطام ، وما كان بين الفطام والدنو منه . فهو بذلك يعطينا صورة عن الحنان والرعاية من قبل الأم لصغارها .

ويقول زهير في ديار الصاحبة[٢] :

بها العينُ والآرام يمشين خلفةً وأطلاؤها ينهضن ، من كل مجْثَمِ

يصف ديار الصاحبة التي لم يعد بها إلا (العين) وهي بقر الوحش ، و (الأرام) الظباء الخالصة البياض ؛ في صورة قطيع يذهب ويخلف مكانه قطيع آخر ، فخلا المكان من الأنيس

(١) أوس بن حجر ، الديوان ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، (ص٦٣) .

وبهامشه : (**فو** واد بين اليمامة وهجر ، **رهبى** : خبراء في الصمان بديار بني تميم . **السليل** اسم واد . **وعاذب** واد أو جبل قريب من رهبى . **العين** : بقر الوحش . **الآرام** : الظباء . **سخالها** : جمع سخل وهو ولد الظبي . **الناصف** الذي بين الفطام والدنو منه) .

(٢) زهير بن أبي سلمى ، الديوان ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، (ص١٠) .

وبهامشه : (**العين** : جمع أعين وهي بقر الوحش . **الآرام** : الظباء خالصة البياض . **الأطلاء** : جمع طلا ، وهو ولد البقرة وولد الظبية ، **المجثم** : المريض) .

عدا بقر الوحش و(الطلا) ولد البقرة وولد الظبية الصغير ،الذي ينهض من كل مجثمٍ . أراد أنهتُلنيمُ أولادها إذا أرضعتهم ثم يـ عين ، فإذا ظنّ أن أولادها قد أنفدوا ما في أجوافهن من اللبن صوّتْن لأولادهن ، فينهضن للأصوات يشربن .

٣- بروز جانب الوصف النفسي للشاعر :

كثيرً ا ما يلجأ الشاعر إلى صورة الأمومة عند الحيوان ليعكس الجانب النفسي والواقع الداخلي الذي يعانيه ، وهذا مانجده شائعًا عند الشعراء ؛ لأن شعرهم ما هو إلا وسيلة للتعبير عن حنانهم ، وفرحهم ، وحزنهم ، وجزعهم ، وشتى حالاتهم النفسية .

وهذه الخنساء تصوِّر لنا حزنها العميق على فقْد أخيها صخر ، فتقول[١] :

وما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطيفُ بِهِ لها حَنينانِ إعْوْإسرارُ

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ ، حتى إذا ادّكَرَتْ فإنّما إقْبالٌ وإدْبارُ

لا تَسمنُ الدهرَ في أرضٍ ، وإن رَتَعَتْ فإنَّما هيَ تَحْنانٌ وتَسْجارُ

يوَسْنَّأويْجُمَ فارَقَني صَخْرٌ وللدّهرِ إحلاءٌ وإمرارُ

إن هذه الصورة الأمومية لدى الناقة والتي تناولتها الباحثة بإسهاب في هذا البحث تعكس لنا ذلك الشعور الداخلي والواقع النفسي للشاعرة في معاناة الناقة واضطرابها وحيرتها وجزعها فصورة الأمومة هي الصورة المعبرِّ ة والدقيقة لتجسيد مشاعر الحزن والفقد

(١) الخنساء ، الديوان ، دار صادر ، (ص٤٨) .

وبهامشه : (**العجول** : الثكلى من النساء الوالهة التي فقدت ولدها ، **البو** : أن ينحر ولد الناقة فيؤخذ جلده ويحُشى ويُدنى من أمّه فترأمه ، **إقبال وإدبار** : أي لا تنفك تقبل وتدبر ، يقال : حنت الناقة ، إذا طربت في أثر ولدها . فإذا مدت الحنين وطربته قيل قد سجرت تسجر سجراً ، **بأوجد** : بأشد وجداً ، حزناً ، **إحلاء وإمرار** : أي أن الدهر يأتي بالحلو المحبوب والمر المكروه) .

والعجز.

ومن المقاصد الكبرى للشاعر الجاهلي في رصده لصورة الأمومة عند الحيوان : إثبات الصفات الكريمة لممدوحه ، أو لقبيلته ؛ من الكرم ، والشجاعة ، والوفاء ، وحماية الجار . فالشاعر يتغنى بأمجاد قومه ويشيد بمَفَتهم وعزّتهم ، ويسجل مفاخرهم .

ويتخذ الشاعر من صور الأمومة لدى الحيوان بكل عواطفها من حنان ، وحزن ، وعجز ، وخطيئة ، وسيلة لمقاصده الكبرى .

فهذا مالك بن حريم يصف إكرامه لضيوفه ، فيقول[١] :

ورُبَعيٍّ نُحرتُ على الثلاثِ ... لِجَمْعٍ من ثلاثةٍ من بعيْنِ

فراحوا حامدين وَرُحْنَ جُدًّا ... فلم أحفلِ بهَوْقَ الحنَينِ

من خلال تصويره لحزن النوق على صغارها وقدبُحّتْ أصواتها من هرهرة حنينها وحزنها الذي لا ينقطع ؛ لنحره صغار الإبل لضيوفه .فهو يُثبت كرمه وجوده الذي لا نظير له.

ويفتخر الأفوه الأودي بشجاعة قومه وقوتهم ، فيجعل من صورة حزن الأمومة عند الخيل التي فقدت المهور والأفلاء لبعد الغارة مقصداً لإثبات شجاعة قومه الذين توغلوا في الديار ، فيقول[٢] :

---

(١) مالك بن حريم ، ديوان همدان ، تحقيق : عيسى أبو ياسين ، (ص ٢٨٩ - ٣٠٠) .

وبهامشه : (**ربعي الناقة** :الذي ولدتْه في الربيع ، ولم يمض عليه الحول) .

هرهرة : يطلق الهرير على صوت غير الكلب. و **هرهر** : دعا الإبل إلى الماء. اللسان (هـ ر ر) (ص٧٤-٧٥).

(٢) الأفوه الأودي ، الديوان ، تحقيق : محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، (ص٧٧) .

وبهامشه : (**شدن** : مفردها شادن ، وهو : الظبي الصغير . **المهار** :مفردها المهر ، وهو : الحصان الصغير .

نحن قُدْنا الخيل حَتى انقطعت ... مُدُنُ الأفلاء عنها والمهارُ

٤- بروز الجانب القصصي :

يقول شوقي ضيف : ((من يرجع إلى العصر الجاهلي ، وأخباره ... يجد عرب الجاهلية مشغوفين بالتاريخ والقصص عن فرسانهم ووقائعهم وملوكهم ، يقطعون بذلك أوقات سمرهم في الليل حول خيامهم))[١] .

فالإنسان بطبيعته يميل إلى سرد الأحداث أو الاستماع إليها وخصوصاً إذا كان الحس القصصي يرافق الجانب التصويري . فالطبيعة من أهم المصادر التي يأخذ الشاعر منها صوره وأحداثه ؛ وذلك لجذب انتباه المتلقي الذي يعيش في هذه الطبيعة نفسها ، خاصة إذا كانت تتعلق بجانب فطري كالأمومة . والشاعر الجاهلي تناول أمومة الحيوان وما فيها من عواطف ، وجعلها في قالب قصصي يستطيع من خلاله مقاصده التي يصبو إليها . وقد تطرقت الباحثة إلى بعض القصائد التي يميل الشاعر فيها إلى سرد الأحداث والمشاهد بشيء من الشرح والتفصيل في أحد فصول البحث ؛ كما في قول لبيد بن ربيعة[٢] :

كَأَنَّها بعدما أَفْنَيْتُ جِبلتها خَنْساءُ مَسْبُوعَةٌ قد فَاتَها بَقَرُ

تَنْجُو بِنَجْلاءَ يَظْلِي الجَوِّ أَفْزَعَهُ ... رِيحُ الشَّمالِ وشَفَّانٌ الهَوَاجِرُ

باتَتْ إِلَدَّافٍ أَرْاطَى تُحَفِّزُهُ ... في نفسها من حبيبٍ قد ذَكَرُ

إذا اطمأَنَّ قلايً بطنَ مَفْرَتِهِ ... لا تطمئنُّ إلى أرطاتها الحُفُرُ

الأفلاء :مفردها فلُوّ ، وهو : ولد الفرس إذا فطم) .

(١) شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، ط١٣ ، (ص١٥) .

(٢) لبيد بن ربيعة ، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، (ص ٦٧ ـ ٦٩) .ويُنظَر : (ص ....) من هذا البحث .

تَبْنِي بُيُوتًا عَلَى قُرٍّ يُهَدِّمُهَا لِدُ الثَّرَى عَمْصَ عَبٌ فِي دَفِّهِ زَوَرُ

لَيْلَتَهَا كُلَّهَا حَتَّى إِذَا حَسَرَتْ عَنْهَا النُّجُومُ ، وَكَادَ الصُّبْحُ يَنْسَفِرُ

غَدَتْ عَلَى عَجَلٍ ، وَالنَّفْسُ خَائِفَةٌ وَالْأَيْمُ مِنْ غُدُوِّ اللَّيْلِ الْبُكَرُ

لَاقَتْ أَحَقَّ نَصٍ يَسْعَى بِأَكْلُبِهِ شَثْنَ الْبَنَانِ كَلِيبٌ جُسْرُهُ

وَلَّتْ فَكَهَا أُولَى سَوَابِقِهَا فَأَقْبَلَتْ هَارِبَةٌ وَلَا بَهِرُ

فَقَاتَلَتْ فِي ظِلَالِ الرَّوْعِ وَاعْتَكَرَتْ إِنَّ الْحَيَاءَ بَعْدَ الرَّوْعِ يَعْتَكِرُ

إنّ هذه التفاصيل التي نجدها في صورة البقرة الوحشية وولدها ، وصورة السبع المترصد لهما هي مما يشيع حسّاً قصصيًّا في القصيدة ، ويشدّنا إليها ويجعلنا نعيش خوفَ وحزن تلك الأم على ولدها فالشاعر صوّر ذلك المشهد بكل جوانبه وكأنه واقعٌ عشناه مع تلك الأم الثكلى .

وعلى هذا النحو تتبّع الشاعر الجاهلي صور الحيوان المختلفة ، فجعل من صور الأمومة عند الحيوان بكل جوانبها وسيلةً لبث مقاصده الكبرى في القصيدة وهذا كثيرٌ وشائعٌ في الشعر الجاهلي .

خاتمة

لقد حاولت في هذه الدراسة سبر أغوار ، والكشف عن صور أمومة الحيوان في الشعر الجاهلي . ومثل هذه الدراسة تكشف عُمق إحساس الشاعر الجاهلي بالكائنات الأخرى من حوله ، وأنه حين يصف عواطف الحيوان كان يستشعر أدق مشاعرها وأعمقها .

وبعد استعراض مادة البحث ، واستقراء دواوين الشعر الجاهلي ، لا بد من الوقوف على بعض النتائج التي خلص إليها البحث ؛ وأهمها :

- أهمّية حضور صورة أمومة الحيوان عند الشعراء الجاهليين في قصائدهم ، ومحوريتها في شعرهم .
- إنّ صورة أمومة الحيوان من أهمّ المصادر التي يستقي منها الشاعر الجاهلي صوره الإبداعية ؛ لما تحمله صورة الأمومة من عواطف فطرية أودعها الله في هذا الحيوان ؛ كالحنان ، والحزن ، والعجز ، والخطيئة .
- استطاع الشاعر الجاهلي إيجاد علاقة بين مظاهر الطبيعة وأمومة الحيوان ؛ ليصور عواطفه المختلفة .
- ظهرت في البحث عناية الشاعر الجاهلي بالجانب النفسي في صورة أمومة الحيوان ؛ مما يدل على حسه المرهف العالي بالكائنات من حوله ، وما يشعر به من حزن وخوف وقلق . وكان لهذا الجانب حضوره القوي في شعرهم .
- أبدع الشاعر الجاهلي حينما صور أمومة الناقة بالصوت والحركة ؛ باعتبارها لغة التواصل بين الشاعر وناقته؛ وذلك ليجسّد لنا حنان الناقة وحرصها على فصيلها .

اتخّذ الشعراء الجاهليون بعمق إحساسهم وصدق مشاعرهم من التشبيه الذي تمثل في (العين ، والرائحة ، والصوت) ، والوصف الذي وقع على الأطلال والديار المقفرة ، وعلى

وصف الرحلة والصاحبة =أداةً لتصوير حنان الأمومة وحرصها عند الظباء .

تبين ّمن خلال الاستقراء والفحص أن الشعراء عبر ّوا في أشعارهم عن حنان الأمومة عند الظباء . وأبياتهفي ذلك فاقت ْ أبيات حنان الأمومة عند الناقة ؛ على الرغم من أن الناقة هي الرفيق الدائم للشاعر الجاهلي ؛ مما يفسر لنا مدى افتتان الشاعر العربي بالظبية التي جسّ دها بجمال الصاحبة .

- استحوذ التشبيه على أغلب أبيات حنان الأمومة عند البقر الوحشي .

تبين ّ لنا أن أغلب الصور الشعرية للخيل مَدْعَاةٌ للعزة والزهو والخيلاء ، وقلما نجدها مَدْعاةً للحنان ؛ لذلك جاءت صور أمومة الحيوان عند الخيل قليلة إذا قارنّا ا بالناقة والظبية والبقرة الوحشية . وظهر لنا أن الحماية أبرز صور الأمومة عند الفرس ، وتظهر لدى الشاعر الجاهلي في حمايتها لأفلائها ؛ فهي جزء من وظيفتها الحيوية التي خ ُلقت لأ لها .

عبر ّ الشعراء الجاهليين في قصائدهم عن صور حنان الأمومة عند الأسد واللبؤة وإن كانت لميلة فقد صاغ الشاعر الجاهلي هذه الصور في إطارٍعين ّ ؛ وهو إبراز شجاعة الممدوح وقوة دفاعه ، وما يتسم به من القوة والشجاعة والإقدام .

- ظهر لنا أن صور حنان الأمومة عند الغنم والعنز والأروية قليلة جدًّا إذا ما قارناها ببقية الحيوانات ، ومردّ ذلك إلى طبيعة حياة الشاعر العربي التي تمتاز بالتنقل والسفر والصيد ؛ فمشاهداته للناقة والظباء والبقر الوحشي أكثر من مشاهدة الحيوانات الأخرى .

- استشعر الشاعر الجاهلي حزن الأمومة عند الناقة واعتبره مصدرً ا من مصادر صوره الشعرية ؛ فهذا الحزنُحاضرٌ في سياق الرثاء والكرم حينًا ، ثم في سياق الفخر بقوة القوم وبعد الغارات حينًا آخر .

جسّد الشعراء الجاهليون حزن الأمومة عند الناقة ؛ من خلال عرضهم لمشاهدها ومظاهر الطبيعة من حولها .

- تبايُن حضور صورة أمومة الحيوان عند الشاعر الجاهلي . ومن خلال التنقيب في دواوين الشعراء تبين أن أكثر صور الأمومة حضوراً عند الأعشى ، ثم لبيد بن ربيعة ، ثم بشر بن أبي خازم . ويتساوى ابن مقبل وطرفة بن العبد ، ثم الخنساء .

كما تبين أن أبيات حزن الأم عند الحيوان وعجزها ، وخطيئتها ، وضعفها وصلت في هذا البحث إلى (١١٩بيتًا) . وبذلك فاقت أبيات حنان الأمومة (٩٥بيتًا) ، والأمومة المحضة ، ونفي الأمومة . وقد يعود ذلك إلى الحياة القاسية المريرة التي عاشها الشاعر الجاهلي ؛ فقد كانت مليئة بالحزن والأسى ، والفقْد ، والفراق .

عرَض الشعراء الجاهليون في قصائدهم صور حزن الأمومة وعجزها وخطيئتها عند البقر الوحشي والظبية ، فتبين أن التشبيه هو المحور الذي تدور حوله تلك الصور ، والتي اتخذ السرد القصصي الممتع الذي انتهجه الشاعر الجاهلي ليعبر عن حزن الأمومة وعجزها وخطيئتها عند البقرة الوحشية والظباء خاصة .

- ظهر لنا عند استقراء الأبيات وفحص صور الأمومة عند حمار الوحش وأتانه أنها صورٌ تحمل في طياتها عاطفة حزن الأمومة وعجزها ، ولم تعرض أي صورة لحنان الأمومة وحرصها .

- صاغ الشعراء الجاهليون معظم صور حمار الوحش وأتانه في قالبٍ من التشبيه ، وفي إطارٍ من السرد القصصي المعبر .

وقد تبين لنا من خلال الفحص والاستقراء أن الشعراء الجاهليين لم يتناولوا حزن الأمومة عند الفرس أو مظاهر ذلك الحزن ؛ كشدة الوله على الصغير ، أو كصوت ذلك الحزن ، أو النظرات التي يملؤها الوَلَهُ والترقب والقلق ؛ فقد أظهره الشعراء

غالباً في صورة عجز الأمومة أكثر من حزن الأمومة ؛ لأنه في مقام فخر وعزة ، وذلك ليثبت سرعة عدْوها وقوّتها في الحروب والغارات .

-صوّر الشعراء الجاهليون الأمومة المحضة عند الحيوان ؛ فكان للناقة النصيب الأكبر ، ثم الظباء ، فالبقر الوحشي ، يليها الخيل والأتان .

- إن معظم صور الأمومة المحضة جاءت في سياق المدح والفخر ؛ لإثبات معان أرادها الشاعر الجاهلي ، مستعينًا بظواهر الطبيعة من حوله .

- إن السبب الرئيس في نفي الشعراء الجاهليين للأمومة -وكل ماله دلالة على الضعف الجسمي ؛ كالحمل ، والإرضاع- هو الفخر بأثمن وأعز وأغلى ما يملكون؛ فالناقة هي التي حظيت بأغلب أبيات نفي الأمومة ؛لإثبات قوّتها ، وضخامتها ، وصلابتها .

-عند فحصُّ أبيات نفي الأمومة عند الحيوان نجدها محصورة على الناقة والحمار وأتانه والفرس فقط ، وحظيت الناقة بأغلب الأبيات .

- لـ د ظهر للباحثة من خلال الدراسة الفنية أن أكثر أبيات صور الأمومة حضورًا كانت تتمثل في التشبيه الذي عبر به الشاعر الجاهلي عن معظم معاني وصور الأمومة عند الحيوان ؛ فهو يكشف رؤية الشاعر وحالته النفسية ، ويهيئ نفس القارىء لتلقّي هذه المشاعر والأحاسيس . كما أن هذه للتشبيهات تنوّعت بين الطول والقصر ، وبين الصوتية والحركية .

-الكناية تلت التشبيه حضورًا ؛ فهي شاملة لجميع عواطف الأمومة ، ولكنها تتفاوت في ما بينها .

-الاستعارة أقلّ الأساليب الفنية حضورًفي أبيات الأمومة عند الحيوان ، وتبين أنهّا

تتركَّز في عاطفة الأمومة المحضة أكثر من غيرها من العواطف ، وبخاصة عند الناقة فقد صوّرها الشعراء في سياق الفخر والمدح فقط .

-تنوع مقاصد الشعراء الجاهليين في قصائدهم إلا أن كثيراً من الشعراء يلجأ إلى صورة الأمومة لدى الحيوان ليعكس الجانب النفسي والواقع الداخلي الذي يعيشه وإلماحاً إلى مقصده .

- تتبّع الشاعر الجاهلي صور الحيوان المختلفة ، فجعل من صور الأمومة عند الحيوان بكل جوانبها وسيلةً لبث مقاصده الكبرى في القصيدة .

المصـــادر والمراجـــع

المصادر

* **القرآن الكريم** .

١- أحيحة بن الجلاح الأوسي ، **الديوان** ، تحقيق : حسن محمد باجودة ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي ، د ط ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢- الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك علي بن أصمع (ت ٢١٦هـ) ، **الإبل** ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، دار البشائر ، سوريا ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

الأصمعيات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، ط٧ ، ١٩٩٣م .

٣- الأعلم الشنتمري ، يوسف بن سليمان بن عيسى (ت ٤٧٦هـ) ، **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**، دار الآفاق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .

الأفوه الأودي ، **الديوان** ، تحقيق : محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

٤- امرؤ القيس ، **شرح الديوان** ، تحقيق : حسن السندوبي ، أسامة صلاح الدين منيمنة ، دار إحياء العلوم ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م .

٥- أمية بن أبي الصلت ، **الديوان** ، تحقيق : سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

٦- ابن الأنباري ، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٢٨ هـ) ، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة : دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٣م .

٧- أوس بن حجر ، **الديوان** ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

٨- البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٦٥ هـ) ، **صحيح البخاري** ، تحقيق : مصطفى أديب البنا ، دار ابن كثير ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م .

٩- بشر بن أبي خازم الأسدي ، **الديوان** ، تحقيق : عزه حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م .

١٠تأبط شر ًا ، **الديوان** ، تحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م .

١١-الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بشر (ت ٢٥٥هـ) ، **البيان والتبيين** ، تحقيق : عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ .

- **الحيوان** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الجيل ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م .

١٢-الحادرة ، **الديوان** ، تحقيق : ناصر الدين الأسد ، بيروت ، دار صادر ، د ط ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

١٣-الحارث بن حلزة ، **الديوان** ، تحقيق : إيميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ،

بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ- ١٩٩١م .

١٤ - حسان بن ثابت ، **الديوان** ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي ، مصر ، دار الرحمانية ، دط، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م .

١٥ - الحطيئة ، **الديوان** ، شرح ديوان الحطيئة لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت٢٧٥هـ)، بيروت ، دار صادر ، لبنان ، دط ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

١٦ - الخطيب التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد (ت ٥٠٢ هـ) ، **شرح القصائد العشر** ، تحقيق : فخر الدين قباوة، دار الأفق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤ه١٩٨٠م .

١٧ - خفاف بن ندبة السلمي ، **الديوان** ، تحقيق : محمد نبيل طريفي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

١٨ - الخنساء ، **الديوان** ، بشرح ثعلب ، تحقيق : أنور أبو سويلم ، دار عمار الأردن ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) .

١٩ - الخنساء ، **الديوان** ، دار صادر ، بيروت ، دط ، دت .

٢٠ - دريد بن الصمة ، **الديوان** ، تحقيق : عمر عبد رب الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .

٢١ - الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ) ، **حياة الحيوان الكبرى** ، تحقيق : إبراهيم صالح ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .

٢٢ - الراغب ، الأصفهاني ،الحسين بن محمد بن المفضل ابو القاسم الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)

مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤٣٠ه - ٢٠٠٩م .

٢٣ - ربيعة بن مقروم الضبي ، **الديوان** ، تحقيق : تماضر عبد القادر فياض ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .

٢٤ - ابن رشيق ، أبو علي آل حسن (ت ٤٦٣ هـ) ، **العمدة** ، تحقيق : عفيف حاطوم ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ه٢٠٠٣م .

٢٥ - الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ٣٧٩) ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، دط ، دت .

٢٦ - زهير بن أبي سلمى ، **الديوان** ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، بيروت ، دار الآفاق ، دط ، ١٩٨٢م .

٢٧ - الزوزني ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحسين (ت ٤٤٥ هـ) ، **شرح المعلقات السبع** ، دار بيروت ، دط ، دت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٢٨ - السكري ، لأبي سعيد الحسن بن الحسين السكري (ت ٢٧٥ هـ) **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، محمود محمد شا ر ، مكتبة دار العروبة ، د ط، دت .

٢٩ - سلامة بن جندل ، **الديوان** ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٣٠ - السليك بن السلكة ، **الديوان** ، تحقيق : سعدي الضناوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٣١- الشنفرى ، **الديوان** ، تحقيق : علي ناصر غالب ، الرياض ، موضوعات مجلة العرب ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

٣٢- صفي الرحمن المباركفوري ، **المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير** ، دار السلام ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٣٣- صيفي بن الأسلت ، **الديوان** ، تحقيق : حسن محمد باجوده ، دار التراث ، د ط ، ١٩٧٣م .

٣٤- ابن طباطبا ، **عيار الشعر** ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا (ت ٣٢٢)، تحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

٣٥- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، تحقيق : أحمد عبد الرزاق بكري ، وآخرون . دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، (١٤٣٠هـ) .

٣٦- طرفة بن العبد ، **الديوان** ، تحقيق درّية الخطيب ، لطفي الصفال ، د ط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م .

٣٧- طفيل الغنوي ، **الديوان** ، تحقيق : حسان فلاح أوغلي ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .

٣٨- عبد القاهر الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) ، **أسرار البلاغة** ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م .

- **دلائل الإعجاز** ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١

هـ) تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م) .

٣٩-عبيد بن الأبرص ، **الديوان** ، تحقيق : أشرف أحمد عدرة ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

٤٠-عروة بن الورد ، **الديوان** ، بيروت ، دار صادر ، د ط ، د ت .

٤١-علقمة بن عبده ، **الديوان** ، تحقيق : سعيد نسيب مكارم ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .

٤٢-عمرو بن شأس الأسدي ، **الديوان** ، تحقيق : يحيى الجبوري ، مطبعة الأدب ، دط ، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م .

- **الشعر الجاهلي** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٤٢٢ه - ٢٠٠١م .

٤٣-عمرو بن قميئة ، **الديوان** ، تحقيق : خليل إبراهيم العطية ، بغداد ، دار الحرية ، دط ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .

٤٤-عمرو بن كلثوم ، **الديوان** ، تحقيق : أيمن ميدان ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .

٤٥-عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، **الديوان** ، تحقيق : مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م .

٤٦-عنترة ، **الديوان** ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م .

٤٧-ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

٤٨-الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (ت٨١٧ هـ) ، **القاموس المحيط** ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

٤٩-قيس بن الخطيم ، **الديوان** ، تحقيق : ناصر الدين الأسد ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١هـ- ١٩٩١م .

٥٠-كعب بن زهير ، **الديوان** ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الشواف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م .

٥١-لبيد بن ربيعة ، **الديوان** ، تحقيق : إحسان عباس ، دار التراث العربي ، الكويت ، دط، ١٩٦٢م .

٥٢-لقيط بن يعمر الإيادي ، **الديوان** ، تحقيق : محمد التونجي ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .

٥٣-المبرد ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت ٢٨٦هـ) ، **التعازي والمراثي** ، تحقيق : محمد الدبياجي ، دمشق ، مطبعة زيد بن ثابت ، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م ، د.ط .

- **الكامل** ، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م .

٥٤- المتلمس الضبعي ، **الديوان** ، تحقيق : محمد التونجي ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

٥٥- المثقب العبدي ، **الديوان** ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧م .

٥٦- المرزباني ، أبو عبيدة محمد بن عمران بن موسى بن سعيد (ت ٣٨٤ هـ) **معجم الشعراء**، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى .

٥٧- المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ) ، **شرح ديوان الحماسة** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، محمد محمود شاكر .

- **شرح ديوان الحماسة** ، تحقيق : غريد الشيخ ، إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م .

٥٨- المرقش الأكبر والأصغر ، **الديوان** ، تحقيق : كارين ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .

٥٩- معن بن أوس المزني ، **الديوان** ، تحقيق : نوري حمودي القيسي ، حاتم الضامن ، بغداد، دار الجاحظ ، ١٩٧٧م .

٦٠- المفضل بن محمد الضبي ، **المفضليات** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون، دار المعارف ، الطبعة العاشرة، ١٩٩٤م .

٦١- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ) ، **لسان العرب** ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٣ م .

٦٢- المهلهل بن ربيعة ، **الديوان** ، تحقيق : طلال حرب ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م .

٦٣- النابغة الجعدي ، **الديوان** ، تحقيق : واضح الصمد ، بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

٦٤- النابغة الذبياني ، **الديوان** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، د.ت .

المراجع

٦٥- ابتسام مرهون الصفار ، **مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي** ، ، دار الإرشاد ، بغداد ، دط، ١٩٦٨م

٦٦- إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، **المعجم الوسيط** ، تحقيق : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة ، دط ، دت .

٦٧- إبراهيم النعانعة ، **شعرغطفان في الجاهلية والإسلام** ، دار جرير ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٦٨- أحمد أبو يحيى ، **الخيل في قصائد الجاهليين والإسلاميين** ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م .

٦٩- أحمد محمد الحوفي ، **المرأة في الشعر الجاهلي** ، مصر ، دار النهضة ، د.ط ، ١٩٥٤م

٧٠- آمال يوسف سيد ، ماجدة زين العابدين ، **البيان - دراسة في المصطلح والدلالة** ، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م .

٧١- أنور أبو سويلم ، **الإبل في الشعر الجاهلي** ، دار العلوم الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

- مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، د ط ١٤١٠ هـ- ١٩٩١م.

٧٢- جابر أحمد عصفور ، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي** ، دار المعارف ، مطبعة

القاهرة الجديدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٣م .

٧٣-الجبوري ، **الشعر الجاهلي** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٤٢٢ه ٢٠٠١م .

٧٤-حسني عبد الجليل يوسف ، **عالم المرأة في الشعر الجاهلي** ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .

٧٥-حسين جمعه ، **الحيوان في الشعر الجاهلي** ، بيروت ، دار دانية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م.

٧٦-سعد عبد الرحمن العريفي ، **سلوك الحيوان في الشعر الجاهلي دراسة في المضمون والنسيج الفني** ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٦ه.

٧٧-عبد الحميد محمود المعيني ، **ديوان شعر بني تميم في العصر الجاهلي** ، منشورات نادي القصيم الأدبي ، الإصدار رقم (٧) ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

٧٨-عبد العزيز محمد شحاده ، **الزمن في الشعر الجاهلي** ، المكتبة الوطنية ، د ط ، ١٩٩٥م .

٧٩-عبد القادر الرباعي ، **الصورة الفنية في النقد الشعري** ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م .

٨٠-عزيزة فوال بابتي ، **معجم الشعراء الجاهليين** ، بيروت دار صادر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

٨١-عيسى أبو ياسين ، **همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام** ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

٨٢-فؤاد عبد الباقي ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، دار المعرفة ، بيروت ،

الطبعة الثانية، ١٤١١هـ- ١٩٩٧م .

٨٣- كامل حسن البصير ، **بناء الصورة الفنية في البيان العربي** ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

٨٤- محمد صالح العثيمين ، **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، خرّج أحاديثه : أشرف عبد المقصود ، مكتبة أضواء السلف الرياض ، د.ط ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

٨٥- محمد الصباغ ، **التصوير الفني في الحديث النبوي** ، بيروت المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م .

٨٦- محمد عبد الله آل مبارك ، **شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام** ، منشورات نادي جازان الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠ م .

٨٧- محمد علي دقة ، **بني أسد أشعار الجاهليين والمخضرمين** ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م . محمد أحمد سلامه ، الإبل في التراث العربي ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ه١٩٩٦م .

٨٨- محمد بن علي بن محمد الشوكاني **فتح القدير الجامع بين فنَّيْ الرواية والدراية من علم التفسير**مؤسسة الرّيّان ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

٨٩- محمد ناني ، **النقد التحليلي** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د ط ، ١٩٩١م .

٩٠- محمد أبو موسى ، **التصوير البياني** ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣ه١٩٩٣م .

٩١- مها عبد الله الأبرش ، **الأمومة ومكانتها في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة** ، رسالة ماجستير مطبوعة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦ م .

٩٢- نجيب محمد البهبيتي ، **تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري** ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠م ، د.ط .

٩٣- نصرت عبد الرحمن ، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي** مكتبة الأقصى ، عما ّ ن ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

٩٤- وفاء فهمي السنديوني ، **طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام** ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .

٩٥- وهب رومية ، **الرحلة في القصيدة الجاهلية** ، بيروت ، دار الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .

المجلات والدوريات

٩٦- أيهم عباس حمودي القيسي ، **ورقة بن نوفل ، حياته وشعره** ، بغداد ، مجلة المورد ، مجلة تراثية فصلية ، المجلد السابع عشر ، العدد الثاني ، ١٩٨٨م .

٩٧- حافظ محمد المغربي ، **الصورة الشعرية بين النص التراثي والمعاصر** ، جامعة الملك سعود ، النشر العلمي والمطابع ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٩٨- حميد آدم ، **شعر عمرو بن الإطنابة الخزرجي** ، المورد المجلة التراثية الفصلية ، المجلد الرابع عشر ، العدد الثاني ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥ م .

٩٩- عادل جاسم البياتي ، **شعر الربيع بن زياد** ، بغداد ، مطبعة المعارف ، مجلة كلية الآداب، المجلد الأول ، العدد الرابع عشر ، ١٩٧٠ - ١٩٧١م .

١٠٠- عبد الرحمن بن إبراهيم الدباسي ،**الانتساب إلى الأمّهات عند العرب : مقاربات للتفسير** ، بحث منشور في مجلة جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م .

١٠١- مريم القحطاني ،**الصورة الأم معياراً نقديًّا** ، دورية العلوم الإنسانية ، كلية الآداب ، جامعة بني سويف ، العدد التاسع عشر ، ٢٠١١م ، المجلد الثاني ، (ص٩٠).

١٠٢- مهدي عبيد جاسم ، **شعر الحصين بن الحمام المري** ، تحقيق ، بغداد ، مجلة المورد ، مجلة تراثية فصلية ، المجلد السابع ، العدد الثالث ، ١٩٨٨م .

المحتويات

قائِمة المحتوَيات

الموضوع	الصفحة
العنوان	أ
البسملة	ب
ملخص البحث باللغة العربية	ج
ملخص البحث باللغة الإنجليزية	د
إهداء	هـ
شكر وتقدير	و
المقدمة وخطة البحث	١-٧
مقدمة	١
أهمية الدراسة	٢
خطة البحث	٣
التمهيد	٨
أولا ًمفهوم الأمّومة لغةً ، ومكانةُ الأمّ في الوجدان العربي القديم :	٩
ثانيًا : مفهوم الصورة ، ودورها الفني في الشعر :	٢٢
ثالثًا : صورة الحيوان في الشعر الجاهلي عامة ، وقيمتها الجمالية :	٣٢

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول : صور حنان الأمومة عند الحيوان ٤٠

أولاً : الحنان عند الناقة والفصيل ٤٢

ثانيًا : الحنان عند الظباء وصغارها ٦٩

ثالثًا : حنان الأمومة عند البقر الوحشي ٩٩

رابعًا حنان الأمومة عند الفَرَس ١١٠

خامسًا : الحنان على الصغار عند الأسد واللبؤة ١١٥

سادسًا : حنان الأمومة عند العنز والأروية والغنم ١٢٠

الفصل الثاني : حزن الأم عند الحيوان ، وعجزها ، وخطيئتها ، وضعفها ١٢٤

أولاً : حزن الأمومة عند الناقة ١٢٥

ثانيًا : حزن الأمومة عند البقرة الوحشية والظبية ١٤٨

ثالثًا : الحمار الوحشي ١٦٣

رابعًا : الخيل ١٧١

الفصل الثالث : الأمومة ١٧٧

المبحث الأول : الأمومة المحضة ١٧٨

المبحث الثاني : نفي الأمومة ٢٠٨

الفصل الرابع : الدراسة الفنية ٢٢١

المبحث الأول : التشبيه - الكناية - الاستعارة ٢٢٢

الموضوع	الصفحة

المبحث الثاني : نموذج لعاطفة الأمومة عند الحيوان (قصيدة الخنساء أنموذجًا) ٣١٧

المبحث الثالث : المقاصد الكبرى لصورة الأمومة عند الحيوان في الشعر الجاهلي ٣٣٦

خاتمة ٣٥٥

المصادر والمراجع ٣٦٠

المحتويات ٣٧٥